

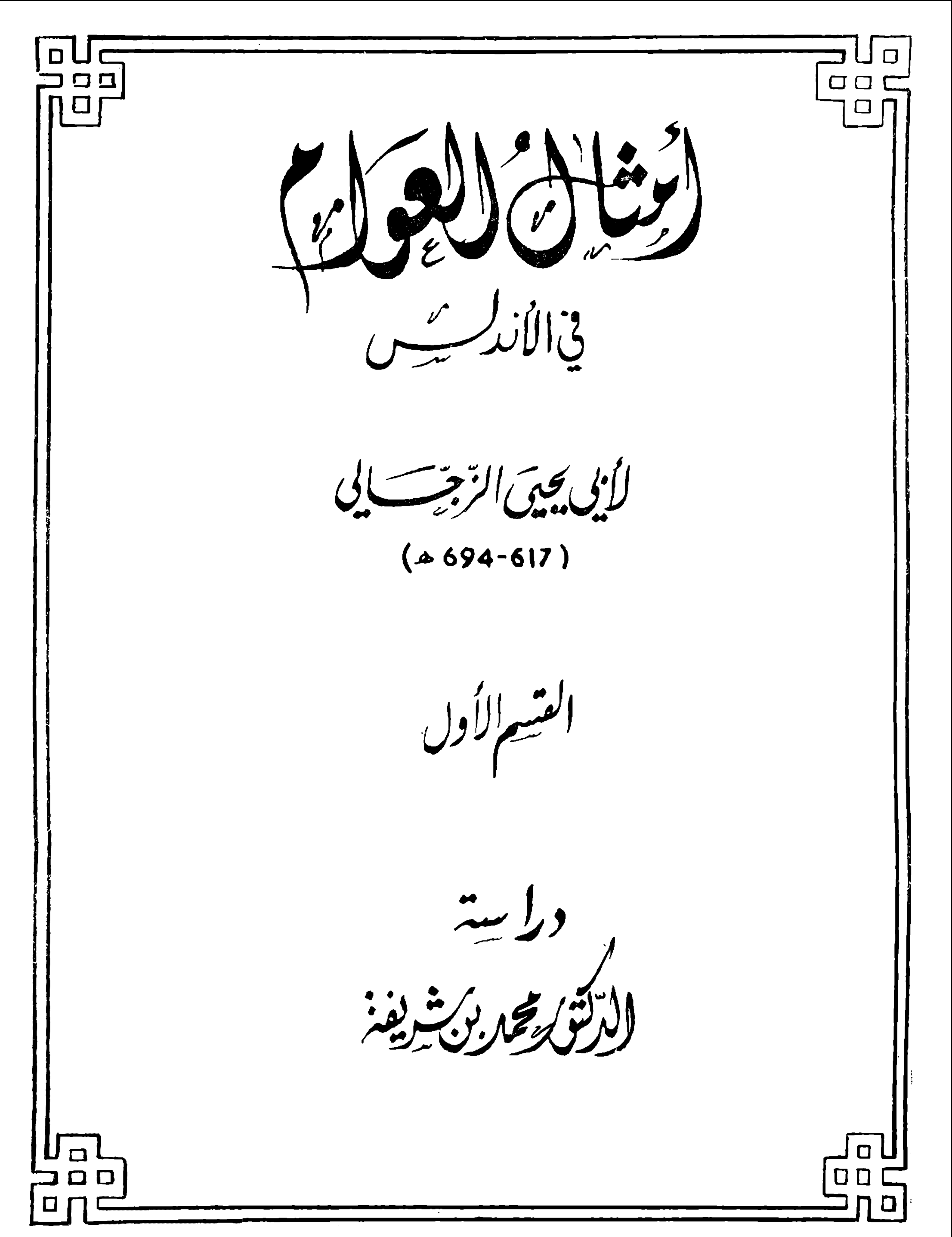
أمثال العوام في الأندلس

لأبي يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي
(617 — 694 هـ)

تحقيق وشرح ومقارنة
الدكتور محمد بن شريفة

القسم الأول

منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي



أمثال العوام في الأندلس

لأبي يحيى الزجالي

(617-694 هـ)

القسم الأول

دراسة

الدكتور محمد بن شريفة

طبع بمساعدة وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية

الاهداء

إلى والديّ رحمهما الله

هــذا الـكـتــاب

أول رسالة دكتوراه تقدم بها مغربي للحصول على درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وقد نوقشت في تاريخ 27 ـ 2 ـ 1969 وبعد مناقشتها من لجنة برئاسة الاستاذ الدكتــور عبد العزيز الاهواني وعضوية كل من الاستاذ الدكتور شوقي ضيف والاستاذ الدكتور عبد الحميد يونس ، حصل صاحبها على درجة دكتوراه الدولة في الآداب بمرتبة الشرف الاولى .

تقديم

حين نشـر الدكتور عبد العزيز الاهواني أمثال ابن عاصم الغرناطي ختم دراسته القيمة لها بقوله : « وانا لنرجو أن تكشف المخطوطات العربية عن مجموعات جديدة من أمثال العامة في الاندلس لتكمل لنا صورة لـذلك المجتمع الاندلسي في بيئته المثقفة وفي بيئاته الشعبية » .

وقد كان هذا من الحوافز التي دفعتني الى أن استشير سيادته فـي اختيار « أمثـال الزجالي القرطبي » موضوعا لرسالة دكتوراه تحت اشرافه فـرحب بالموضـوع .

وما زلت اذكر أنه ابدى شيئـا من الاشفاق علي ونبهنـي الى ما يحف بالموضوع ـ كما تصورناه في البداية نصا ودراسة ـ من مشكلات عـديـدة خبرها من عمله في ابن قزمان والازجال عموما وفي أمثال ابـن عـاصم ، فالامثال التي كنت بصدد تحقيقها ودراستها . امثال عامية كان يتمثل بهـا قوم درجوا وطواهم التاريخ ، فهي لذلك امثال تاريخية أي انها أمثال مجتمع قديم هو المجتمع الاندلسي . واذا كنا ننشد أحيانا أمثال المجتمعات القديمة وانماط حياتها ، فيما بقي منهـا واستمر في المجتمعات التي خلفتها وورثت شيئا من تراثها فان الامر مختلف بالنسبة للاندلس الاسلامية .

ومما زاد الامر صعوبة أن مدون هذه الامثال لم يعن بشرح الفاظهـا ومعانيها ، وذكر مناسباتها وظروفها وايراد مواردها ومضاربها وانما ساقها مجردة من كل ذلك ، وقد صيغت هذه الامثال ايضا بعربية عامية هي عامية اهل الاندلس التي كانت تجرى في احاديثهم ومحاوراتهم ، وعامية أهـــل الاندلس ـ كامثالهم ـ قد بعد بهـا العهد ، وطال عـليها الامد ، وانقطعـت بها الصلة ، وليس من الممكن ان نلتمـس لها مثالا من الحاضر أو صـورة في المستعمل المسموع ، وانما هي عامية « تاريخية » يقراها الدراسـون في نصوصها الباقية ، ويحاولون فهمها في ضوء بعض المعاجم الخـاصة او من استقراء الاستعمالات وتتبعها . وحين بدأت العمل في هذه المجموعة

من الامثال التي دونت في القرن السابع – ويرجع بعضها الى القرن الثاني وما بعـده ، كانت تبدو الغازا او أشبه بالالغـاز ، ولكنها ما لبثت أن تكشفت معالمها شيـئا فشيئا ، واتضحت معانيهـا قليـلا فقليلا الـى أن استقامـت صورتها على النحو الذي نراه في النـص .

ولقد كان عملي في تحقيق النص متشعبا ومتعددا اذ كان علي أن أقوم بـمـا يـلـي :

1 – ضبط نصوص الامثال وتوثيقها ، وذلك بمعارضتها باصولها فـي النسخ الموجودة من كتاب ري الاوام ، ومرعى السوام ، في نكت الخواص والعوام للزجالي – وهو الكتاب الذي استخرجت منه هذه الامثال – واعتمدت في هذا العمل على ثلاث نسخ من هذا الكتاب موجودة في المغرب تـرجع احداها الى سنة 705 هـ أي أنها انتسخت من أصل المؤلف بعد وفاته بنحـو عـشر سنـوات ، وهـي مخطوطة بالخـزانة الملكيـة بالربـاط وقد رمزت لـهـا بحـرف م .

والثانية توجد باحدى المكتبـات الخاصة بالمغرب وقـد انتهى مـن نسخها في خامس وعشرى صفر الخير عام 1283 ورمزت لها بحرف س مـن اسم مالكها السيد عبد السلام ابن سودة .

اما الثالثة فهي نسخة الخزانة العامة بالرباط ، وقد كمل نسخها فـي خامس صفر الخير عام 1323 من نسخة فرغ منها في رابع وعشري صفـر الخير عام 1149 وهي التي أرمز لها بحرف ع . ولم يكن عـملي في المعارضة والمـراجعة سهـلا لما تشتمل عليـه هـذه النسخ مـن البياض والتحريف والتصحيف ، ويرجع ذلك الى أن الزجالي مؤلف ري الاوام تـرك كتابه في مسودته ، وأخرجه النساخ بعد وفاته ، كما يرجع أيضا الى جهل النساخ في الغالب بالعامية الاندلسية والكلمات الاعجمية ، وقد اعتبرت أمثال ابن عاصم الغرناطي اصلا في الامثال التي تتفق روايتها مع رواية الزجالي .

2 – شرح الفاظ الامثال بحسب الاستعمال الاندلسي ، وقد رجعت في هـذا الى ما ورد من الفاظ عامية اندلسية في كتب لحن العامة الاندلسية مثل كتاب لحن العوام للزبيدي ، وكتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة وغيرهما، كما رجعت الى بعض المعاجم الخاصة بعامية الاندلس او التي تشتمل على ألفاظ منها كالمعجم المنسوب الى الراهب القطلوني رمند مرتين ومعجم الراهب الاسباني فراي بدرودي الكالا ومعجم المستشرق الاسباني سيمونيت وملحق المعاجم العربية لدوزي ، واعتمدت في كثير من الاحيان على تتبع الالفاظ

وملاحظة التراكيب في ازجال ابن قزمان وغيرها من النصوص العامية الاندلسية للاستعانة بها على فهم المدلول العام لالفاظ وتراكيب الامثال ، واستأنست أيضا بالاستعمال المغربي والفاظ العامية المغربية .

3 ـ مقارنة الامثال الاندلسية بغيرها من الامثال العربية القديمة ، والامثال المولدة ، والامثال العامية القديمة والحديثة ، ثم الامثال الاسبانية القديمة والحديثة ، وكان علي ان أرجع الى مجموعات عديدة ، فمن الامثال العربية القديمة : كتاب امثال العرب للمفضل الضبي وكتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام ، وكتاب الفاخر للمفضل بن سلمة وكتاب حمزة الاصفهاني فيما جاء من الامثال على قولهم : هو افعل من كذا ، وكتاب جمهرة الامثال لابي هلال العسكري ، ومجمع الامثال للميداني وغيرها ، وفي الامثال العامية والمولدة . رجعت الى حكاية ابي القاسم البغدادي لابي المطهر الازدي ورسالة الامثال البغدادية التي تجري بين العامة لابي الحسن علي بن الفضل الطالقاني ، وأمثال العامة التي وردت في كتاب نثر الدرر لابي سعد منصور بن الحسين الآبي ، والتمثيل والمحاضرة ، وثمار القلوب ، والكنايات لابي منصور الثعالبي وكتاب الكنايات لابي العباس احمد بن محمد الجرجاني وأمثال المولدين في مجمع الامثال للميداني وقارنت أمثال الزجالي بغيرها من الامثال الاندلسية التي دونها ابن عاصم الغرناطي ، وكذلك بما ورد منها في أزجال ابن قزمان وغيرها من الازجال، وقد اجتهدت في البحث عما قد يرد منها في اطواء المصادر الاندلسية المختلفة . كما رجعت في الامثال العامية المصرية القديمة الى أمثال شرف ابن أسد المصري التي نشرها المستشرق السويسري بوركهارت ، وماورد في الكنز المدفون ليونس المالكي والمستطرف للابشيهي وغيرها .

واعتمدت في المقارنة ايضا على مجموعات الامثال العامية في بلدان المغرب الكبير ، مثل المجموعة التي اشير اليها باسم « مخطوط الزركلي » ومجموعات ابن شنب ووسترمارك والصبيحي ومحمد الفاسي وعبد السلام ابن سودة ومحمد داود وعبد القادر زمامة والطاهر الخميري وكولان ودرونو ومالكا وغيرهم .

والتمست لهذه الامثال الاندلسية القديمة اشباها ونظائر في كتب الامثال العامية المشرقية الحديثة أيضا ، ومنها كتاب « امثال المتكلمين من عوام المصريين » للباجوري ، و « امثال العوام في مصر والسودان والشام » لنعوم شقير ، والامثال العامية لتيمور ، وحدائق الامثال لفائقة راغب ،

والامثال الاجتماعية لشفيقة شبير ، والامثال البغدادية للحنفي ، والامثال البغدادية المقارنة للتكريتي ، ومعجم الامثال الموصلية للدباغ ، والامثال العامية في نجد للعبودي ، وأمثال الجزيرة العربية لعبد الكريم الجهيمان ، والامثال العامية اللبنانية لأنيس فريحة وغيرها .

ولم أقف في المقارنة عند الامثال العربية وانما تجاوزتها الى الامثال الاسبانية في مجموعاتها القديمة والحديثة ، وقد كشفت هذه المقارنة عن استمرار كثير من الامثال الاندلسية بصفتها المترجمة في الامثال الاسبانية، واعتمدت في هذه المقارنة على طائفة من مجاميع الامثال الاسبانية منذ بداية تدوينها ـ الذي يرقى به بعضهم الى القرن الثالث عشر ـ الى يومنا هذا ، وهذه المجموعات هي التي كان يعكف على البحث فيها كل من الباحثة الامريكية O'KANE في رسالتها الطريفة :
Refrenes y Frases Proverbiales Espanolas de la Edad Media.
والباحث الفرنسي L. COMBET في رسالته القيمة :
Recherches sur le «Refranero» Castillan.

ولكني لم أعلم بهذين البحثين الا بعد ظهورهما ، وكنت قد انتهيت قبل ذلك بزمن لا باس به من انجاز رسالتي الجامعية هذه ؛ ولو اتيح للباحثين المذكورين أن يقفا على مجموعتي الزجالي وابن عاصم وغيرهما من مصادر الامثال الاندلسية لغيرا من نظرهما في أصول الامثال الاسبانية ولوجدا أن الامثال الاندلسية خصوصا والامثال العربية عموما تكون حلقة موجودة ـ لا مفقودة ـ في أصل التراث الاسباني في الامثال .

٨ ـ يستشهد الزجالي مدون الامثال بشواهد وأبيات يذكرها في اعقاب الامثال ، وتكون أحيانا مناسبة لها ودالة على معناها ، ويأتي بها في بعض الاحيان لمجرد ورود كلمة مشتركة بين المثل والشاهد ، وكان من مشكلات هذه الشواهد انها توضع احيانا في غير موضعها المناسب ، ويرجع ذلك فيما قدرت الى ان المؤلف ترك كتابه « عطلا من التبويب ، صفرا من الترتيب» وقد اجتهدت في وضعها مواضعها المناسبة او التي رأيت انها مناسبة ، كما أن هذه الشواهد تساق غير منسوبة الى اصحابها في الغالب ، وهي متعددة المصدر مختلفة المنزع ، فمنها الجاهلي والاسلامي ، والمخضرم والمولد ، وبينها شواهد عديدة من الشعر الاندلسي ، وقد حرصت على تخريجها ونسبتها الى قائليها بقدر الطاقة .

5 ـ وبعد ضبط المثل وتوثيقه ، وذكر فروقه ، وشرح الفاظه ، وايراد اشباهه ونظائره ، أعمد الى ذكر معناه ومضربه اما بالاعتماد على الاشباه والنظائر ، او على الشواهد ، او على السياق ، أو على السليقة والاجتهاد ، وذلك لان جامع الامثال كما أشرت الى ذلك من قبل لم يعن بشرحها ، وانما أوردها مرسلة مع أنه يعترف بحاجتها الى الشرح اذ يقول : «وكثير مما في هذا المصحف يحتاج الى تفسير والى شرح والى تبيين» وقال بعد هذا أو أنـشـــد :

ولابد من شيخ سوء لطيف	يفسر منها الذي اشكلا
فسله اذا انـت الفيـتـه	يريك متى شئت فيها الجلا

ذلك ما يتعلق بعملي ومنهجي في تحقيق النص وهو أحد قسمي الرسالة، وينبغي أن اعترف انه استبد بالجانب الاكبر من الزمن الذي انفقته في اعداد هـــذه الرســالة .

وأما الدراسة التي أقمتها على هذا النص فانها تتألف من ستة فصول :

أولها في التعريف بجامع الامثال ومؤلف كتاب «ري الاوام» : أبـي يحيى عبيد الله بن احمد الزجالي ، وهو شخصية لا يكاد الدراسون يعرفون من أمرها شيئا ، ولم أقف له الا على ترجمة قصيرة في «درة الحجال ، في غرة اسماء الرجال» لشهاب الدين أبي العباس احمد بن محمد المعروف بابن القاضي المكناسي المتوفي سنة 1025ﮪ وقد نقل ترجمة الزجالي بايجاز مخل من مصدر متقدم رجحت انه كتاب «الذيل والتكملة» لابن عبد الملك المراكشي، ولما كانت معرفة جامع الامثال مهمة في توثيق الامثال نفسها ، والثقة بها، والاطمئنان اليها ، وتحديد نسبتها الاندلسية ، فقد عنيت عناية خاصة بدراسة الرجل دراسة مستفيضة لم تكن الترجمة القصيرة التي وردت في درة الحجال الا مفتاحا لها ومدخلا اليها، واعتمدت في هذه الدراسة على قراءات كثيرة في كتب التراجم والطبقات والتاريخ والبرامج والرحلات ، كما افدت كثيرا مـن الاشارات القليلة المتعلقة بالمؤلف في كتابه «ري الاوام» . وهكذا درســت المؤلف في أسرته من جهة أبيه وهي اسرة الزجاليين القرطبية التي كـــان لها ذكر كبير في حياة الاندلس السياسية والعلمية والعمرانية وغيرها طوال نحو أربعة قرون ، كما درسته في اسرته من جهة أمه وهي اسرة بني قطرال الانصاريين الذين تولى عدد منهم منصب القضاء في عهد دولة الموحدين ، وانتهيت فى هذا الى ان جامع الامثال ابا يحيى الزجالي من كلا طرفيه مغربي الاصل والوفاة ، وان كان قرطبي البيت والنشأة ، وانه وليـد العنصرين البربري والعربي ، فأبوه من أصل بربري نفزي ، وأمه من أصل عـربي

انصاري . وقد عنيت عناية خاصة بتوضيح الاثر الذي كان للقاضي أبى الحسن ابن قطرال جد المؤلف لامه في حياته . ثم فصلت القول في حياته منذ ولد بقرطبة سنة 617 هـ او سنة 618 هـ الى وفاته سنة 694 هـ وتتبعت أطوار حياته في قرطبة وشاطبة ومراكش ، ودرست بتفصيل تكوينه الثقافي ، وشيوخه الذين أخذ عنهم ، والكتب التي درسها وما الى ذلك ، واستنتجت من هذا كله انه كان على مستوى طيب من الثقافة الادبية بالمعنى العام ، كما يشهد بذلك أيضا كتابه «ري الاوام» . وقومت نثره وشعره تقويما في حدود بيئته الزمانية والمكانية ، وكان ما وصل الينا من شعره معينا في انارة بعض الجوانب من حياته وسلوكه . ولم يفتني أن أرسم ملامح من الحياة السياسية والادبية بالاندلس والمغرب في عصره بالقدر الذي يتصل بحياته اتصالا مباشرا .

وأما الفصل الثاني فقد كان خاصا بكتاب «ري الاوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام» الذي استخرجت منه نصوص الامثال ، واشتمل هذا الفصل على تمهيد في كتب المحاضرات الاندلسية التي ينتمي اليها كتاب «ري الاوام» أشرت فيه بايجاز الى بعض ما ألف في هذا الفن بالاندلس وأوردتها مرتبة بحسب العصور ، ثم درست في هذا الفصل موضوع الكتاب ومنهج المؤلف فيه ومصادره والباعث على تاليفه وقصد المؤلف الى محاذاة كتاب التمثيل والمحاضرة للثعالبي ، ولما كان الكتاب مخطوطا فقد بينت محتوياته في ثبت سردت فيه أبوابه كما درست ما يشتمل عليه الكتاب من اختيارات نثرية وشعرية منسوبة وغير منسوبة ، وللدلالة على قيمة الكتاب من هذه الناحية فقد ادرجت ثبتا للشعراء المشارقة وآخر للشعراء المغاربة الوارد ذكرهم في الكتاب . وختمت هذا الفصل بتحقيق نسبته الى الزجالي ودراسة نسخه المعروفة .

وارخت في الفصل الثالث للامثال في الاندلس فصيحها وعاميها ، ويبدأ هذا الفصل بتمهيد قصير عن تطور التأليف في الامثال العربية يليه دراسة مفصلة عن دخول كتب الامثال الى الاندلس وتاريخ دخولها ، وعناية الاندلسيين بدراستها وشرحها ، مع تحليل دقيق لشروح الاندلسيين ، واختصاراتهم لامهات كتب الامثال ومؤلفاتهم فيها ، وأحسب أنها دراسة شاملة متقصية لجانب من جوانب التاريخ الادبي لا يوليه الباحثون ما يستحق من اهتمام ، وانما بدأت بتأريخ كتب الامثال الفصيحة في الاندلس وانتشارها بها لاني رأيت أن الصلة وثيقة بين الامثال الفصيحة وبين الامثال العامية ، فهناك طائفة من الامثال العامية ما هي الا أمثال فصيحة في الاصل صاغها

العامة صوغا جديدا أو اعتراها تغيير في الفاظها وتراكيبها ، وذلك ما يسميه ابوعبيد القاسم بن سلام وغيره بالابتذال ، وانتقلت من الامثال الفصيحة الى الامثال العامية في الاندلس ، فتكلمت بايجاز مركز في ظهور الامثال الاقليمية وتطورها في البلدان الاسلامية العربية ، وتتبعت هذه الامثال العامية الاقليمية في أمثال ابي عبيد المخطوطة ، وحكاية ابي القاسم البغدادي ، ورسالة الامثال البغدادية للطالقاني ، ونثر الدرر للآبي ، ومجمع الامثال للميداني وغيرها ، وأشرت الى وجودها في الشعر العباسي ، وبينت ان الاتجاه الى تدوين الامثال العامية بالمعنى الدقيق لم يظهر فيما يبدو الا في القرن السابع الهجري وما بعده ، ثم درست بتفصيل نشأة الامثال العامية في الاندلس فذكرت أمثلة لهذه الامثال ترجع الى أواخر عصر الولاة واوائل العصر الاموي بالاندلس ، وتتبعت تدوين هذه الامثال في العقد لابن عبدربه ، ووصلت بالمقارنة بين الامثال العامية في العقد وبين الامثال العامية في كتاب ابي عبيد الى أن الامثال المنسوبة الى العامة في العقد هي امثال كانت مسموعة بالاندلس وليست منقولة ، وبذلك يكون ابن عبدربه أول من فتح باب تدوين الامثال العامية في الاندلس ، ثم استعرضت ما وقفت عليه من أمثال اندلسية في ثنايا المؤلفات الاندلسية التي الفت بعد العقد مثل كتاب قضاة قرطبة للخشني ، وطبقات اللغويين والنحويين للزبيدي ، والمقتبس لابن حيان ، والمسالك والمما لك للبكري ، والتبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة لعبد الله بن بلقين ، وانتقلت الى مجموعة ابن هشام اللخمي التي دونت في القرن السادس فحللتها تحليلا دقيقا ، وتليها مجموعة الزجالي التي عنيت بتحقيقها فاوضحت انها ـ فيما وقفت عليه ـ أول تدوين حقيقي لامثال العامة بمعناها الدقيق في الاندلس، كما أنها ـ من حيث عدد أمثالها ـ اكبر المجموعات العامية القديمة المعروفة ، ودرست طريقة الزجالي في ترتيبها ، وتاريخ جمعها ومكانه ، وقررت ان الطابع الاندلسي غالب عليها سواء من حيث الشكل او من حيث المضمون ، وبينت انه اعتمد في جمعها على السماع المباشر من أفواه الناس في قرطبة وشاطبة وغيرهما من المدن الاندلسية التي عاش فيها ، ولم استبعد أن يكون قد جمع بعضها في المغرب حيث هاجر مع من هاجر اليه من الاندلسيين بعد نهاية القسم الاكبر من الاندلس الاسلامية ، كما سقت بعض الادلة التي تشهد بأنه حافظ على تدوينها كما سمعها ولم يتصرف فيها بنوع من أنواع التصرف كالاعراب ونحوه ، وقلت ان صنيعه هذا يدل على سعة افق ورحابة صدر واستنارة ذهن قلما نجدها في العصور المتأخرة ، وقد أشار في مقدمة كتابه « ري الاوام » الى ما كان يتوقعه من النقد من بعض معاصريه الذين لم يكونوا يستسيغون مثل هذا العمل ، وذلك لان الاقدام على تدوين الادب العامي كان

بدعة في نظر كثير من الناس ، وكان معظم المؤلفين في المشرق والمغـرب يزورون عنه ، ويأنفون من تسجيله ، وقد كان هذا الرأي سببا في ضيــاع كثير من الاداب العامية والآثار الشعبية ، وبعد دراسة أمثال الزجالي درست أمثال ابن عاصــم الغرناطي التــي دونت بعدها بنحو قرن ، وقــارنت بين المجموعتين ، وبينت ما بينهما من وجوه الاتفاق والاختلاف ، وتبين مــن البحث أن ابن عاصم لم يطلع على مجموعة الزجالي ، ولذلك كانت مظاهر الاختلاف بينهما مفيدة في المقارنة ومتابعة تطور الامثال وما طرأ عـليها مـن تغيير خلال قرن تقريبا ، وأشرت بعد ذلك الى مجموعة ابي علي الحسن ابن القفال البسطي في الامثال العامية الاندلسية وهي مفقودة ، وقد الـفت بعد امثال ابن عاصم قبيل سقوط غرناطة وتعتبر آخر ما ألف في الامثـــال العامية بالاندلس ، وختمت هذا الفصل بجدولين أولهما لبعض الامثـــــال المشتركة بين ابن هشام والزجالي وابن عاصم ، والآخر يوضح الفــروق بين أمثال الزجالي وأمثال ابن عاصم ، وذلك كنموذج لتطور صيغ الامثـال خــلال ثلاثة قرون تقريبــا .

أما الفصل الرابع فقد درست فيه أصول الامثال العامية في الانــدلس ومصادرها ، وذكرت من الاصول التي اشتركت في تكوينها : الامثال العربية القديمة ، والامثال المولدة وبينت ان الثانية كانت اقوى من الاولى تأثيرا في الامثال الاندلسية ، ولعل ذلك راجع الى ملاءمتهــا للمــزاج الحضري فــي الاندلس وتشابه الاوضاع الحضرية بين المجتمع الاندلسي وبين المجتمعات العباسية حيث ظهرت الامثال المولدة ، وأشرت الى طرق دخول الامثال المولدة الى الاندلس وتعددها ، وقلت ان انتقال هذه الامثال من اقصى المشرق الى اقصى المغرب دليل على أنــها كانت عملة متداولة في الامصــار العربيــة ، وبرهان على أن وحدة الامثال الحالية في البلدان العربية كما أبرزتها المقارنات لها أصول تاريخية قديمة وجذور بعيــدة .

وقد سقت بعض أمثلة قارنت فيها بين صيغ الامثال المولدة في المشرق وبين صيغها في الاندلس . ويرجع اصل بعض الامثال الى اخبــار ونــوادر واجوبة تروى في بعض كتب الادب ووصلت اصداؤها الى اسماع العـــامة فتمثلوا بها وفي ذلك أمثلة عديدة ، وهنالك أمثال متولدة من اساطير كان لها صداها في المشرق والمغرب ، كما أن القصص الديني كان منبعا من منابــع هذه الامثال ، وكانت الحوادث التاريخية اصلا لبعضها ، ونشأت مجموعـــة أخرى من الامثال حول المدن والبلدان الاندلسية وأهلها ، وثمة قسم آخر يدور حــول أشخاص كانت لهم حكايات معينة او عرفوا بصفات خاصة ، ومـــن . ول الامثال الاندلسية أبيات من الشعر المشرقي او المغربي كانت تنتشــر

بين العامة وما يزال بها الاستعمال والابتذال حتى يخرجها عن وزنها ومعناها. ونشأت بعض الامثال كأوعية للمعارف العامية المختلفة في الطب والفلاحة والانواء واحوال الجو غير ذلك ، وترجع بعض الامثال الاندلسية الى اصول عجمية أو رمانثية ، ونصادف فيها أمثالا هي في أصولها قواعد أو كالقواعد الفقهيـــة ..

وتحدثت في الشق الثاني من هذا الفصل عن صدى الامثال العـامية في الشعر الاندلسي الفصيح والعامي ، وكان هذا نتيجة قراءات كثيرة في الشعر الاندلسي في مختلف عصوره ، وقد ذكرت أمثلة مما عثرت عليه في شعر يحيى الغزال وابن مسعود القرطبي الذي كان في الاندلس كابن حجاج في المشرق ، والسميسر الالبيري وغيرهم ، وكان صدى الامثال في الازجال اقوى رجعا وأوضح ترديدا ، ولذلك وجدت طائفة من الامثال الاندلسية فـي ازجال ابن قزمان ومدغايس من زجالي القرن السادس ، وعند ابن ناجيـة اللورقي والحداد البكازور وابي الحسن الششتري من رجالي القرن السابع. وقد وقفت طويلا عند الامثال الواردة في ديوان ابن قزمان .

وختمت هذا الفصل بالكلام على استمرار الامثال الاندلسية وانتشارها في الامثال الاسبانية والمغربية والمشرقية وقد اثبتت المقارنات بما لا يدع مجالا للشك استمرار كثير من الامثال الاندلسية في الامثال الاسبانية الى يومنا هذا ، ويخيل الي أن هذه المقارنات من أهم ما حققته هذه الدراسة ، كما درسـت في آخر هذا الفصل بتفصيل استمرار الامثال الاندلسية فـي أمثال بـلدان المغرب الكبير ، وشرحت أسباب ذلك ، واشرت أيضا الى نظائر عـديدة للامثال الاندلسية في أمثال المشرق العربي سواء في المجموعات القديمة أو في المجموعات الحديثة وافترضت أن تكون هذه الامثال المتشابهة منحدرة جميعا من أصول مشتركة كانت شائعة في الامصار العربية منذ عهود الخلافة العبـاسيـة .

وفي الفصل الخامس قمت بمحاولة في دراسة بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية كما تتراءى من خلال الامثال ، وذلك بالقدر الذي سمحت به نصوص هذه الامثال وأتاحـه فهمنا لها ، وهكـذا درست عناصر السـكان والفئـات الاجتماعية المختلفة كما تصورها الامثال ، وشرحت في ضوء التاريخ ما ورد من أمثال في الصراع بينها ، أما العناصر والفئات المدروسة فهي العـرب والبربر وأهل العـدوة والمولدون والعـجم والصقالبة واليهود والعبيـد ، وانتقلت بعد هذا الى دراسة الحكام كما صورتهم الامثال ، وبدأت بالسلطان

فالكاتب فالقاضي فصاحب المدينة والشرطة فالمحتسب فالفقهاء ، كما درست التعليم والاطعمة والاعياد والمرأة والزواج ومشكلاته والتجارة والمعاملات والحرف والفلاحة والملاهي والالعاب كالزامر والعجايبي والشطرنـج ثـم شرحت بعض أمراض المجتمع الاندلسي من خلال أمثاله ، وختمت هذا الفصل بتقديم نماذج من بعض القيم الاجتماعية التي تبدو بارزة في الامثال الاندلسية.

أما الفصل السادس ـ وهو الاخير في الدراسة ـ فقد كان عبارة عن محاولة لدراسـة الجانب الادبي واللغوي في الامثال الاندلسية حيث درست ـ في شيء من الايجاز والتركيز ـ سمات بينة وملامح واضحة في بنيـة المثل الاندلسي وطبيعة أسلوبه من حيث الشكل والمضمون ، كما عرضت مختلف الظواهر اللغوية التي تلحظ في العامية الاندلسية من خلال الامثال ، والحق أني آثرت في ذلك كلـه المنهج الوصفي تقيدا مني بشرط هـذه الدراسة والوقوف عـند حـدها .

وأود ـ قبل أن انتهي من هذا التقديم ـ أن أزجي أجزل الشكر الى الاستاذ عبد العزيز الاهواني الذي اعتز بأستاذيته وصداقته ، كما اشكر الاستـاذ كولان الذي راجع ـ باهتمام كبير وسرور عظيم ـ تجارب القسم الثاني من هذا الكتاب ، وأتوجه بعموم شكري الى جميع الاخوان الباحثين والدارسين الذين لقيتهم في درب هذا البحث ، والله سبحانه ولي التوفيق.

الفصل الاول

في المؤلف

تمهيد وتحقيق في ترجمته

أسرته

حياته

دراسته وشيوخه وثقافته

عصره

تمهيد وتحقيق في ترجمة المؤلف :

تبدأ النسختان : س ع من كتاب " ري الاوام ، ومرعى السوام ، في نكت الخواص والعوام " بالبداية التالية :

" قال الشيخ الفقيه الاستاذ الجليل المقدس المرحوم أبو يحيى عبيدالله ابن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبيد الله الزجالي رضي الله عنه " . (1)

ومن الواضح أن هذه الديباجة ـ بما تشتمل عليه من تحليات ـ ليست من عمل المؤلف وانما هي من وضع راوي الكتاب أو ناسخه الاول الذي أخرجه من أصل المؤلف بعد وفاته ، فحلاَّه بما عرف به بين أهل وقته أو بما شاء تقديره للمؤلف ، ثم درج النساخ بعد ذلك على نقل تلك الديباجة ، أما ما بين التحلية والترضية من اسم المؤلف ونسبه فلا يبعد أن يكون من تصدير المؤلف نفسه .

وحين حاولنا أن نجد لهذا الكتاب ذكرا في المظان المعروفة ـ ومنها كتب البرامج والفهارس الاندلسية والمغربية ـ لم نقف بعد البحث والتقصي على أي ذكر له أو إشارة اليه .

أما المؤلف نفسه فهو وان كان ـ كما يستفاد من نسبه ـ من بيت قرطبي معروف الا أننا لم نقف له الا على ترجمة قصيرة عند مؤرخ مغربي متأخر نسبيا وهو ابن القاضي (ت 1025 هـ) في كتابه " درة الحجال " التي تعتبر من ذيول وفيات الأعيان لابن خلكان . وفيما يلي نص هذه الترجمة :

" عبد الله ـ كذا ـ بن احمد بن محمد بن احمد الزجالي ، الاديب الناظم الناثر ، ولد بقرطبة في عام 617 أو 618 ، وبيته بها شهير ، قرأ بها كتاب التنبيه للقرشي ، وحضر مجلس ابن الطيلسان ، وقرأ على أبي عبد الله محمد بن ابن عبد الله بن خيرة ، عرض عليه الاشعار الست في يوم واحد ، وتلا على جده للأم أبي الحسن بن قرطال ـ كذا ـ .
من نظمه :

---

(1) البداية في النسخة م كما يلي : قال عبيد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبيد الله الزجالي القرطبي عفا الله عنه وغفر له ورضى عنه.»

يا ربِّ إنَّ ذنُوبِي قدْ أحطْتَ بها — علْمًا يقِينًا وقَد أحصيْتَها عَددا
وقَد مددتُ يدَ المضطَرِّ أضرعُ يا — ربِّي إليكَ وبالدُنيا فتحتُ يدا (1)

ولــه :

وما الذلُّ إلاّ فِي الوقُوف لبابِ مَن — تُرجَّى لهُ النُّعمى ويُعْزَى إلى الفضل
وأمَّا وقُوف للذِي لَيْسَ يُرتَجَى — فَخِزيٌ عَلى خِزيٍ وذلٌّ على ذُلِّ (2)

وكان كثير الانقباض والقناعة ، صبورا على الوحدة .

أجاز باستدعاء ابن قطرال المراكشي سنة 682 . " (3)

وهي كما نرى ـ على فائدتها ـ ترجمة قصيرة يشوبها الايجاز المخل ، ويكتنفها الغموض الشديد ، ولسنا ندري هل سبب ذلك من ابن القاضي الذي جرت عادته أن ينقل التراجم بتصرف ، أنَّه من المصدر الذي نقل عنه .

وقد أغفل ابن القاضي ـ كما هي عادته في الغالب ـ ذكر المصدر الذي استمد منه هذه الترجمة ، ولكن الذي يتتبع تراجمه يجد أنه يعتمد فيما يتعلق بتراجم الاندلسيين والمغاربة من أهل القرن السابع على التكملة لابن الابار وصلة الصلة لابن الزبير والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي والاحاطة لابن الخطيب ومزية المرية لابن خاتمة ، كما أنه ينقل من بعض كتب البرامج والرحلات كبرنامج ابن الزبير وبرنامج الوادي آشي ورحلة ابن رشيد ورحلة العبدري ورحلة خالد البلوي . وقد رجعنا الى المعروف من هذه الكتب فلم نجد فيها ـ باستثناء الذيل والتكملة ـ ذكرا لأبي يحيى الزجالي .

وقد وجدنا في كتاب " الذيل والتكملة " لابن عبد الملك المراكشي إشارة الى أبي يحيى الزجالي وردت عرضا في أثناء ترجمة أبي الحسن على المعروف بابن قطرال ، وهي : " روى عنه (أي عن أبي الحسن ابن قطرال) ابناه : أبو عبد الله محمد وأبو محمد عبد الله ، وأبو الحسن ابن ابنه أبي عبد الله ، وسبطه أبو يحيى

---

1) في مخطوط الخزانة العامة بالرباط (568 ك) بعدهما
[فامنن على عبد له عمل العاصي ومعتقد الزاكي اذا اعتقدا]
والبيت الاول مأخوذ من قول ابن فارس اللغوي :
يارب ان ذنوبي قد احطت بها — علما وبي وباعلاني واسراري

2) في مخطوط 2272 ك بالخزانة العامة بالرباط زيادة مايلي : ومن نظمه :
يامن سجيته التوهم ـ كذا ـ والكسل — حتى متىبك نيط الحرص والامل
حل المشيب محل الشك من كتب — وأنت من خطبه مذحل لاتسل
هلا جعلت التقى زادا تبلغه — فانت عما قريب ويك مرتحل
أبعد خمسين عاما قد مضت أرب — أو مطمع يرتجيه المرء او شغل
عاد الدنا واعد فيمن مضى نظرا — لما اتى الموت هل اغنتهم الحيل

3) درة الحجال 2 : 334 (ترجمة رقم 926) نشر المستعرب ي . سي . علوش .

عبيد الله الزجالي (1) . " وسنرى أن لهذه الاشارة قيمة كبرى في معرفة الزجالي وحياته .

ومن المؤسف أن السفر الذي يشتمل على تراجم العبادلة من الذيل والتكملة - وهو السفر الرابع - وصل الينا ناقصا (2) ، وربما كنا نجد فيه - لو وصل الينا كاملا - ترجمة لابي يحيى الزجالي ، وأغلب الظن أن ابن القاضي نقل ترجمة الزجالي من الذيل والتكملة ، ويقوي هذا الظن ما ورد في هذه الترجمة من أن الزجالي "تلا على جده للام أبي الحسن بن قطرال" حين نقارنها بقول ابن عبد الملك - وهو يعدد الآخذين عن ابن قطرال - : " وسبطه أبو يحيى عبيد الله الزجالي " ومن تمرس بقراءة تراجم ابن عبد الملك يجد أنه شديد الحرص ، كثير الولع بالتنصيص على ما بين المترجم وشيوخه وتلاميذه وأقرانه من صلات النسب أو القرابة أو المصاهرة أو غيرها . ويقوي ذلك أيضا هذه العبارة في وصف الزجالي : " وكان كثير الانقباض والقناعة صبورا على الوحدة " وهي عبارة لا نظن انها تصدر الا عن معاينة ومشاهدة وتتبع لاحوال المترجم به ، وابن عبد الملك أجدر من يستطيع تقرير ذلك الوصف لانه كان الجار الجنب لابن قطرال - جد الزجالي ومربيه - في مراكش ، وكان مالك الدار التي سكنها هذا في عاصمة الموحدين يومئذ (3) .

قلت - فيما سبق - إن ترجمة الزجالي في درة الحجال يشوبها الايجاز ، ويكتنفها الغموض وذلك لما يلي :

أولا : في الترجمة اشارة الى شهرة بيت المترجم بقرطبة دون زيادة بيان أو ايضاح .

ثانيا : فيها انه قرأ كتاب " التنبيه " على " القرشي " وثمة غير كتاب يسمى " التنبيه " كما أن المنسوبين من أعلام الاندلس الى قريش كثير .

ثالثا : فيها أنه حضر مجلس ابن الطيلسان بدون ذكر اسمه أو كنيته ، وفي المترجم بهم من بني الطيلسان في الاندلس جماعة .

رابعا : فيها انه قرأ على ابن خيرة من غير تحديد مكان القراءة وزمنها .

خامسا : فيها أنه اجاز باستدعاء ابن قطرال المراكشي بلا اسم ولا كنية ،

---

1) الذيل والتكملة - السفر الثامن ص 2 مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 3784 ومنه صورة في الخزانة العامة ايضا تحت رقم 1705 وأخرى بدار الكتب المصرية تحت رقم 18391 ح وقد قمت باعداده للنشر .

2) نشر هذا السفر وحققه عن نسخة الاسكوريال الدكتور احسان عباس (دار الثقافة - بيروت) وتراجم العبادلة فيه من ص 174 الى ص 231 حيث تنتهي مخطوطة الاسكوريال .

3) الذيل والتكملة - السفر الثامن ص 2 وص 3.

وثمة عدد من بني قطرال الذين عاشوا في مراكش ، كما أنه لا يفهم من العبارة هل الاجازة كانت لابن قطرال نفسه أم انها كانت لغيره باستدعائه وسؤاله .

سادسا : لم يرد في الترجمة ذكر لتآليف الزجالي " ري الاوام " وسنحاول تحليل ذلك فيما بعد .

ويضاف الى ما ذكرناه من وجوه الايجاز والغموض في ترجمة ابن القاضي للزجالي أنها لم تخل من بعض الاخطاء المطبعية وغيرها . كابن قرطال (1) بدل ابن قطرال ، وتسمية الزجالي بعبد الله وليس بعبيد الله كما في ديباجة كتابه " ري الاوام " من النسخ الثلاث المعروفة منه ، واختصاره الذي توجد منه نسخة بالمكتبة القومية التونسية ، ونص ابن عبد الملك الذي أوردناه فيما سبق . ونحن نرجح أن يكون اسمه عبيد الله لا عبد الله ، ومعتمدنا في ذلك ما ذكرناه ، وقد يشهد لذلك أيضا كنية أبي يحيى ، اذ من المعروف أن أغلب المسمين بعبد الله يكنون بأبي محمد .

وبعض الاخطاء المذكورة موجودة أيضا فيما وقفنا عليه من نسخ درة الحجال المخطوطة ، وقد لاحظنا أن ابن القاضي مزج المسمين عبد الله بالمسمين عبيد الله ، ولم يفصل بينهما كما هو صنيع مؤلفي الطبقات والتراجم ، ومن هنا جاء خطأ النساخ- اذا كان - في بعض المسمين عبيد الله ومنهم على سبيل المثال - علاوة على صاحبنا الزجالي ابن أبي الربيع القرشي (2) ، فمن المعروف ان اسمه عبيد الله ولكنه ورد في درة الحجال عبد الله (3) ، والواقع ان درة الحجال في نشرتها الحالية مليئة بالاخطاء ، وتصعب الافادة منها على غير المتخصص المتنبه اليقظ ذلك أن هذه الاخطاء تبلغ فيها أحيانا الى حد قفز السطور وقلب الاسماء وتداخلها (4) وهي من الكثرة بحيث لا نستطيع الاشارة اليها ، اذ في ذلك خروج عن موضوعنا وحسبنا اننا نبهنا على ما يتصل منها بمترجمنا .

---

(1) تكرر هذا التحريف في درة الحجال . انظر ايضا ج 2 ص 353 كما ورد الاسم محرفا هكذا في الديباج المذهب لابن فرحون ص 48 ، وقطرال بضم القاف اسم عجمي .انظر : سيمونيت : 147 .

(2) هو صاحب البرنامج الذي حققه استاذنا الدكتور عبد العزيز الاهواني ، ونشره في مجلة معهد المخطوطات العربية (المجلد الاول - الجزء الثاني - نوفمبر 1955 من ص 252 الى 271)

(3) درة الحجال 2 : 350 .

(4) في ترجمة ابن أبي الربيع القرشي المشار اليها على سبيل المثال نجد ما يلي : « اخذ عن محمد ابن احمد بن هارون التميمي الاشبيلي ... المعروف بالشلوبيني ! » وبمعارضة هذه الترجمة باصلها عند ابن الزبير في صلة الصلة أو ببرنامج ابن أبي الربيع نعرف أنه وقع هنا قفز سطرين أو نحوهما من اسماء الشيوخ فيما بين الاسم والشهرة .

ومع هذا كله فإن ترجمة " درة الحجال " تصلح أن تكون مفتاحا لدراسة الزجالي دراسة تفصل الجوانب التي وردت فيها مجملة ، وذلك بالاعتماد على المعلومات القليلة الواردة في كتاب "ري الاوام " والاستعانة بالجزئيات والاشارات المختلفة التي تيسر لنا الوقوف عليها ، وهذا ما سنحاول القيام به فيما يلي :

أسرته :

ينحدر أبو يحيى عبيد الله الزجالي من أسرتين كبيرتين وبيتين نبيهين هما : بيت الزجاليين من جهة أبيه ، وبيت بني قطرال الانصاريين من جهة أمه .

أما الزجاليون أو الزجاجلة أو بنو الزجالي فهم بيت قرطبي كان له ذكر كبير في حياة الاندلس السياسية والعلمية والعمرانية وغيرها طوال نحو خمسة قرون أي منذ بدأت نباهة هذا البيت على يد مؤسس مجده ومؤثل شرفه محمد بن سعيد الزجالي في أيام الامير عبد الرحمن بن الحكم (206 هـ 238 هـ) حتى خروج المسلمين من قرطبة سنة 633 هـ .

ومن غريب الصدف أن تكون بداية هذا البيت ونهايته - في الاندلس - مرتبطتين بالامثال ذلك أن المصادر تزعم أن تقريب الامير عبد الرحمن الاوسط للزجالي الاصمعي كان بسبب اتمامه لهذا الامير شطرا يُتمثل به هو :

وما لا تَرى مِمَّا يَقِي اللهُ أكثرُ (1)

كما أن أكبر سجل لامثال عوام الاندلس هو الذي عمله أبو يحيى سليل بيت الزجاليين وآخر من عاش منهم - زمنا - بالاندلس .

يتفق المؤرخون على أن أصل الزجاليين من البربر البتر الداخلين الى الاندلس ، ولكنهم يختلفون في القبيلة أو الفخذ الذي منه هذا البيت فأبو بكر بن القوطية يقول أنهم " من بني يطفت من نفزة " (2) وتابعه ابن سعيد في المغرب إذ يقول : من بني يطفت برابر تاكرنا (3) " وأبو الوليد بن الفرضي

---

(1) هذا الشطر من انصاف الابيات التي يتمثل بها . انظر : التمثيل والمحاضرة : 9 وتمامه في عيون الاخبار 1 : 264 . ومما يلاحظ أن أبا يحيى الزجالي أورده في طليعة الابيات التي يتمثل بها في ري الاوام 2 : 206 (مخطوط س) وص 376 (مخطوط ع) .

(2) المقتبس لابن حيان - السفر الثاني : 32 ،تحقيق الدكتور محمود مكي . نشر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

(3) المغرب 1 : 330 تحقيق الدكتور شوقي ضيف (الطبعة الاولى) .

يذكر أنهم " من فخذ من بتر البرابر بالاندلس " دون تعيين لهذا الفخذ ، أما النسابة أبو محمد بن حزم فيرى أنهم من مديونة ، وذلك إذ يقول في جمهرة انساب العرب أثناء حديثه عن مديونة : " وكان نفر منهم بقرطبة : بنو الزجالي الوزراء" (1) وعدهم صاحب مفاخر البربر من نفزة . (2) والذي يبدو لنا أن كونهم من نفزة هو الاقرب الى الصواب ، ذلك أن نسبة الزجالي - فيما نرى - تشهد أنهم من نفزة اذ هي نسبة الى زجال (3) وزجال هذا - فيما ذكر ابن حزم - من ولد يطوفت بن نفزاو (3م) الجد الاعلى لقبيلة نفزة . والخلاف بعد هذا بسيط - فيما يبدو - فإن كلا من نفزة ومديونة يلتقيان - حسب ابن حزم - في جد واحد هو مادغس (4) .

لايذكر المؤرخون متى دخل أصل الزجاليين الاندلس ، ولا من هو أول داخل منهم اليها ، والذي يبدو أنهم من الداخلين الى الاندلس أيام الفتح ، وكان استقرارهم بها أول الامر مع البرابر النازلين بمدينة تاكرنا من كورة رندة ، ومن هنا نجد ابن سعيد في المغرب يترجم لمحمد بن سعيد الزجالي وولده حامد تحت اسم مدينة تاكرنا - مع أنهما قرطبيان - وذلك باعتبار الاصل الذي هو من شرط كتابه ومنهجه في تصنيف رجاله (5) .

ولسنا نعرف كذلك متى انتقل الزجاليون من تاكرنا الى قرطبة ، غير أن ابن حيان يقول - في أثناء حديثه عن الزجاليين - إنهم " من غير قدم في الدولة(6) " يعني الدولة الاموية ، ولكن نفي اقدميتهم في مناصب الدولة لا يستلزم بالطبع نفي أقدميتهم في قرطبة ، ويمكن أن نفهم من كلام لابي الوليد ابن الفرضي أنهم كانوا بقرطبة قبل نباهتهم على يد محمد بن سعيد . (7)

---

1) جمهرة انساب العرب : 500 تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون .

2) مفاخر البربر : 79 وفيها : الرجال بدل : الزجالي ، وهو تصحيف .

3) انفرد ابن خاتمة الانصاري (ت 770) بايراد تعليل طريف لنسبة الزجالي ، فهو يقول في « ايراد اللئال ، من انشاد الضوال » : « الزجالي : وزير من وزراء اهل الاندلس واعيانهم ، أصل هذا الاسم أن بعض ملوك بني امية بالاندلس سيق اليه جوار من السبي فأمر أصحابه أن يتخير كل واحد منهم جارية لنفسه ، فقال بعضهم : الزجاء لي ، فسمي بقوله هذا » ايراد اللئال (مخطوطة خاصة) .

3م) جمهرة انساب العرب : 497 .

4) المصدر نفسه : 496 - 497 .

5) المغرب 1 : 33 - 331 .

6) المقتبس : 2/170 .

7) المصدر نفسه : 172 .

وذهب الدكتور حسين مؤنس الى عد بيت الزجالي من موالي بني أمية (1) ، ولكننا لم نقف على لفظ الولاء بالنسبة للزجاليين ، والذي تذكره المصادر القديمة هو لفظ الاصطناع وهو غير الولاء بمعناه الفقهي الدقيق . يقول ابن القوطية متحدثا عن محمد بن سعيد : " وكان أول من اصطنعه فاستكتبه الامير عبد الرحمن بن الحكم (2) " وينقل ابن حيان عن بعضهم : " فسبق الامير عبد الرحمن بن الحكم الى اصطناع جدهم محمد بن سعيد هذا " (3) على أننا نجد أن الزجاليين أصبح لهم هم أيضا موالي في قرطبة يقول ابن الابار في ترجمة شنيف المقرئ : " من أهل قرطبة ومن موالي بني الزجالي "(4) .

أما نباهة الزجاليين وظهور مكانتهم ورفعة منزلتهم فيتفق المؤرخون على أنها بدأت بمحمد بن سعيد الزجالي (5) . ينقل ابن حيان عن بعضهم ان الزجالي الاصمعي هذا ارتقى بسبب الادب الى معرفة الخلفاء " فبني البيت المنيف ، ونال ذروة المنزلة الرفيعة ، وكانوا قدما من عامة البتر من البرابر، اصولهم من ناحية تاكرونا ، لم يحفظ لاولهم نباهة ، فسبق الامير عبد الرحمن ابن الحكم الى اصطناع جدهم محمد بن سعيد هذا ، وبلا منه فهما ومعرفة وصيانة وجزالة استخدمه لها ، فرقاه في منازل خدمته ، واستكتبه واستخصه ولحق باشراف الدولة(6) " وينقل أيضا عن كتاب أبي الوليد ابن الفرضي في طبقات أهل الدولة والادب بالاندلس ما نصه : " ولم يكن لهؤلاء الزجاليين المقحمين في بيوت الشرف بقرطبة قبل جدهم محمد هذا قدم رياسة ولا سالف صحبة للسلطان ، ولا تشبث بخدمته وهو أول من نجم فيهم وصارت له منزلة لديهم(7)". ثم يسوق سبب هذه المنزلة ، وهي القصة التي ألمحنا اليها قبل ، ونجدها كذلك عند ابن الابار في إعتاب الكتاب (8) وابن سعيد في المغرب(9) والمقري في نفح الطيب (10) .

---

1) فجر الاندلس : 410 .
2) المقتبس 2 : 171 .
3) المصدر نفسه : 172 .
4) التكملة : 335 (الملحق) .
5) ترجمته وأخباره في طبقات اللغويين والنحويين : 283 والمقتبس لابن حيان 2 : 31 ـ 36 واعتاب الكتاب لابن الابار : 172 والمغرب لابن سعيد 1 : 330 ـ 331ونفح الطيب للمقري : 5 : 81 ـ 82 وبغية الوعاة 1 : 113
6) المقتبس : 2/171 .
7) المصدر نفسه : 172 .
8) اعتاب الكتاب : 174 .
9) المغرب 1 : 330 .
10) نفح الطيب 5 : 81 ـ 82 .

ونلمح في قول ابن الفرضي : "المقحمين في بيوت الشرف" وقول ابن حيان : "من غير قدم في الدولة" لونا من الهجاء الذي لامعنى له و نحسب ان الذي أملاه هو التنافر المعروف بين العصبيتين الاندلسية والبربرية وينبغي أن نتنبه الى أن الرجلين كتبا هذا الكلام في ظروف ما يسمى بالفتنة البربرية وأعقابها ولعل ابن الفرضي رحمه الله ذهب ضحية هذا القول وشبهه في حق البربر (1) .
وأما ابن حيان فإن وقوعه في الاعراض من لوازم كتابته ، وعبارته في حق الزجاليين تعتبر هينة اذا قورنت بما قاله في بيوتات اندلسية أخرى (2) ، وقد أبى ابن حيان في أثناء حديثه عن الزجاليين - الا أن يستشهد بشعر لشاعر اندلسي لا نعرف من أمره شيئا - وهو أحمد بن محمد بن فرج البلوي المعروف بالبلساري - ومن الذي رواه قوله :

هُمُ عَلّموني اللُّؤمَ حَتّى كأنّني لغَيْر أبي ، أو معرقٌ في الزجاجِلَة (3)

ويقول ابن حيان بعد أن ساق قطعة لهذا الشاعر في هجاء حامد بن محمد الزجالي الوزير : " أرسل هذا الشاعر آفة على أهل هذا البيت لأمر أوذى به من بعضهم فعم بهجائه وأفحش لهم (4) " .

أما المؤرخون الاندلسيون والمغاربة المتأخرون الذين كتبوا في ظروف نسيت فيها الفتنة البربرية وعقابيلها ، فإننا نجدهم يتحدثون عن بيت الزجاليين بلهجة تخلو مما سبق . يقول الحجاري في محمد بن سعيد الزجالي : " وساد بقرطبة وفشا فيها نسله ، وعظم عقبه (5) " ويقول ابن الابار : " ومحمد بن سعيد الزجالي والد عبد الله هذا هو أول من رأس من هذا البيت وجَلَّ بالكتابة وأورثها عقبه . وكانت نباهته ورياسته بعلمه وبيانه كأحمد بن يوسف وابن الزيات وطبقتهما (6) " .

---

1 انظر ترجمة ابن الفرضي في جذوة المقتبس : 537 وبغية الملتمس : 321 ، وراجع في الموضوع خبر تعريض الوزير عبد الواحد بن يزيد الاسكندراني للزجالي بانه من البربر ورد الزجالي عليه في نفح الطيب 5 : 82 . وقد ناقشني الاخ الدكتور محمود مكي فيما ذهبت اليه هنا في شان العصبية ، ولكني مازلت عند رايي في ان حساسية العصبية لم تغب عن تلك الاحكام ، انظر التعليق رقم 142 في المقتبس لابن حيان .

2 انظر : الذخيرة ق 1 مج 2 : 85 .

3 المقتبس 2 : 176

4 المصدر نفسه .

5 المغرب 1 : 330 .

6 اعتاب الكتاب : 174 .

والقاضي عياض حين ترجم لعبيد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي يقول : " من بيت نبيه بقرطبة في أصحاب السلطان . . . استوزره الحكم تنويها بمكانه(1) " وأخيرا نقرأ في ترجمة أبي يحيى الزجالي صاحبنا ما يلي : " وبينه بها (أي قرطبة) شهير (2) " .

قلنا فيما سبق إنه كان للزجاليين ذكر كبير في حياة الاندلس السياسية والعلمية والعمرانية وغيرها ، وفي هذا القول اجمال نفصله فيما يلي :

أما دورهم في الحياة السياسية فيبدو بارزا من خلال الوظائف والخطط التي تولوها ، ومنها خطط الوزارة والكتابة والولاية والعرض والخيل والمواريث وخزانة المال .

فممن ولي منهم خطتي الوزارة والكتابة مفردتين أو مشتركتين :

- محمد بن سعيد بن أبي سليمان وارشكين المعروف بحمدون والملقب بالاصمعي اتخذه عبد الرحمن بن الحكم - أبي عبد الرحمن الاوسط أو الثاني - كاتبا له ولوزرائه ، ثم ترفع عن الكتابة للوزراء فأفرده الامير بكتابته ، واتخذ للوزراء كاتبا خاصا بهم ، فأصبح ذلك تقليدا في الدولة الاموية الى آخرها(3) .

- حامد بن محمد بن سعيد الزجالي - ولد السابق - ولي الكتابة ثم الوزارة للامير محمد ابن عبد الرحمن (4) .

- عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد الزجالي . ولي خطتي الكتابة والوزارة مرارا للامير عبد الله بن محمد ولحفيده عبد الرحمن الناصر (5) .

- محمد بن عبد الله الزجالي ، ولي الوزارة لعبد الرحمن الناصر سنة 314 هـ (6)

- عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الزجالي الوزير الكاتب ، قدمه عبد الرحمن الناصر في مهمات وقلده النظر في تنفيذ كل ما يخرجه من العهود والتوقيعات وينفذ به الامر أو الرأي وغير ذلك (7) ونجد نماذج من إنشائه في المقتبس لابن حيان . (8)

---

1) المدارك 3 - 4 : 553 ، 681 ط . بيروت .
2) درة الحجال 2 : 334 .
3) المقتبس 2 : 34 - 35 ، 82 والمصادر التي اشرنا اليها في حاشية سابقة .
4) المصدر نفسه 32 ، 36 -38 ، 143 وتاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية : 83 - 85 ، والمغرب 1 : 33 .
5) ترجمته واخباره في المقتبس 2 : 32 ، 3 : 6 (نشر ملشور انطونيا) واعتاب الكتاب : 172 - 174 وقطعة مجهولة في أخبار عبد الرحمن الناصر : 47 والبيان المغرب 2 : 120 152 ، 158 ، 165 (تحقيق ومراجعة كولان وبروفنسال) .
6) البيان 2 : 192 ، 195 .
7) المصدر نفسه 2 : 220 . والمقتبس لابن حيان (مخطوط الخزانة الملكية الرباط)
8) المقتبس : 16 وما بعدها (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط)

- مروان بن عبد الله الزجالي (1) . عده ابن حيان من رجال الدولة المتوفين سنة 235 هـ .

- عبيد الله بن عبد الله الزجالي ، استوزره الحكم المستنصر بالله تنويها بمكانه (2)

وممن ولي منهم خطة الولاية :

- احمد بن محمد الزجالي ، ولاه عبد الرحمن الناصر مدينة اشبيلية سنة 316 هـ . وذكر ابن عذارى أنه كان قد تصرف في الخدمة وله ادوات وحركة (3) .

وممن ولي خطة العرض :

- عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي في سنة 308 هـ وليها لعبد الرحمن الناصر(4)

- عبيد الله بن عبد الله الزجالي وليها أيضا لعبد الرحمن الناصر في سنة 314 هـ . (5)

وولي خطة الخيل منهم :

- عبيد الله الزجالي في سنة 316 هـ في عهد عبد الرحمن الناصر (6) .

وولي خطتي المواريث والبنيان منهم :

- عبيد الله بن عبد الله الزجالي في سنة 316 أي في عهد الناصر . (7) .

أما خطة خزانة المال فتولاها منهم :

- محمد بن عبد الله بن محمد الزجالي ، ولاه اياها عبد الرحمن الناصر في سنة 307 (8) .

- عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي (9) .

---

1) المقتبس 2 : (تحقيق د. مكي)

2) المقتبس : 82 (تحقيق الاستاذ عبد الرحمن علي الحجي) وله ترجمة عند ابن الفرضي 1 : 278 وسماه عبد الله ، وذكره عياض في المدارك (ترجمة رقم 1136) باسم عبيد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي .

3) قطعة مجهولة في أخبار عبد الرحمن الناصر : 83 والبيان المغرب 2 : 9 20 .

4) البيان المغرب 2 : 180 .

5) المصدر نفسه 2 : 193 .

6) المصدر نفسه 2 : 199 .

7) المصدر نفسه 2 : 195 ، 208 .

8) المصدر نفسه 2 : 175 .

9) المصدر نفسه : 2 : 197 ، 208 وتجدر الاشارة الى ان بعض الاعلام المذكورين تولوا مناصب متعددة ، وقد ذكرتهم بتعدد مناصبهم ، وممن أشار صاحب البيان المغرب (2 : 206) الى وفاتهم منهم دون ذكر منصبه : أحمد بن حامد الزجالي .

نرى من هذا مدى الدور السياسي الخطير الذي كان لهذه الاسرة البربرية الأصل ، وذلك في بيئة تشتد فيها المنافسة على المناصب بين البيوتات الاندلسية المتعددة الاجناس ، ولا نعلم أن أسرة بربرية في الاندلس كانت لها مشاركة في الحياة السياسية العامة أيام بني أمية بهذا القدر الذي كان لهؤلاء الزجاليين فيما عدا بني وانسوس ، ومشاركتهم لم تبلغ درجة بني الزجالي .

وكتب التاريخ تذكر أن بعض هؤلاء الولاة كانوا محببين الى الناس بحيث يحزنون لعزلهم ويفرحون لعودتهم ، وقد روى ابن الابار قطعتين شعريتين لابن عبد ربه صاحب العقد فيهما صدى واضح لهذا المعنى (1) .

كما أن أبا الوليد بن الفرضي ذكر في ترجمة أبي بكر الزجالي أنه مات والناس متفقون على الثناء عليه ، وروى أنه كان له ذكر يغار له الناس (2) .

ويبدو أن مركز الزجاليين ظل مرموقا حتى في أيام العامريين والطوائف ، حيث كان منهم صاحب "حير الزجالي" المشهور الوزير أبو الوليد الزجالي كما ذكر في الذخيرة أو الوزير أبو مروان كما ذكر في قلائد العقيان ونفح الطيب (3) .

وفي القرن السادس نجد ابن قزمان يمدح وزيرا أو وزيرين زجاليين ، ويخصه أو يخصهما بزجلين من أشهر ازجاله وأعذبهما ، يقول في أولهما (زجل 22) :

نبلي وثم الله والزجّالي

اتَ يا وزيرهُ شباب الدولة	الحظ فوقْ فوقْ لس آت من هَولَى
حَتَّى يقول كُل أحد لحولَه	إن ذا ياخي طرازًا عالي
نشتاق أيادِيكْ وهيَ مشهوره	ومن لسانْ كُل أحد مشكُوره
وإن لم قط نرى لكل صُوره	وإن رايتك نَرى أمالي

وفي الزجل الآخر يمدح ابن قزمان " ولد الزجالي " ويذكره بكنيته فيقول (زجل 89) :

---

(1) اعتاب الكتاب : 172 — 174 .

(2) تاريخ العلماء 1: 278 .

(3) الذخيرة 1/1 : 287 وقلائد العقيان : 152 ونفح الطيب 2 : 161 .

الوزير أَبو الوليدَ والكَرَمْ طَبْع فيكُمْ
وعَوايدكُم شَريفَه لِسْ يخَابْ قَط من يَجِيكُمْ

وبَنِي قُزْمَانْ كما ريتْ لِس يقُوموا إلا بِيكم
وخلوقكُم بسِيطه ووجُوهكم شَريفه

وأما ذكر الزجاليين في الحياة العلمية فلم يكن يقل عن ذكرهم في الحياة السياسية ، وقد رأينا أن مجدهم كان بسبب الادب والعلم ، ونستطيع القول بأن معظم من ذكرناهم في الحياة السياسية كانوا يضربون بسهم في العلم والادب . فإن محمد بن سعيد الاصمعي وولديه : حامدا ومحمدا ، وعبيد الله بن عبد الرحمن وزير الحكم المستنصر ، يذكرون في كتب الطبقات والتراجم باعتبارهم من أهل العلم والادب ، وربما وقفنا على غيرهم لو تتبعنا هذه الكتب (1) .

ويبدو أن طلب العلم ظل تقليدا متبعا في البيت الزجالي منذ سنَّه محمد بن سعيد مؤسس البيت في القرن الثالث حتى القرن الحادي عشر - فيما نعرف -

ويذكر الزجاليون في ناحية أخرى هي ناحية العمران في قرطبة ، ولعل أشهر ما يذكرنا بالزجاليين في ذلك : "حير الزجالي" الذي تغنى به الشعراء والكتاب ، وكان من معالم قرطبة الاسلامية منذ انشاه صاحبه أبو مروان الزجالي ، وكان موقعه خارج باب اليهود (2) ، وفيه يقول أبو عامر بن شهيد :

لَقَدْ أطْلَعُوا عندَ بَابِ اليَهو	دِ شَمْسًا أَبى الحُسنُ أن تكسفا
تراهُ اليَهُودُ عَلَى بابِها	أميرًا فتحسِبُهُ يُوسُفا (3)

يقول أبو النصر الفتح بن خاقان : " وكانت لأبي عامر بن شهيد به فُرَجٌ وراحات أعطاه فيها الدهر ما شاء ، ووالى عليه الصحو والانتشاء ، وكان هو وصاحب الروض المدفون بازائه أليفي صبوة، وحليفي نشوة ، عكفا فيه على جريالهما، بين زهوهما واختيالهما ، حتى رداهما الردى ، وعداهما الحمام عن ذلك المدى ، فتجاورا في الممات ، تجاورهما في الحياة (4) . "

---

(1) وقفت في الذيل والتكملة 6 : 110 (مخطوط باريس) على الترجمة التالية : محمد بن عبد الله ابن عبيد الله بن عبد الرحمن الزجالي : قرطبي أبوعامر ، روى عن أبيه ابي محمد . روى عنه عبد البر أبو عمر مؤلف ابى شبيث .

2) انظر في حير الزجالي وموقعه من خريطة قرطبة : بروفنسال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية : 3 : 235، 364 . وخريطة دون رفاييل كستخون .

3) قلائد العقيان : 152 ونفح الطيب 2 : 161 .

4) قلائد العقيان 152 ونفح الطيب 2 : 161 .

ثم أورد بعد هذا قطعة لابن شهيد " يخاطب أبا مروان الزجالي صاحبه وأمر أن يدفن بإزائه ويكتب على قبره :

يا صاحبي قُمْ فقد أطَلْنَا | أنحنُ طُولَ المدى هُجود" (1)

ويصف ابن خاقان حير الزَّجّالي في وقته فيقول :

"وهذا الحير من أبدع المواضع وأجملها ، وأتمّها حسنا وأكملها ، صحنه مرمر صافي البياض ، يخترقه جدول كالحية النضناض ، به جابية كل لُجّة بها كابية ، قد قربصت بالذهب واللازورد سماؤه ، وتأزرت بهما جوانبه وأرجاؤه ، والروض قد اعتدلت أسطاره ، وابتسمت من كمائمها أزهاره ، ومنع الشمس أن ترمق ثراه ، وتعطر النسيم بهبوبه عليه ومسراه" (2) .

وينبغي أن نلاحظ ان ابن خاقان يصف حير الزجالي بعد ان مضى على انشائه زمن غير قليل .

وقد أصبح حير الزجالي بعد وفاة صاحبه مُتَنَزَّها للخاصة والعامة من أهل قرطبة أو الوافدين عليها ، يقول ابن خاقان ـ وهو اشبيلي ـ متحدثا عن نفسه : " شهدت به ليالي وأياما كأنما تصورت من لمحات الاحباب ، أوقدت من صفحات أيام الشباب " وقد روى في القلائد قصيدة للوزير أبي بكر بن القبطرنه يذكر حير الزجالي والاوقات التي قضوها فيه ومنها :

واذْكُر لهُم زمَنًا يَهُبُّ نَسيمُهُ | أُصُلاً كنَفْث الرّاقِيَات عَليلا
مَولىً مَوال نعمَةً وكَرامةً | وأخًا إخاءٍ مخْلِصًا وخَليلاً
بالحَيْر ما عَبَسَتْ هُنَاكَ غمَامَةٌ | إلا تضاحَكَ إذ خرًا وجَليلا
يَومًا ولَيْلاً كانَ ذلِكَ كُلُّه | سحَرًا وهذا بُكْرَةً وأصيلا (3)

وينسب إلى الزجاجلة أيضا ربض يضاف الى اسمهم هو "ربض الزجاجلة" في قرطبة ، وقد كان يقع بين باب عامر وباب اليهود داخل سور البلد ، وموقعه يشهد أنه لم يكن كالارباض التي تقع خارج البلد ، وإنما كان حيا من الاحياء الرئيسية في قرطبة ، ويبدو أنه اضيف الى الزجاجلة لسكناهم به أو تملّكهم اياه ، وقد رأينا قبل أن حير الزجالي كان يقع بالقرب من هذا الربض خارج باب اليهود (4) .

---

1) قلائد العقيان : 152 وبرنامج الرعيني : 115 ونفح الطيب 2 : 16 ـ 162 والذخيرة 1/1 : 287 .
2) قلائد العقيان : 152 ونفح الطيب 2 : 161 .
3) المصدران المذكوران .
4) انظر في ربض الزجاجلة وموقعه : بروفنسال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية : 3 : 364 ، 382 . وخريطة خون رفاييل كستخون .

كما كان للزجاليين مقبرة منسوبة اليهم يدفن فيها افراد أسرتهم ، وتعرف "بمقبرة الزجاجلة" ، (1) وذلك على عادة البيوتات الكبيرة في قرطبة وغيرها .

وأخيرا نجد الزجّال القرطبي يحيى بن عبد الله البحبضة - وهو من أهل القرن السابع قرن مؤلفنا أبي يحيى الزجالي - يذكر درب الزجالي في زجل له نقله ابن سعيد في المغرب فيقول :

يَا زَغَلَةْ "دَرْب الزَّجَّالِي"
مَنْهُ فِيكُمْ زَغَلْ بَحَالِ
أوْ دَلاَلُ بَحَالْ دَلاَلِ (2)

وبعد ذهاب قرطبة الاسلامية انتقل بعض الزجاليين الى المغرب - وطنهم الاصلي - فأوى بعضهم - كصاحبنا أبي يحيى - الى مراكش ، واستقر آخرون بفاس فيمن استقر بها من البيوتات الاندلسية ، وقد عرف منهم في القرن الحادي عشر الهجري بفاس أبو عبيد الله محمّد بن قاسم الزجّالي الذي ترجم به القادري في نشر المثاني فقال : " ومنهم الفقيه الاديب الاستاذ المجوّد أبو عبد الله محمّد بن قاسم الزجّالي . وبنو الزجّالي كانوا وزراء بقرطبة كما في نفح الطيب ، وفي جمهرة ابن حزم أنّهم من قبائل البربر . فانظره . ومن نظم صاحب الترجمة يهنئ العلامة سيدي محمّد ابن سودة حين ولي الفتوى والخطابة بفاس :

أمُفْتِيِ الورى دام السُّرور يؤُمُّكُمْ — وترقى منابرَ المَعَالي وتَمْنَحُ
وتُنْظَمُ في سِلْكِ الكِرامِ كلُؤْلُؤ — أيا كامِلاً رِقّي لكُمْ به أسْمَحُ
فَلا زِلْتَ يا بَحْر العُلُوم مؤيَّداً — من الله بالعَونِ الذي ليس يَبْرحُ
فَأبْقَاكَ مَنْ أولاكَ في حُسْنِ عيشة — أيا فَاضِلاً به الولاية تُمْدَحُ" (3)

ويبدو أن بقية من البيت الزجّالي القرطبي ما تزال موجودة بفاس .

أولئك هم أهل الزجالي أبي يحيى من جهة أبيه .

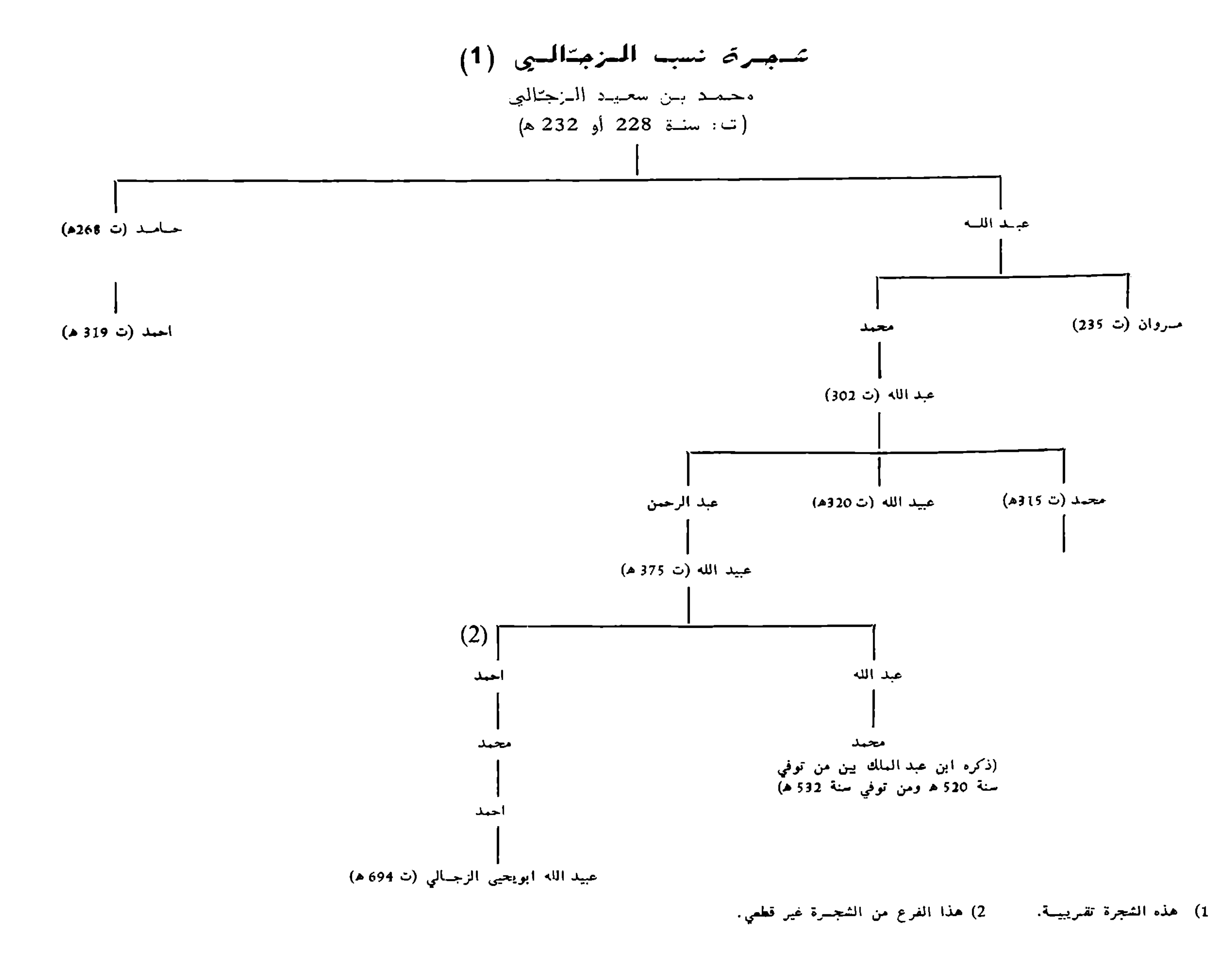
---

1) ابن الفرضى 1 : 279 .

2) المغرب 1 : 173 .

3) نشر المثاني 1 : 242 .

شجرة نسب الزجالي (1)



1) هذه الشجرة تقريبية. 2) هذا الفرع من الشجرة غير قطعي.

وأما أمه فهي بنت الفقيه القاضي أبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد ابن يوسف بن أحمد الانصاري المعروف بأبي الحسن ابن قطراك (1) . ذهب ابن الابار في التكملة الى أنه قرطبي الاصالة وذكره من أجل ذلك في الاندلسيين وعده ابن الزبير في الاندلسيين أيضا الا أنه أبعد فقال : " من أهل أبذة من عمل جيان " . ولكن ابن عبد الملك المراكشي يخالفهما ويقول بتفصيله المعهود : " فاسي المولد ، ومنها أصله قديما ، ومن ناحية دانية حديثا ، قرطبي النسبة "ولهذا ترجم به في الغرباء الطارئين على الاندلس وقال : "وذكره ابن الأبّار آخر رسم من الاندلسيين وقال : من أهل قرطبة ، لما غاب عنه مولده ، ولتعصبه المعهود . "

ويبدو أن ابن عبد الملك لم يقف على كلام ابن الزبير والا لكان تعقّبه كما هي عادته ، ويشير ابن عبد الملك في العبارة الاخيرة الى ماقاله ابن الابار في ترجمة ابي عبيد الله محمد بن المناصف : " وذكره في الغرباء لا يصلح، ضنانة بعلمه على العدوة " (2) . وهذا التنازع على الرجال بين المغاربة والاندلسيين واختلافهم في نسبتهم وحرص كل من الطرفين على ادعائهم وتبنّيهم هو ـ فضلا عن جانب الضبط والتحقيق فيه ـ لا يبرأ من شائبه التعصب ولا يخلو من عنصر المنافسة الطبيعية بين العدْوتين : الاندلس والمغرب .

ومن هذا اختلافهم في القاضي أبي الحسن بن قطراك ، فابن عبد الملك المراكشي يرى أنه مغربي فاسي الاصل والمولد ولد بفاس سنة 562 هـ .

وابن الابار وابن الزبير يذهبان الى أنه أندلسي ، ويرى رأيهما أيضا ابو المطرف احمد بن عميرة المخزومي الذي يقول في رسالة كتبها الى ابي الحسن ابن قطراك اثناء تولي هذا قضاء فاس : " فأخبر أنه بقية أندلسنا ، المفدى بأنفسنا ، من وصفه يغني عن التسمية ، وسهمه في صدور النوائب من السهام المصمية ، وانما فارقني الافلاس ، يوم ضمتني معه فاس (3) " .

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فان الرجل تقلب في منصب القضاء بمدن عديدة منها : ابذة وشريش وجيان وشاطبة وقرطبة وغيرها من البلاد الاندلسية في أوقات مختلفة ، كما ولي هذه الخطة في سبتة وفاس ومراكش وأغمات وريكة

---

1) ترجم به ابن الابار في التكملة (ترجمة رقم 1911) وابن الزبير في صلة الصلة : 138 ـ 139 (ترجمة رقم 279) وابن عبد الملك في الذيل والتكملة 8 : 1ـ3 (مخطوط) والحق ابو القاسم التجيبي ترجمته بالسفر الخامس من الذيل والتكملة : 24٠7 (تحقيق د. احسان عباس) حين لم يطلع على ترجمته في السفر الثامن . ولابن قطرال أيضا ترجمة في الاحاطة: 327 (مخطوط الاسكوريال).

2) التكملة 2 : 612 (نشر العطار) .

3) رسائل ابن عميرة : 163 (مخطوط الخزانة العامة بالرباط . رقم : 232 ك) .

من مدن المغرب (1) ، ويصح لاي من هذه المدن أن تدعيه ـ بقسط ما ـ ومن هنا ـ فيما يبدو ـ عده ابن الزبير كما رأينا من أهل أبذة . أما ابن عبد الملك المراكشي فله ملحظ خاص في اعتبار الرجل فاسيا ، ذلك أنه يرى أن المترجم اذا ولد ببلد عد منه ونسب اليه وان انتقل الى غيره ـ وعلى هذا الشرط كتابه ومنهجه (2) ـ ومن هنا نجد ه يترجم لابن قطرال الابن أبي عبد الله محمد الذي توفي بفاس وهو يتولى قضاءها سنة 645 في الاندلسيين لانه ولد بقرطبة (3) .

ويترتب على ما ذهب اليه ابن عبد الملك أن يكون أبو يحيى الزجالي من كلا طرفيه مغربي الاصل والوفاة ، وان كان قرطبي البيت والنشأة ،. كما أنه من ناحية أخرى وليد العنصرين البربري ، والعربي ، فابوه من أصل بربري نفزي ، وأمه من أصل عربي أنصاري .

وبيت ابن قطرال وصفه ابن عبد الملك المراكشي بأنه " بيت علم وجلالة " ، وقد كان كبير هذا البيت أبو الحسن ابن قطرال جد الزجالي من كبار شيوخ الاندلس والمغرب في عصره ، وكانت له حظوة كبيرة عند الموحدين تتجلى في اسنادهم اليه خطة القضاء في المدن الاندلسية والمغربية التي ذكرناها آنفا ، على أنهم نظروا في ذلك الى علمه وكفاءته ومكانته عند الناس . يقول ابن عبد الملك : " عرف في ذلك كلته بالعدل والنزاهة ، وشدة الوطأة على أهل البدع وإخافتهم وتطهير مواضيع نظره منهم (4) " ويقول ابن الزبير : : " وكان عدلا لا جليلا مشكورا من بقايا الناس وعدول القضاة (5) " .

كما أشار ابن عبد الملك الى " المودات " التي كانت بينه وبين أبي سعيد عثمان بن أبي محمد عبد الله بن جامع كبير وزراء المستنصر من بني عبد المؤمن (610 هـ ـ 620 هـ) وذكر من مظاهرها انه لما التحق ابن قطرال بالاسر بابذة وهو قاض بها عقب هجوم المسيحيين عليها (6) صدر أيام المستنصر سعى الوزير المذكور عند الخليفة لافتكاكه فيسر الله انقاذه من أسره (7) .

---

1) صلة الصلة : 139 والذيل والتكملة 8 : 3 (مصورة دار الكتب) .

2) مقدمة السفر الاول من الذيل والتكملة (تحقيقنا) ومقدمة الدكتور احسان عباس لبقية السفر الرابع من الكتاب ـ م ـ (دار الثقافة ـ بيروت) .

3) الذيل والتكملة 6 : 181 (مخطوط باريس) .

4) الذيل والتكملة 8 : 2 .

5) صلة الصلة : 139 .

6) في الروض المعطار : 11 (مادة ابذة) تفصيل لهذا الهجوم .

7) الذيل والتكملة 8 : 3 .

وأما شهرة بيت ابن قطرال بالعلم كما وصفه ابن عبد الملك فيؤيدها اننا نجد منهم في القرن السابع وحده خمسة من الاعلام وهم :

القاضي أبو الحسن المذكور .

وابناه :

أبو عبيد الله محمد خال الزجالي وشريكه في الاخذ عن القاضي أبي الحسن ، توفي بفاس وهو يتولى قضاءها سنة 645 هـ (1) .

وأبو محمد عبد الله خال الزجالي وشريكه أيضا في الاخذ عن القاضي أبي الحسن (2) . وكان قاضيا .

وحفيداه :

أبو الحسن علي بن أبي عبد الله محمد ابن خال الزجالي وشريكه في الاخذ عن القاضي أبي الحسن أيضا (3) .

وأبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبدالله بن محمد بن يوسف المعروف بابن قطرال المراكشي ابن ابن خال الزجالي (4) . وهو فقيه صوفي معروف ، تجول في لقاء الاكابر ، ورحل الى المشرق ، وحج وجاور بمكة الى ان مات بها سنة 710 هـ وله شرح على قصيدة نجم الدين الاسرائيلي في التصوف ، وهو الذي استدعى الاجازة من أبي يحيى الزجالي (5) .

حياته :

ولد أبو يحيى الزجالي في عام 617 هـ أو 618 بمدينة قرطبة وذلك قبل خروج المسلمين منها بنحو خمس وعشرين سنة (6) ، ومعنى هذا انه لم يعش في موطن اسلافه ومعهد آبائه واجداده إلا أيام الصبا وريعان الشباب ، وهي وان كانت أجمل أيام العمر الا انها تعتبر فترة قصيرة بالنسبة الى عمره الذي قارب الثمانين .

ولسنا نعرف من حياته في قرطبة سوى أنه ولد بها ودرس فيها على القرشي وابن الطيلسان ، ولدينا بعض القرائن تدل على ارتباط حياته بحياة

---

1) له ترجمة في الذيل والتكملة 6 : 181 (مخطوط باريس) .
2) وردت الاشارة اليه في الذيل والتكملة 8 : 13 (مصورة دار الكتب) . و ح 1 : 35 (مخطوط) .
3) وردت الاشارة اليه في المكان نفسه .
4) ترجمته وأخباره في الاحاطة ، والدرر الكامنة 4 : 232 . ونفح الطيب 7 : 145 ، 178 ، ودرة الحجال 1 : 207 والاعلام ، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام 3 : 246 ـ 248 .
5) درة الحجال 2 : 334 .
6) كان سقوط قرطبة في سنة 633 هـ انظر : البيان المغرب 3 : 322 ـ 323 (القسم الموحدي) والروض المعطار : 158 ونفح الطيب 6 : 215 وفي تاريخه تحريف ، والتكملة 1 : 120 .

جده لأمه القاضي أبي الحسن ابن قطرال ، ومنها أنه تلا عليه القرآن الكريم وأنه كان في شاطبة سنة 636 هـ (1) في الوقت الذي كان جده قاضيا بهذه المدينة (2) وانه عاش شطر عمره أو أكثره في مدينة مراكش بعد أن استقر جده ابن قطرال مع أهله وأولاده وأحفاده في هذه المدينة (3) .

فهل نستطيع ان نفهم من هذه القرائن أن أبا يحيى الزجالي فقد أباه في صغره فكفله جده لأمه القاضي أبو الحسن بن قطرال ؟ .

وفي ترجمة الزجالي التي نقلها ابن القاضي في درة الحجال " أنه تلا على جده للام أبي الحسن بن قطرال " . من غير تحديد لزمان التلاوة أو مكانها أو نوعها ، والمقصود بالتلاوة في اصطلاحهم تلاوة القرآن الكريم وحفظه ومدارسته برواية أو أكثر من الروايات المعروفة ، ومن المعروف أن التلاوة تكون ـ في الغالب الاعم ـ في أول مرحلة من مراحل التعليم، ولكننا اذا نظرنا في حياة القاضي أبي الحسن ابن قطرال نجد أنه كان من سنة 610 هـ الى سنة 622 بشاطبة ثم انتقل بعد هذا التاريخ الى مدينة مراكش وقضى فيها فترة غير محددة ، ثم عاد الى الاندلس واستقضي بشريس وجيان وقرطبة في أوقات مختلفة وغير معينة ، واعيد مرة ثانية الى قضاء شاطبة وظل قاضيا بها حتى سنة 636 هـ (4) .

فمتى يا ترى وأين تلا الزجالي القرآن على جده القاضي ابن قطرال ؟

نحن نفترض أن يكون ذلك في الفترة الواقعة بين سنة 622 هـ وسنة 636 هـ أي في المدة غير المحددة التي كان فيها ابن قطرال قاضيا بقرطبة وكان الزجالي أثناءها في سن التعلم .

أما على ما افترضناه ـ نظرا للقرائن التي ذكرناها ـ من كفالة ابن قطرال لسبطه أبي يحيى وتربيته فيمكن أن تكون تلاوته عليه في أي مكان من الاماكن التي كان ينتقل إليها .

ولكننا بعد هذا نجد للزجالي نصا في كتابه " ري الاوام " يذكر فيه أنه كان يحضر مجالس العلم في قرطبة في عام 625 هـ أي حين كان في السنة الثامنة أو السابعة من عمره ، وسنعرض لهذا النص فيما بعد ونستخرج مافيه من

---

1) رى الاوام 1 : 170 ـ 171 ، 193 من مخطوط س.

2) الذيل والتكملة 8 : 3 .

3) المصدر نفسه .

4) الذيل والتكملة 8 : 3 .

دلالات . فإذا أضفنا هذا إلى ما ورد في ترجمة الزجالي عند ابن القاضي في درة الحجال من أنه " قرأ بها (أي بقرطبة) كتاب التنبيه على القرشي ، وحضر مجلس ابن الطيلسان" أمكننا أن نذهب الى أن تلاوته القرآن ودراسته الاولى كانت في قرطبة .

وقد اقتصرت ترجمة ابن القاضي على تلاوة الزجالي القرآن على جده ابن قطرال ، ولكن ابن عبد الملك المراكشي يذكر في ترجمة هذا الاخير أن سبطه الزجالي روى عنه من غير تعيين للمروي . ومن الواضح أن المقصود بالرواية رواية الحديث وأصوله ، وهذه كانت بضاعة ابن قطرال . فقد كان - الى تضلعه الكبير في الفقه - من أبرز المحدثين الحفاظ ، يتهافت طلاب الحديث على الاخذ عنه ، ويعدون الرواية عنه مغنما كبيرا ، ونرى بعض أعلام عصره ينتابونه للقراءة عليه حتى بعد بلوغهم رتبة المشيخة والتدريس .

كما نرى بعضهم الاخر يتحسر على ضياع فرصة الرواية عنه . جاء في الذيل والتكملة بعد أن ذكر أن ابن قطرال أسن ممتعا بجميع حواسه وأنه كان يكتب بالليل من الخط الدقيق وهو قد ناهز التسعين ما يكاد يعجز أكثر الفتيان عن قراءته بالنهار الا بتعمل - مايلي : " ولقد حدثني الشيخ ابو الحسن الرعيني رحمه الله قال : كنت أقرأ عليه (أي على ابن قطرال) رواية كتاب التقصي (لأبي عمر بن عبد البر) بدهليز دار سكناه (بمدينة مراكش) وكان مظلما ، وكان جلوسه في قعره ، وكنت اتحرى الجلوس في أضوأ موضع منه ، فربما وقعت في حواشي نسختي منه روايات مختلفة فأريد تمييز ما يوافق روايته من رواية غيره فلا أستطيع ذلك لدقة خطها واظلام الموضع الذي كنت أقعد فيه ، على أنه أضوأ من غيره كما ذكرته ، فيتناول الكتاب من يدي فيقرأها دون توقف ، ويعرفني ما يوافق روايته منها فأعلم عليه ، وكان حينئذ ابن نحو (1) . وأنا ابن واحد وأربعين (2) " .

وممن تحسر على عدم الاخذ عن هذا الشيخ ابن الزبير اذ يقول أثناء ترجمته في صلة الصلة : " وكنت بمدينة سلا أيام كونه بفاس ، وكنت أتحدث بلقائه والاخذ عنه فلم يُقْضَ ذلك (3) " أما المحدث المؤرخ الناقد ابن عبد الملك المراكشي فيصف حسرته بعبارة أوسع اذ يقول : " وكان (يعني ابن

---

1) محو بالاصل .
2) الذيل والتكملة 8 : 3 - 4 ، ويلاحظ ان الرعيني لم يذكره في برنامجه .
3) صلة الصلة : 139 .

قطرال) قد جاورني مدة بدار لي لصق دار مولدي وسكناي ، وكان كثير من طلبة العلم يتنابونه بها للرواية عنه ، وكنت حينئذ غير مقصر عن كثير ممّن كان يتردد إليه ، ولم يكن هناك من يرشدني للقراءة عليه والاخذ عنه ، ولم اهتد إلى ذلك من تلقاء نفسي ، فحُرمت الرواية عنه مع اهليتي لها وتمكني من أسبابها لو شاء الله ، والسماع رزق (1) ! " كما ان ابن الابار أشار في التكملة أثناء ترجمة بعضهم الى أنه حضر مجلس ابن قطرال أثناء تولي هذا قضاء شاطبة وذلك اذ يقول : " وجرت بيني وبينه مذاكرة بمجلس القاضي أبي الحسن ابن قطرال(2) " .

هذا هو شيخ الزجالي الاول الذي نحسب أنّهُ - بحكم البنوة - لازمه طول حياته ، وصحبه في حله وترحاله ، وقد أشرنا في أثناء الحديث عن بيت الزجّالي الى ما يتعلق بالمكانة الاجتماعية لهذا الشيخ .

في ترجمة درة الحجال أن الزجالي قرأ بقرطبة كتاب التنبيه على القرشي وفي هذا الكلام غموض شديد كما نرى ، فما كتاب التنبيه هذا ؟ ومن هو القرشي ؟

إذا رجعنا الى كتب برامج العلماء في الاندلس وفهارسهم وفي طليعتها فهرسة ابن خير وهي غير بعيدة عن عصر الزجالي نجد من الكتب التي تحمل اسم التنبيه ما يلي :

1) التنبيه للحارث بن أسد المحاسبي (في التصوف) ص 272 .

2) التنبيه على الاسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين لأبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي ص 258

3) تنبيه الالباب ، على فضائل الاعراب . للرئيس أبي بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني (في النحو) ص 320 .

4) التنبيه على أوهام أبي علي البغدادي في كتاب النوادر للبكري (في الادب واللغة) ص 325 .

5) التنبيه على مذهب عمرو بن العلاء في الامالة والفتح للداني (في القراءات) ص 29 .

6) التنبيه على اصول قراءة نافع لمكي بن أبي طالب (في القراءات) . ص : 41 .

---

1) الذيل والتكملة 8 : 2 . وتجدر الاشارة الى ان ابن عبد الملك ولد سنة 634 هـ . (مذكرات ابن الحاج النميري : 117 — 118) .

2) التكملة 1 : 123 .

وجميع هذه الكتب كانت تقرأ وتروى بين الاندلسيين في القرن السادس وما قبله وما بعده .

وثمة غير هذه مما ورد عند غير ابن خير ككتاب التنبيه على حماسة أبي تمام لابن جني وقد جمع أحد الاندلسيين بينه وبين المنهج له أيضا (1) .

فأي تنبيه من هذه التنبيهات قرأ الزجالي ؟ الواقع أنه صعب علينا الاهتداء الى ذلك ولم نجد حلا لهذه المشكلة . وقد تتبعنا تراجم الاندلسيين في كتب طبقاتهم المعروفة فلم نقف على ذكر التنبيه مفردا مطلقا هكذا ومجردا عن الاضافة والنِّسبة ، ونحن نعرف أنهم يوردون أحيانا أسماء بعض الكتب مطلقة غير مقيدة باسم مؤلفها على سبيل الاختصار ، ولكنهم يفعلون هذا حين يؤمن اللبس ويمكن انصراف الذهن الى الكتاب عند الاطلاق ، ونحن هنا لانعرف كتابا باسم " التنبيه " اذا اطلق يجري الاطلاق عليه دون غيره في اصطلاحهم . وقد وقفت على كتاب " التنبيه " بالاطلاق مرتين في غاية النهاية (2) . ولكن ذلك ورد في تراجم قراء مشارقة، ولست مطمئنا لان يكون المقصود به "تنبيه"مكي بن أبي طالب في أصول قراءة نافع لأن هذه القراءة - فيما نعرف - كانت نافقة في المغرب لا في المشرق .

ومشكلة " التنبيه " بعد هذا مرتبطة بمشكلة " القرشي " مقرئه . فمن القرشي هذا الذي قرأ عليه الزجالي كتاب التنبيه في قرطبة ؟

من الشيوخ المعروفين في هذا العصر بالقرشي والذين يمكن أخذ الزجالي عنهم :

أبو بكر محمد بن علي القرشي الزهري الاشبيلي توفي سنة 623 (3) .

- أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن خلف بن فرقد القرشي ولد سنة 546 هـ وتوفي سنة 624 هـ ولي القضاء بغرناطة وسلا ، وأخِذَ عنه بعض ما رواه باشبيلية (4) .

---

1) التكملة 1 : 157-158 واسمه ايضاح المنهج ، في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج لابي اسحاق ابراهيم بن ملكون الحضرمي ، ومنه مصورةبمعهد المخطوطات (رقم 24 لغة) .

2) غاية النهاية 1 : 37 ، 604 .

3) التكملة 2 : 619 .

4) ترجمته في التكملة 1 : 113-114 وبرنامج الرعيني : 132 - 133 .

ـ ابو القاسم محمد بن عامر بن فرقد القرشي ابن عم السابق ولد سنة 563 هـ وتوفي سنة 627 هـ وله فهرسة حافلة ضمنها ابن عبد الملك المراكشي ترجمته حدّث وأخذ عنه ، ، وعدد ابن عبد الملك بعض الآخدين عنه فلم يذكر منهم الزجالي ، على أنه لم يستقص ذكرهم . (1) .

ـ عبيد الله بن أحمد المعروف بابن أبي الربيع القرشي ـ الذي عني استاذنا الدكتور عبد العزيز الأهواني بدراسة برنامجه وتحقيقه واخراجه ـ ولد سنة 599 هـ وقعد للاقراء سنة 624 هـ (2) ومات سنة 688 هـ ، كان من شيوخ التعليم الاكابر في وقته ، وقرأ عليه عدد كبير من أهل عصره ، ولكننا لم نجد فيمن عُدّ منهم عند من ترجموا به ذكرا للزجالي ، وربما كنا نجد شيئا لو وصلتنا ترجمته في الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي .

وربما جاز لنا أن نستأنس بقراءة ابن قطرال المراكشي قريب الزجالي علي بن أبي الربيع القرشي (3) فنذهب الى أنه المقصود . وإن كنا لا نستبعد اصلا قراءته على القرشيين الآخرين . وفي حال قراءته على ابن أبي الربيع القرشي يمكن أن يكون المراد بالتنبيه إما كتاب التنبيه على أصول قراءة نافع لمكي بن أبي طالب الذي كان ابن أبي الربيع القرشي يروي ويدرس بعض كتبه (4) أو كتاب التنبيه على الحماسة لابن جني ، وقد كانت الحماسة مما يرويه ويدرسه أيضا(5) .

قلنا اننا لا نستبعد قراءة الزجالي على أولئك الشيوخ المتوفين سنة 623 وسنة 624 هـ وسنة 627 هـ لأننا وجدناه أهلا للسماع والأخذ سنة 625 هـ أي حين كان في السنة الثامنة أو السابعة من عمره . جاء في كتابه " ري الاوام : " سمعت الفقيه الحافظ المحدث أبا بكر محمد بن عبد العزيز السلاقي ـ كذا ـ ينشد هذه القصيدة لنفسه في جامع قرطبة ـ اعادها الله ـ في عام خمسة وعشرين." ثم ذكر القصيدة (6) ، وتعترضنا في هذا الخبر مشكلة أخرى ، فقد وجدنا

---

1) ترجمته في التكملة 2 : 625 ـ 626 والذيل والتكملة 6 : 69 ـ 271 (مخطوط باريس) .

2) درة الحجال 2 : 351 .

3) الاعلام ، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام : 246 .

4) برنامج ابن ابى الربيع : 263 مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الاول . الجزء الثاني ـ نوفمبر 1955 .

5) المصدر نفسه : 270 .

6) ري الاوام 2 : 191 ـ 192 مخطوط س وص 374 من مخطوط ع .

لابي بكر محمد بن عبد العزيز السلاقي هذا ترجمة في الذيل والتكملة (1)، وترجمتين في التكملة (2) وترجمة في بغية الوعاة (3)، نقلا عن صلة الصلة لابن الزبير الا أن وفاته في هذه المصادر بعيدة عن التاريخ المذكور .

يقول ابن عبد الملك المراكشي : " مولده سنة احدى وأربعين وخمس مائة، وتوفي بمراكش يوم الاربعاء لثلاث خلون من صفر احدى وستمائة " (4) . وفي بغية الوعاة : نقلا عن صلة الصلة لابن الزبير : " مات يوم الاربعاء ثالث صفر سنة احدى وستمائة (5) " ولم يذكر ابن الابار وفاته في كلتا الترجمتين الا أنه وضعه في المرة الاولى حسب ترتيب الوفيات الذي يسير عليه بين من توفي في نحو 570 هـ ومن توفي سنة 590 هـ (6) وجعله في المرة الثانية بين وفاتي 587 هـ و 588 هـ (7) على أن كلامه فيه مضطرب . فكيف نستطيع التوفيق بين قول الزجالي أنه سمع الشيخ المذكور سنة 625 هـ وبين ورود وفاته عند ابن عبد الملك وابن الزبير سنة 601 هـ أي قبل أن يولد الزجالي بست عشرة أو سبع عشرة سنة، هذا والتاريخان مكتوبان بالحروف، والاسم والنسب واحد، ولم نقف على سلاقي آخر ؟

الذي يبدو لنا أن كلمة ما سقطت في تاريخ الوفاة كأن تكون مثلا : " احدى وثلاثين وستمائة " بدل " احدى وستمائة " لا سيما وان مدى العمر لا يمنعه، فما أكثر الشيوخ الذين بلغوا التسعين، بل إن المعمرين بين الاندلسيين كثيرون فيما رأينا، كما أنه لم يرد في ترجمة الشيخ المذكور نص على أنه عاش كذا سنة، وهذا يذكر احيانا في بعض التراجم .

ومهما يكن أمر هذه المشكلة فإننا نستطيع أن نعد ابا بكر محمد ابن عبد العزيز السلاقي من شيوخ الزجالي ما دام قد صرح هو نفسه بالسماع عنه .

---

1) الذيل والتكملة 6 : 153 – 154 (مخطوط) .

2) التكملة 1 : 221، 2 : 545 .

3) بغية الوعاة 1 : 160 ونقل ترجمته ايضا صاحب الاعلام، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام 3 : 69 .

4) الذيل والتكملة 6 : 154 .

5) بغية الوعاة 1 : 160 .

6) التكملة 1 : 221 .

7) المصدر نفسه 2 : 545 .

وقد وصف الزجالي شيخه هذا بالفقيه الحافظ المحدث ، وهذا يتفق مع ما وصفه به ابن عبد الملك في الذيل والتكملة إذ يقول : " وكان محدثا راوية عدلا مكثرا صحيح السماع ثقة فقيها ذاكرا أقوال أئمة الفقه نظّارا فيه " (1) .

وزاد ابن عبد الملك انه كان " مستبحرا في حفظ اللغات والتواريخ والاشعار قديمها وحديثها متقدما في النحو متحققا بذلك كله حسن المشاركة في غير ه من فنون العلم وحسن النظم والنثر جيد الخط رائقه (2) " . وذكر بعد هذا أنه تصدر للقراءة باشبيلية وقرطبة زمنا وأن المنصور الموحدي نقله الى مراكش للتدريس بجامعها الاعظم . فحظي عند حاشيته حظوة كبيرة ولكن دعابته اخلّت به لديهم فلم يترق الى أعلى من رتبة التدريس . قال ابن عبد الملك : "ولم يكن ممن يستحضر مجلس المنصور مع من كان يحضره من أهل العلم ، على أنّه كان يشتمل على كثير ممن يقصر عن (منزلة) (3) أبي بكر هذا فكان من الناس من يوجه ذلك باغتنام نصبه للتدريس وشغله به وتفريغه له ، ومنهم من يرى ان ذلك من أجل الدعابة التي ذكر اخلالها به عندهم ومع ذلك فكان من مفاخر وقته . (4) " والقصيدة التي رواها الزجالي لشيخه السلاقي هذا ذات طابع زهدي وهي وإن كانت في شكلها من قبيل النظم الساذج الا أنها من حيث المعنى تنبئ عن عفة وعزة وانفة واباء ، وايمان صادق بأن الناس سواء .

يقول في أولها :

لاَ تَتَعَرَّضْ لابْنِ دُنْيَا وإنْ	نَالَ مِنَ الجَاهِ الطَّوِيلِ العَرِيضْ
واسْتَغْنِ بِاللّهِ فَفِيهِ الغِنَى	والعِوَضُ المَحْمُودُ للْمُسْتَعِيضْ
وانْزِلِ النَّاس سَوَاءً فَمَا	أقْوَاهُمُ يَمْلِكُ صَرْفَ البَعُوضْ

ويقول في آخرها :

كُنَّا سَوَاءً إذ مَسَسْنَا الثَّرَى	ونَسْتَوِي فِي الحَالِ عِنْدَ الجَرِيض
وإنَّمَا التفضِيلُ فِي الحَشْرِ إذْ	وجُوهُ هَذَا النَّاسِ سُودٌ وبِيضْ

ويبدو أن السلاقي قال هذه القصيدة في آخر حياته بعد ان ترك خدمة الموحدين .

---

1) الذيل والتكملة 6 : 153 .

2) المصدر نفسه .

3) كلمة غير واضحة في الاصل .

4) المصدر نفسه .

وفي ترجمة الزجالي أنه حضر مجلس ابن الطيلسان هكذا دون كنية أو اسم ، ومع أن ابن الطيلسان يطلق على جماعة من أفراد أسرة قرطبية نبغوا في العلم وتوارثوه خلفاً عن سلف (1) الا أننا هنا نعرف أن ابن الطيلسان بالاطلاق ينصرف في اصطلاحهم الى أبي القاسم بن محمد المعروف بابن الطيلسان المحدث الرواية (2) ، ولد سنة 575 هـ وروى عن جماعة كبيرة جدا من العلماء في المغرب والمشرق بالسماع والاجازة ، أورد ابن عبد الملك معظمهم في ترجمته ، وتصدر للاقراء واسماع الحديث والافادة بما كان عنده ، وكان له مجلس حافل بقرطبة ، وفصل عن قرطبة بعد تغلب الروم عليها سنة 633 هـ ، ونزل مالقة فقدم للصلاة والخطبة بجامعها الى أن توفي سنة سنة 642 هـ وله مؤلفات في الحديث سردها ابن عبد الملك وذكر أنه وقف عليها . قال الرعيني : " وهو آخر من كان يتقن هذا الشأن (يعني الحديث) بالاندلس بعد الاكابر من أهله ، رحمه الله ورحمهم (3) . "

ولم يعدّد ابن عبد الملك تلامذته على خلاف عادته في معظم تراجمه لان عددهم كبير ، ولذلك اكتفى بقوله : "روى عنه غير واحد "(4) .

ومن الواضح أن الزجالي حضر مجلس أبي القاسم ابن الطيلسان وسمع ما كان يروى فيه قبل سقوط قرطبة سنة 633 هـ . وبذكر ابن الطيلسان تطوى صفحة من صفحات الزجالي العلمية في قرطبة وتختم مرحلة من مراحل حياته الطويلة - وهي مرحلة الصبا وريعان الشباب - .

في شاطبة :

في سنة 633 هـ كانت الفاجعة الكبرى باستيلاء المسيحيين على قرطبة - أم مدائن الاندلس - واخراجهم المسلمين منها ، وقد تشتت شمل سكان قرطبة عباديد في البلاد ، وتوزعوا على نواح ومدن عديدة في الاندلس والمغرب ولا نتحقق الآن هل كان أبو يحيى الزجالي في قرطبة وقت سقوطها أم أنه غادرها قبيل ذلك وكل ما نعرفه أنه كان بقرطبة سنة 625 هـ كما رأينا من قبل ، وأننا نجده في مدينة شاطبة سنة 634 هـ أي بعد سقوط قرطبة بسنة أو نحوها .

---

1) انظر تراجم بعضهم في التكملة 1 : 120 ، 2 2 : 533 والذيل والتكملة 4 : 58 ، 6 : 14 .

2) ترجمته في الذيل والتكملة 5 : 557 - 566 والتكملة (رقم 1976) وبرنامج الرعيني : 27 - 30 وغاية النهاية 2 : 23 وتذكرة الحافظ : 1426 وشذرات الذهب 5 : 215 وبغية الوعاة 2 : 261

3) برنامج الرعيني : 29 .

4) الذيل والتكملة 5 : 565 .

ونحن نجد له بيتا من الشعر ورد مفردا في كتابه " ربي الاوام " ونظن أنه من قصيدة لم تصل الينا ، ونرى أن له دلالة خاصة هنا وهو قوله :

سَأَقْطَعُ بَيْدَاءَ الفَضَاءِ حِذَارَ مَا   أُحَاذِرُهُ مِن عَارِ تِلْكَ الفَضَائِحِ(1)

فهل نستطيع أن نفهم منه أنه اضطر الى مغادرة قرطبة حين راى الاحوال تنذر بالسوء وتؤذن بالهول خوفا من العار وحذرا من الفضائح التي شهدتها البلدان المفتوحة ورددت أصداءها اشعار الرثاء المشهورة .

قد يكون الامر كذلك وخصوصا أننا نعرف أن الزجالي حين ولد سنة 617هـ كانت اصداء نكبة أبذة سنة 609 هـ ما تزال حية في أسماع أهل بيته ماثلة في اذهانهم ونشأ الزجالي وهو يسمع أخبارها تروى بين أفراد أسرته ، ونكبة أبذة هذه هي التي امتحن فيها جده لأمه وشيخه ومربيه القاضي أبو الحسن ابن قطرال بالاسر وفقدان مايملك من كتب ومتاع (2) .

وقد يكون الأمر أنه انتقل إلى شاطبة مع جده ابن قطرال الذي لا نعرف متى ولي قضاء شاطبة . ولكننا نعرف أنه ظل قاضيا بها حتى سنة 636 هـ (3) وينبغي أن يكون تعيينه قاضيا بها قبل سقوط قرطبة .

ومهما يكن من أمر فإننا نجد الزجالي في شاطبة سنة 636 هـ كما ذكر هو نفسه مرتين في كتابه "ربي الاوام " (4) ، وتعتبر حياته في شاطبة استمرارا لحياته الدراسية في قرطبة وامتدادا لها ، ذلك أنه في هذه السنة كان في التاسعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره ، وقد درس في شاطبة على بعض علمائها وروى في كتابه " ربي الاوام " شيئا من أدب ادبائها .

وقد كانت شاطبة من انشط المراكز الثقافية في الاندلس عموما ، وفي شرق الاندلس خصوصا ، ومن أجل ذلك كان يقصدها كثير من طلبة العلم وأهله للدرس بها ، والاخذ عن علمائها ، وإليها ينسب عدد من الاعلام ، وقد ترك بها أبو عمر يوسف بن عبد البر المتوفى سنة 463 هـ وبعده أبو عمر أحمد بن عات الذي استشهد سنة 609 هـ أصولا علمية راسخة ، وبأبوي عمر هذين كان يفاخر

---

1) ربي الاوام 2 : 9 (مخطوط س . وص : 224 مخطوط ع) .

2) المصدر نفسه .

3) الذيل والتكملة 8 : 2 — 3 .

4) ربي الاوام 1 : 170 — 171 ، 193 من مخطوط س .

أهل شاطبة من سواهم (1) ، وينسب إلى شاطبة أيضا إمام القراءات ابن فيرة الشاطبي (ت 590) مستوطن القاهرة ودفين سفح المقطم (2) .

وكان بشاطبة خلال الفترة التي قضاها الزجالي فيها جماعة من العلماء والادباء ، بعضهم من بيوتاتها العلمية المعروفة كبني مفوّز ، وبني الجنّان وبني يعقوب ، وبني يحيى ، وبعضهم الآخر من النازحين اليها ، واشتهر أميرها في هذا التاريخ أبو الحسن يحيى بن عيسى الخزرجي (3) بقرض الشعر وتحبير النثر ، وتقريب العلماء ، وحب الادب وأهله ، كما كان مجلس قاضيها ابن قطرال جد الزجالي لأمه ملتقى الاعلام فيها (4) ، ويشير ابن عميرة الى الحركة الادبية في شاطبة يومئذ فيقول : " وإنها لدارُ درّ القريض ، وقرار الغُر البيض ، ومربط جياد الكلام ، ومسقط عهاد الاقلام ، فيها النجب السراة ، والشهب النيرات ، ان خطوا أجاد قلم ، وإن خطوا فما تزل قدم . (5) . "

ومن درس عليهم الزجالي في شاطبة أبو عبيد الله محمد بن لب بن محمد بن عبد الله ابن خيرة الشاطبي كما في ترجمة الزجالي عند ابن القاضي في درة الحجال ، وابن خيرة هذا ترجم به ابن الابار (6) وقال انه اخذ عن ابي عبد الله القطني (7) العربية ، واقرأها وقتا ببلدة شاطبة ، وذكر أنه توفي في نحو 640 هـ . وترجم به السيوطي في بغية الوعاة . وقال أنه روى عن جماعة من أهل المغرب ، وقرأ العربية وأقرأها ، كما ذكر أنه حدث بالقاهرة ، ووفاته عنده كما هي في التكملة ، وأضاف أنه أحد أصحاب الشيخ أبي الحسن ابن الصائغ (8) .

---

1) الذيل والتكملة 1 : 236 (مخطوط القرويين).
2) الذيل والتكملة 5 : 557 .
3) ترجمته واخباره في الحلة السيراء 2 : 30 ـ 308 والتكملة 2 : 729 (ط مجريط) والمغرب 2 : 38 .
4) التكملة 1 : 124 .
5) زواهر الفكر لابن المرابط : 104 (مخطوط الاسكوريال رقم 520) .
6) الذيل والتكملة 8 : 3 .
7) له ترجمة في التكملة 2 : 617 .
8) بغية الوعاء 1 : 216 وابو الحسن يحيى بن الصائغ من اعلام التصوف في عصره ، وله ترجمة مطولة في الذيل والتكملة 8 : 195 وما بعدها .

نستخلص من ذلك أن شيخ الزجالي هذا كان عالما بالادب والنحو ذا نزعة صوفية .

وفي ترجمة الزجالي انه قرأ على هذا الشيخ وعرض عليه الاشعار الست - كما في الترجمة وكما ترد احيانا - أو أشعار الستة كما يرى أستاذنا الدكتور عبد العزيز الاهواني أن تكتب لان المعدود هم الشعراء الجاهليون(1) وهؤلاء الشعراء الستة الجاهليون هم : امرؤ القيس ، وعلقمة ، والنابغة وزهير وعنترة ، وطرفة ، وقد كان لأشعار الستة مكانة بارزة في برامج الدراسة الادبية في الاندلس ، فقد عني الاندلسيون عناية خاصة بدرسها وروايتها وتعاقبوا على شرحها ولا يكاد يخلو برنامج من ذكرها .

والمفهوم من عرض الزجالي أشعار الستة على شيخه ابن خيرة الشاطبي في يوم أنه عرض استظهار وحفظ . وفي هذا دلالة على حفظ الزجالي وقوة ملكته الادبية الواعية ، وهذا يذكرنا بجده الاعلى محمد بن سعيد الزجالي الذي كان " أحد عجائب الدنيا في قوة الحفظ ، يضرب بحفظه الامثلة ، على تصديق ما يؤثر من ذلك من مشهور الحفاظ من صدر هذه الامة" (2) وسنرى فيما بعد أن كتابه "ري الاوام " وما يشتمل عليه من أدب مشرقي ومغربي خير دليل يؤكد قوة حفظه وكثرة روايته .

لاذكر في ترجمة الزجالي للتاريخ الذي قرأ فيه على ابن خيرة الشاطبي ، ونحن نعرف أن ابن قطرال جد الزجالي الذي قدرنا أن حياته مرتبطة به ولي قضاء شاطبة مرتين : الأولى كانت من سنة 610 هـ الى سنة 622 هـ "(3) والثانية لا نعرف بدايتها وانما نعرف نهايتها سنة 636 هـ . (4) .

ونحن نستبعد أن تكون قراءته وعرضه أشعار الستة في شاطبة خلال فترة قضاء جده الاولى ، لأن نهاية هذه الفترة وهي سنة 622 هـ كان فيها الزجالي ابن خمس سنين ، وهي ليست سن القراءة وعرض اشعار الستة برغم ما رأيناه من قوة حفظه ونبوغه المبكر ، وحضوره مجالس العلماء في قرطبة سنة 625 هـ . ويبقى اذن أن تكون قراءته على الشيخ المذكور خلال تولي جده ابن قطرال قضاء شاطبة في المرة الثانية أي حوالي سنة 636 هـ وهى السنة التي ذكر الزجالي أنه كان فيها بشاطبة .

---

(1) برنامج ابن ابي الربيع : 270 .

(2) المقتبس 2 : 35 .

(3) الذيل والتكملة 8 : 3 .

(4) المصدر نفسه .

ومن الذين روى عنهم الزجالي بشاطبة أبو القاسم ابن أبي القاسم الشاطبي هكذا سماه في "ري الاوام" . وذكر مكان روايته عنه وزمانها ، وذلك في موضعين من السفر الاول من "ري الاوام" :

الموضع الاول في الباب الذي عقده للحديث عن الرزق إذ يقول : ولأبي القاسم ابن أبي القاسم الشاطبي ، أنشدنيها بشاطبة في مسجد ابن حجور ، في عام أربعة وثلاثين وستمائة :

يا رُبَّ فَطِينٍ يُرى ماشِياً	فِي الطِّينِ لا نعْلَ لَهُ مِنْ سِواهْ
وأبْلَهٍ فَوقَ مطا سَابِحٍ	يَخْطُو بِه فِيمَا يَرى مِنْ هَوَاهْ
كِلاَهُمَا (عِبْرة) (1) مُسْتَبْصِرٍ	ذَلِكَ مِنْ حَالٍ وذا مِنْ حُلاهْ
قَضَى بِهَا الرحْمنُ مِنْ قِسمةٍ	لاَ يُسْأَلُ الرحْمَنُ عَمَّا قَضَاهْ
"نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم" فاصِل (2)	وأيُّ فَصْلٍ (3) مثل قَسْمِ الإِلاَه (4)"

والموضع الثاني في ذكر الدنيا ونوائبها اذ يقول : " ولأبي القاسم ابن أبي القاسم الشاطبي ، أنشدنيها بمدينة شاطبة ، بمسجد ابن حجور ، في عام أربعة وثلاثين وستمائة :

أَلاَ إِنَّمَا الدنيا تَغُرُّ وتَخْتِلُ	وتُدْبِرُ بالمعْروفِ فِينا وتُقْبِلُ
كَأَنَّ المُنى فِيهَا "سَرابٌ بِقِيعَةٍ"	"إذا جَاءه" الظَّمئانُ أعْوزَ مَنْهَلُ (5)
فلَيْس أخُو التوفيق فيها سِوى الذي	عَصاها ولم يَحْفِلْ بها إذ تَخيَّلُ (6)"

ومما أنشد من شعره دون رواية في السفر الاول أيضا قوله :

رَدُّ الشبابِ وقَدْ مَضَى لسبيلهِ	أبْغَى وأمكَنُ من صَديقٍ مخلص(7)

كما أنشد من شعره في السفر الثاني من " ري الاوام " بدون رواية أيضا قوله في المجَبَّنَات التي أكثر الاندلسيون القول فيها :

---

(1) كلمة غير واضحة في الاصل ، ولعلها كما اثبتناه .

(2) في الاصل : فاضل ، وفي البيت تضمين للاية الكريمة : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم » الاية

(3) في الاصل : فاضل .

(4) ري الاوام 1 : 170 – 171 مخطوط س .

(5) في البيت تضمين للاية الكريمة : « كسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماء » الاية

(6) المصدر نفسه 1 : 193 . مخطوط س .

(7) المصدر نفسه 1 : 121 مخطوط س . وابغى افعل تفضيل بمعنى أمكن واقرب .

قوراءُ وارسَةُ الجلباب همْتُ بهَا فقيل : صِفهَا ومثِّلْها كمَا يجبُ
فقلْتُ والشّوقُ يَطْوِي نحوها رجُلاً كأنّها الشّمْس فيها البدر محتجب (1)

ونحن هنا أمام أديب من شعراء شاطبة المغمورين الذين طواهم الخمول وسحب عليهم أذيال الاهمال والنسيان ، ولولا أبو القاسم التجيبي الذي الحق ترجمته فيما ألحق من تراجم في نسخته من كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي لما عرفنا عنه شيئا على الاطلاق ، ولولا تلميذه الزجالي الذي روى بعض شعره لما عرفنا كذلك منه شيئا .

أما ترجمته الملحقة بالذيل والتكملة فهي ترجمة قصيرة ولكنها خير من العدم على كل حال ، ونوردها فيما يلي :

" محمد بن أحمد ابن أبي القاسم خلف ، شاطبي : أبو القاسم ، أديب من شعراء بلده ، لقيه أبو بكر بن مسدي ببلده شاطبة ، سنة عشرين وستمائة ، وأجازه جميع نثره ونظمه (2)" .

وفي العبارة الاخيرة بعض التباس سببه مرجع الضمير في قوله : واجازه ولكن المقصود فيما يبدو ان ابن أبي القاسم الشاطبي هو الذي أجاز ابن مسدي (3) .

ونحن نعتبر ابن أبي القاسم الشاطبي من أساتذة الزجالي وان لم يصرح هو بذلك ، بناء على قرائن الاحوال ، فهو من حيث السن في طبقة شيوخه كما أن لفظة : أنشدني التي استعملها مرتين في رواية شعره تعد من الفاظ الاخذ والتحمل ، ويخيل إلينا أن لهذا الشيخ والذي قبله أثرا قويا في ثقافة الزجالي وتربية ملكته الادبية ، وربما كان نظم ابن أبي القاسم الشاطبي الذي رأينا أمثلة منه هو النموذج الذي حاكاه ونحا نحوه أول معالجته نظم القريض ، وسوف نلحظ بعض التشابه في المنحى والمستوى بين نظم الزجالي ونظم ابن أبي القاسم الشاطبي .

وممن نحسب أن الزجالي أخذ عنه بوجه من وجوه الاخذ : الاستاذ أبو العباس أحمد بن يعلى الجزيري ، فقد ذكره في "باب في ذكر الناس" وروى بإنشاده قصيدة له في معنى أن المرء لا يسلم من نقد الناس مهما فعل وكيفما كان وهي

(1) ري الاوام 2 : 15 من مخطوط س وص 229 من مخطوط ع .
(2) الذيل والتكملة 5 : 627 .
(3) ترجمة ابن مسدى في نفح الطيب 2 :313 .

قصيدة تتألف من 23 بيتا أولها :

أرى الناس قد أغروا ببغي وغيبة ... وبغي إذا ما ميز الناس عاقل

وآخرها :

فليس ينجيه من القوم عاجل ... وليس ينجيه من القوم آجل

وهي قصيدة تنبئ عن تشاؤم صاحبها وسوء ظنه بناس زمنه وبلده ، وفيها دلالات اجتماعية طريفة ، وقد مهد الزجالي لذكرها بقوله : " انشد الاستاذ ابو العباس احمد بن يعلى الجزيري هذه القصيدة ، وهي مما يليق بهذا الموضع ، وليست من الشعر الجيد (1) " وحكمه عليها من أحكامه النقدية النادرة التي صادفناها في كتابه " ري الاوام " ، والمفهوم من نسبة " الجزيري " أن الاستاذ المذكور من الجزيرة الخضراء ، ولم نقف على ترجمته ، كما اننا لا نعرف أين لقيه الزجالي .

هذا كل ما أمكننا الوصول اليه عن دراسة الرجل وشيوخه في الاندلس ، وربما كنا نستطيع أن نعرف أكثر مما ذكرنا لو وصلت الينا الاجازة التي كتبها في سنة 682 هـ (2) بمدينة مراكش أي قبل وفاته باثني عشرة سنة ، وقد كتبها باستدعاء من قريبه ابن قطرال المراكشي كما ذكر في ترجمته عند ابن القاضي ومن المعروف أن الاجازات تعتبر مصادر وثيقة وأصيلة في معرفة دراسة المجيزين وثقافتهم لانهم يذكرون فيها أسماء الشيوخ والكتب ، وينصون أحيانا على مكان الاخذ وزمانه وكيفيته وما الى ذلك .

على أن ثقافة الزجالي ـ كما سنرى من دراسة " ري الاوام " ـ لم تقف عند هذا القدر المحدود من الشيوخ ، فكتابه ـ بما اشتمل عليه من اختيارات عديدة واستشهادات كثيرة ـ يشهد أنه رجع الى اصول مشرقية ومغربية متعددة ومتنوعة ، وقد أشار هو نفسه ـ في مقدمة كتابه ـ الى أنه استخرج قسما كبيرا مما تضمنه " من بطون الكتب " .

والجانب الطريف من ثقافة الزجالي ـ في رأينا ـ هو المامه الكبير بما يمكن تسميته بالثقافة العامية ، وعنايته الخاصة بما يعرف بالتراث الشعبي ، والتفاته الى أقوال العامة وما يدور على ألسنة الناس في الحياة

---

(1) ري الاوام 1 : 109 مخطوط س . ومن الغريب ورود هذه القصيدة منسوبة الى الوزير ابن ادريس (ت 1264 هـ) ديوانه (مخطوط) وذكريات مشاهير رجال المغرب 3 : 28 ـ 31 للاستاذ عبد الله كنون .

(2) درة الحجال 2 : 334 .

اليومية والشؤون العادية . وهذا الجانب كان - فيما نعلم - محل اهمال شديد ومحط ازدراء دائم من علمائنا التقليديين طوال تاريخنا الفكري ، وسوف نعرض لهذا الجانب من ثقافة الزجالي بزيادة تفصيل في فصل قادم ان شاء الله .

في مراكش :

لا نعرف - بالنص - متى ترك الزجالي مدينة شاطبة غير أننا نفترض أنه خرج منها مع جده أبي الحسن ابن قطرال الذي تخلى عن قضاء شاطبة لاسباب سياسية في الغالب وفَصَلَ عنها سنة 636 هـ كما يقول ابن عبد الملك المراكشي (1) . وذلك قبل جلاء المسلمين عنها سنة 645 هـ بتسع سنوات (2) ، ولا نعرف - بالنص أيضا - الى أين اتجه الزجالي بعد شاطبة ولكننا نفترض ايضا أن وجهته كانت الى مدينة مراكش بصحبة جده ابن قطرال . فأما جده فقد استقضى - بعد مقام قصير في مراكش - بمدينة سبتة ثم بمدينة فاس حوالي سنة 643 هـ . ثم بمدينة اغمات وريكة قرب مراكش وانتهى به المطاف الى خطة المناكح وقضاء النساء بمدينة مراكش حيث مات سنة 651 هـ وهو يتولى هذه الخطة (3) .

وأما سبطه الزجالي فيبدو أنه ألقى عصا التسيار بمراكش وأقام بها حتى وفاته سنة 694 هـ . ولسنا نعرف كيف اضطربت أو استقرت به الحال طوال المدة المديدة التي قضاها بمراكش ، وقد كانت هذه الفترة مليئة بتقلبات سياسية خطيرة ، وظروف اجتماعية صعبة صاحبتها أزمات اقتصادية شديدة (4) .

كما أننا لا نعرف شيئا عن حياته العملية في مراكش ، وهل سلك سبيل جده ابن قطرال الذي تقلب في وظائف القضاء والخطط الدينية والتعليمية حتى وفاته ، على نحو ما فعل خالاه : الفقيه القاضي أبو محمد ابن قطرال ، (5) والفقيه القاضي أبو عبد الله محمد ابن قطرال الذي تلبس بعقد الشروط في

---

(1) الذيل والتكملة 8 : 3 .

(2) انظر في تاريخ اجلاء المسلمين عن شاطبة : الحلة السيراء 2 : 303 والتكملة : 1 : 244 ، 334 .

(3) الذيل والتكملة 8 : 44 .

(4) تاريخ هذه الحقبة مذكور باسهاب في البيان المغرب 3 : 249 وما بعدها الى اخر الكتاب (القسم الخاص بتاريخ الموحدين).

(5) الذيل والتكملة 1 : 145 بتحقيقنا .

مدينة مراكش ، وولي قضاء مدينة فاس بعد والده أبي الحسن (1) ؟ أم أن ثقافته الادبية حالت بينه وبين الخطط الدينية ؟

لا نملك في هذا الصدد الا نصا واحدا ورد في السفر الثاني من كتابه" ربي الاوام " في سياق أمثال الخاصة التي تقال في زكاة الجاه ، وذلك اذ يقول عقب قصيدة لكشاجم في الموضوع : وللمؤلف في نحو ذلك الى عيسى بن الحاج في عام ثلاثة وأربعين وستمائة :

أمَّلْتُ جاهَكَ مذْ عامَيْنِ أنظرُ ما	يَكُونُ منْكَ واسْتَأنِي وأَنْتَظِر
وَلِي عَلَيكَ ثَنَاءٌ لو بِهِ نَسَمَتْ	رِيحُ الصَّبَا لتَصَابَى نَحوها البَشَرُ
وحُرُ مَدْحِيَ لو أنّي مدحتُ بِهِ	يَلَمْلَمًا سَالَ مِنْ صُخُورِهِ نَهَرُ
حَتّى إذا اتَّفَقَ الجُمْهُور أنّكَ ذو	أمْرٍ ونَهْيٍ على ما شِئْتَ تَقْتَدِرُ
نَبَا اعْتِنَاؤكَ عَنّي وازْدَرَى دُرَرِي	وَ كَانَ مَدْحِيَ غَرسًا مَالَهُ ثَمَرُ
قُلْ لِي فَدَيْتُكَ هَلْ عذرٌ فنقبلهُ	واللَّهِ مَالَكَ مِنْ عُذرٍ فَتَعْتَذِرُ
أدْبَرْتَ عَنّي وَحْدِي لا عَلَى سبب	وقَبْلُ أقْبَلْتَ لكِن قد مضى الخبَرُ
وَ اللّهِ ما وافَقَتْ فَضْلاً ولاَ كَرَمًا	بَصِيرَةٌ لَكَ فِي حَقّي ولاَ بَصَرُ
إِنّي عَتَبْتُ أبَا مُوسى عليك ولِي	عِلْمٌ بِأنَّكَ لاَ تُغْضِي فَتَغْتَفِرُ
فَدُم كَمَا أنْتَ وازْدَدْ فِي مُقاطعَتِي	وغُضَّ مِنّي فَإِنّي سَوفَ أصْطَبِرُ
فَلِلَّيَالِي ولِلْأيَّام مُضْطَرَبٌ	بِأَهْلِهَا فِيهِ لِلأَلْبَابِ مُعْتَبَرُ
وَ لَيْس يَبْقَى (أساس) (2) البناء إذا	جاءَتْ بَوائِقُ لاَ تُبْقِي وَلا تَذَرُ

فلم يبق إلا مدة قليلة وضربت عنقه ، ووخدت في بيداء البوار أينقه " (3) .

نستخلص من هذا النص أن الزجالي قصد هذا الممدوح الذي يسميه بأبي موسى عيسى ابن الحاج منذ سنة 641 ه مؤملا جاهه وسائلا رفده ، وأنه حبر في مدحه من القصائد الغر ما يماثل ريح الصبا رقة وعذوبة وما تلين له القلوب القاسية التي تشبه في قسوتها الجبال والصخور ، ونفهم من القصيدة أيضا أن الزجالي كان على صلة قديمة بممدوحه أبي موسى عيسى ابن الحاج . وأن هذا الممدوح كان معتنيا بمادحه ، مقبلا عليه . مستمعا الى درره ، فلما أصبح ذا منزلة كبيرة ومكانة خطيرة ، واتفق الجمهور على أنه ذو الامر والنهي وصاحب العقد والحل ، أزور عن صاحبه الزجالي وأدبر عنه بعد اقبال . وذهب ما

---

(1) (1) الذيل والتكملة 6 : 181 .

(2) بياض في الاصل ، وقد ملأناه بما نظن انه المقصود .

(3) ربي الاوام : 2/82 – 83 .مخطوط س . وص : 280 – 281 من مخطوط (ع) .

كان يعرفه من اعتنائه به واصغائه الى شعره وآثر عليه آخرين ، والزجالي يعاتب ممدوحه وصاحبه القديم عتاب من لا يرجو لشأنه صلاحا ، ولا لوده رجوعا أو صفاء فهو موقن أن صاحبه لا يغضي عن الهفوات ، ولا يغفر الزلات ، وعتابه عتاب مر ، فهو يسفه رأي صاحبه فيه ويقول أنه أعمى البصر والبصيرة في حقه ، ومعرفة قدره وفضله ، وهو صابر لما يلقى من مقاطعة صاحبه ، وغضه من قيمته وقيمة شعره ، وهو في الاخير يتوعده بتقلب الايام والدول ، وينذره وكأنه يدعو عليه - بنقض بنائه وزوال دولته ، ولا تخلو عبارته بعد القصيدة من شعور بالتشفي والانتقام واحساس بالطمأنينة لاستجابة دعائه وتحقق ما تنبأ به .

ونجد له بيتين يدعو فيهما على بعضهم بالويل والثبور ويستبطئ إجابة الدعاء فيه ، ولعلهما في أبي موسى هذا ، وهما :

وَ لَو أنَّنِي أَدعُو فَتُقْبَل دَعْوَتِي	لَقَدْ كُنْتُ أدْعُو بِالنَّهَارِ وبِاللَّيْل
على من أن قدر (1) عَسَى قَدر إِذا	جَرى يَنْتَحِيه بِالثُّبُور وبِالوَيْل(2)

كما وقفنا له أيضا على قطعة في التحذير من شر الشعراء والتخويف من هجائهم ، ونقدر أن الخطاب فيه موجه الى أبي موسى المذكور وهي :

ايَّاكَ والشُّعَراءَ حَاذِر شرَّهُم	فالشَّرُّ يحذَرُه ذَوو الأَلبابِ
مَا الرَّأيُ في قَومٍ إذا ما أُغْضِبُوا	غَضِبُوا عَلَى الأَنسَابِ والأَحْسَابِ
وَ تَنَاوَلُوا مَنْ عَقَّهُم بِقَوارِصٍ	أمْضَى وأنْفَذُ مِنْ شَبَا النَّشَّابِ
قَومٌ يَحُطُّونَ الثُّرَيَّا لا الثَّرى	ويُصَيِّرونَ الرُّؤسَ كَالأَذْنَابِ
وَوِقَايَةُ العِرضِ المَصُونِ أحَقُّ ما	يُعْنَى بِهِ دَأْبًا ذَوُو الآدَابِ
والنَّيْلُ مِنْهُمْ لَيْس يَبْقى مُدَّةً	وكَلامُهُمْ يَبْقى عَلى الأَحْقَابِ (3)

ويبدو أنه لم يلجأ الى ما لجأ اليه من عتاب مر وتعريض بالهجاء ورجوع الى الدعاء الا بعد ان نفد صبره ولم يسمع استعطافه ، ومنه قوله على ركاكته وانكساره :

نَظَرْتَ بِعَيْنِ السُّخْطِ فَألْبَسْتَ عَيْبَةً (4)
مِنَ العَيْبِ كَانَتْ قَبْلُ يَسْتُرُهَا الرِّضَى

(1) كذا في الاصل .
(2) ري الاوام : 1 : 31 مخطوط س .
(3) ري الاوام 1 : 138 مخطوط س .
(4) كذا في الاصل ، ولا يستقيم بها الوزن .

فَعَدْ للرِّضَى وانْظُرْ بِعَيْنٍ لَهُ تُصِبْ
وَهَبْ هَفْوَةً فِي الوَقْتِ رَعْيًا لِمَا مَضَى (1)

فمن أبو موسى عيسى ابن الحاج هذا الذي قصده الزجالي سنة 641 هـ وقال فيه هذه القصيدة سنة 643 هـ وقتل بعد هذا التاريخ بمدة قليلة ؟

لقد أنفقنا وقتا ليس بالقليل في البحث عنه بين مظان كتب التاريخ والتراجم فلم ننته الى نتيجة نطمئن اليها .

فهل يكون أبو موسى عيسى بن الحاج من بني الحاج القرطبيين الذين ولي ثلاثة منهم - حوالي هذا التاريخ - قضاء اشبيلية وغرناطة وسبتة (2) ؟ ولكن " ابن الحاج " في الاسم كما ذكره الزجالي لا يفيد كثيرا في تحديد الشخص ، لأن الذين يدعون بابن الحاج كثيرون في أعلام الاندلس والمغرب .

وعلى فرض ان القصيدة قيلت بمراكش فلربما كان ذلك الممدوح هو أبو موسى ابن عطوش الذي ولي الاشغال والشرطة واستخلف على الوزارة في عهد الرشيد الموحدي (630 هـ . 640 هـ) ثم أصبح وزير السعيد الموحدي (640هـ 646 هـ) وقتل مع السعيد في حركته الى تلمسان سنة 646 هـ (3) وأبو موسى هذا هو احد اخوة ثلاثة من شيوخ قبيلة كومية تقلبوا في وظائف الشرطة والاشغال والوزارة في أيام الرشيد والسعيد والمرتضي من الموحدين المتأخرين والآخران هما أبو زكرياء يحيى بن عطوش وأبو فارس عبد العزيز بن عطوش (4) .

وقد كان للادباء الاندلسيين الوافدين على مدينة مراكش في التاريخ المذكور صلة بأبي موسى ابن عطوش وأخيه ابي زكرياء ، يتقربون اليهما بالمديح ويستعينون بجاههما ونفوذهما على طلب المناصب ، وهذا قد يفيد سابق صلة لهما بالاندلس (5) .

---

(1) المصدر نفسه 2 : 54 مخطوط س وص 258 من المخطوط ع .
(2) انظر تراجمهم في التكملة 2 : 653 - 654 ، 662، 662 .
(3) أخباره في البيان المغرب - القسم الثالث في تاريخ الموحدين : 283 ، 329 ، 370 ، 387 - 388
(4) أخباره في البيان المغرب - القسم الثالث في تاريخ الموحدين : 458 .
(5) أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي : 130

ونريد أن نتساءل بعد هذا عن السر في اهمال ابي موسى ابن عطوش ، الزجالي شعره ـ على فرض أنه المقصود ـ ثم فشل الزجالي في مطلع نشاطه الادبي وانسحابه بعد ذلك من الحياة الادبية الرسمية اذا جاز التعبير .

ان المامنا بظروف هذه الفترة يشجعنا على تفسير هذا بما يلي :

1) كانت مدينة مراكش عاصمة الموحدين حين قدم اليها الزجالي حوالي سنة 640 هـ قد ادركها الهرم ولم تعد كما كانت أيام المنصور تستقبل العلماء والادباء بما يستحقون من عناية وتكريم ، وشغلت الاحداث السياسية والازمات الاقتصادية كبراء الدولة عن العلم والادب واهلهما ، وكانت صورة المغرب يومئذ في نظر الاندلسيين كما يقول ابن عميرة المخزومي ـ الذي عاش فيه فترة من هذه الحقبة ـ في بعض رسائله متحدثا عن نفسه وعن شاعر أندلسي يدعى ابا عبد الله بن خالص : "ثم طوحت بي وبه الطوائح ، وأياس من خير القليب الماتح والمائح ، ورمت به الاقدار هذا المغرب وعينه حمئة ، والواحد فيه تعتوره من الخطوب مئة(1) " وكما يقول أيضا من قصيدة :

والمَغْرِبُ الأَقْصَى عَلَى غَسَقٍ بِهِ — وَافَاهُ مِنْكَ سَنَا الصَّبَاحِ المُسْفِرِ
كَلَمَتْهُ أَنْيَابُ الزَّمَانِ ومَا شَكَا — دَاءَ ابْنَ دَايَةَ غَيْرُ ظَهْرِ الأَدْبَرِ
وَالأَمْرُ فِيهِ قَدِ انْقَضَى إلاّ لَقىً — يَكْفِيهِ مِنْكَ تَنَاولٌ بِالخِنْصِرِ(2)

ومهما تكن البواعث السياسية وراء هذا الكلام فإنه يصلح ـ على كل حال .. في مجال الاستشهاد .

2) في هذه الظروف التي أشرنا اليها باختصار توافد على مدينة مراكش بسبب اجلاء المسلمين عن حواضر الاندلس عدد كبير من أهل العلم والادب المتشوفين الى المناصب والطامعين في التقرب الى السلطان والحظوة عنده ، وقد تجمع منهم في عهد الرشيد الموحدي ـ وسنوات حكمه سنوات عجاف .. عدد ضاقت به الحضرة ، فأسند الى بعضهم اشغالا في الاقاليم وانتقل بعضهم إلى الحفصيين في تونس كابن عميرة المخزومي وحازم القرطاجني ، وقنع آخرون بعيش الكفاف في بلاط الرشيد والقول في مناسبات

---

(1) المصدر نفسه : 133 .

(2) المصدر نفسه : 135

تافهة ، وفيمايلي قائمة أدباء بلاط الرشيد سنة 639 هـ ومعظمهم من الاندلسيين الوافدين :

أبو العلاء بن حسان .
أبو اسحاق المكادي .
أبو زكرياء الفازازي .
أبو عمران الفارازي .
أبو الحسن العشبي .
أبو محمد الحسن بن أبي الحسن القطان .
أبو عبد الله بن الخياط .
أبو علي بن حازم .
أبو يوسف حجاج بن حجاج .
أبو عبد الرحمن بن زغبوش .
أبو الحسن حازم بن حازم .
أبو محمد الطبيري .
أبو الحسن بن زنون .
أبو محمد بن غالب .
أبو الحجاج بن موسى .
أبو محمد العراقي .
أبو علي بن أبي ثلاثة
أبو عبد الله محمد بن يوسف المصانعي
أبو القاسم بن عمران .
أبو العباس بن هشام .
أبو الحسن الجياني (1) .

وكان نشاطهم الادبي قاصرا على القول في بعض المناسبات والموضوعات التي يقترحها الخليفة الرشيد كتذييل بيتين لابن الجوزي أنشدهما بحضرته رحالة مشرقي شريف يدعى المازندراني (2) .

---

(1) الذيل والتكملة 8 : 229 وما بعدها . وزواهر الفكر لابن المرابط : 116 – 121 (مخطوط الاسكوريال) .

(2) ترجمته وأخباره في الذيل والتكملة 8 : 226 (وما بعدها) ونفح الطيب 4 : 141 – 143 ورسائل ابن عميرة : 53 وما بعدها ، وزواهر الفكر : 116 .

3) كانت الصلات بين هؤلاء الادباء ـ كما يبدو مشوبة بالوان من النفاق والمنافسات والدسائس كالذي حدث لابن عميرة المخزومي حين أخرج من الكتابة في ديوان الرشيد فشكا ذلك في قصيدة خاطب بها صديقه أبا الحسن الرعيني فأجابه هذا بقصيدة يقول فيها :

أَعْزِزْ عَلَى الخُطَطِ الَّتِي بِكَ تَفْخُرُ هَا — أَنْ يَسْتَبِدَّ بِهَا عَلَيْكَ لَئِيمُ

تَعْساً لِأَقْلامِ الكِتَابَةِ لَيْتَهَا — لَمْ يَعْتَمِدْهَا البَرْيُ والتَّقْلِيمُ

لَهِجَتْ بِتَأْخِيرِ السَّبُوقِ وقَدَّمَتْ — مَنْ لا يَحِقُّ لِذَاتِهِ التَّقْدِيمُ

قَعَدَتْ وقامَتْ في اغْتِصَابِ حُقُوقِهِم — ومِنَ الحَسَادَةِ مُقْعِدٌ ومُقِيمُ

أَيَفُوتُ مِثْلَ أَبِي المُطَرِّفِ حَظُّهُ — ويَنَالُ قَومٌ بِالفَهَاهَةِ ذِيمُ (وا) (1)

ومثل ذلك أيضا ما وقع بين الشاعر الكاتب أبي جعفر أحمد بن طلحة الشفري وابن زغبوش ، فقد سعى هذا بالاول حتى ترك مراكش، وكان هذا موضوع مجاوبة شعرية بين ابن طلحة وابن عمران (2) ، ويفهم من قصيدة لابن عميرة المخزومي أن هذه الوشايات، والدسائس كانت على الخصوص فيما بين الاندلسيين الوافدين ، يقول ابن عميرة مخاطبا أبازكرياء ابن عطوش :

مَوْلايَ والشَّكْوى إِلَيْكَ لَهَا مدى — أَنَا فِيهِ إِن أَرْعَيْتَنِي سَمْعاً مُجِدْ

أُنْبِئْتُ بَعْض الوافِدِينَ وكُلُّهُمْ — هَمَجٌ أَتَى إِفْكاً بِمَا لا يَعْتَقِدْ

ولَوْ أَنَّهُمْ في رُتْبَةِ الحُسَّادِ لمْ — أُنْكِر وقُلْتُ سِوايَ قَبْلِي قد حُسِدْ

لكنهُم كَرِهوا الكَمَالَ لِنَقْصِهِمْ — كَالشَّمْسِ تكرهُ ضَوءهَا عَيْنُ الرمِدْ

وإذا نَفَى الفَضْلَ الأراذِلُ عَن فَتى — فَبِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ شاهِدُهُم شهدْ

حَالِي إِلَيْكَ رَفَعْتُهَا وعليْكَ أنْ — تَنْتَاشَهَا من كف دهْرٍ مُضْطَهَد (3)

ويصور ما كان بين الكتاب من دسائس فيقول من رسالة :

" فأما حملةُ أرقامه ، المتساقون بكاس علقمه ، فما أكثر ما سمعنا ان بعضهم على بعض عدا ، وقاده الى الهوان والردى ، ان ألفاه على الشط اغرقه أو وجده واهي الربط أوثقه ، ومتى رآه مستمسكا حطه ، وان مر به متنفسا غطه ، وحذروا لعابه وهو مما تمجه أفواههم ، وذكروا نحوله ومن منى بهم انحل ، **واسكنوه** معهم وجارهم عنه يرحل (4) " ونرى أن للنكبة الاندلسية أثرا في هذا المستوى

( ) أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي : 123 ــ 125 .

(2) ترجمة احمد بن طلحة الشقري في السفر الاول من الذيل والتكملة ق 1 ص 377 وما بعدها .

(3) أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي : 130

(4) المصدر نفسه : 131 .

المنحط الذي آلت اليه الاخلاق والقيم ، واذا كانت هذه هي الصلات فيما بين الكتاب والشعراء الاندلسيين فمن الطبيعي أن يكون الذي بينهم وبين المغاربة أشد مكرا ، وحين استكتب ابن الاحمر بغرناطة في هذا الوقت كاتبا من أهل فاس ثارت الاقلام الاندلسية وتجاوبت من مختلف الارجاء(1) .

وفي هذا الجو المسموم الذي صورنا جوانب منه حاول أبو يحيى الزجالي - بمروءته وبضاعته المزجاة - أن يلقي بدلوه بين الدلاء ، فلقي مالقي من إعراض وازورار واهمال ونسيان .

ومهما يكن من أمر فيبدو انه كان لهذه الحادثة أثر عميق في نفسه واتجاهه ، ولعلها كانت السبب في ميله الى حياة العزلة والوحدة ، ونزوعه الى الانقباض والقناعة يتحمل كل ذلك بصبر وإباء ، ويوثره على طرق أبواب الخلق كيفما كانوا ، وهو يرى أن الوقوف بباب من ينسب الى الفضل ويرجى منه الخير ذل مفرد ، وأن الوقوف بباب من لايرتجى خيره ذل مركب كما يقول :

وَمَا الذُّلُّ إلا في الوقُوفِ لِبابِ مَنْ ... تُرَجَّى لَهُ النُّعْمى ويُعْزى إلى الفضل
وَأمَّا وُقُوفٌ للّذي لَيْس يُرتَجَى ... فَخِزيٌ عَلَى خِزيٍ وذُلٌ على ذل (2)

على أن الصنف الاول كان في وقته من أعوز ما يرام كما يقول :

وَأعوز مِنْ كُلِّ شَيءٍ تَرو ... مُ وجُود كَريم وفِي سَخِي
وَ أقْبَحُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ تَرا ... هُ حَيَاةُ الفَقِيرِ ومَوتُ الغَنِي (3)

وفي بعض هؤلاء يقول :

بَادرتَ بِالوعْدِ ولَمْس السُّهَا ... أيْسَرُ مِنْ وَعْدكَ إنْجَازا
يَا مَنْ يَرى الوعْدَ مَجَازًا لَقَدْ ... أجَزْتَ شَيْئًا قَطُّ مَا جَازا (4)

وقد وصف الزجالي في ترجمته بأنه " كان كثير الانقباض والقناعة:" (5) ونحن نجد فيما بقي من نظمه مصداقا لهذا الوصف فهو يقول في القناعة والتوكل على الخالق الرزاق :

وَ مَا لذَّةُ الدُّنْيَا وَ طِيب نَعِيمها ... سِوى صِحَّةِ الجِسْمِ المُكَمل والامن
ويَومُك يَأتِي لا مَحَالةَ رِزْقُهُ ... يُكَيِّفُهُ رِزْقٌ مِنَ اللّهِ ذي المنّ (6)

---

(1) الذيل والتكملة 5 : 327 — 350 .
(2) درة الحجال 2 : 334 .
(3) ري الاوام 2 : 127 من مخطوط س وص 315 من مخطوط (ع) .
(4) المصدر نفسه 1 : 179 من مخطوط س .
(5) درة الحجال 2 : 334 .
(6) ري الاوام : 405 مخطوط ع .

ويقول أيضا ناظما حديثا نبويا معروفا :

يَا آمِناً فِي سِرْبِهِ	وَسَالِماً فِي جِسْمِهِ
وَمَنْ غَدا وَعِنْدَهُ	فِي الحِينِ قُوتُ يَوْمِهِ
أنْتَ كَمَنْ حِيزَتْ لَهُ	هَذِي الدُّنَا فِي سَهْمِهِ (1)

ونراه يلح على ذكر الامن وسؤاله ، وحق له ذلك ، فقد عاش في عصر الجلاء عن الاندلس وهو عصر تكاثرت فيه الاهوال ، وتزاحمت عليه الخطوب ، وعجت أيامه بالنكبات والمآسي ، كما أن مدينة مراكش التي استقر بها حوالي سنة 640 هـ حتى وفاته سنة 694 هـ كانت خلال هذه المدة نهبا للفتن ومسرحا للحصار والحروب بين الموحدين المتقاتلين على ارث الخلافة ثم بينهم وبين المرينيين الذين قضوا على دولتهم واتخذوا من مدينة فاس عاصمة لهم.

اما صبره على الشدائد واستسلامه لقضاء الله فيقول فيه :

كُلُّ شَيءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرْ	فَارِحْ نَفْسَكَ مِنْ كَدِّ الفِكَرْ
سَلِّم الأَمْرَ جَمِيعاً لِلَّذِي	حُكْمُهُ يَجْرِي عَلَى كُلِّ البَشَرْ
وَإذا نَابَكَ خَطْبٌ فَاصْطَبِرْ	فَلَكَمْ فِي الصَّبْرِ مِنْ حُسْنِ أثر
وَإذا حَاذَرْتَ أَمْراً مَرَّةً	وَهْوَ قَدْ قُدِّرَ لاَ يُنْجِي الحذَر (2)

وقد وسمت الحوادث نظمه أو ما بقي من نظمه بميسم الحكمة العادية حينا والعميقة حينا آخر ، وطَبَعَتْهُ بطابع العظة والعبرة والزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها كما يقول :

يَا صَاحِ إنَّ مَدى الأعْمَارِ مِضْمَارُ	نَسِيرُ فِيهِ كَنَاسٍ قَبْلَنَا سَارُوا
نَسْعَى إلَى غَايَةٍ بِالرَّغْمِ بِلُغُهَا	كُلُّ البَرِيَّةِ أبْرَارٌ وفُجَّارُ
يَعْتَادُنَا وَسَنٌ مِنْ غَفْلَةٍ وعَلَى	رُءوسِنَا رَسَنٌ لِلْحَبْلِ جَرَّارُ
هذِي الدُّنَا كُلُّهَا دَارُ الغُرُورِ فَلِم	تَغُرُّنَا مَعْ نُهَانَا هَذِهِ الدَّارُ
وَقَدْ عَلِمْنَا بِأَنَّا لا قَرارَ لَنَا	بِهَا ولا عِنْدَنَا بِالْعِلْمِ إقْرارُ
لاَ سُرَّ فِيهَا الذِي يَنْأى بِصُرَّته (3)	يَوماً ولا كَانَ مَنْ للكِيس يختَارُ (4)
بَثُّ الصَّنَائِع والمَعْرُوف أجْدَرُ أنْ	يُعْنَى بِهِ النَّدبُ ، لاَ درٌّ وَلاَ دارُ

(1) المرضع نفسه .

(2) المصدر نفسه 2 : 139 من مخطوط س و ص 324 من مخطوط ع .

(3) في الاصل : بسرته .

(4) في الاصل : كاس .

إنَّ المَزِيةَ فِي التَّقْوى وفِي شِيَمٍ ... لِلْمَرْءِ مِنْ شَأْنِهَا بِرٌّ وإِيثَارُ
آثَارُ قَومٍ مَضَوا مِنْ قَبْلِنَا بَقِيَتْ ... كَذاكَ يَبْقى لَنا مِنْ بَعْدهِم آثَارُ
إن العِذارَ تَغَشَّى بِالمَشِيبِ إذَنْ ... لَمْ يَبْقَ لِلْمَرءِ فِي دنياه أعْذار (1)

وإذا كان الجلاء عن الاندلس وما انطوى عليه من ضياع الدير وفقدان الاموال والاملاك ولّد في بعض نفوس الاندلسيين ميلا الى التكالب على الدنيا والتهافت على حطامها وتعويض تالدها بطارفها فقد كانت نتيجة ذلك بالعكس عند الزجالي سليل البيت العريق ، اذ نراه في هذه القصيدة يذم البخل وأهله ويدعو على أصحاب الجمع والمنع والشح والحرص ، والحياة عنده لاتساوي شيئا اذا لم تكن قائمة على بث الصنيعة واسداء المعروف ، وهو يرى ـ كما في قصيدته ـ أن قيمة المرء في التزام التقوى والتخلق بالبر والايثار والبذل والتضحية وغيرها من الشيم الرفيعة .

ولا نسيء الظن بالرجل فنقول بأنه ينطق بلسان العجز ويسلك مسلك من لا حول له ولا طول ، فإن بساطة تعبيره وما عرف من سيرته تشهد له بالصدق والمروءة ، وهو بما إتفق له من حسب وعلم كان يستطيع لو شاء أن يطرق الابواب ويخطب المناصب . ولكن أبى له ذلك همة لاتحتمل منة كما يقول مفتخرا من قصيدة لم يصل الينا منها الا هذه الابيات :

وَ لَطَالَمَا فُتَ الوَرَى بِغَرِيزَةٍ ... سَلِمَتْ مِنَ التَّغْرِيرِ والتَّغْرِيرِ
مُتَحَمِّلاً أعْبَاءَ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... تُوهِي القُوى وتَئُودُ كُلَّ صَبِيرِ
لَكِنَّنِي مَعَ حَمْلِها لَم أستَجِزْ ... يَوماً تَحَمُّلَ مِنَّةٍ لِمُجِيرِ (2)

وهذا النظم على تكلفه وبرودته يفصح عن مذهب صاحبه في العزة والاباء ونحن لا نعرف ماهي الاعباء الثقيلة التي تحملها ، فهل هي أعباء الحياة الفردية الشخصية أم أنها أعباء الاهل والاولاد أيضا ، فأما الاولاد فلا نجد لهم ذكرا فيما وصل الينا من شعره ، وأما الزوج فما ندري مبلغ ما في هذين البيتين من الواقع :

تَجنيك شَيَّبَنِي فَاهْدئِي ... وَلاَ تَعْجَبِي مِن زوالِ الشَّبَابِ
وَ لاَ تَهْجُرِينِي فَأَنْتِ التِي ... جَنَيْتِ المَشِيبَ بطُولِ العِتَابِ(3)

---

(1) ري الاوام 1 : 98 199 من مخطوط س

(2) ري الاوام : 1 : 51 ـ 52 من مخطوط س .

(3) المصدر نفسه 1 : 205 من مخطوط س .

والغالب أن شعر الفقهاء ـ وهذا منه ـ لا ينطبق عليه ما ينطبق على شعر الشعراء في هذا الباب ، ولذلك فمن الممكن أن يكون الخطاب في البيتين لزوجه . على أن لص احبنا شعرا في الحب والشراب ، يبدو أنه مما قاله في أيام الشباب ، وقد وصل الينا منه قوله :

إِنَّ فِي الحُبِّ لَذَّةً نَغَّصَتْهَا ... ثُقَلاءُ الوَرَى عَلَى النُّبَلاءِ
فَقَا اللَّهُ عَيْنَ كُلِّ رَقِيبٍ ... وَ بَلَى كُلَّ مَنْ يَشِي بِبَلاءِ (1)

وقوله مشيرا الى عادة ومثل اندلسيين :

مَا إن شَكَكْتُ بِأَنَّ الخَمْرَ مُعوزةٌ ... لَمَّا رَأَيْتُ شَهِي النَّقْلِ قد سَبَقَا
مَنْ كَان يَزعُمُ أَنَّ النَّقْلَ طِيرَتُه ... قَبْلَ الشَّرابِ بِتَجرِيبٍ فَقَدْ صدقَا (2)

ومن نظمه الذي يشعر بأريحيته وعدم تزمته قوله أيضا في شهر رمضان مشيرا الى مثل اندلسي كذلك :

رَمَضَانُ فِيهِ بِلا امْتِراءٍ فَاعْلَمُوا ... مَرَضَان لِلْمُتَجَلِّدِ المَجْهُود :
مَرَضُ الطَّوى طُول النَّهَار ، وآخَرٌ ... بِقِيامِ لَيْلٍ لَيْسَ بِالْمَعْهُود (3)

وقد رأينا له بيتين سابقين في الشيب والشباب ، ويبدو أنه شغل بهذا الموضوع ونظم فيه كثيرا ومما بقي منه قوله حين شاخ وصار يعالج شيبه بالخضاب :

سِائِنِي كَرُّ الدَّهْر سَاجَ شَبِيبَتِي ... فَصَنْدلْتُ بِالْحِنَّاءِ عَاجَ مَشِيبِي
وَ كَان كَمِثْل المَقْص عُودي صلابَةً ... فَصَارَ كَمِثْل المَرْخِ غَيْر صَلِيبِ
أرانِي وَ قَدْ شَارفْتُ سَبْعِينَ حِجَّة ... مُشَارِفَ وِردٍ لِلْحِمَام قَريبِ (4)

وقوله :

عَجَباً مِنْ شَبِيبَتِي ومَشِيبِي ... وَ خِضَابِي أرِيدُ رَدَّ الشَّبَابِ
كَانَ سَاجاً فَآلَ عَاجاً فَلَمَّا ... آلَ عَاجاً صَنْدَلْتُه بِالخِضابِ (5)

---

(1) المصدر نفسه 2 : 126 ... مخطوط س وص 314 من مخطوط ع .

(2) المصدر نفسه 2 : 15 – 16 من مخطوط س وص 229 – 230 من مخطوط ع .

(3) ري الاوام 2 : 80 من مخطوط س وص 278 من مخطوط ع .

(4) المصدر نفسه 1 : 212 من مخطوط س .

(5) المصدر نفسه 1 : 214 من مخطوط س .

وفي هذه الابيات ما ينبئ عن بعض صفاته الجسمية ، ويفهم منها أنه كان متين الخلقة أزهر اللون كما كان جده ابن قطرال فيما وصفه به ابن عبد الملك (1) .

والشيب عنده يدعو الى التوبة والاقلاع عما يعذر فيه أيام الشباب كما يقول :

إن العِذارَ تَغَشَّى بِالْمَشِيبِ إذن	لَم يَبْقَ لِلْمرءِ فِي دُنْيَاه إعْذار (2)

وكما يقول :

لِمْ لا تُنِيبُ وقَد ألَمَّ نَذِيرُ	لِلشَّيْبِ يُؤْذِنُ أنَّهُ سَيَسِيرُ
أمَّا الشَّبَابُ فإنَّهُ عُذْرٌ وَمَا	لِلْمَرءِ مِنْ بَعْدِ المَشِيبِ عذير (3)

ويقول وقد جاوز الخمسين :

حلَّ المَشِيبُ محلَّ الشَّكِ من كتب	وأنْت مِن خَطْبِهِ مذ حلَّ لا تسلُ
هلاَّ جَعَلْتَ التُّقَى زادًا تَبلَّغُهُ	فَأنْتَ عَمَّا قَرِيبٍ ويكَ مر تحلُ
أبَعْد خَمْسِينَ عَامًا قَد مَضَت أربٌ	أو مَطْمَعٌ يَرتَجِيه المرءُ أو شغُلُ

ويبدو أنه أكثر من النظم في الزهديات في آخر عمره وإن كنا لم نقف له في هذا الباب إلا على قليل كقوله :

يَا ربِّ إنَّ ذُنُوبِي قَد أحَطْتَ بِهَا	عِلْمًا يَقِينًا وقَدْ أحْصَيْتَهَا عددًا
وَ قَدْ مَدَدْتُ يَدَ المُضْطَرِّ أضْرعُ يَا	ربِّي إلَيْكَ وبِالدُّنْيا فَتَحْتُ يدا(4)

وقوله :

قَنَطْتُ أيَّ قُنُوطِ	لأنَّ ذَنْبِي عَظِيمُ
ثُمَّ اعْتَمَدتُ عَلَى مَا	قَالَ العَزِيزُ الحَكِيمُ :
"نَبِّئْ عِبَادِيَ أنِّي	أنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ" (5)

وبعد فقد رأينا الزجالي ينعت في ترجمته عند ابن القاضي بأنه " الاديب الناظم الناثر" (6) .

---

(1) الذيل والتكملة 8 : 3 .
(2) ري الاوام 1 : 199 من مخطوط س .
(3) ري الاوام 1 : 207 من مخطوط س .
(4) درة الحجال 2 : 334 .
(5) ري الاوام : 405 من مخطوط ع .
(6) درة الحجال 2 : 334 .

أما نظمه فقد ذكرنا منه ما وقفنا عليه ، وهو كاف في تمثيله ، ويمكن القول في تقويمه أنه نظم عادي وسط أو كالوسط ، وهو في جملته لا ينحط كثيرا عن النظم العادي في عصره ، على أن مثل هذا النظم لا ينبغي - في نظرنا - ان تلتمس فيه الناحية الفنية أو الجمالية ، وإنما تكمن قيمته فيما له - احيانا - من دلالات تاريخية واجتماعية ، وحسبنا من نظم صاحبنا أنه أضاء لنا بعض الجوانب في حياته وسلوكه .

وأما نثره فإنه أضعف من نظمه ، ولا يوجد فيه ما يوجد في نظمه من فائدة أو دلالة ، وهو عبارة عن فقر مرصوصة وأسجاع مرصوفة كقوله في وصف الكاتب وهو لا يقصد كاتبا بعينه وإنما يقدم نموذجا انشائيا مصطنعا :

" حبر كبير ، وجهبذ نحرير ، له ذهن وقاد ، وطبع له الاحسان منقاد ، اذا كتب بقلمه ، خلب بحكمه :

وإنْ امَـرَّ (1) عَلَى رِقٍّ أَنَامِلَهُ   أَقَرَّ بِالرِّقِّ كُتَّابُ الأَنَامِ لَهُ

قد بهر بفطانته ، واستظهر بطبانته ، وفضح بمحاسنه ، ورجح على موازينه :

كَأَنَّ كَلامَ النَّاسِ جُمِّعَ عِنْدَهُ   فَيَأْخُذُ مِن أطْرافِه يَتَخَيَّرُ

معسول الاخلاق ، طيب الاعراق ، انفس من نفيس الاعلاق ، سني ذخائر الزمان نسيج وحده في عشرة الاخوان ، معدوم النظير ، منقطع القرين ، حسن الوفاء ، غير مشوب الصفاء (2) "

ويبدو أنه كان قصير النفس شديد الايجاز في الاخوانيات ، فقد وقفنا له في هذا الباب على الرقعة التالية :

كِتَابُكَ وافَانِي فَأَذْكَى تَشَوُّقِي   إِلَيْكَ وَأَشْجَانِي فَبِتُّ كَئِيبَا
تَذَكَّرْتُ عَهْدًا قَدْ مَضَى فَكَأَنَّمَا   قَدَحْتُ بِهِ بَيْنَ الضُّلُوعِ لَهِيبَا
فَأَمَّلْتُ لُقْيَا مِنْكَ تَسْرُو تَوَحُّشِي   فَفِي غَيْرِ أَهْلٍ قَدْ أَقَمْتُ غَرِيبَا

والسلام الاتم يعتمد سيدي والرحمة والبركة ، من مخلص وده ، والمثابر على شكره وحمده . الزجالي (3) " .

---

(1) في الاصل : أمر .

(2) ري الاوام ١ : ٢٣ - ٢٤ من مخطوط س .

(3) المصدر نفسه : ٤٠٥ من مخطوط ع .

ويشتمل كتابه " ربي الاوام " على فقر في الوصف يوردها في مختلف الابواب غير منسوبة ، ولا نستطيع الآن أن نميز بين ما هو له وبين ما هو لغيره ، وفي مقدمة كتابه نموذج طيب لنثره ، وهو نثر يتقيد بما يتقيد به النثر في عصره من صنعة .

وجملة القول في الزجالي الناظم الناثر أنه من الطبقة المتوسطة بالنسبة الى زمنه ومكانه .

وفاته :

رأينا ان ترجمة الزجالي في درة الحجال خلت من ذكر وفاته وإن نص فيها على أنه أجاز سنة 682 هـ كما رأينا الزجالي نفسه يذكر في بعض نظمه أنه شارف السبعين مع العلم أنه ولد سنة 617 هـ أو 618 هـ ، وهذا كله يجعلنا نطمئن إلى الوفاة التي أثبتها بعضهم في آخر السفر الثاني من " ربي الاوام " في الاصل الموجود بالخزانة الملكية بالرباط الذي نرمز له بحرف (م) والاصل الموجود بالخزانة العامة بالرباط ونرمز له بحرف (ع) وفيما يلي نص الوفاة :

" توفي مؤلف هذا الكتاب الفقيه الاجل أبو يحيى الزجالي رحمه الله ضحى يوم الخميس ثالث وعشرين من رجب الفرد عام أربعة وتسعين وست مائة بمدينة مراكش حرسها الله . كذا بخط من كتب من خط يده عفا الله عنه " .

وقد خلا الاصل الثالث الذي نرمز له بحرف (س) من هذه الوفاة ، وعلى هذا يكون الزجالي عاش 77 أو 76 سنة بعضها في الاندلس وبعضها الآخر وهو معضمها في المغرب .

أما العصر الذي عاش فيه الزجالي فكان - على الاجمال - عصر نكبات ومحن وفتن في الاندلس والمغرب ، فقد ولد وشمس الاندلس تؤذن بالغروب ، وذلك بعد وقيعة العقاب سنة 609 هـ بعشر سنوات ، وكانت هذه الوقيعة - التي لم يغلب فيها المسلمون من قلة عَدد أو عُدد وإنما من خذلان - هي " التي افضت الى خراب الاندلس بالدائرة على المسلمين فيها ، وكانت السبب الاقوى في تحيف الروم بلادها حتى استولت عليها (1) " .

ثم كان اختلاف الموحدين وتنازعهم في المغرب والاندلس سببا في ثورة الاندلسيين عليهم سنة 625 هـ وقامت بعد ذلك فترة طوائف قصيرة بدأها ابن هود في مرسية ، وقد حاول أن يجمع كلمة الاندلسيين ففشل ، ثم قام ابن

---

(1) التكملة 1 : 102 وانظر البيان المغرب ـ القسم الثالث في تاريخ الموحدين : 240 ـ 241

مردنيش في بلنسية ، وابن عصام في أوريولة ، وابن خطاب في مرسية وابن عيسى في شاطبة ، وابن الرميمي في المرية ، وابن زنون في مالقة ، والباجي في اشبيلية ، وابن محفوظ في لبلة ، وأبو عثمان القرشي في منورقة ، وابن الاحمر في غرناطة ، ودولة هذا هي التي بقيت منها ، أما الامارات الاخرى فلم تعش الا أشهرا أو سنوات معدودات تساقطت أثناءها فيما بين سنة 633 هـ وسنة 645 هـ مدن الاندلس وقواعدها كقرطبة وبلنسية وجيان وابذة وبياسة ولبلة واشبيلية وشقر وشاطبة وغيرها ، وفي كتب التاريخ والادب وصف مسهب للنكبات والمآسي التي جرها كل ذلك .

وأما المغرب ـ وإليه هاجر الزجالي وقسم كبير من الاندلسيين ـ فقد كان خلال هذه الحقبة يموج بالفتن ، وكانت مدينة مراكش ـ حيث قضى الزجالي شطرا كبيرا من عمره ـ ميدانا لصراع رهيب بين الموحدين أنفسهم ثم بينهم وبين المرينيين ، وكان من آثاره أن تغيرت معالم مدينة مراكش ، فاقفرت بعض ربوعها وأتى الخراب على كثير من أرجائها ، ثم انتقل منها السلطان بعد أن ظلت طوال أيام المرابطين والموحدين عاصمة للغرب الاسلامي كله .

وقد انعكست ملامح هذا العصر في حياة اعلامه ، ومنهم الزجالي الذي بدأ في الاندلس حياة لا تخلو ـ على علاتها ـ من ميراث العز والجاه ، ثم انتهى به الحال في مدينة مراكش الى حياة الانقباض والقناعة والعزلة والخمول .

الفصل الثاني

في كتاب
"ري الاوام"
الذي استخرجنا منه الامثال العامية

- نوعه .
- موضوعه ومنهجه .
- محتوياته .
- اختياراته .
- نسخه .

تمهيد

تزخر المكتبة العربية بنوع من المؤلفات تختلف في أسمائها وعناوينها وطريقة عرضها وتبويبها ، ولكنها تكاد تتفق في موضوعها العام ، ويمكن إدراجها من حيث التصنيف تحت اسم واحد عام هو : كتب المحاضرات ، وبعضها يسمى هكذا ، كمحاضرات الراغب الاصفهاني ومحاضرة الابرار لابن عربي على سبيل المثال .

وقد سمى بعضهم هذا النوع من المؤلفات بعلم المحاضرات كما يقول محمد بن قاسم بن يعقوب في مقدمة روض الأخيار ، المنتخب من ربيع الابرار للزمخشري : "لما كان علم المحاضرات علما نافعا في أنواع المحاورات ، وهو علم عال من العلوم العربية ، وفن فاخر من الفنون الادبية يحتاج إليه طوائف الانام ، ويرغب فيه العلماء العظام (1) ... "

وقد تنافس المؤلفون من المشرق والمغرب على اختلاف العصور في هذا الصنف من التأليف ، وتفننوا في تسمية مؤلفاتهم وتسمية أبوابها باسماء الجواهر والأزهار والرياض والحدائق، وما أشبه ذلك .

وربما كان من المفيد ونحن نمهد للحديث عن "ري الأوام" أن نشير بايجاز واقتضاب الى بعض ما ألف في هذا الموضوع بالاندلس .

فمن ذلك كتاب العقد لابن عبد ربه (ت 327) وشهرته تغني عن التعريف به ، وقد عده الصاحب بن عباد بضاعة مشرقية (2) . وهو قول لا يخلو من صدق ، إذ الكتاب من حيث المحتوى العام لا يكاد يختلف عما ألف قبله في المشرق كعيون الاخبار لابن قتيبة مثلا ، ولكن الجديد فيه هو في طريقة تبويبه ، وفي مادته الاندلسية - على قلتها النسبية - كالقسم الخاص بخلفاء بني أمية بالأندلس (3) ، وما ورد فيه من شعر مؤلفه (4) وشعر

---

(1) روض الاخيار: 2 .

(2) مقدمة العقد - و - ط لجنة التاليف .

(3) العقد الفريد 4 : 488 - 527 . ط . لجنة التاليف

(4) انظر فهرس الاشعار من فهارس العقد .

يحيى الغزال (1)، و عبد الله بن الشمر (2)، و عباس بن فرناس (3) ، وعبد الرحمان الداخل (4)، و الحكم الربضي (5). وهو يقول في ذلك: "وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر ، تجانس الاخبار في معانيها ، وتوافقها في مذاهبها ، وقرنت بها غرائب من شعري ، ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته ،وبلدنا على انقطاعه ، حظا من المنظوم والمنثور " . وقد اعتبره بعض المستشرقين "اكبر مظهر لتبعية الاندلس الفكرية للمشرق (6) . ولكن القوم لم يكونوا يومئذ يعرفون مصطلح "التبعية الفكرية" هذا وإنما كانوا يعرفون تراثا عربيا مشتركا يستوي في روايته ودراسته المشارقة والمغاربة ، ومن هنا بقي العقد مصدرا أصيلا في الأدب يرجع إليه الناس في المشرق والمغرب على حد سواء .

على أن قلة المادة الاندلسية حينا ، و عدم التكافؤ بينها وبين المادة المشرقية حينا آخر ، ظاهرة عامة في هذا النوع من المؤلفات الاندلسية ، وربما كان ذلك ـ فيما نحسب ـ راجعا الى أن أصحاب هذه المؤلفات كانوا يعتبرون آداب الصدر الأول وأخبارهم هي الأصل وما سواها فرع ، ويضاف إلى ذلك اعتمادهم في التأليف على النقل من المصادر الأولى .

وحين ننتقل من " العقد " إلى "بهجة المجالس ، و أنس المجالس" (7) للفقيه المحدث أبي عمر بن عبد البر (ت 463)ـ على اختلاف ما بين الكتابين في المنهج والأسلوب والهدف ـ فإننا سنجد الظاهرة نفسها بتفاوت يسير.

وصحيح أن في "بهجة المجالس" آثارا وأشعارا أندلسية ، منها ما هو للمؤلف نفسه (8) ، ومنها ما هو لغيره كيحيى الغزال (9) ، وابن عبد ربه (10)،

---

(1) العقد 3 : 58 ، 190 ، 217 ، 5 : 352 — 354 .
(2) العقد 4 : 493
(3) العقد 4 : 495
(4) العقد 4 : 488
(5) العقد : 4 492
(6) تاريخ الفكر الاندلسي : 172 .
(7) طبع هذا الكتاب في جزأين بتحقيق الاستاذ محمد موسى الخولي ومراجعة الدكتور عبد القادر القط (ط . دار الكتاب العربي) .
(8) 1 : 165 ، 243 ، 391 ، 525 ، 2 : 104 .
(9) 1 : 208 ، 254 ، 546 ، 2 : 42 ، 206 ، 228، 286 .
(10) 2 : 118 — 119 .

والرمادي (1) ، والكاتب أبي القاسم محمد ابن نصير (2) ، وابي عثمان العروضي الشذوني أو الشريشي (3) ، و ابن أبي حبيش (4) ، ومحمد بن مقيم (5) ومحمد بن عبد السلام الخشني (6) ، وادريس بن مقيم الاشبيلي (7) ، وابن الفرضي (8) ، والزبيدي (9) ، وعباس بن يحيى بن قزمان (10) ، والقرشي سعيد بن العاص المرواني (11) ، وعبد الله بن عبد العزيز بن ثعلبة اليعقوبي الشذوني (12) ، وبعض أهل عصره (13) ، وبعض شيوخه (14) . وصحيح أيضا أننا قد نعثر عند ابن عبد البر على شيء من الانتصار لأندلسيته كقوله بعد ان استشهد بقصيدة في وصف المرأة لصديقه الكاتب محمد بن نصير "وهذا الشعر من أحسن ما قاله متقدم أو متأخر في عموم وصف المرأة وأجمعه واطبعه إن شاء الله" (15) . إلا أن هذا كله لا يقارب ما في الكتاب من مختارات مشرقية .

وقد قصد ابن عبد البر في كتابه هذا الى التربية الدينية والخلقية ، وكان معيار اختياره مرتبطا بهذا الهدف ، وحين أورد قول المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفّة فلعلّة لا يظلم

وقوله :

ومن عرف الأيامَ معرفتي بها وبالناس روى رمحَه غير راحِم

---

(1) 2 : 15 .

(2) 1 : 52 ، 351 ، 352 ، 679 ، 818 ، 2 : 16 ، 254 .

(3) 1 : 243 ، 448 ، 521 ، 2 : 180 .

(4) 1 : 235 .

(5) 1 : 245 .

(6) 1 : 255 — 256 .

(7) 1 : 349 .

(8) 1 : 350 ، 380 — 381 .

(9) 1 : 673 ، 2 : 66 .

(10) 2 : 120 .

(11) 2 : 120 — 122 .

(12) 1 : 801 .

(13) 1 : 190 ، 235 — 236 ، 2 : 93 ، 105 .

(14) 1 : 547 .

(15) 2 : 16 — 17 .

عقب عليهما بقوله : "وهذه الأخلاق أخلاق الفساق ، ومن لم يتأدب بأدب القرآن ، ولا استن بسنن الاسلام في الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرأفة (1) .

ويصف تاويل الجاحظ لبيت من قصيدة "الطهوى" بأنه من "حماقات عمرو بن محبوب الجاحظ ومجونه (2)" ونجد مثل هذه النظرة إلى كتب الجاحظ عند فقيه أندلسي آخر (3) .

وبعد "بهجة المجالس" نذكر "الكتاب المظفري" وربما كان أكبر ما الف في المحاضرات بالاندلس ، ومؤلفه أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن مسلمة التجيبي أمير بطليوس الملقب بالمظفر والمعروف بابن الافطس (ت 460) وفيه وفي كتابه المفقود يقول ابن بسام : "كان المظفر اديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع ، وله التصنيف الرائق ، والتأليف الفائق ، المترجم بالتذكرة ، والمشتهر اسمه أيضا بالكتاب المظفري في خمسين مجلدا ، يشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ، ومثل وخبر وجميع ما يختص به علم الأدب ، أبقاه للناس خالدا (4)"

ونعد من هذه الكتب "سراج الملوك" لأبي بكر الطرطوشي (ت 520) فهو وإن قصد به وعظ الملوك وغيرهم من أولى الأمر إلا أنه أيضا كما يقول "جمال لمن تحلى به من أهل الآداب والمحاضرة ، وعنوان لمن فاوض به من أهل المجالسة والمذاكرة (5)" وفيه صور طريفة من الحياة الاندلسية، وحياة مؤلف الكتاب وتجاربه (6) .

ومما الف في هذا الباب أثناء القرن السادس بالاندلس كتاب "الذخائر الاعلاق ، في آداب النفوس ومكارم الأخلاق (7)" لأبي الحسن سلام بن عبد

---

(1) 1 : 366 .

(2) بهجة المجالس 2 : 177 .

(3) التكملة 2 : 622 .

(4) التكملة 1 : 393 . والمغرب 1 : 364 ، وفيه أن الكتاب نحو مائة مجلد .

(5) سراج الملوك : 5 (ط . المطبعة المحمودية التجارية).

(6) انظر الصفحات : 37 ، 39 ، 43 — 45 ، 58، 65 84 86 ، 101 ، 126 ، 211 ، 229 ، 231 237 ، 266 — 267 ، 280 ، 285 ، 309 ، 315 ، 320 ، 324 ، 330 — 331 ، 334 ، 337 — 339 ، 347 .

(7) مطبوع في المطبعة الوهبية 1298 هـ .

الله بن سلام الإشبيلي (1) (ت 544 هـ) وقد احسن فيه الانتقاء ، وأودعه جملة وافرة من شعره كما يقول ابن عبد الملك المراكشي (2) ، ويبدو أن هذا الكتاب بما يغلب عليه من طابع العظة والعبرة ، وعدم الاغترار بالدنيا ، هو نتيجة من نتائج نكبة المعتمد بن عباد ، وكان هذا الأديب ملحقا بديوان شعراء المعتمد ، كما كان أبوه من وزرائه (3) .

وكتاب "ريحان الألباب ، وريعان الشباب (4)" لأبي القاسم محمد بن إبراهيم ابن خيرة القرطبي المعروف بالمواعيني أو بابن المواعيني (5). (ت 564 هـ) وقد قسمه على سبع "مراتب" وكل "مرتبة" تتفرع إلى أبواب . ويبدو من استقراء مراتبه وتتبع ابوابه أنه معرض لثقافة الكاتب ولوازم الكتابة في عصر المؤلف . والمرتبة السابعة والأخيرة هي أطول مرتبة في الكتاب ، وهي "مرتبة اختيار الأشعار والأخبار ، وما يتعلق بها من مأثور الحديث والآثار" وقد لاحظنا أن المختارات الأندلسية ضئيلة في هذا الكتاب أيضا ، على أن فيه نبذة لا بأس بها من أخبار الأندلس حتى أيام المؤلف ، وله كتاب آخر غير هذا نحا فيه منحى أبي عمر ابن عبد البر في بهجة المجالس (6) .

وكتاب"روضة الأزهار ، وبهجة النفوس ونزهة الأبصار ، الجامع لفنون الآداب ، وسحر الألباب (7)" لأبي علي الحسن ابن خلف القرطبي الأموي المعروف بالخطيب (ت 602) وذكر ابن الأبار أن الناس في الأندلس استعملوا هذا الكتاب (8) .

وهو يشتمل على ثلاثين بابا من الأبواب التقليدية في هذا الموضوع ، وأكثر مادته مشرقية معروفة ، والاختيارات الأندلسية فيه نادرة .

---

(1) له ترجمته في المغرب 1 : 434 والذيل والتكملة 4 : 48 — 55 ، وورد ذكره في نفح الطيب : 6 : 65 وفهرسة ابن خير : 386 ، 417 ، 450 .

(2) الذيل والتكملة 4 : 49 .

(3) الذيل والتكملة 4 : 48 .

(4) توجد منه نسختان بالخزانة الملكية بالرباط ونسخة بمكتبة المجمع الملكي للتاريخ بمدريد ، واخرى بمكتبة خاصة في المغرب .

(5) له ترجمة في التكملة 2 : 515 والذيل والتكملة 6 : 33 والمغرب 1 : 242 .

(6) الذيل والتكملة : 6 : 35 .

(7) منه نسختان في الخزانة العامة بالرباط رقم 679 د ورقم 1264 ونسخة في الخزانة الملكية بالرباط رقم 2543 ونسخ آخرى آشار اليها بروكلمان « ملحق 1 : 596) .

(8) التكملة 1 : 264 .

وكتاب "ألف با ، للألبا" لأبي الحجاج يوسف البلوي المالقي (1) (ت 604) وهو كتاب تثقيفي ألفه لولده عبد الرحيم ، وقد "جمع أدبا كثيرا وتاريخا ومواعظ وغير ذلك (2)" وفيه ذكر لسبب تأليفه وموضوعه ومنهجه (3) . ومواده مرتبة على حروف المعجم ، وحظ الآداب الأندلسية فيه طيب ، ومن ذلك ما يتعلق برسالة ابن غرسية والردود عليها (4) ، وما يورده من ملح وأشعار له ولصديقه أبي محمد عبد الوهاب القيسي وغيره .

وظهر من هذه الكتب في القرن السابع كتاب "محاضرة الأبرار ، ومسامرة الأخيار ، في الأدبيات والنوادر والأخبار" للشيخ محيي الدين أبي بكر ابن العربي الحاتمي المرسي (ت 638 هـ) يقول في مقدمته : " أودعت في هذا الكتاب الذي سميته محاضرة الأبرار ، ومسامرة الأخيار ، ضروبا من الآداب ، وفنونا من المواعظ والأمثال والحكايات النادرة ، والأخبار السائرة ، وسير الأولين من الأنبياء صلوات الله عليهم- والأمم ، وأخبار ملوك العرب والعجم ومكارم الأخلاق ، وعجائب الاتفاق ، وما رويناه من الأحاديث في ابتداء هذا الأمر وإنشاء العالم وترتيبه ، وما أودعه الله من عجائب الصنع وبديع الحكمة ، وسردت فيه نبذا من الأنساب ، وفنونا من مكارم ذوي الأحساب ، وحكايات مضحكة مسلية ، ما لم تكن للدين مفسدة ، مما تستريح النفوس إليها عند إيرادها مما لا أجر فيه ولا وزر (5)" ، وقد اعتمد في تأليفه على مصادر مشرقية عديدة (6) كما اعتمد على بعض المصادر الأندلسية كروضة الأنس لأبي زيد السهيلي المالقي ، وهو من كتب المحاضرات الأندلسية أيضا (7) ، وصورة ابن عربي الأديب في الكتاب تتساوق مع صورة ابن عربي الصوفي وفيه جملة صالحة من الادب الاندلسي وكثير من كلام شيوخ التصوف

---

(1) ترجمته في التكملة رقم 2089 (ط مدريد) وصلة الصلة : 217 .
(2) صلة الصلة : 219 .
(3) ألف با : 1 : 58 – 59 .
(4) ألف با 1 : 350 وما بعدها .
(5) محاضرة الابرار 1 : 2 .
(6) 1 : 5 – 6 .
(7) 1 : 6 .

الاندلسيين كأبي مدين والموروري وأبي الحسن المسفر (1) ، وهو يورد فيه من الحكايات المضحكة أحيانا ما يتحرج في مثلها أهل التزمت كحكاية محتسب فاس مثلا (2) .

وقد استمر التاليف في فن المحاضرات حتى عصر غرناطة ، فألف فيه الكاتب الرئيس أبو عمرو عثمان بن أبي بكر يحيى المعروف بابن المرابط كتاب "طرف المجالسة ، وملح المؤانسة" وقد ذكر أثير الدين أبو حيان أنه رآه بغرناطة ، ونقل منه بعض ما رواه عنه الصفدي في الغيث المسجم (3) ، والكتاب مفقود واسمه يدل على اتجاهه .

كما ألف خلال هذا العصر الفقيه المعروف أبو بكر محمد بن عاصم القيسي الغرناطي (ت 829) كتابه المطبوع بفاس والمسمى "حدائق الأزاهر ، في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والنوادر" وقد عنى استاذنا الدكتور عبد العزيز الأهواني بتحقيق الحديقة الخامسة منه في أمثال العامة (4) .

ري الاوام :

وإلى هذا الضرب من المؤلفات ينتمي كتاب "ري الأوام" للزجالي ، يقول في مقدمته : "وبعد فهذا كتاب سميته بري الأوام ، ومرعى السوام ، في نكت الخواص والعوام ، جمعت فيه من إشارات القدماء ، وعبارات العلماء وعظات الفلاسفة الحكماء ، و توقيعات الملوك العظماء ، جملة يتمثل بها عند المحاضرة ، ويتجمل بها عند المناظرة ، ويسترسل بفنونها عند المحادثة والمذاكرة ، والمساجلة والمسامرة (5)" .

---

(1) 1 : 125 ، 145 ، 189 ، 199 ، 217 ، 242 ، 2 : 14 ، 79 ، 89 ، 148 ، 171 .

(2) 2 : 95 .

(3) الغيث المسجم 2 : 140 .

(4) نشرت في كتاب : الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين ، من ص 297 الى ص 364 .

(5) ري الاوام 1 : 1 ـ 2 مخطوط س .

وهذه المقدمة تفصح عن موضوع الكتاب والغرض من تأليفه ، والهدف الذي يرمي إليه مؤلفه . فالكتاب في جملته صورة لآداب المحاضرة والمسامرة كما تمثلها مؤلفه ، أو كما كانت بالفعل في عصره .

أما منهج المؤلف فيصفه في مقدمة كتابه قائلا :

"ونسقته على حروف المعجم ، وانهضته إلى الاسماع إنهاض المسرج الملجم ، وقسمته على قسمين ، و رميت في منزعه بسهمين :

فقسم أول تفاءلت فيه ببركة حديث النبي عليه السلام بدأت به تشريفا لوضعه ، وتطفيفا لنفعه ، وهذا القسم الأول ألفاظه معربة ، معسولة مستعذبة ، استخرجتها من بطون الكتب ، وفيها جملة وافرة من أمثال العرب ، وكلمات صدرت عن الصدر الأول من الكلام المنتخب ، اخترتها لجزالة (1) أغراضها ، وجلالة إيمائها إلى الحكمة وإيماضها .

والقسم الثاني كلمات لقفتها (2) من أفواه العوام ، وثقفتها من مشاجرات الرعاع والعظام (3) ، وهي كلمات هزلية ، حديثة أزلية ، نطق بها الناس على تعاقب الملوان (3 م) ، ونسبوا بعضها إلى الحيوان ، وقصدوا بها اتحاف السامع ، لتكون أولج في المسامع، ولو شئت أن اسوقها معربة، وعن معانيها معربة ، لكان ذلك بأسهل مرام ، وأيسر نقض وإبرام ، وإنما كان يذهب رونقها ، ولا يعجب مونقها ، فتركتها على وضعها ، لإحراز نفعها ، ولتكون أولج على الألسنة ، وأجزل لدى المحاورات المستحسنة ، ولصرف النفوس فيها من أزل ، لهزل ، ومن ضغط ، لبسط . ومن كثيف ، لضعيف . فقد قيل في التنقل :

لا يصلح النفس إذ كانت مصرفة إلا التنقل من حال إلى حال (4)"

والتنسيق على حروف المعجم الذي ذكره المؤلف لا نجده في الكتاب كله وإنما نجده في أكبر باب فيه ، وهو باب الأمثال ، كما أن نصه على أن الكتاب ينقسم إلى قسمين : قسم للأدب الفصيح المعرب ، وقسم للأدب الملحون الهزلي ، ليس مستقيما من حيث عدد الأبواب ، فالكتاب يشتمل

---

(1) في الاصل : بجزالة .
(2) في الاصل : لفقتها .
(3) كذا في الاصل ولعلها : والطغام (3 م) كذا في الاصل ، ولها وجه .
(4) ري الاوام 1 : 2 ـ 3 مخطوط س .

ـ كما عد في أوله ـ على 97 بابا لا يوجد الأدب العامي إلا في باب واحد منها وهو باب الأمثال ، على أن كلام المؤلف يكون مقبولا إذا عرفنا أن باب الأمثال يكون نصف الكتاب تقريبا . أما كلامه في القسم الثاني ومنهجه في جمع الأمثال و تدوينها ومحافظته على نقلها وروايتها كما سمعها فإنا نؤثر أن نرجيء القول فيه إلى الفصل التالي إن شاء الله .

يقول المؤلف إنه استخرج مادة القسم الأول من بطون الكتب ولكنه لم يذكر أسماء هذه الكتب كما صنع بعض المؤلفين في هذا الفن ، وقد أشار إلى اليتيمة (يتيمة الدهر) في أثناء كتابه (1) مما يشعر أنه رجع إليها ، كما أنه يقول في المقدمة : " وأنـا مقر بالقصور ، لأبي منصور ، وقد اعترفت ، أني من بحرة اغترفت (2) " وأبو منصور هو الثعالبي الذي كان لمؤلفاته شأن بالاندلس ، إذ انتقلت من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب في حياته ، يقول الحصري في زهر الآداب : " وأبو منصور هذا يعيش إلى وقتنا هذا . وهو فريد دهره ، وقريع عصره ونسيج وحده ، وله مصنفات في العلم والأدب ، تشهد له بأعلى الرتب (3)" وذكره الناقد ابن عبد الغفور الكلاعي الاشبيلي (من أعلام القرن السادس) ثاني اثنين شُغِل الاندلسيون بمؤلفاتهما ، والأول المعري ، وقال : "وكان أبو منصور الثعالبي حسن التأليف مطبوع التصنيف ، وتآليفه حسان المصادر والموارد (4) "ثم عدد واحدا وعشرين من كتبه المستعملة يومئذ بالاندلس ، وفي فهرسة ابن خير الاشبيلي (ت 575 هـ) ذكر لما رواه من مؤلفات الثعالبي عن شيوخه بالاندلس ، وقد أقبل الأندلسيون على تآليف الثعالبي يدرسونها ويعارضونها ، وكان من ذلك معارضة ابن بسام (ت 542 هـ) وأبي الصلت أمية بن أبي الصلت (ت 529 هـ) لليتيمة (6) ، ومعارضة ابن أبي الخصال (ت 540 هـ) وأبي الربيع الكلاعي (ت 634 هـ) وابن الأبار (ت 658 هـ) للمبهج (7) . أما الزجالي فيبدو أنه قصد إلى معارضة كتاب التمثيل والمحاضرة ، وهو من كتب الثعالبي التي كانت معروفة بالاندلس في القرن الخامس وما بعده (8) ، والتشابه ملحوظ

---

(1) ري الاوام 1 : 205 مخطوط س .
(2) المصدر نفسه 1 : 3 مخطوط س .
(3) زهر الاداب 1 : 127 ـ 128 .
(4) احكام صنعة الكلام : 232 .
(5) فهرسة ابن خير : 369 ـ 370 .
(6) مقدمة الذخيرة ، والمغرب 1 : 256 ـ 257 .
(7) فهرسة ابن خير : 386 وبرنامج الرعيني : 68 والذيل والتكملة 4 : 86 ، 6 : 99 ونفح الطيب 6 : 218 .
(8) احكام صنعة الكلام : 232 .

بين "التمثيل والمحاضرة " وبين "ربي الأوام" في الأبواب والعناية بتدوين امثال الخاصة والعامة وايراد الأبيات التي يتمثل بها إلا أن المنهج مختلف فالثعالبي رتب الأمثال حسب الموضوعات ، أما الزجالي فقد رتبها على الحروف الهجائية ، وعمله في نظرنا أقرب إلى الاحتذاء منه إلى المعارضة ، وهو يعترف بفضل الثعالبي وسبقه ، وقصوره عن اللحاق به ، والمهم في الموضوع أن الزجالي اتخذ من عمل الثعالبي في التمثيل والمحاضرة قدوة ، وكان هذا الكتاب من بواعث تأليف "ربي الأوام" وتدوين ما اشتمل عليه من امثال العوام في الأندلس .

محتويات الكتاب :

في أول الكتاب بعد المقدمة : "تنبيه على ما يحتوي عليه هذا الكتاب من الأبواب في الآداب وأنواع الحكم والوصايا" وقد عد المؤلف في هذا التنبيه أبواب الكتاب واسماءها ، وهي تبلغ 97 بابا ، ولكننا لاحظنا شيئا من الاختلاف بين الأبواب وعددها كما هي في هذا التنبيه وبينها كما وردت في الكتاب ، وثمة أيضا أبواب لم يُعَنْوَنْ لها ، وأبواب وقع فيها اضطراب وتداخل ، وذلك في جميع النسخ المعروفة من "ربي الأوام" وسنشير إلى سبب ذلك فيما بعد ، ولما كان الكتاب مخطوطا فقد رأينا أن نسرد أبوابه فيما يلي مشيرين إلى صفحات المخطوط س :

في الجاهلية والمولدين 235 ـ 240
ما يتمثل به من ذكر الحيوانات 240 ـ 241
باب يشتمل على ما يتمثل من
الأبيات المشهورة 241 ـ 245
جملة من النظم مما قيل في
البخلاء وطعامهم 245 ـ 249

وهنا ينتهي السفر الأول من "ري الأوام" حسب النسخة التي نرمز إليها بحرف س وهي التي نشير إلى صفحاتها هنا ، وهي متطابقة من حيث التجزئة مع النسخة التي نرمز إليها بحرف م أما النسخة التي نرمز إليها بحرف ع فهي تقع في مجلد واحد ويبدو أن عملية التجزئة في النسختين س م دعا إليها مراعاة حجم السفر العادي ، والمؤلف لم يشر في التنبيه الذي عقده في صدر كتابه لذكر ما يحتوي عليه الكتاب من الأبواب إلى أنه يقع في سفرين .

أما السفر الثاني فيشتمل على الأبواب التالية :
باب في ذكر الشمس والقمر والنجوم 8
باب في أمثال الخواص والعوام 8 ـ 206
باب فيما يتمثل به من الأبيات 206 ـ 216
باب في مصاريع الأبيات القائمة
بذواتها 216 ـ 234
أبيات مثلثة لابن دريد تليق أن يختم بها هذا الكتاب 234 ـ 238

وهناك أبواب عدها المؤلف في صدر كتابه ولم ترد في هذا السفر ، وهي كما عدها بعد باب الأمثال :

ذكر الحمام
في الحوائج
في ذكر الزيارة
في ذكر الجاه
في ذكر الخمول
في ذكر الشباب
في التسليم الى الله
في الولاية والعزل
في العدل

في العفاف
في شكر النعمة
في التيه بالولاية
في ذكر الشر
في ذكر الصنيعة
في ذكر الطبيب والمعلم.

وبعد باب ما يتمثل به من الابيات :

في ذكر العفو
في إفشاء السر
في ملاحظة العين
في ذكر الحرص
في ذكر الدهر
في الشكوى إلى الله
في ذكر البحر

ولم تقع الاشارة إلى باب مثلثات ابن دريد الذي ختم به الكتاب .

وباب الامثال هو أكبر أبواب الكتاب وأهمها ، وقد رتبه المؤلف على حروف الهجاء حسب الترتيب المغربي وهو يتفق في بدايته مع الترتيب المشرقي حتى حرف الزاي ثم يختلفان فيما بعد ذلك كما سنشرحه فيما بعد ، ومن هذا الباب استخرجنا أمثال العوام التي هي موضوع تحقيقنا ودراستنا ، وقد رأينا أن نرجىء الحديث عن هذا الباب إلى الفصل الخاص بتاريخ الأمثال في الاندلس وتطورها وتأثرها بغيرها وأثرها في غيرها .

اختيارات الكتاب :

يشتمل "ري الاوام" على قدر كبير من الاختيارات النثرية والشعرية التي تتخلل أبواب الكتاب . والمؤلف يوردها في مناسباتها ، معزوة إلى أصحابها تارة ، وغير معزوة تارة أخرى ، وربما كان ما نسبه إلى أصحابه من شعر أقل مما ذكره بدون نسبة . وأما النثر فكله غير منسوب إلا ما كان من أقوال نسبها لارسطاطاليس (1) وأفلاطون (2) ولسنا ندري هل نقلها مباشرة أو بواسطة .

---

(1) 1 : 12 ، 13 ، 25 ، 56 ، 57 ، 70 ، 71 ، 90 (مخطوط س) .
(2) 1 : 132 (مخطوط س) .

وفي هذا النثر طائفة "من إشارات القدماء ، وعبارات العلماء ، وعظات الفلاسفة الحكماء ، وتوقيعات الملوك العظماء (1)" كما يقول ، كما أن فيه مجموعة من عباراته وفقره ، وقد شذ مرة واحدة فنسب منها قطعة في وصف الكاتب إلى نفسه (2) ، وتمييز هذه النقول ، وردها إلى مصادرها ونسبتها إلى أصحابها مما سننهض به عند نشر الكتاب جميعه إن شاء الله تعالى .

وأما الشعر الذي يورده المؤلف، في مختلف المناسبات ويستشهد به في ثنايا الابواب والموضوعات فإنه عبارة عن أبيات ومقطعات ، أما القصائد فيه فنادرة ، وهو جميعه من قبيل ما يسمى بشعر المعاني ، ومعظمه مما يذكر في معرض التمثل ، وكثيرا ما يسترسل في ذكر الأبيات المبدوءة بكلمة واحدة كالأبيات المبدوءة بإذا (3) أو بليس (4) أو بمن الشرطية (5) ، وقد ساق من الاولى ما يزيد على ثلاثمائة بيت ، ونحن نعرف أنه مسبوق في هذا بعمل حمزة الاصفهاني وغيره إلا أن الأبيات التي تساق في هذا المجال تختلف باختلاف الازمنة والامكنة ، ولسنا ندري هل اعتمد الزجالي في جمع هذه الأبيات على الحفظ والذاكرة ، أم أنه كان يرجع إلى المصادر يجمعها حتى استوى له منها هذا القدر ، وعمله هذا على كل حال يدل على سعة اطلاعه وتبحره .

قلنا إن الشعر غير المنسوب في كتاب "ري الأوام" يكاد يكون أكثر من المنسوب ، ومع ذلك فإن الشعر المنسوب في الكتاب كثير ، وهو مقتطف من حديقة الشعر العربي في مختلف العصور حتى عصر المؤلف ، واختياره غير مقصور على شعر المشارقة ولا على شعر المغاربة كما صنع بعض من تقدمه من الاندلسيين وإنما يرد الاندلسي أو المغربي منه بجانب المشرقي بحسب الموضوع الواحد أو المعنى الواحد ، وقد تبين لنا بعد البحث أن الكتاب له فائدة في هذه الناحية أيضا ، فقد اشتمل على بعض الشعر المغربي والمشرقي أحيانا لم نقف عليه عند غيره .

وقد رأينا - للدلالة على قيمة الكتاب من هذه الناحية ، ولأن الكتاب مخطوط - أن ندرج هنا ثبتا للشعراء المشارقة وآخر للشعراء المغاربة

---

(1) 1 : 1 (مخطوط س) .
(2) 1 : 23 (مخطوط س) .
(3) 1 : 91 - 106 ، 2 : 210 - 216 (مخطوط س)
(4) 2 : 106 - 107 (مخطوط س) .
(5) 2 : 142 - 144 (مخطوط س) .

الوارد ذكرهم في الكتاب مشيرين إلى صفحات المخطوطة من س وفيما يلي أسماء الأولين وعدد المرات التي ذكروا فيها :

محمود الوراق 1 : 14 ، 197 ، 213
ابن العميد أبو الفضل 1 : 20 ، 191 ، 183 .
منصور الفقيه 1 : 31 ، 220 ، 2 : 25
ابن طاهر 1 : 32
أبو فراس 1 : 32 ، 67 ، 124 ، 136 ، 148 ، 149 ، 153 ، 156 ، 157 ، 190 .
المعري 1 : 34 ، 47 ، 57 ، 632 ، 202 ، 210 ، 226 ، 2 : 3 ، 7 ، 50 ، 55 ، 99 ، 147 ، 187 .
البستي 1 : 34 ، 80 ، 155 ، 179 ، 197 ، ـ 2 : 79 ، 152 ، 184 .
حبيب بن أوس 1 : 114 ، 147 ، 169 ، 198 ، 206 ـ 2 : 36 ، 158 ، 172 .
المتنبي 1 : 46 ، 48 ، 50 ، 54 ، 111 ، 125 ، 142 ، 144 ، 175 ، 180 ، 291 ، 198 ، 203 ، 212 ، 213 ، 220 ، 240 ـ 2 : 18 ، 42 ، 57 ، 589 ، 905 ، 93 ، 105 ، 113 ، 156 ، 169 ، 187 .
ابن الرومي 1 : 47 ، 138 ، 144 ، 149 ، 161 ، 183 ، 186 ، 205 ، ـ2 : 97 ، 148 .
حسان بن ثابت 1 : 68
علي بن أبي طالب 1 : 68
ابن سكرة 1 : 74
مهيار الديلمي 1 : 108 ، 123 .
علي بن الجهم الشامي 1 : 117 .
أبو دلف 1 : 118 .
ابن المعتز 1 : 123 ، 125 ، 194 ، 206 ، 211 ـ 2 : 5، 207
أبو العتاهية 1 ـ 124 ـ 2 : 208 .
عقيل بن أبي طالب 1 ـ 124 .
نفطويه 1 ـ 125 .
القاضي عبد الوهاب 1 ـ 128 ، 184 ـ 2 : 25 .
أبو محمد الخازن 1 ـ 138 ، 139 .
أبو الحسن الجرجاني 1 ـ 139 ، 166 (القاضي علي بن عبد العزيز)

اكثم بن صيفي 1 ـ 217 (قصيدة طويلة) .

علي بن جبلة 1 ـ 219

يحيى بن خالد 1 ـ 221

قس بن ساعدة 1 ـ 221 ، 222 ، 223 ، 224 ، 226 ، 2 : 726

أبو ذؤيب الهذلي 1 ـ 22 ـ 2 : 109

عدي بن زيد العبادي 1 ـ 224

أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب 1 ـ 229

الوزير المهلبي 1 ـ 230

أبو نواس 1 ـ 246

أبو بكر الخوارزمي 2 : 3

الحريري 2 : 11

الموصلي (إسحاق) 2 : 17

صالح بن عبد القدوس 2 ـ 29

أبو الأسود الدؤلي 2 : 30 ، 195

ابن دريد 2 ـ 61

حولة المغني 2 ـ 76

أبو الفياض كاتب سيف الدولة 2 ـ 77

الحسين بن علي المرورودي 2 : 86

التهامي 2 : 90

مالك بن أنس (الإمام) 2 : 92

سلم بن عمرو (الخاسر) 2 : 167

الحنظلية 2 : 203

سهل بن المرزبان 2 : 207

اما الشعراء الأندلسيون والمغاربة في الكتاب فهم :

أبو إسحاق بن خفاجة 1 : 35 ، 132 ، 208 ، 220 ،ـ 2 : 154

ابن الزقاق 1 : 46

ابن زيدون 1 : 47 ، 50

أبو عبد الله بن الحنّاط 1 : 46 ، 72

أبو عبد الله بن الحداد الوادياشي 1 : 54

ابن عبد ربه 1 : 58 ، 206

ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد

ابو بكر بن الصائغ	1 : 219
ابن أبي شتى	1 : 219
أبو محمد بن حزم	1 : 229
أبو جعفر بن عياش	2 : 6 ، 77
أبو بكر بن اللبانة	2 : 8
أبو علي بن حزم الظاهري	2 : 104
الأمير أبو زكرياء الميورقي	2 : 116
ابن خروف	2 : 118
الأمير أبو زكرياء صاحب تونس	2 : 130
الفقيه اللغوي أبو الحسن بن حريق البلنسي	2 : 146
الفقيه الحافظ المحدث أبو بكر محمد بن عبد العزيز السلاقي	2 : 191

وفي الكتابة أيضا نبذة لا بأس بها من نظم المؤلف وقد انتفعنا بها في دراسة حياته

نسبة الكتاب :

قلنا في أول هذا الفصل إننا لم نقف على ذكر "ري الأوام" في كتب الفهارس ومعاجم المؤلفين ، ولم نعثر على النقل عنه أو الاشارة إليه في المظان من المصادر الاندلسية والمغربية المعروفة ، كما أن ترجمة الزجالي في درة الحجال خلت من نسبة الكتاب إليه ، وليس معنى هذا أننا نريد أن نتشكك في نسبة الكتاب إلى صاحبه فإن المطابقة التامة بين الاسم في ديباجة الكتاب "ودرة الحجال" تصرفنا عن الشك ، ولكننا نريد أن نلتمس تفسيرا لعدم ذكره في المصادر التي رجعنا إليها .

ونجد هنا لدى المؤلف نصا نحسب أنه مفيد في تاريخ تأليف الكتاب ، وظروف تأليفه وسبب عدم ذكره في ترجمته ، وصورته التي بين أيدينا ، فهو يقول : "وعاقت الكبرة فكسلت ، عن تكميل ما فيه استرسلت ، فبقى عطلا من التبويب ، صفرا من الترتيب ، ولعل الله يتيح له من السماء ، من لا يقصر في وضعه عن الغاية في الانشاء ، فما شرعت فيه إلا وقد أوفى النذير ، وذوى الغصن النضير (1)" .

(1) ري الاوام 1 : 3 (مخطوط س) .

وواضح من هذا الكلام ان الزجالي الف كتابه على الكبر ، وانه لم يخرجه للناس في حياته ، وأغلب الظن أنه مات دون أن يكمل ترتيبه وتبويبه على النحو الذي كان يريد ، ومعنى هذا أن "ري الأوام" تركه صاحبه أوراقا مسودة إلى أن جاء من أخرجه وانتسخه بعد وفاته ، ومن حسن الظن أن البون لم يكن بعيدا بين وفاة الزجالي وانتساخ كتابه ، فقد كانت وفاة الزجالي كما رأينا سنة 694 هـ وأقدم نسخة معروفة من الكتاب فرغ من انتساخها سنة 705 هـ ، على أن من سوء الحظ انه لم يتح للكتاب من لا يقصر عن الغاية في الانشاء والترتيب والتبويب كما تمنى مؤلفه ، وقد كنا نحمد وصول الكتاب إلينا على صورته الاصلية وكما تركه مؤلفه لو أن من أخرجه واستنسخه أول الأمر لم يهمل شأن ترتيب بعض الأوراق الأصلية قبل انتساخها ، وقد أهمل مخرج الكتاب وضع عناوين بعض الأبواب مع أن المؤلف ذكرها في التنبيه الذي عقده لذكر محتويات الكتاب ، والخطب في هذا سهل يمكن تداركه ، وقد استطعنا أن نحدد أين تبدأ بعض الأبواب التي تركت بدون عنوان في داخل الكتاب ، ولكن الإهمال الذي يصعب تداركه هو التداخل والاندماج الذي نجده في بعض الأبواب والذي نفسره بعدم التنبه إلى ترتيب الأوراق قبل نسخها ، ومن حسن الحظ أن هذا التداخل لم يقع في باب الأمثال لأنها مرتبة على حروف الهجاء وإن لم يخل هذا الباب من بعض مظاهر الخلل التي سنبينها عند الكلام على مجموعة الأمثال في الفصل التالي بحول الله .

وفي النسخ التي وصلت إلينا من الكتاب ألوان من البياض والتحريف والتصحيف لا مجال لشرحها هنا ، ويمكن أن يكون بعضها بسبب خط المؤلف وصعوبة قراءته مثلا على أن معظمها - فيما نقدر - ناشىء من جهل النساخ بما ينسخون .

نسخ الكتاب :

المعروف من نسخ "ري الأوام" ثلاث :

أقدمها انتساخا وأحدثها ظهورا نسخة الخزانة الملكية بالرباط ، فقد ظهرت في المدة الأخيرة أثناء فهرسة هذه الخزانة الغنية وتصنيفها ، وهي نسخة تامة في سفرين بخط أندلسي جميل ، ومسطرتها 21 وفرغ من انتساخها غرة جمادى الثانية سنة 705 هـ ، أي بعد وفاة مؤلف الكتاب بنحو عشر سنوات وهي مسجلة تحت عدد 1632 ، وقد أُتيح لنا الاطلاع عليها،

وأفدنا منها في المعارضة والمقابلة ما ذكرناه في الفروق المذكورة في نص الأمثال ، وهي على قدمها وعلم ناسخها لا تخلو من أخطاء ، ورمز هذه النسخة في النص (م) .

ونجد في عنوان السفر الأول من هذه النسخة ما نصه :

"السفر الأول من ري الأوام ، ومرعى السوام ، في نكت الخواص والعوام ، تأليف الشيخ الفقيه الكاتب العارف الأستاذ الجليل المقدس المرحوم أبي يحيى عبيد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبيد الله الزجالي رحمة الله عليه . روى وتملك هذا السفر صالح بن أحمد بن محمد بن عمرو بن حجاج اللخمي ."

ونقرأ في آخره ما يلي : "تم السفر الأول من كتاب ري الأوام ، ومرعى السوام ، في نكت الخواص والعوام بحمد الله تعالى ،وذلك في جمادى الأولى من عام خمسة وسبعمائة . "

أما السفر الثاني فعنوانه هكذا : "الثاني من كتاب ري الأوام ، ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام . تأليف أبي يحيى عبيد الله بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن محمد بن عبيد الله الزجالي رحمه الله ، رواية صالح بن أحمد بن حجاج عنه ."

وفي آخره : "كمل السفر الثاني من كتاب ري الأوام ، ومرعى السوام ، في نكت الخواص والعوام . وبكماله كمل جميع الكتاب بحمد الله تعالى وحسن عونه في الغرة من جمادى الثانية سنة خمس وسبعمائة . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما" :

أما صالح ابن حجاج راوي الكتاب عن مؤلفه ومتملك هذه النسخة فهو كاتب أندلسي معروف (1) ، كان كاتب العلامة للسلطان عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ملك المغرب (710 ـ 731) وقد حلاه أبو الوليد ابن الأحمر "بالفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى" (2) وذكر أنه يمت بنسب إلى زعيم اشبيلية إبراهيم بن حجاج (3) .

وأقدر أن أبا محمد صالح ابن حجاج هذا ـ مثل شيخه أبي يحيى الزجالي ـ كان من أبناء الجالية الاندلسية التي لجأت إلى مراكش بعد

---

(1) مستودع العلامة : 41 وروضة النسرين : 24 وحديقة النسرين :

(2) روضة النسرين : 41 .

(3) اخبار ابن حجاج مفصلة في المقتبس لابن حيان 3 : 11 وما بعدها ، والتعريف بابن خلدون : 5 وما بعدها ، وفي غيرهما من مصادر تاريخ الاندلس .

سقوط إشبيلية ، ولعله من قرابة عميد الأسرة الحجاجية الاشبيلية في مراكش أبي بكر ابن حجاج الذي استقضاه المعتضد ثم المرتضي من بني عبد المومن (1) ، والمفهوم من روايته ربي الأوام عن مؤلفه أنه اتصل به في مراكش وأخذ عنه ثم انتقل إلى فاس حيث عمل في البلاط المريني .

وبهذا تعتبر النسخة م أماً أو كالأم ، ولكنها مع ذلك لا تخلو من بعض مظاهر الخطأ والنقص والاضطراب الواقعة في بقية النسخ .

والثانية نسخة خاصة في ملك الاستاذ الفاضل السيد عبد السلام بن سودة ، وفي أولها ملكية بخط يده ذكر فيها أنها في نوبته بالهبة من جده لأمه ، وتاريخ الملكية عاشر رجب سنة 1339 هـ وتقع هذه النسخة أيضا في سفرين ، وخطهما مغربي حديث وانتهى من نسخها في خامس وعشرى صفر الخير عام 1283 هـ ، ومسطرة هذه النسخة 17 ، وعدد أوراق السفر الأول 125 ورقة ، أما السفر الثاني فيشتمل على 119 ورقة ، وفي هذه النسخة ما في النسخ الأخرى من أخطاء وبياضات . وقد تفضل صاحب هذه النسخة الأستاذ ابن سودة - جزاه الله خيرا - فأعارني إياها ، وهي التي أرمز إليها بحرف س .

أما النسخة الثالثة فهي نسخة الخزانة العامة بالرباط وهي أحدث مخطوطات الكتاب الثلاث نسخا وأقدمها ظهورا ، وقد كانت هي النسخة المعروفة لدى المعنيين بالمخطوطات ، ونجد وصفا لها ضمن قائمة المخطوطات التي امتلكتها الخزانة العامة بالرباط خلال سنة 1929 - 1930 ، وذكر في هذا الوصف أن الكتاب عبارة عن مختارات نثرية وشعرية ، وأشير فيه إلى اسم المؤلف ووفاته ، وقد وصف الكتاب وما احتوى عليه وصفا غير دقيق في هذه القائمة (2) ، وعليها اعتمد بروكلمان في الفقرة القصيرة التي أشار فيها إلى اسم المؤلف وتاريخ وفاته واسم الكتاب ومكان وجوده ورقمه (3) .

ثم وُصِفَتْ هذه النسخة وصفا أطول مما تقدم في فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح (4) .

---

(1) الذيل والتكملة 1 : 355 ، 6 : 6 (مخطوط) .

(2) مجلة هسبيريس ، المجلد 12 العدد 1 سنة 1931 ص : 116 .

(3) بروكلمان (ملحق 1 : 599) .

(4) 2 : 58 .

رقم هذه النسخة 985 د .
تقع في مجلد واحد .
عدد أوراقها : 203 .
مسطرتها : 19 .
مقياسها : 215 ـ 160 .
خطها : مغربي وسط .

وقد كمل نسخها في 5 صفر الخير عام 1323 هـ من نسخة فرغ منها في رابع وعشرى صفر الخير عام 1149 هـ وهذا يفيد أن ثمة نسخة رابعة من الكتاب كانت موجودة إلى عهد غير بعيد ولكن مصيرها الآن مجهول ، ولعلها في بعض المكتبات الخاصة . ونسخة الخزانة العامة هي التي نرمز إليها بحرف (ع) وهي مشكولة بالشكل التام ، ولكن تبين لنا أنه شكل لا ينبغي التعويل عليه ، ولذلك اعتمدنا في شكل الأمثال على الشكل القليل في النسختين م س ، وعلى معاجم العامية الاندلسية القديمة .

وقد وقفنا بمدينة تونس على اختصار مخطوط لكتاب "ري الأوام" ولم يذكر في أوله من اختصره ، ولم نهتد إلى صاحبه ، وباب الأمثال وهو أهم باب في الكتاب محذوف في هذا الاختصار أي أنه مما شمله الاختصار بل الحذف . وفي آخر هذا الاختصار أنه قيد في أواخر المحرم عام 1152 هـ وهو موجود بالمكتبة القومية التونسية ورقمه فيها 440 م .

ولهذا الاختصار الموجود في تونس دلالة خاصة ، وهي أن كتاب "ري الأوام" كتب له نصيب من الانتشار والاستعمال في بلدان المغرب على الأقل ، ولا سيما في القرن الثاني عشر الهجري وما بعده ، كما يدل على ذلك تاريخ الاختصار المذكور وتواريخ النسخ المعروفة من الكتاب .

الفصل الثالث

في

تاريخ الامثال في الاندلس

الأمثال الفصحى في الاندلس

تمهيد :

بدأ تدوين الأمثال العربية في القرن الأول الهجري ، ومن الرعيل الأول الذين تنسب إليهم كتب في الأمثال وأخبارها : عبيد بن شرية الجرهمي وعلاقة بن كُرْشُم (أو كرسم أو كريم) الكلابي ، وصحار بن العياش (أو العباس) العبدي ، وكتبهم مفقودة اليوم ، ويبدو أن بعضها ظل معروفا حتى آخر القرن الرابع ، والظاهر أنها كانت مدونات صغيرة ، وفي مجموعات الأمثال التي ألفت بعدها نقول منها .

وجاء بعد هؤلاء في القرن الثاني وأول الثالث طبقة من الرواة عنيت فيما بعد بجمع الأمثال وتدوينها ، وهم : الشرقي بن القطامي، وأبو عمرو ابن العلاء ، والمفضل، بن محمد الضبي، ويونس بن حبيب ، وأبو فيد مؤرج السدوسي ، والنضر بن شميل ، وأبو عمرو الشيباني ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد الأوسي والأصمعي ، ولم يصل إلينا من كتبهم في الأمثال إلا كتاب المفضل بن محمد الضبي وهو مطبوع (1) وكتاب أبي فيد مؤرج السدوسي وقد طبع مؤخرًا في الرياض (2) .

ثم كثر عدد الذين ألفوا في الأمثال خلال القرن الثالث فكان منهم : أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو الحسن علي بن حازم اللحياني ، وأبو عثمان سعدان بن المبارك الضرير، وأبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي، وأبو محمد عبد الله بن محمد التوزي، وأبو يوسف بن السكيت ومحمد بن حبيب، وأبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي، وأبو عكرمة عامر ابن إبراهيم الضبي ، والجاحظ ، وابن قتيبة ، والمفضل بن سلمة وغيرهم .

وقد انتهى إلينا من آثارهم في الأمثال : كتاب أبي عبيد أشهر كتب الأمثال القديمة ، وهو مطبوع ولكن طبعته المعروفة لا تمثل أصوله المخطوطة (2م) ، وكتاب أبي عكرمة وما يزال مخطوطا (3) ، ولا يحتوي إلا على

---

(1) طبع في مطبعة الجوائب سنة (1300) .
(2) طبع أخيرا في الرياض بتحقيق الدكتور احمد محمد الضبيب .
(2م) ذكر المستشرق الالماني زلهايم انه قام بتحقيقه واعداده للطبع .
(3) يوجد مخطوطا بدار الكتب المصرية وهو يشتمل على 111 مثلا او ما يجرى مجراه .

مجموعة صغيرة من الأمثال أو ما يجري مجراها ، وكتاب الفاخر للمفضل ، ويشتمل على 521 مثلا أو ما يجري مجراه ، وقد طبع مرتين .

وفي القرن الرابع ظهرت مجموعات كبرى في الأمثال ، ومنها كتاب الزاهر لأبي محمد بن الأنباري ، وقد نحا فيه منحى الفاخر للمفضل ابن سلمة ، وما يزال مخطوطا ، وكتاب حمزة الأصفهاني ، وهو فيما جاء من الأمثال على قولهم ، هو أفعل من كذا (1) . وكتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ، ويشتمل على ما يقرب من ألفي مثل .

أما في القرن الخامس فنجد الواحدي (2) - علي بن أحمد المتوفى سنة 468 هـ - يؤلف في الأمثال "البسيط" و "الوسيط" و "الوجيز" وقد انتهى إلينا منها الوسيط في نسخة بخط مشرقي محفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 102 ويبدو أنها النسخة الوحيدة المعروفة من هذا الكتاب ، ويذكر الواحدي في ديباجة "الوسيط" أنه "ألفه برسم المجلس السامي الأميني النجيبي الخطيري" وقد جعله في 29 بابا على حروف المعجم ويبدو أن الميداني الذي تلمذ للواحدي اعتمد على مؤلفاته المذكورة في الأمثال ولكنه لا يشير إليها على الإطلاق ولا نعرف سبب ذلك (3) . وفي هذا القرن أيضا ألف البيهقي كتابه : "غرر الامثال" الذي ما يزال مخطوطا .

واستمر التأليف في الأمثال إلى أن وصل إلى صورته الكاملة في المستقصى للزمخشري و مجمع الأمثال للميداني الذي يحتوي على ستة آلاف و نيف من الأمثال رجع الميداني في جمعها إلى أكثر من خمسين كتابا من كتب الأمثال التي دونها الأعلام السابقون مثل أبي عمرو بن العلاء والمفضل بن محمد وأبي فيد وأبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي والمفضل بن سلمة وغيرهم .

وقد دخلت هذه الكتب وغيرها الأندلس في عصور مختلفة وعني الأندلسيون بروايتها ودراستها ، وتسعفنا هنا كتب البرامج والطبقات الأندلسية في معرفة كتب الأمثال التي كانت مستعملة بالأندلس ورائجة فيها ، كما تفيدنا أحيانا في تاريخ انتقال هذه الكتب من المشرق إلى الأندلس وتحديد تاريخ دخولها ، ولعل أهم كتاب في هذا الباب هو فهرسة ابن خير

---

(1) حققه الاستاذ عبد المجيد قطامش ونال به « الماجستير » من كلية دار العلوم ، وقد تفضل فاهدانا نسخة من النص مكتوبة على الآلة الكاتبة . وطبع أخيرا بدار المعارف بمصر .

(2) انظر ترجمة الواحدي في وفيات الاعيان 3 : 303 (تحقيق الدكتور احسان عباس)

(3) مجمع الامثال 1 : 4

الإشبيلي (ت 575 هـ) الذي يعتبر أوفى مرجع يعتمد عليه في رصد حركة الكتب المروية بالأندلس و تتبع أسانيد روايتها المتصلة بمؤلفيها ، وقد ذكر ابن خير في فهرسته طائفة من كتب الأمثال المقروءة بالأندلس في زمنه وقبله ، ومنها :

- كتاب الأمثال لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري .
- كتاب الأمثال لعبد الملك بن غريب الأصمعي .
- كتاب الزاهر لابن الأنباري .
- كتاب أفعل من كذا لأبي علي البغدادي .

وكانت مما أدخله إلى الأندلس أبو علي البغدادي سنة 330 هـ (1) .

- كتاب المجلة في الأمثال لأبي عبيدة معمر بن المثنى .

وهو مما أدخله إلى الأندلس أبو بكر بن العربي (2) من رحلته المشرقية التي عاد منها سنة 493 هـ (3) ، ولا نستغرب تأخر دخول كتاب أبي عبيدة إلى الأندلس حتى هذا التاريخ ، فقد ذكر ابن بشكوال أن ابن العربي "قدم بلده إشبيلية بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق" (4) .

ومن كتب الأمثال التي كانت تدرس بالأندلس كتاب الأمثال للمفضل بن محمد الضبي (5) .

أما كتاب أبي عبيد في الأمثال فيبدو أنه دخل الأندلس أول مرة بواسطة وهب بن نافع الأسدي القرطبي (ت 273هـ)، جاء في تاريخ العلماء لابن الفرضي : " وذكر بعض الرواة أن وهب بن نافع أخذ كتب أبي عبيد ، عن علي بن ثابت وأبي جعفر محمد بن وهب المسعري وهو أول من أدخلها الأندلس ، و أول من أخذت عنه ، ثم أدخلها الخشني بعده " (6) . والرواية الثانية تنسب الأولية إلى محمد بن عبد السلام الخشني (ت 286 هـ) وكانت رحلته إلى المشرق قبل سنة 240 هـ (7) . ويستفاد من فهرسة ابن خير (8) وبرنامج ابن أبي

---

(1) فهرسة ابن خير : 340 ، 341 ، 353 ، 371 ط بيروت
(2) فهرسة ابن خير : 341 .
(3) انظر في رحلته : نفح الطيب 2 : 232 ـ 250
(4) صلة ابن بشكوال 2 : 558 .
(5) فهرسة ابن خير : 384 .
(6) تاريخ العلماء لابن الفرضي 2 : 160 .
(7) المصدر نفسه 2 : 16 .
(8) فهرسة ابن خير : 339 ـ 340 .

الربيع (1) أن رواية كتاب الأمثال لأبي عبيد انتشرت في الأندلس بطرق متعددة ، ويلاحظ أنها كلها ترجع إلى واسطتين : الاولى من طريق طاهر ابن عبد العزيز القرطبي (ت 405) الذي سمع الكتاب بمكة من علي بن عبد العزيز كاتب أبي عبيد ، ويوضح هذا ما جاء في تاريخ العلماء لابن الفرضي : "وسمع الناس من طاهر بن عبد العزيز كتب أبي عبيد والخشني باق" (2) أما الواسطة الثانية فكانت من طريق أبي علي البغدادي المشهور بالقالي (3) .

ونرى من تراجم الأندلسيين أنهم عنوا عناية خاصة برواية كتاب الأمثال لأبي عبيد ، ويبدو أنهم آثروه على غيره من كتب الأمثال ، وقرروه في مناهج الدراسة الأدبية ، ومن هنا نجد الكتاب يذكر في كثير من تراجمهم .

ومن مظاهر حظوة الكتاب في الأندلس ذلك الاهتمام البالغ بخدمته ، وهو اهتمام لم يظفر به الكتاب - فيما نحسب - حتى في المشرق نفسه وتتمثل خدمة الكتاب في صور مختلفة كالشرح والتعليق ، والتجريد والتتميم ، والاستخدام والتضمين ، والترتيب والتبويب .

وأول من عني من الأندلسيين بأمثال أبي عبيد هو أبو عبد الله محمد ابن عبد السلام الخشني القرطبي الذي رحل إلى المشرق قبل سنة 240 هـ ، ودخل البصرة ولقي بها اعلام مدرستها يومئذ كأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني وأبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي وأبي إسحاق إبراهيم ابن سفيان الزيادي ، و أخذ عنهم كثيرا من كتب اللغة برواية الأصمعي وغيره ، ثم قفل إلى الاندلس حاملا معه كثيرا من أصول اللغة والشعر الجاهلي بالاسانيد (4) .

وللخشني هذا تعليقات على كتاب الأمثال لأبي عبيد ، وقد وصلت

---

(1) برنامج ابن أبي الربيع : 269 في مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الاول - الجزء الثاني - نوفمبر 1955 .

(2) تاريخ العلماء 1 : 243 وترجمة طاهر بن عبد العزيز في طبقات الزبيدي : 297 وجذوة المقتبس 230 وبغية الملتمس : 313 وبغية الوعاة : 2 : 19 .

(3) فهرسة ابن خير : 340 .

(4) تاريخ العلماء 2 : 16 - 17 وترجمة الخشني أيضا في طبقات الزبيدي : 290 وجذوة المقتبس 63-65 وبغية الملتمس : 92-94 . والمغرب 2 : 54 وبغية الوعاة 1 : 127 ، 160 .

إلينا هذه التعليقات في حواشي نسخة مخطوطة من أمثال أبي عبيد توجد في مكتبة فيض الله بالآستانة ورقمها 1587 (1) .

وبعد الخشني جاء ابن عبد ربه (ت 327 هـ) فأدرج أمثال أبي عبيد في كتاب الجوهرة في الامثال من كتابه العقد الفريد (2) ، وذلك بعد أن جردها من الأخبار والآداب المتصلة بها ، وأضاف إليها طائفة من الأمثال التي لم ترد في كتاب أبي عبيد ، وبعض الأمثال التي جرت على السنة العامة في الأمصار العربية ، وفي هذا يقول : "ومن أمثال العرب مما روى أبو عبيد جردناها من الآداب التي أدخلها فيها أبو عبيد ، إذ كنا أفردنا للأدب والمواعظ كتابا غير هذا ، وضممنا إلى أمثلة العرب القديمة ما جرى على السنة العامة من الأمثال المستعملة ، وفسرنا من ذلك ما احتاج إلى التفسير (3) " .

وعمل ابن عبد ربه على هذا تجريد لأمثال أبي عبيد من جهة ، وتكميل لها من جهة أخرى ، وقد لاحظنا بالمقارنة بين أمثال أبي عبيد وبين أمثال العقد أن ابن عبد ربه تصرف في كتاب أبي عبيد بالتغيير البسيط في عناوين أبوابه الأصلية والفرعية كما اختصر أو حذف بعض هذه الأبواب ، ونذكر من ذلك على سبيل المثال أن أبا عبيد يعنون أحد الأبواب بقوله : "أمثال الجماعات من الأقوام وأنبائهم وحالاتهم " ويعنونه ابن عبد ربه هكذا : "أمثال الجماعات وحالاتهم من اجتماع الناس وتفرقهم (4)" . وقد ذهب ابن عبد ربه إلى تغليط أبي عبيد في فهم بعض الأمثال كما فعل عند ايراد المثل : "إن الجبان حتفه من فوقه . وهو من قول عمرو ابن أمامة :

لقد وجدتُ الموتَ قبلَ ذوقِه   إنَّ الجبانَ حتفُه من فوقِه

فقد قال أبو عبيد في شرحه : "أحسبه أراد أن حذره وتوقيه ليس بدافع عنه المنية (5)" . ويعقب ابن عبد ربه على هذا قائلا : "وهذا غلط من أبي عبيد عندي ، والمعنى فيه أنه وصف نفسه بالجبن ، وأنه وجد الموت قبل أن يذوقه ، وهذا من الجبن ، ثم قال : إن الجبان حتفه من فوقه . يريد أنه نظر إلى منيته كأنما تحوم على رأسه ، كما قال الله تبارك وتعالى في

---

(1) منها صورة في معهد المخطوطات بالجامعة العربية تحت رقم 63 ادب .
(2) يقع كتاب الجوهرة في الجزء الثالث من ص 63 الى ص 140 (ط. لجنة التاليف) .
(3) العقد 3 : 81 .
(4) المصدر نفسه : 99 .
(5) المصدر نفسه : 131 وفصل المقال : 347 .

المنافقين إذ وصفهم بالجبن : (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو) ، وكما قال جرير للاخطل يعيره ايقاع قيس بهم :

حملتْ عليكَ رجالُ قيس خيلَها شُعْثا عوابسَ تحمل الأبطالا
ما زلتَ تحسبُ كلّ شيء بعدَهمْ خيلا تكُرّ عليكُم و رجالا

ولو كان الأمر كما ذهب إليه أبو عبيد ما كان معناه يدخل في هذا الباب لأنه باب الجبان وما يذم من أخلاقه . وليس أخذ الحذر من الجبن في شيء لأن أخذ الحذر محمود ، وقد أمر الله تعالى به فقال : (خذوا حذركم) . والجبن مذموم من كل وجه (1)" .

وفي القرن الخامس الهجري قام أبو عبيد البكري (ت 487) بشرح أمثال أبي عبيد شرحا ضافيا أ سماه : "فصل المقال ، في شرح كتاب الأمثال" ، وهو يقول في مقدمته : "أما بعد : فإنني تصفحت كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام ، فرأيته قد أغفل تفسير كثير من تلك الأمثال فجاء بها مهملة ، وأعرض أيضا عن ذكر كثير من أخبارها فأوردها مرسلة ، فذكرت من تلك المعاني ما اشكل ، ووصلت من تلك الأمثال بأخبارها ما فصل ، وبينت ما أهمل . ونبهت على ما ربما أجمل ، إلى أبيات كثيرة غير منسوبة نسبتها ، وأمثال جمة غير مذكورة ذكرتها ، وألفاظ عدة من الغريب فسرتها (2)"

والبكري في هذا الكتاب وفي غيره نموذج رفيع للشخصية العلمية الاندلسية التي تعتد بنفسها وتباهي بعلمها ، وقد ألف كتابه في عصر تعددت فيه كتب الأمثال والأخبار ، وكثرت دواوين الأدب واللغة ، ووقع إليه كثير من أصولها ، فتيسر له أن ينهض بشرح أمثال أبي عبيد على ذلك النحو من التقصي والاستيعاب ، وقد سار البكري في شرحه على منهجه الذي قدره، يفسر المشكل ، ويفصل المجمل ، وينبه على أوهام أبي عبيد كما نبه على أوهام أبي علي القالي في الامالي ، وإوهام غيرهما في معجم ما استعجم . والمواضع التي ذهب فيها البكري إلى نقد أبي عبيد أو مخالفته كثيرة في الكتاب ، ومنها على سبيل المثال أن أبا عبيد فسر الدخن في الحديث المتمثل به "هدنة على دخن" . بأنه من الدخان وأنه على سبيل المثل والاستعارة ، فخالفه البكري قائلا :"الدخن ليس في معنى الدخان كما قال أبو عبيد ، وإنما الدخن فساد في القلب عن باقي عداوة ، وبهذا فسر حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا مدخل هنا لاستعارة الدخان (3)" . ويشرح أبو عبيد المثل : "سوء الاستمساك خير من

---

(1) العقد 131 – 132 . ويلاحظ ان البكرى لم يشر عند شرح المثال الى تعقيب ابن عبدربه .
(2) فصل المقال : 3 .
(3) فصل المقال : 8 – 9 .

حسن الصرعة" بقوله : "لأن يزل الانسان وهو عامل بوجه العمل ، وطريق الاحسان والصواب ، خير من أن تأتيه الاصابة وهو عامل بالاساءة والخرق" فيقول البكري : "تفسير أبي عبيد لا يقتضيه لفظ المثل ولا يصح عليه لأن الذي يعمل بوجه من العمل وطريق الاستحسان ليس سيء الاستمساك ، كما أن العامل بالاساءة والخرق ليس بحسن الصرعة (1) " ثم ينقل ما رواه ابو علي القالي وغيره في معنى المثل . وهو يحتد في نقده أحيانا ، ومثال ذلك أن أبا عبيد فسر المثل : "عند فلان من المال عائرة عين" بقوله : " ومعناه أنه من كثرته يملأ العين حتى يكاد يعورها أي يفقأها " فقال البكري : "عبارة أبي عبيد في تفسير هذا المثل فاسدة . قبح الله كل مال يكاد يفقأ العين حين النظر (2) " وحين ينقل أبو عبيد عن بعضهم أن البيت التالي :

فتىً كان يُدنيه الغنى من صديقه   إذا هو ما استغنى و يُبْعده الفَقْرُ

لعثمان بن عفان ، يقول البكري مستغربا : "كيف جهل أبو عبيد أن هذا البيت من شعر الابيرد اليربوعي ، وهو أشهر في الناس من أن يجهله أحد ، فكيف يجهله أحد الجلة من العلماء بفنون العلم (3)" .

ولا يتسع المجال هنا لتتبع نقد البكري في هذا الكتاب(4) ، وحسبنا ما ذكرناه مثالا ودليلا على مشاركة الاندلسيين في هذا اللون من تراث العربية . ويقول الدكتور عبد العزيز الاهواني أن البكري التزم في هذا الكتاب " كما التزم في شروحه الأخرى ألا يلتفت لبلده الاندلس ، ولا يستطرد إلى ذكر شيء من أمثالها أو ما يتصل بها (5)" وربما كان هذا فيما نرى راجعا إلى طبيعة هذه الشروح "الكلاسيكية" وإلا فقد و جدناه فيما بقي من كتابه المسالك والممالك يذكر بعض أمثال المغرب وإفريقية كما سنرى فيما بعد .

وممن شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد من الاندلسيين أيضا أبو بكر محمد بن أغلب بن أبي الدوس المرسي (ت 511 هـ) أحد المؤدبين المعروفين في عصر الطوائف ، تجول كثيرا في جهات الاندلس والمغرب يعلم ويقرئ . وهو الذي

---

(1) فصل المقال : 197–98 .
(2) المصدر السابق : 227 .
(3) المصدر السابق : 235 .
(4) انظر صفحات : 65 ، 71 ، 79 ، 81 ، 115 ، 149 ، 269 ، 270 من فصل المقال .
(5) امثال العامة في الاندلس : 242 (في كتاب : الى طه حسين).

أدب ولدي المعتمد بن عباد : يزيد الملقب بالراضي وأخاه الفتح الملقب بالمامون ، وكان له اختصاص كبير بالنحوى اللغوي الاندلسي أبي الحجاج يوسف بن سليمان المشهور بالأعلم الشنتمري ، ويعتبر ابن أبي الدوس أنبغ تلاميذه (1) .

أما شرحه فيقول فيه ابن الأبار : "وألف في شرح الأمثال لأبي عبيد ما أفاد به (2) " ويقول ابن عبد الملك : "وله في شرح أمثال أبي عبيد كتاب مفيد (3) " ولا نعرف اليوم شيئا عن هذا الشرح ، ويبدو أن ابن أبي الدوس ألفه تلبية لرغبة المتأدبين به ، ولعله نهج فيه نهج أستاذه الاعلم الشنتمرى في شروحه المعروفة ، ولا شك أنه أطلع على شرح البكري وأفاد منه ، وقد يكون أضاف إليه بعض ما وجد لديه .

ثم جاء الشيخ الشهيد أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (4) (ت 634 هـ) فألف كتابه " نكتة الأمثال ، ونفثة السحر الحلال " وأبو الربيع الكلاعي هذا كان محور الحركة العلمية في شرق الاندلس خلال الثلث الأول من القرن السابع الهجري ،وقد تخرج به عدد من العلماء والكتاب الاعلام في القرن السابع كابن الابار وابن عميرة المخزومي وأبي الحسن الرعيني، يقول ابن عبد الملك : "وكان بقية الأكابر من أهل العلم بصقع الاندلس الشرقي ، حافظا للحديث مبرزا في نقده ، تام المعرفة بطرقه ، ضابطا لأحكام أسانيده ، ذاكرا لرجاله وتواريخهم وطبقاتهم ، ريان من الادب ، كاتبا بليغا شاعرا مجيدا خطيبا مصقعا ، خطب بجامع بلنسية في أوقات واستقضى وعرف بالفضل والعدالة في أحواله جمع ، ورحل الناس إليه متنافسين في الأخذ عنه ، وله مصنفات في الحديث والسير والآداب تدل على رسوخ قدمه في المعارف ، وبراعته فيما تولاه منها جودة انتقاء وإجادة إنشاء (5) " ثم ذكر أسماء هذه المصنفات ومنها "نكتة الأمثال ، ونفثة السحر الحلال " ، ووصفه بقوله : "بني فيه الكلام على التوشيح

---

(1) ترجمة ابن ابى الدوس في التكملة 1 : 412 والذيل والتكملة 6 : 50 (مخطوط) وبغية الوعاة 1 : 75 ومطمح الانفس : 63 – 64 .
(2) التكملة 1 : 412 .
(3) الذيل والتكملة 6 : 50 .
(4) ترجمة الكلاعي ومصادرها في الذيل والتكملة 4 : 83 – 95 .
(5) الذيل والتكملة 4 : 85 .

بما تضمنه كتاب أبو عبيد من أمثال العرب واضطرار الكلام إليها ، في مجلد لطيف (1) " .

وإذا كان عمل الخشني والبكري وابن أبي الدوس قد انصب على الجوانب اللغوية والاخبارية والادبية من كتاب أبي عبيد فإن عمل الكلاعي يختلف عن ذلك وينحو منحى آخر ، لقد كان هذا الشيخ معلما ومربيا بالقول والقدوة . ولذلك عمد إلى بعض الآثار الادبية المشرقية كخطبة الفصيح ، وملقى السبيل للمعري ، والمبهج للثعالبي ، فعارضها على نحو يجمع بين الادب والدين بل يجعل الأدب في خدمة الدين والاخلاق ، وكان الكلاعي خطيبا واعظا ولهذا غلب الاتجاه الخطابي الوعظي فيما وصل إلينا من إنشائه الادبي ككتاب " جهد النصيح وحظ المنيح ، من معارضة المعري في خطبة الفصيح " وكتاب " نكتة الأمثال ، ونفثة السحر الحلال " وينبغي أن نربط بين نزعة الحماسة الدينية البارزة في أعماله الأدبية وبين روح الجهاد التي كانت تستدعيها طبيعة الحياة في بلنسية يومئذ . والتي كان يحاول إثارتها في نفوس الناس بأساليب القول والعمل ، وقد ضرب في ذلك أروع الأمثلة حين استشهد مقبلا غير مدبر وهو يقود جماعات المسلمين في وقيعة أنيشة سنة 634 هـ يقول ابن عبد الملك : "وكان رحمه الله من أولى الحزم والجرأة والبسالة والاقدام والجزالة وثبات الجأش والشهامة ويمن النقيبة ، يحضر الغزوات ، ويباشر بنفسه القتال ، ويبلى فيه البلاء الحسن ، وآخرها الغزاة التي استشهد فيها بالكائنة على المسلمين بظاهر أنيشة عمل بلنسية على نحو سبعة أميال منها ، حضرها وحرض المسلمين ، وقد اختلوا ، على قتال عدوهم ورغبهم في مكافحته ، ولم يزل متقدما أمام الصفوف زاحفا إلى الكفار مقبلا على العدو غير مدبر ينادي المنهزمين : أعن الجنة تفرون ؟ حتى قتل صابرا محتسبا (2) " .

بنى أبو الربيع كتابه " نكتة الأمثال" على كتاب أبي عبيد وسار فيه محاذيا أبوابه ، ومضمنا أمثاله ، خلال فقر من إنشائه تلتزم السجع من حيث الشكل ، وتتوخى العظة والنصح من حيث الموضوع ، وتقع أمثال أبي عبيد من كلامه موقعها الذي يوضح مضربها ويبين مغزاها ، وقد شرح أبو الربيع منهجه في مقدمة الكتاب فقال : "هذا كتاب قصدت فيه قصد التذكرة المتلوة بلسان الحقيقة ، المجلوة على منصة البيان في أجمل

---

(1) الذيل والتكملة 4 : 86 .
(2) المصدر السابق 4 : 89.

المناظر البديعة وأبهى الصور الأنيقة، مكللة المقاطع والاجزاء بما يجل عن المثال ، من لآليء الأمثال ، متخللة الاثناء بما تضمنه منها كتاب أبي عبيد الساري مسرى الخيال ، في الآفاق والآجيال ، يشتمل على كثير من مكارم الأخلاق أحسن الاشتمال ، ويحمل على الجد والاعتدال ، في مرضاة ذي الاكرام والجلال ، ويدعو إلى خدمة العليم الخلاق بصالحات الاعمال ، والتجرد من أخلاق هذه الدار التي مالها من خلاق ولا فيها لموثر رينة من جمال (1) " . و نرى من هذا النموذج أنه يسلك سبيل السجع الطويل المرصع أي ما يعرف عند المحدثين باسم السجع الداخلي .

وبعد أن يسأل الاغضاء عما قد يدل عليه اسم الكتاب "نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال" من اغترار به وإعجاب يقول : "وسترى يا من قيد شوارد العلم بأوثق قيد ، وكان على ذكر من كتاب أبي عبيد ، أني مشيت على نسق اتصاله مشي المعد لسهم النقد ، واستوفيت متفرقات أمثاله استيفاء الناظم للآليء العقد ، إلا أن تدعو ضرورة حسن التنظيم ، إلى بعض التأخير والتقديم ، فأصير إلى ما تقتضيه ، وأعمل على شاكلة ما تنفذه وتمضيه ، وقد وضعت لك في عرض الكتاب ، ما اشتمل عليه تأليف أبي عبيد من جوامع الأبواب ، ليسهل عليك أن تقف على حقيقة دعواي ، وتعرف صحة منتسبي إلى الصدق ومنتماي ، وربما تصرفت في بعضها تصرف المدل ، وتخللت كلمها أو تعقبتها بزيادة ألفاظ بها نهض الكلام منهض المستقل ، وذلك ضروري في الاستعمال ، وبين احافظي الأمثال ، ثم إن التفرقة بين هذه الأمثال وبين سائر الكلام ، مبينة في هذا الاعتمال من الكمال والتمام ، وذلك مصروف إلى ما يتيسر على الناقلين من المغايرة بالامدة أو الاقلام ، أو بغير ذلك من الوجوه التي يحصل بها للافهام ، مبتغى الافهام وملتمس الاعلام (2) " .

وهذا منهج واضح لا يحتاج إلى زيادة تفسير أو تبيين ، وقد لاحظنا أن ناسخ النسخة التي انتهت إلينا من هذا الكتاب لم يبرز أمثال أبي عبيد الواقعة خلال كلام الكلاعي بمداد مغاير أو قلم مخالف كما رغب المؤلف ، ولا يتسع المجال في هذا العرض التاريخي للأمثال الفصحى في الاندلس لدراسة كتاب "نكتة الامثال" دراسة مفصلة ، وسنكتفي بإيراد

---

(1) نكتة الامثال : 3 مصورة دار الكتب المصرية 18189 ز .
(2) نكتة الامثال : 3 .

نموذج منه يمثل أسلوبه وطريقة تضمينه للامثال ، يقول الكلاعي : "أيها الفليل المنكسر ، والذليل المتسأسر ، حل جنبات الطاعة فإن البغاث بأرضها يستنسر ، وإذا ولجت بابها ، وحللت جنابها ، وعلقت موفقا أسبابها ، فألق عصا تسيارك مخيما ، وأبشر بمقتضى اختيارك محكما ومحتكما ، تمرد مارد وعز الأبلق ، ولم يبق لخيفة إليك متسلق ، الاخيفة من الاحرار له عبيد ، والشهد لمن خالفه هبيد ، فاستشعر من هذه الجهة وحدها شعار العبودية والخوف ، فإنه لاحر بوادي عوف (1) " .
وقد ضمن هذه الفقرة ثلاثة أمثال يحتوي عليها "باب الرجل العزيز المنيع الذي يعز به الذليل " من الباب الأصلي الثالث في كتاب أبي عبيد وهي حسب ترتيبها فيه :

إن البُغاث بأرضنا يَسْتنسِر
لا حُرَّ بوادي عَوْف
تمرَّدَ ماردٌ وعزَّ الأبلق (2)

وقد اضطر فيها كما نرى إلى بعض التقديم والتأخير كما تصرف في بعضها بشيء من التغيير .

ومجمل القول في نكتة الأمثال أنه عمل أدبي يهدف إلى ناحيتين : إحداهما تعليمية قصد بها تربية الملكة الأدبية لدى المتأدبين بواسطة مثال إنشائي يمكن النسج على منواله ، وتفهم الأمثال من خلاله ، والثانية تربوية تخاطب الوجدان الديني وتحث على مكارم الاخلاق .

وآخر من عني من الاندلسيين بأمثال أبي عبيد ـ فيما نعرف ـ النحوي اللغوي الاديب أبو الحكم مالك بن المرحل المالقي (ت 699 هـ) (3) عرف بمنظوماته التعليمية التي نظم فيها كتاب الفصيح لثعلب وكتاب غريب القرآن لابن عزيز وغيرهما ، ولعل نزعته التعليمية هي التي دفعته إلى أن يرتب أمثال أبي عبيد على حروف المعجم (4) تقريبا للمتأدبين

---

(1) نكتة الامثال : 16 .
(2) فصل المقال : 115 ـ 116 .
(3) له ترجمة في بغية الوعاة 2 : 271 وجذوة الاقتباس : 223 .
(4) جذوة الاقتباس : 223 ، وامثال أبى عبيد التي طبعت في مطبعة الجوائب سنة 1302 ، مرتبة على الحروف ، ولعلها هذه التي رتبها ابن المرحل.

وتسهيلا على الدارسين ، ومن المعلوم أن أبا عبيد رتب أمثاله حسب الموضوعات (1) .

ومن كتب الأمثال العربية التي لقيت رواجا في الأندلس كتاب الزاهر في الأمثال لأبي بكر محمد بن الأنباري (ت 328هـ) فقد جلبه أبو علي القالي إلى الاندلس سنة 330هـ رواية له عن مؤلفه فرواه الاندلسيون عنه (2) . وروى الكتاب في الاندلس أيضا عن أبي عمر بن عبد البر عن أبي الفتح إبراهيم بن علي الكاتب الفارسي عن ابن الأنباري (3) . كما جلب الفقيه القرطبي أبو عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن الفخار (4) (ت 419) كتاب اختصار الزاهر في الأمثال لأبي القاسم الزجاجي (5) ، والكتابان كلاهما مخطوطان ، وقد ذكر أحد المعنيين بتحقيق التراث أنه ينوي نشرهما (6) .

وبعد فترة من دخول الزاهر واختصاره المشرقي إلى الاندلس تناوله أبو الوليد الباجي الفقيه الاندلسي المعروف (ت 473هـ) وهذبه في كتاب دعاه تهذيب الزاهر (7) ، وقام عالم قرطبي بوضع اختصار آخر له (8) ، وهو أبو بكر خطاب بن يوسف الماردي القرطبي (ت . بعد 540 هـ) وفيه يقول ابن عبد الملك : "كان من جلة النحاة ومحققيهم والمتقدمين في المعرفة بعلوم اللسان على الاطلاق (9) " وله مؤلفات في النحو منها كتاب التوشيح (10) الذي يرد ذكره كثيرا عند أبي حيان وابن هشام ، ولا نعرف شيئا عن تهذيب الزاهر للباجي ولا عن اختصار الزاهر لأبي بكر خطاب ابن يوسف .

ويبدو أن الأندلسيين لم يعرفوا كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة ، وهو أصل الزاهر لابن الأنباري ، ولعلهم اكتفوا بالزاهر لأنه أكثر بسطا وتفصيلا .

---

(1) خص المستشرق الالماني الاستاذ زلهايم كتاب الامثال لابي عبيد وشرحه للبكرى بفصلين كبيرين من كتابه : الامثال العربية القديمة ، وكنت وقفت على طبعته الالمانية في اثناء اعداد هذه الرسالة ثم ظهرت ترجمته العربية للدكتور رمضان عبد التواب في خلال طبع هذا القسم ، ومعظم ما ذكرته هنا في تقديمي الموجز لامثال أبي عبيد في الاندلس لا يوجد في الكتاب المذكور .

(2) فهرسة ابن خير : 341 .

(3) المصدر نفسه .

(4) له ترجمة في صلة ابن بشكوال 2 : 483-448 .

(5) فهرسة ابن خير : 341-342 .

(6) مقدمة الفاخر : س تحقيق عبد العليم الطحاوي

(7) المدارك 3-4 : 807 (ط بيروت) .

(8) فهرسة ابن خير : 342 .

(9) بغية الوعاة : 1 : 353 وترجمته ايضا في التكملة 1 : 291 .

(10) فهرسة ابن خير : 319 .

وهناك نوع آخر من كتب الأمثال روي بالاندلس وأسهم فيه الاندلسيون ، ونعني به الأمثال المستخرجة من القرآن والحديث والأمثال الكتابية ، وكانت منبعا من منابع الأمثال التي جرت على السنة الناس ، فمن كتب الأمثال المستخرجة من القرآن :

- كتاب الأمثال الكامنة في القرآن . استخراج الحسن بن الفضل (1) .
- كتاب الأمثال الكامنة في القرآن ، لأبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن إسحاق القضاعي (2) .

ومما روى بالأندلس من كتب أمثال الحديث :

- كتاب أمثال الحديث المروية عن رسول الله . تأليف القاضي أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (3) .
- كتاب الأمثال السائرة التي رويت عن النبي وغيره . تأليف أبي عروبة الحسين بن محمد ابن مودود الحراني (4) .
- كتاب الحكم والأمثال المروية عن رسول الله . تصنيف أبي أحمد العسكري (5) .
- كتاب الشهاب ، في الآداب والأمثال والمواعظ والحكم المروية عن رسول الله . تأليف أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي (6) .

وألف من الأندلسيين في هذا الباب أبو الحسن عقيل بن محمد الباجي كتابا سماه "الأمثال الكامنة في القرآن (7) " كما كانت لهم عناية بقراءة كتاب الشهاب للقضاعي وشروحه .

ولم يقتصر عمل الأندلسيين - في ميدان الأمثال الفصحى - على شرح المدونات القديمة منها أو اختصارها ، وإنما عنوا بالتأليف فيها أيضا فمن ذلك :

- كتاب حلية الكاتب ، وبغية الغالب ، في الأمثال السائرة ، والأشعار

---

(1) فهرسة ابن خير : 75 .
(2) المصدر نفسه .
(3) المصدر نفسه : 180 وبرنامج الرعيني : 46.
(4) فهرسة ابن خير : 176 .
(5) المصدر نفسه : 202 .
(6) المصدر نفسه : 182-185 .
(7) الذيل والتكملة 5 : 150 وترجمته ايضا في التكملة (رقم : 1945) وصلة الصلة : 159-160 .

النادرة لأبي عامر محمد بن أحمد بن عامر السالمي (ت 559) (1) .
- كتاب في الأمثال لأبي القاسم محمد بن إبراهيم بن خيرة المعروف بابن المواعيني (ت 570) (2) .

ولم يصل إلينا هذان الكتابان حتى نعرف طبيعة الأمثال فيهما ، ولعلهما جمعا بين الأمثال القديمة والأمثال المولدة .

واتجه بعضهم إلى نظم الأمثال كأبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري الكاتب الذي كان من وزراء الدولة العامرية ، فقد نظم قصيدة طويلة كتب بها إلى بنيه وأولها :

ألوى بعزم تجلُّدي وتصبُّري ‏ ‏ ‏ ‏ نأيُ الأحبَّةِ واعتيادُ تذكُّري

وهي قصيدة في الحكم والوصايا والأمثال ، ولم تصل إلينا كاملة ومنها أبيات في جذوة المقتبس للحميدي ويتيمة الدهر للثعالبي وقد أصبحت من الأدب التعليمي ، وعني بشرحها أبو الاصبغ ابن كراديس الذي كان بعد الأربعين وأربعمائة (3) .

ومنهم أبو عثمان سعيد بن ليون التجيبي (4) (ت 750) ذكر المقري أنه كان "من أكابر الأئمة الذين أفرغوا جهدهم في الزهد والعلم والنصح" وقد عرف بطريقته التعليمية التي تتمثل في اختصار الكتب المطولة ، ونظم الأمثال والحكم ، بأسلوب سهل يقرب معناها ويوضح مغزاها ، ومن مؤلفاته في نظم الأمثال والحكم :
- كتاب أنداء الديم ، في الوصايا والمواعظ والحكم .
كتاب الأبيات المهذبة ، في المعاني المقربة .
- كتاب نصائح الأحباب ، وصحائح الآداب .

ولقد لخصها المقري في نفح الطيب ، وجميع ما فيها من نظم صاحبها ، وموضوعها واحد وإن اختلفت عناوينها ، وهو صوغ الأمثال والحكم في نظم تعليمي بحيث يسهل حفظها ويعم نفعها ، ومعظم الأمثال التي اشتملت عليها هذه المجموعات الثلاث هي من قبيل الأمثال التي تلخص تجربة أو تمثل اتجاها معينا في آداب السلوك ، وقد سلك ابن ليون في اختيارها مسلك من يبتغي وعظ الناس وإسداء

---

(1) الذيل والتكملة 3:6 (مخطوط) وترجمة السالمي ايضا في التكملة 495:2 .
(2) التكملة 2 : 515 والذيل والتكملة 6 : 33 .
(3) الجذوة : 861 واليتيمة 1 : 437 وفهرست ابن خير : 410 والذيل والتكملة 5 : 500 .
(4) له ترجمة في الكتيبة الكامنة : 86-87 ونيل الابتهاج : 123-124 ونفح الطيب 8 : 57-115 .

النصح لهم ، ولم يحترم نصوص الأمثال ، فقد دعته ضرورة النظم والحرص على ايضاح المعنى إلى التصرف في ألفاظها وتراكيبها ، وهي تنتظم طائفة من الأمثال الفصيحة والمولدة والعامية التي لها صلة بالأخلاق والسلوك (1) ، فمن النوع الأول قوله :

هُنْ إذا عزّ أخوكا ... وَاخشَ أن يقرض فيكا
إنّ مَن عاند أقوى ... منهُ قد ضلّ سلوكا
نقصٌ عقلٍ أن تعادى ... بشراً لا يتقيكا (2)

فقد نظم هنا المثل القديم المعروف : إذا عز أخوك فهن (3) ... ومن النوع الثاني قوله :

العزُّ يَضحكُ ذلُّهُ ... مِن تيه سُلْطان الولاية
فإذا وليت فسرْ على ... نهْج الدّماثة والرّعايه
واقصِد مداراة الورى ... واحذَر كيودَ ذوي السّعاية (4)

وهذا نظم للمثل المولد : ذل العزل يضحك من تيه الولاية (5) .

وقد وجدناه ينظم عددا من الأمثال العامية التي كانت سائرة على السنة الناس في الأندلس وغيرها كقوله :

تبديلُ شخصٍ بشخصٍ ... خُسرانُ الاثنين جُمْلهْ
فاشدُدْ يديك على مَن ... عَرفتَ وارفَعْ محلّهْ
فإنّ قطعَ خليلٍ ... بعد التواصل زَلّهْ (6)

فقد نظم هنا مثلاعاميا أندلسيا ما يزال مسموعا إلى اليوم ، وصيغته عند الزجالي : من باع لحي بلحي ، خسرهم جميعا (7) . ورواه ابن عاصم بلفظ : من بدل لحية بأخرى ، خسر الاثنين (8) . وهذه الصيغة الاخيرة هي

---

(1) تحسن الاشارة هنا الى أن هذا الضرب من النظم التعليمي في أمثال الاخلاق **والسلوك** ـ وهو عريق في التراث العربي ـ كان له صداه في التراث الاسباني ـوالاوروبي على العموم ـ وأشير على سبيل المثال الى Proverbios morales التي الفها Santob de Carrion حوالي منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، والى Libro de los Proverbios morales De Alonso de Barros. التي ظهرت اولى طبعاتها سنة 1598م .

(2) نفح الطيب 8 : 96 .

(3) المثل وتخريجه في جمهرة الامثال 1 : 65 .

(4) نفح الطيب 8 : 102 .

(5) مجمع الامثال 1 : 286 .

(6) نفح الطيب 8 : 65 .

(7) المثل رقم 1397 في النص .

(8) المثل رقم 696 في مجموعة ابن عاصم .

التي نظم ابن ليون لأنها هي التي كانت مسموعة في عصره وهو عصر غرناطة ، وقد جرد المثل من حليته البيانية لأنه يقصد إلى التعليم وهو يقتضي الايضاح ومن ذلك قوله :

مَن عامل الناس بالانصاف شاركهُم في مالِهم وأحبُّوه بلا سببِ
إنصافكَ الناسَ عدلٌ لاتزالُ به تَعْلو إلى أنْ تُرى في أرفع الرّتبِ (1)

وهو نظم لمثل عامي أندلسي ما يزال يتمثل به :

انصف الناس وشاركهم في أموالهم (2) .

وقوله :

لا يكنْ عندكَ الخديمُ نديما إنّ قدْر الخَديم دونَ النّديمِ
مَنْ ينادمْ خديمَه يتأذّى ويصيرُ الخديمُ غيرَ خديمِ
إنّما يُصْلحُ الخديمَ ابتعادٌ واشتغالٌ بشأنِه المَعْلومِ (3)

ومداره على مثل عامي كان شائعا في الأندلس وما يزال مسموعا في المغرب وهو : الخديم ، لا يكون نديم (4) ... وقوله :

لا تقُلْ يوماً أنا فتُقاسي مِحَنا
مَن يُعظّم نفسَه يَلْقَ هونا و عَنا
شرّ ما ياتِي الفتى مدحَهُ لوْ فطِنا (5)

وهو شرح للمثل : من قال أنا ، وقع فالعنا (6) .

وقوله :

قَبّل يداً تعجزُ عن قطعِها ولنْ لمَن تخشى من اضْراره (7)

وهو توضيح للمثل : يدان لا تقدر تقطعهما قبلها (8) . ولا يتسع المجال

---

(1) نفح الطيب 8 : 93 .
(2) المثل رقم : 452 في النص .
(3) نفح الطيب 8 : 107 .
(4) المثل رقم 109 في النص . وقد ورد ايضا في مذكرات الامير عبد الله بن بلقين ص 203 .
(5) نفح الطيب 8 : 91 .
(6) المثل رقم 1279 في النص .
(7) نفح الطيب 8 : 86 .
(8) المثل رقم 2139 في النص .

هنا لتتبع الأمثال العامية في نظم ابن ليون ، وحسبنا ما ذكرناه أنموذجا منها (1) .

وثمة أيضا ضرب من الأمثال يعرف بالأمثال المخترعة أو المبتكرة، ألف فيه الأندلسيون على غرار ما صنع بعض الكتاب في المشرق كالثعالبي والميكالي وغيرهما ، وهو لون من الأمثال كان الكتاب يستخرجونه من بنات أفكارهم ، ويصوغونه في فقر مسجوعة ، مضاهاة للأمثال المروية السائرة ، وكان يدرج في كتب الأمثال وإن لم يظفر بالسيرورة التي هي طابع المثل و محكه الصادق ، وقد أورد الثعالبي طائفة من هذا اللون في التمثيل والمحاضرة .

وممن ألف فيه من الأندلسيين : أبو الفضل جعفر بن عبد الله بن شرف البرجي ، وأبو الربيع الكلاعي ، وأبو عبد الله بن الآبار . فأما ابن شرف (2) فقد عرف باتجاهه إلى معارضة كتب الأمثال والحكمة ، ومن أوضاعه في هذا المنحى : كتاب الزمان ، عارض به كتاب: كليلة ودمنة ، وكتاب عقيل وعليم (3). ونعته صاحب القلائد بالأديب الحكيم ، وذكر أن له " تصانيف في الحكم ألف منها ما ألف ، وتقدم فيها وما تخلف ، فمنها كتابه المسمى بسر البر ، ورجزه الملقب بنجح النصح وسواها (4) " ويبدو من نماذج حكمه أو أمثاله المخترعة أنها مبنية على أمثال كانت شائعة بين العامة في الأندلس ، ومن ذلك قوله :

"لتكن بقليلك ، اغبط منك بكثير غيرك ، فإن الحي برجليه وهما اثنتان ، أقوى من الميت على أقدام الحملة وهي ثمان (5)" .

---

(1) تنبهت خلال أعداد رسالتي هذه (1966-1969) الى أصداء الامثال الفصيحة والعامية في «منظومات» ابن ليون التجيبي ، وذكرت منها ماله صلة بأمثال الزجالي في القسم الثاني من هذه الرسالة ، وقد جنحت هنا - بحكم طبيعة العرض وحجم الرسالة - الى الاختصار على أن اتوسع في هذا الموضوع وغيره في دراسات مستقلة ، وفي خلال مراجعة التجارب الاخيرة لهذا القسم الاول الذي تأخر كثيرا في المطبعة أهداني - مشكورا - الاستاذ الكبير اميليو غرسية غومس دراسة له عنوانها :
Los PROVERBIOS RIMADOS DE BEN LOHON DE ALMERIA.
(AL-ANDALUS, 1972) وهي منشورة في العدد الاخير من مجلة الاندلس
Vol. XXXVII, FASC. 1)
وهذا البحث فصل من دراسة له تنشر تباعا بالمجلة المذكورة تحت عنوان :
HACIA UN «REFRANERO» ARABIGOANDALUS :
وقد أخبرني الاستاذ الكبير أن عملي في أمثال الزجالي كان عظيم الفائدة له ، وهو يشير اليه في بحثه المذكور .

(2) ترجمته ومصاردها في المغرب 2 : 230 .

(3) المطرب لابن دحية : 73 (ط. الخرطوم) .

(4) قلائد العقيان : 251 .

(5) المصدر نفسه والمغرب 2 : 231 .

فهو مبني فيما نرى على مثل كان معروفا عندهم وهو :
رجل الحي فاست الميت (1) .
وقوله :
"ليس المحروم من سأل فلم يعط ، وإنما المحروم من أعطى فلم يأخذ (2)."
وهو ليس إلا سبكا جديدا لقولهم :
من يعطاش وياباه ، يطلب وليس يعطاه (3) .
أو قولهم :
من اعطى ولم يخذ ، طلب ولم يعط (4) .
ومن ذلك أيضا قوله :
الفاضل في الزمن السوء كالمصباح في البراح ، قد كان يضيء لو تركته الرياح (5) . ويبدو أنه ينظر فيه إلى المثل :
اش يخرج قنديل لريح (6) .
وبعض هذه الحكم قائم على تشبيهات عامية فيما يبدو كقوله :
"المتلبّس بمال السلطان كالسفينة في البحر ، إن أدخلت بعضه في جوفها أدخل جميعها في جوفه (7) ". ومما يدل على ذلك أننا نجده منظوما لدى بعض الشعراء الأندلسيين (8) :

لا تغبطنّ عاملَ السلطان في ولايةٍ قد آذنت بحَتْفِهِ
تراهُ يحْكي دهره سفينةً في البحْر لا أمن لها من خوفِهِ
إنْ أدخلتْ من مائِه في جوفِها أدخلَها وماءَها في جوفِهِ

ونجد الاشارة إليه أيضا في قول ابن خاتمة (ديوانه : 132) :

خف السّلاطينَ واحذَر أن تُلابسَهم ما دام أمرهم في المُلكِ مُضطربا
إن الملوكَ بحارٌ في خلائقِهم ومن سما البحر في أهوالِه عطِبا

وقوله :
"اعلم أن الفاضل الزكي لا يرتفع أمره أو يظهر قدره ، كالسراج لا تظهر

---

(1) المثل رقم 982 في النص .
(2) القلائد : 251 ـ 252 والمغرب 2 : 231 .
(3) المثل رقم 1493 في النص .
(4) المثل رقم 662 في امثال ابن عاصم .
(5) القلائد : 251 والمغرب 2 : 231 .
(6) المثل رقم 105 في امثال ابن عاصم .
(7) القلائد : 251 والمغرب 2 : 231
(8) عين الادب والسياسة لابن هذيل .

أنواره أو يرفع مناره ، والناقص الدني لا يبلغ لنفعه إلا بوضعه ، كهوجل السفينة لا ينتفع بضبطه ، إلا بعد الغاية في حطه (1) ".

ولابيه أبي عبد الله بن شرف القيرواني كتاب في هذا الموضوع اسماه : أبكار الأفكار . ذكر ابن دحية في المطرب أنه يقع في "سفرين ، اختراع كله في الحكم والأمثال (2) " وذكر صاحبه أنه "يشتمل على مائة نوع من مواعظ وأمثال ، وحكايات قصار وطوال (3)" وتوجد قطعة مقتبسة منه مخطوطة في خزانة كلية ابن يوسف بمراكش تحت رقم 702 ي . وتحتوى هذه القطعة على قصيدة من بحر البسيط في مائة بيت وكل بيت يشتمل على مثل "مما يستعمله الناس في أثناء كلامهم ومحاضراتهم" ونصفها ينتظم خمسين بيتا مما يتمثل به من شعر العرب المخضرمين والنصف الآخر ينتظم خمسين بيتا مما يتمثل به من شعر المتنبي ، والبيت ـ المثل الاول كما يلي :

لا تسأل الناس والأيام عن خبر هما يبثانك الاخبار تطفيلا (4)

وعارض أبو الربيع الكلاعي وتلميذه ابن الابار القضاعي كتاب المبهج (5) للثعالبي ، وهو كتاب في الأمثال المخترعة ، ذكر صاحبه أنه "سار في البلاد ، بل طار في الآفاق (6) " ، وجاء الكلاعي فعارضه في "كتاب الامتثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم واختراع الأمثال (7)" وتلاه ابن الأبار بعمله "كتاب احضار المرهج ، في مضمار المبهج (8) " . والكتابان مفقودان .

وبعد ، فإذا كنا قد بدأنا بتاريخ كتب الأمثال الفصيحة في الأندلس وانتشارها بها ، فلأننا نرى أن الصلة وثيقة بين الأمثال الفصيحة والأمثال العامية ، فكثير من الأمثال العامية ماهي إلا امثال فصيحة في الأصل ، صاغها العامة صوغا جديدا أو اعتراها تغيير في ألفاظها أو في تراكيبها او في

---

(1) القلائد : 252 .
(2) المطرب : 72 .
(3) الذخيرة ق 4 مج 1 ص 140
(4) نشر الاستاذ ا. غ. غومس أخيرا هذه القطعة مكتوبة بالحروف اللاتينية مع ترجمة ومقدمة وتعليقات بعنوان : LOS REF RANES POETICOS DE BENSARAF
في مجلة الانـدلس (AL-ANDALUS, 1970, Vol. XXXVI, FASC.2)
وقد ذكر أنه اعتمد في نشرها على مخطوط حديث كان لبعض آل ماء العينين ثم آل الى مدرسة الدراسات العربية بمدريد ، وانا أقدر أن هذه النسخة الحديثة مأخوذة عن نسخة مراكش العتيقة كما يبدو من خطها .
(5) طبع المبهج غير مرة .
(6) التمثيل والمحاضرة : 5 .
(7) الذيل والتكملة 4 : 86 وبرنامج الرعيني : 68.
(8) الذيل والتكملة 6 : 99 (مخطوط) .

معانيها وذلك ما يسميه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره بالابتذال ، وقد أشرنا إلى أمثلته في تحقيقنا لمجموعة الزجالي .

الأمثال العامية في الاندلس :

كان ظهور الاسلام وانتشار العربية بعد الفتوح الاسلامية في بلدان مختلفة من أسباب ظهور أمثال جديدة لم تلبث أن سارت بين الناس سيرورة أمثال العرب في الجاهلية كما أخذت مكانها في مجموعات الامثال المروية ، وكان هذا بداية الأمثال العربية الاقليمية في البلدان التي دخلها الاسلام ، وقد انبثقت هذه الأمثال من أحداث معينة ودارت حول أشخاص معروفين أو مجهولين ، وصدرت ـ بالاجمال ـ عن مظاهر الحياة الجديدة .

وقد تنبه حمزة الاصفهاني إلى الجانب الاقليمي في الأمثال العربية الاسلامية إذ يقول : "ومن هذه الأمثال ما يلهج به أهل كل قبيلة بعينها ، أو سكان بلدة خاصة دون سائرهم ، فأهل مكة قد لهجوا بقولهم : أكسى من الكعبة ، واعرى من الحجر ، وآمن من غزلان مكة ، وآلف من حمام مكة . ولأهل المدينة أمثال بعينها لا يعرفها غيرهم ، كقولهم : أولم من الاشعث ، وابطأ من فند ، وأخنث من هيث ، وأتجر من عقرب ، وأهل اليمن يقولون : أوفر فداء من الإشعث . وأهل عمان يقولون : أظلم من الجلندي ؛ وأهل الكوفة يقولون : أهون من قعيس على عمته . وأهل البصرة يقولون : أحلم من الاحنف ، وأسود من الاحنف ، وابين من الاحنف كما قالوا في الحسن جعلوه في مستثنى كل غاية : هو أزهد الناس إلا الحسن ، وأبين الناس إلا الحسن ، وأفقه الناس إلا الحسن (1) " ، ثم استشهد لما ذكره من تفرد كل قوم فيما بينهم بضرب أمثال دون آخرين بحكاية حكاها الأصمعي عن أهل الأمصار العربية تتضمن مثلا واحداً تختلف ألفاظه باختلاف الأمصار (2) .

كما أن مدوني الأمثال الأولين كانوا يشيرون أحيانا إلى الصبغة الإقليمية لبعض الأمثال ، ومنهم أبو عبيدة الذي يقول في تفسير المثل : عير بعير وزيادة عشرة . " هذا مثل لاهل الشام ليس يتكلم به غيرهم ، وأصل هذا أن خلفاءهم كلما مات منهم واحد وقام آخر زادهم عشرة في أعطياتهم ، فكانوا عند ذلك يقولون هذا (3)" .

---

(1) الكلمات الفاخرة ، والامثال السائرة : 12.
(2) المصدر نفسه : 13 .
(3) مجمع الامثال 2 : 13 .

وهكذا نشأت في البيئات الاسلامية الجديدة أمثال إقليمية منتزعة من حياتها وأحداثها وتجاربها ، ومنها ما ظهر في صدر الاسلام على عهد الخلفاء الراشدين وبني أمية ، وقد ذكر الثعالبي في التمثيل والمحاضرة طائفة من أمثال هذا العصر (1) . ونلاحظ أن ما وصل إلينا من أمثال العصر الأموي قليل ، ونستطيع أن نلتمس أسباب ذلك فيما عرف به الأمويون من تمسك بالقديم وحفاظ عليه ، كما أن المجتمعات الاسلامية الجديدة لم تكن بعد قد تجاوزت مرحلة التكوين .

ولم تزدهر الأمثال الاقليمية إلا في العصر العباسي حيث ظهر ما سمي بأمثال العامة وأمثال المولدين أو الأمثال المولدة ، وكان بعضها من المستحدث الذي اقتضته البيئة الجديدة ، وبعضها الآخر مما انتقل إلى العربية من تراث الشعوب الدخيلة في الاسلام كالنبط والفرس والاقباط في شرق الدولة الاسلامية والبربر وعجم الاندلس في غربها . ويبدو أن البيئة العراقية عموما - والبغدادية خصوصا - كانت الحقل الخصب لتولد هذه الامثال في صدر العصر العباسي ، ومن عوامل ذلك أنها كانت دار الخلافة ، وبلد الصادر والوارد ، وملتقى الشعوب والأجناس والحضارات .

وربما كان أبو عبيد القاسم بن سلام أقدم من عني بالاشارة إلى الأمثال السائرة على ألسنة الناس في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث ، فقد ذكر في كتابه الأمثال نحوا من أربعين مثلا من أمثال العامة أو مما تمثلت به ، وهو يأتي بها في أعقاب الأمثال المروية عن العرب ، وينسبها إلى العامة بعبارات متنوعة كقوله : "ومثل العامة في هذا قولهم .." أو "والعامة يقولون .." أو "والعامة تقول في مثل هذا المثل .." أو "هذا مثل يتكلم به العوام من الناس.." أو "وللعامة في هذا مثل مبتذل.." . وإذا كان المثل عربيا قديما وتصرف فيه عامة زمنه بالتغيير ، أشار إلى ذلك بمثل قوله : "هذا مثل قد ابتذلته العامة " ، أو "وهذا مثل قد ابتذله الناس" أو "وهذا مثل مبتذل عند العوام (2)" . ونراه يستعمل "العامة"تارة و"الناس" تارة أخرى ، ولعل في ذلك ما يفيد في معنى العامة عنده ، و لعل مفهوم العوام في عصر أبي عبيد هو كما يقول الجاحظ : "وإذا سمعتموني أذكر العوام فإنني لست أعني الفلاحين والحشوة والصناع والباعة ، ولست أعني الاكراد

---

(1) التمثيل والمحاضرة : 39-41 .

(2) وردت هذه العبارات وامثالها في امثال ابي عبيد (المخطوط غير مرقم) وفصل المقال في مواضع عديدة . انظر الصفحات : 32 ، 39 ، 46 ، 52 ، 57 ، 60 ، 69 ، 79 ، 83 ، 144 .

في الجبال وسكان الجزائر في البحار ... وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا ، على أن الخاصة تتفاضل في الطبقات أيضا (1)" . وربما جاز القول بأن هؤلاء العامة الذين عناهم أبو عبيد هم أهل بغداد الذين عاش بين ظهرانيهم ، ويلاحظ أن الأمثال التي نسبها إليهم معربة وخالية من اللحن ، ويقول الدكتور عبد العزيز الأهواني في تعليل هذه المشكلة : "ونحن إزاء هذه المشكلة لا نستطيع إلا أن نفترض أحد أمرين : إما أن يكون هؤلاء المصنفون قد رووا المثل بالمعنى وصاغوه في لغة معربة ، مع المحافظة بطبيعة الحال على لفظه وترتيبه في الجملة وإما أنهم قصدوا بالعامة والمولدين طائفة من المثقفين ترتفع كثيرا عن مستوى العامة بالمعنى الحقيقي الذي نفهمه اليوم " (2) .

ويشهد للافتراض الأول قول أبي عبيد : "ومن أمثالهم في فساد البطانة المثل المبتذل في العامة : إن الريح إذا هبت خارج البيت استترت منها ، وإذا كانت في داخل البيت لم يكن إلى الاستتار منها سبيل" (3) . فهذا مثل مروي بالمعنى ومنقول من الاسلوب العامي إلى الاسلوب الفصيح ، ودليلنا على ذلك أمران : أحداهما طول العبارة التي أفقدته طابع المثل ، والثاني أن الثعالبي نسبه إلى الفرس ورواه بالصيغة التالية : "ماحيلة الريح إذا هبت من داخل (4)" . وقد سار هذا المثل في مختلف الأمصار والأعصار واعتراه تغير في المبني والمعني ، وما يزال يتمثل به (5) . وقد روى أبو عبيد بعض أمثال عامية سمعها من نساء عصره ، ومنها المثل :"لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوي المعوج (6) " وعقب عليه بقوله : "وأكثر من يتكلم به النساء (7) " وهذا المثل كان وما يزال شائعا بين العامة (8) ، وهو يشهد لأن المقصود بالعامة عند ابي عبيد هم مطلق الناس ، وليس فئة بعينها.

---

(1) البيان والتبيين 1 : 128 وانظر في معنى العامة : الدكتور عبد العزيز الاهواني ، الفاظ مغربية : 123–135 وامثال العامة في الاندلس : 139–241
(2) امثال العامة في الاندلس : 239 .
(3) امثال ابى عبيد (مخطوط غير مرقم) في باب اقتداء الرجل بخليله وقرينه .
(4) التمثيل والمحاضرة : 43 .
(5) انظر المثل رقم 6 في النص .
(6) امثال ابى عبيد (مخطوط) في باب استقامة الامور واعواجاجها .
(7) الموضع نفسه .
(8) انظر المثل رقم 75 في النص .

ولعل من المفيد أن نورد هنا ثبتا بالأمثال التي نسبها أبو عبيد إلى العامة أو نص على أن العامة تبتذلها :

1 ـ خبره في جوفه .

2 ـ تنزو وتلين .

3 ـ عبد عيرك حر مثلك .

4 ـ من يمدح العروس إلا أهلها .

5 ـ أكرموا الصريع.

6 ـ من أنفق ماله على نفسه فلا يتحبر به إلى الناس .

7 ـ إن الريح إذا هبت خارج البيت استترت منها ، وإذا كانت في البيت لم يكن إلى الاستتار منها سبيل .

8 ـ أعذر من الظالم .

9 ـ لا تاكل الحرة ثدييها.

10 ـ أنت أعلم أم من غص بها .

11 ـ اليك يساق الحديث.

12 ـ لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوي المعوج.

13 ـ من نهشته الحية حذر الرسن.

14 ـ جيء به من حيث وليس.

15 ـ من سال صاحبه فوق طاقته فقد استوجب الحرمان .

16 ـ إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون.

17 ـ رجع فلان من حاجته بخفي حنين .

18 ـ لا يرحل رحلك من ليس معك .

19 ـ أكلا وذما

20 ـ ابدأهم بالصراخ يفروا.

21 ـ كل شاة برجلها تناط.

22 ـ ما ظنك بجارك ؟ قال : كظني بنفسي .

23 ـ الكلاب وبقر الوحش.

24 ـ يمنع دره ودر غيره.

25 ـ رب رمية من غير رام.

26 ـ لا أبقى الله عليك إن أبقيت.

27 ـ أين يضع المخنوق يده.

28 ـ قد بلغ السكين العظم.

29 ـ ماله سبد ولا لبد.

30 ـ لا يدري أسعد الله أكثر أم جذام.

وقد كثرت أمثال العامة هذه كما سماها أبو عبيد وغيره أو أمثال المولدين كما سماها آخرون وغدت محور أحاديث الناس في مجالسهم ومنتدياتهم في المجتمع البغدادي وغيره ، ونراها تدور على السنة الناس في مختلف المناسبات كما في حكاية أبي القاسم البغدادي لأبي المطهر الأزدي وهى حكاية تصور الحياة اليومية في بغداد في مطلع القرن الرابع (1) ، وقد ألفها صاحبها " لتكون كالتذكرة في معرفة أخلاق البغداديين على تباين طبقاتهم ، وكالانموذج المأخوذ عن عاداتهم (2)" . وذكر انها "حكاية مقدرة على أحوال يوم واحد من أوله إلى آخره أو ليلة كذلك (3)" . وقد ظهرت آثار هذه الأمثال في أشعار المحدثين كأبي نواس وأبي العتاهية وصالح بن عبد القدوس وغيرهم ، كما أن بعض أبيات هؤلاء وأشطارهم سارت مسير الأمثال (1) ، وهي بارزة بصورة أوضح في شعر ابن حجاج وابن سكرة .

ونهض بعض أعلام القرن الرابع وما بعده بتدوين أمثال العامة والمولدين وكناياتهم وإضافاتهم ، فمنهم أبو المطهر الأزدي في "حكاية أبي القاسم" التي أشرنا إليها آنفا ، وفيها أمثال عامية عديدة وردت مبثوثة في ثناياها ، وكانت من مصادرنا في مقارنة أمثال الزجالي ، ومنهم القاضي أبو الحسن علي بن الفضل المؤيدي الطالقاني مؤلف "رسالة الأمثال البغدادية التي تجري بين العامة" وهي مجموعة مرتبة على حروف المعجم ، وفي مقدمتها أنه أملاها سنة 421 هـ بمدينة بلخ أثناء تولّيه قضاءها ، وهي تشتمل على أزيد من 200 مثل ، وقد نشرها المستشرق لويس ماسنيون في القاهرة سنة 1911 ، وأبو سعد منصور بن الحسين الآبي (ت 422 هـ) مؤلف "نثر الدرر" ونجد فيه فصلا في أمثال العامة ، وهو يحتوي على ما يقرب من 300 مثل ، كما ألف أبو الفرج علي بن الحسن بن هندو (ت 410) كتاب الأمثال المولدة ؛ ويبدو أنه مفقود ، وفي كتب التمثيل والمحاضرة ، وثمار القلوب ، والكنايات لأبي منصور الثعالبي (ت 429) كثير من أمثال العامة والمولدين وإضافاتهم وكناياتهم ، كما أن كتاب الكنايات للقاضي أبي العباس أحمد بن محمد

---

(1) حكاية ابى القاسم البغدادي : 87 حيث يقول مؤلفها : « ولعهدى بهذا الحديث سنة ست وثلثماية .. » .

(2) المصدر نفسه : 1 .

(3) المصدر نفسه : 2 .

(4) التمثيل والمحاضرة : 73 وما بعدها .

الجرجاني (ت 482) يشتمل على بعض الكنايات العامية ، ولم تخل جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري من ذكر لبعض الأمثال العامية الفارسية المترجمة (1) ، ونظم أبو الفضل أحمد بن محمد السكري المروزي أرجوزة ترجم فيها أمثالا فارسية (2) ، وقد وجدنا بعض هذه الأمثال الفارسية المترجمة تنتقل إلى الأندلس (3) ، ثم بلغ تدوين أمثال المولدين غايته في مجمع الأمثال للميداني (ت 518) ويبدو أنه اعتمد في جمعها على المصادر المذكورة وإن لم يسمها في مقدمة كتابه ، والأمثال المولدة في مجمع الأمثال تقرب من الألفين .

ولكن الاتجاه إلى تدوين الأمثال العامية والاقليمية بالمعنى الدقيق لم يظهر إلا في القرن السابع وما بعده على ما يبدو ، إذ أن أقدم ما وصل إلينا من مجموعات في الأمثال العامية الملحونة وهي مجموعة الزجالي - فيما نعرف - ترجع إلى القرن السابع . وامتازت الأندلس ومصر بتدوين أمثالهما العامية ، وممن عنى بتدوين الأمثال العامية المصرية شرف بن أسد المصري (ت 738 هـ) وقد ذكر الصفدي أنه "كان عاميا مطبوعا قليل اللحن " وأشار إلى تأليفه في الأمثال (4) ، وهذا التأليف هو الذي عنى به المستشرق السويسري بوركهارت ، وقد طبع مرارا ، وتلاه يونس المالكي (ت 770 هـ) والابشيهي (ت 850) وابن سودون ، والعاملي والشربيني . وتعتبر مؤلفات الأندلسيين والمصريين في الأمثال صلة الوصل بين الأمثال العامية أو المولدة القديمة وبين الأمثال العامية الحديثة .

تلك لمحة موجزة في نشأة الأمثال العامية وتطورها في المشرق رأينا أنها ضرورية قبل الحديث عن الأمثال العامية في الأندلس .

اما في الأندلس فيبدو أن نشأة الأمثال الاقليمية فيها كانت مصاحبة لنشأة المجتمع الأندلسي الجديد بعد الفتح الاسلامي ، وربما ظهر منها شيء في عصر الولاة (92هـ - 138هـ) ونحن نفترض أن يكون الاحتكاك الأول بين الأجناس في جزيرة الأندلس ، والصراع بين العرب وبين البربر ثم بين

---

(1) انظر على سبيل المثال : **جمهرة الامثال** 1 : 65 ، 136 ، 151 ، 155 .
(2) توجد مقتطفات منها في **الكشكول** 1 : 342 . **ويتيمة الدهر** .
(3) انظر الامثال رقم 208 ورقم 246 ورقم 2146 في النص .
(4) فوات الوفيات 2 : 381 .

القيسية واليمنية من دواعي بعض الأمثال أو الأقوال التي تجري مجرى الأمثال ، ولكن لم يصل إلينا شيء من هذا ، وقد بدأنا نسمع ببعض الأمثال الأندلسية في أواخر عصر الولاة وأوائل العصر الأموي في الأندلس ، ومن الأمثال التي ترجع إلى هذا التاريخ قولهم :

- شتّان بين خلّة وسُعاد
- سنة برباط
- كمَا جا عُبَيْد منْ طرّوش

وسوف نشير فيما بعد إلى الظروف التي قيلت فيها ويبدو أن الأمثال الأندلسية لم تظهر بوضوح إلا بعد تكون المجتمع الاندلسي واستقرار الحياة السياسية في العصر الأموي ، شأنها في ذلك شأن الشعر وغيره من فنون القول .

وقد بدأ تدوين الأمثال التي كانت سائرة على ألسنة العامة بالأندلس في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل الرابع ، وكان ابن عبد ربه أول مؤلف أندلسي عنى بذكر بعض هذه الأمثال ، وقد اشتمل كتاب الجوهرة من العقد الفريد الذي أشرنا إليه فيما سبق على عدد مما "جرى على ألسنة الناس من الأمثال المستعملة (1) " وابن عبد ربه يوردها إلى جانب أمثال العرب القديمة وينبه على نسبتها إلى العامة ، كما فعل أبو عبيد قبله ، وقد بحثنا في معنى العامة عنده ، وهل يقصد بهم عامة المشرق أم عامة المغرب فتبين لنا أن مفهوم العامة عنده لا يختلف عن مفهوم العامة عند أبي عبيد ، وأن العامة الذين عناهم هم عامة الأندلس ، وأنه اعتمد في نسبة تلك الأمثال إلى العامة على السماع المباشر ولم يتابع أبا عبيد ، ودليلنا على ذلك هو المقارنة بين أمثال العقد وأمثال أبي عبيد ، فقد ذكر هذا أمثالاً منسوبة إلى العامة ووردت في العقد غير منسوبة إليهم ومنها :

- برح الخفاء (2) .
- ترك الذنب أيسر من التماس العذر (3) .
- الكذب داء والصدق شفاء (4) .

---

(1) العقد 3 : 81 .
(2) فصل المقال : 57 والعقد 3 : 84 .
(3) فصل المقال : 69 والعقد 3 : 86 .
(4) فصل المقال : 32 والعقد 3 : 82 .

ـ لو كرهتني يدي قطعتها (1) .
ـ هما كحماري العبادي (2) .

كما أن هناك أمثالا نسبها ابن عبد ربه الى العامة وليست في أمثال أبي عبيد ولا في غيرها مما وقفنا عليه ، ونذكر منها قولهم :
ـ الحمار جلبه و الحمار أكله (3) .

وهو في رأينا مثل أندلسي صرف ، وقد روى الزجالي صيغته في القرن السابع كما يلي :
ـ الحمار ساقُ ، والحمار ذاقُ (4) .

والصيغتان متفقتان لأن كلمة ساق في الاستعمال الأندلسي بمعنى جلب ، وذاق بمعنى أكل (5) ، ثم أصبحت صيغته في المغرب هكذا :
ـ دجاب الفل أكل (6) .
أى الذي جلبه أو جاء به الفلو أكله .

ومما نحسبه من الأمثال العامية الأندلسية في العقد قولهم :
هان على الصحيح أن يقول للمريض : لا بأس عليك (7) .

ونرى أنه مروي بالمعنى ، وعبارة : لا بأس عليك ، ما تزال مستعملة في المغرب بهذا المعنى ، وهي تقال في معرض الاستفهام والسؤال عن الحال ، ولسنا ندري هل هي في هذا المعرض للدعاء ، وقد وضع ابن عبد ربه المثل تحت عنوان : قلة اهتمام الرجل بصاحبه .

ومن الأمثال العامية الأندلسية الواردة في العقد قولهم :
ـ لا تصب ماء ، حتى تجد ماء (8) .

---

(1) فصل المقال : 44 والعقد 3 : 95 .
ورواية البكرى : لو كرهتني يميني ما صحبتني. وفي المخطوط : يدى .
(2) أمثال ابى عبيد (مخطوط) في : باب الرجلان يكونان متساويين في خير او شر .
والعقد 3 : 100 .
(3) العقد 3 : 122 .
(4) المثل رقم 129 في النص .
(5) انظر المثلين رقم 598 ، ورقم 969 في النص .
(6) مخطوط الزركلي (امثال مغربية) رقم : 83.
(7) العقد 3 : 116 .
(8) المصدر نفسه 3 : 110 .

ويشهد لذلك وروده بهذه الصيغة في مجموعة الزجالي واستعماله الى اليوم في المغرب (1) . ومنها أيضا قولهم :

ـ لا تكن لسان قوم (2) .

ـ الشارف لا يصفر له (3) .

أما الأمثال التي وردت عند ابي عبيد وابن عبد ربه معا منسوبة الى العامة فيبدو أنها كانت أمثالا سائرة في مختلف الأمصار العربية في القرن الثالث وما بعده . ومعنى ذلك أن وحدة الأمثال العامية في البلدان العربية قديمة ، وهي حقيقة واضحة من استقراء مقارنتنا أمثال الزجالي بغيرها ، وفي ذلك برهان ملموس على وحدة الوجدان العربي .

ويحسن بنا أن نسوق فيما يلي بعض الأمثال التي كانت مستعملة في المشرق والمغرب في عصر أبي عبيد ، ثم في عصر ابن عبد ربه :

ـ جيء به من حيث ايس وليس (4) .

ـ لو كان في جسدي برص ما كتمته (5) .

ـ قيل للشقي : هلم الى السعادة ! قال حسبي ما أنا فيه (6) .

ـ الوعد من العهد (7) .

ـ يضرب في حديد بارد (8) .

ومن هذا يتبين أن ابن عبد ربه كان أول من فتح باب تدوين الأمثال العامية في الأندلس .

ونجد في ثنايا المؤلفات الأندلسية التي ألفت بعد العقد أمثالا أندلسية ترد عرضا بين الحين والحين ، ومن ذلك المثلان اللذان ذكرهما أبو عبد الله محمد بن حارث الخشني (ت 361 هـ) في كتابه : قضاة قرطبة وهما :

ـ شتان بين خلة وسعاد (9) .

ـ سنة عفص وسنة بلوط (10) .

---

(1) انظر المثل رقم 2016 في النص .
(2) العقد 3 : 111 .
(3) المصدر نفسه 3 : 95 .
(4) امثال ابى عبيد (مخطوط) والعقد 3 : 114.
(5) فصل المقال : 60 والعقد 3 : 85 .
(6) امثال ابى عبيد (مخطوط) والعقد 3 : 98 .
(7) العقد 3 : 87 وامثال ابى عبيد (مخطوط) .
(8) العقد 3 : 126 وامثال ابى عبيد (مخطوط) .
(9) قضاة قرطبة : 35 .
(10) المصدر نفسه : 77 .

فالمثل الأول من أقدم الأمثال التي أرسلها المجتمع القرطبي وهو يرجع إلى أواخر أيام يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس . وخلة المذكورة في المثل جارية وهبها يوسف الفهري لمعاوية بن صالح قاضي قرطبة وكانت قبيحة الشكل ، أما سعاد فهي خادم لها كانت فائقة الحسن ، وقد ضرب أهل قرطبة بهما المثل في البون الشاسع بين الشخصين .

وأما المثل الثاني فكان يتمثل به العامة في الأندلس ، وتمثل به يحيى بن معمر قاضي الجماعة في قرطبة أيام عبد الرحمن الأوسط (602 - 238) في سياق كلام دار بينه وبين عبد الملك بن حبيب عالم الأندلس المعروف ، ونجد المثل نفسه معروفا في المشرق بعد هذا التاريخ فقد ورد في شعر لابن حجاج البغدادي (ت 391) يقول فيه :

.... فعام عفص وعام بـــــــــــــاتّوط (1) .

وكان من كنايات العامة في المشرق قولهم : "فلان يقول بالعفص والبلوط " إشارة الى قول ابن حجاج المحذوف (2) وهناك قرائن قد تدل على أن المثل أندلسي انتقل إلى المشرق، منها أن أقدم ذكر له فيما وقفنا عليه ورد على لسان يحيى بن معمر وهو كما رأينا متقدم في التاريخ على ابن حجاج ، كما أن الأندلس عرفت بكثرة البلوط حتى سماها أبو محمد الاعرابي العذري الوافد على الأندلس في القرن الثالث ببلاد البلوط إذ يقول :

تحن إلى البلوط حتى إذا أتت بلادا بها البلوط حنت إلى النخل (3)

وفحص البلوط بالأندلس مشهور (4) ، وكان أهل قرطبة يعيرون من ينسب اليه بأنه بلوطي ويعرضون له بقشر البلوط في هذا المعنى (5) ، وفي أمثال الاندلسيين ذكر للبلوط (6) ، كما أن المثل نفسه ما يزال له ظل في استعمال المغاربة إلى اليوم فهم يقولون : عام البلوط ، مزلوط (7) . ومع ذلك فإننا لانستطيع أن نجزم بأن المثل الأندلسي أصل للمثل المشرقي لجواز

---

(1) الكنايات للجرجاني : 27 .
(2) المصدر نفسه .
(3) المقتبس لابن حيان ـ القسم الثالث : 13 ، 132 .
(4) انظر الروض المعطار : 140 ـ 143 .
(5) قضاة قرطبة : 94 .
(6) انظر الامثال رقم 1394 ورقم 1583 ورقم 1741 في النص .
(7) امثال أهل فاس : 542 (مخطوط) .

أن يكون مولدا قديما (1) واستشهد به ابن حجاج على طريقته في استعمال العبارات والأمثال البغدادية (2) .

ووجدنا في "طبقات اللغويين والنحويين " لأبي بكر الزبيدي الاشبيلي من أهل القرن الرابع ثلاثة أمثال أندلسية ، فقد ذكر في ترجمة أبي حرشن ما يلي : وكان الناس إذا استفصحوا رجلا قالوا : ما هذا إلا أبو حرشن (3)" وقال في ترجمة بكر الكناني : "وكان الغاية في الفصاحة ، حتى ضرب به المثل : أفصح من بكر الكناني (4)" ، ويقول في ترجمة سعيد الرشاش : "وكان ضرب به أيضا المثل في الفصاحة فيقال : افصح من الرشاش (5)" والاعلام المذكورون في هذه الأمثال من أهل المئة الثالثة ، وقد ذكرهم الزبيدي في الطبقة الثانية من النحويين واللغويين من أهل الأندلس ، والشاهد في هذه الأمثال أنها تمثل إتجاها إقليميا بإنشاء أمثال مشتقة من البيئة المحلية ومتصلة باحداثها وأشخاصها ، ومع أن الزبيدي ألف كتابا في لحن العامة بالاندلس فإنه لم يشر في هذا الكتاب إلى شيء من أمثالهم .

ونصادف في كتب التاريخ الأندلسي ولا سيما فيما وصل إلينا من تاريخ ابن حيان أمثالا تتصل بأحداث اقتصادية أو سياسية كقولهم :

- سنى بربأط (6) . أو سنة برباط (7) . -

لسنوات القحط والمجاعة ، وكان ابتداء هذه السنوات عام 131 هـ واستمرت حتى سنة 136 هـ وفيها "اشتد الجوع فخرج أهل الأندلس إلى طنجة وأصيلا وريف البربر ممتارين ومرتحلين (8)" ومنها قولهم في المعنى نفسه :

- سنة ستين .

أي سنة 620 ، وفيها كانت المجاعة التي عمت الأندلس ، ومات فيها أكثر الخلق . قال ابن حيان : " وجرى المثل بها على السنة الناس دهرا : سنة ستين (9)" ومنها قولهم :

- سنة لم أظن .

---

(1) لم يرد في مجاميع الامثال التي وقفت عليها ،ولكن جاء في القاموس المحيط للفيروزبادي : « العفص مولد او عربي شجرة من البلوط تحمل سنة بلوطا وتحمل سنة عفصا» .

(2) ديوانه المخطوط وفي يتيمة الدهر طائفة من شعره .

(3) طبقات الزبيدي : 281 وترجمة ابى حرشن أيضا في بغية الوعاة 1 : 493 .

(4) المصدر السابق : 283 وترجمة بكر الكتاني في بغية الوعاة 1 : 466 .

(5) المصدر السابق : 283 وترجمة الرشاش ومصادرها في المغرب 1 : 114 .

(6) اخبار مجموعة : 62 .

(7) البيان المغرب 2 : 38 .

(8) اخبار مجموعة : 62 .

(9) المقتبس - السفر الثاني : 343 .

وهي أيضا سنة مجاعة شديدة تمثلوا بها ، وقد كانت سنة 285 هـ (1)
ومن هذا أيضا قولهم :
- سنةُ جوع جيّان (2) .

وقد كانت سنة 297 هـ يقول ابن حيان : "وفيها كانت المجاعة الشديدة التي عمت الأندلس ومات بعاديتها أكثر الخلق ، وعبر كثير منهم البحر إلى أرض العدوة " (3) .

ومن الأمثال التاريخية التي وردت عند ابن حيان أيضا قولهم :
غَرر ْتَني يا إسحاق (4) .

يقول ابن حيان في أحداث سنة 287 هـ : "وفيها صلب بقرطبة المارد الملعون المعروف بإسحاق من أصحاب عدو الله عمر بن حفصون مع صاحب له هو الذي جرى بكلامه له يوم محنته المثل الجاري بين الناس إلى اليوم : غررتني يا إسحاق . كلمة قالها له صاحبه ذلك الذي صلب معه وهو يرفع في خشبته ، ذهبت مثلا ، وكان يومه مشهورا بقرطبة " .

ويبدو أن أيام عمر بن حفصون - وهي تمثل أوج الصراع بين المولدين أو العجم وبين العرب - كانت مضربا لأمثال عديدة ، وكما تمثلوا بإسحاق المذكور من أصحاب ابن حفصون فقد تمثلوا بيحيى بن بقي الملقب بمشطار من أتباعه أيضا ، قال ابن حيان متحدثا عن وقائع سنة 292 هـ : "وفيها كانت الوقيعة على الخبيث عمر بن حفصون بوادي بلون وقد توافت إليه أمداده من أهل النكث ، وقاتل رجال السلطان ، فدارت لرجال السلطان عليهم وهزموا وقتل منهم خلق كثير ، وفر خاسئا خاسرا لم يصحبه من إخوانه غير يحيى بن بقي الملقب بمشطار ، وفي هذه الوقيعة جرى عليه هذا اللقب فلزمه وضرب المثل به وكانت لذلك قصة" (5) ولم يذكر ابن حيان المثل ولا قصته ، ومن أقوالهم في هذه الحقبة أيضا ما ذكره عنن الكلام على سعدون السرنباقي أحد زعماء المولدين ، قال : "وكان المولدو يغلون فيه ويقولون : أنما هو السر الباقي (6)".

---

(1) البيان المغرب 2 : 139 .
(2) المقتبس - السفر الثالث : 146 .
(3) الموضع نفسه .
(4) المصدر نفسه : 128 - والبيان المغرب 2 : 139 .
(5) المقتبس - السفر الثالث : 132 .
(6) المقتبس - السفر الثاني : 344 .

وإذا كنا وجدنا أمثالا تتعلق بالأشخاص عند الزبيدي وأخرى تتصل بالأحداث عند ابن حيان ، فإننا نجد عند البكري الجغرافي (ت 487) أمثالا تتعلق بالبلدان ، ويبدو أنه في كتاب المسالك والممالك كان حريصا على تدوين الأمثال ذات الطابع الإقليمي ، وذلك بخلاف ما عرفناه من إهماله لها في كتابه فصل المقال ، وسوف نرى فيما بعد أن الأمثال المتعلقة بالبلدان كانت وما تزال لونا طريفا في أمثال الأندلس والمغرب بمعناه الكبير ، ومن المؤسف أنه لم يصل إلينا كتاب المسالك والممالك كاملا كما أن الجزء الخاص بالأندلس نفسها يعتبر مفقودا ولم ينته إلينا منه إلا نبذ يسيرة (1) أما الأمثال التي عثرنا عليها عنده فهي مبثوثة في "المغرب ، في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، ومع أن هذه الأمثال تتصل بأماكن في المغرب وإفريقية فيبدو أنه كان يتمثل بها في الأندلس أيضا بدليل رواية البكري لها كما أن بعضها وارد في مجموعة الزجالي ، ونورد فيما يلي مجموعة من هذه الأمثال التي التقطناها من المغرب للبكري :

- إذا رَبَطَ الخارجي خَيْلَةَ بتَرْنُوط (2) ، لَمْ يَبْقَ لِأَهْلِ السَّوادِ مَحْلُولُ وَلاَ مَرْبُوط (ص 31)
- وَيْلٌ لِأَهْلِ السَّوادِ ، مِنْ مَخْلَدِ ابْنِ كَيْدَاد (3) (ص 31) .
- دُور تُونس : أَبْوابُها رخَام ، وداخِلها سَخَام (ص 40) .
- لولا البقونس (4) ، لَمْ يُخَالِفْ أَهْلُ تُونس (ص 41) .
- هُوَ أَثْقَلُ مِنْ جَبَلِ زَغْوان (5) (ص 46) .
- هُو أَثْقَلُ مِنْ جَبَلِ الرَّصاص (6) (ص 46) .
- بَيْطام (7) ، بَيْتُ الطَّعام (ص 51) .
- إذا جِئْتَ اجَّر (8) ، فَعَجِّر ، فَإِنَّ فيه أَسَداً يفري ، وحَجَراً يَبْري

---

(1) نشرها في بيروت الدكتور عبد الرحمن الحجي.
(2) ترنوط : فحص على ستة اميال من المهدية .
(3) انظر اخباره في البيان المغرب 1 : 216-218 وفي غيره .
(4) البتونس : جنس من السمك ، وهذا الاسم لم يعد معروفا اليوم في تونس . دوزى 1 : 105 .
(5) جبل معروف .
(6) ذكر البكرى انه جبل على تونس المدينة .
(7) هو اسم نهر مدينة طبنة التاريخية بالجزائر.
(8) اجر موضع يقع على الطريق من القيروان الى بونه كثير الحجارة ، وما سدة ، دائم الريح العاصفة .

وَريحاً تَذْري (ص 54) .

ـ طَعْنَة بمزْراق ، خَيْر مِنْ شرْبَة مِنْ بير أَزْراق (1) (ص 55) .

ـ طَرْفَلَه (2) ، طَرَف من الجَنَّة . (ص 60) .

ـ فَاس ، بَلَد بِلاَ نَاس (ص 115) .

وربما كنا نجد عنده مثل هذا أو أكثر منه لو وصل إلينا كاملا القسم الخاص بالأندلس من كتاب المسالك والممالك .

ومن هذه المؤلفات التي نجد فيها أمثالا أندلسية أو أمثالا مشرقية تمثل بها الأندلسيون كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة " الذي نشره المستشرق ليفي بروفنسال بعنوان : "مذكرات الأمير عبد الله" ومؤلف الكتاب هو عبد الله بن بلقين الصنهاجي أمير غرناطة وآخر أمراء بني زيري فيها ، وقد ولي إمارتها بعد جده باديس بن حبوس المُلَقَّب بالمظفر بالله سنة 469 واستمر فيها إلى سنة 483 حيث خلع ونفي إلى مدينة أغمات بالمغرب وفيها ألف كتاب "التبيان" ، وقد وصفه بروفنسال بأنه "وثيقة سيكولوجية من الطراز الأول (3)" ، وأشار إلى تأثر أسلوبه بالعامية الأندلسية دون أن يمثل لمظاهر هذا التأثر ، وجاء الدكتور طه الحاجري بعد مرور زمن على نشر الكتاب فكتب مقالة في نقد هذه النشرة وتصويب الأخطاء التي تستحق التصويب (4) ويقول الدكتور الحاجري : "وإنما الأمر الذي أود أن ألفت النظر إليه وأثير الرغبة في درسه ، هو أن هذا الكتاب إلى جانب كونه وثيقة تاريخية و "وثيقة سيكولوجية من الطراز الأول" ـ كما يقول بروفنسال ـ يمكن اعتباره وثيقة لغوية من طراز خاص ، إذ نستطيع أن نتبين منه طائفة من الاستعمالات اللغوية الخاصة التي تنفرد بها الأندلس والمغرب العربي (5)" ثم ساق أمثلة من الاستعمالات العامية في الكتاب .

ونريد أن نضيف هنا أن الكتاب يشتمل أيضا على طائفة من الأمثال الأندلسية والبربرية ، وأخرى من الأمثال العربية والمولدة التي كان يتمثل بها أهل الأندلس ، وقد وجدنا بعضها في مجموعة الزجالي ، والطريف في هذه الأمثال أن بعضها يرد في الكتاب على ألسنة بعض أمراء بني زيري ، وقادة الجند منهم ، والمعروف أن هؤلاء كانوا يتكلمون بالبربرية ، ومن هنا نرجح أنهم تمثلوا باللسان البربري ثم ترجمها الأمير عبد الله إلى

---

(1) بئر وبيئة الماء مدينة سرسي الغزر ، راجع المثل رقم 1066 في القسم الثاني من هذا الكتاب .

(2) قرية اولية في المغرب الاوسط .

(3) مقدمة التبيان : 8 .

(4) مجلة معهد المخطوطات العربية ـ المجلد 9 الجزء 2 (نوفمبر 1963) من ص 321 الى ص 342.

(5) المصدر نفسه : 322 .

العربية ، ونستطيع أن نلمح أثر الترجمة فيها من خلال تركيبها واحتفاظها ببعض الكلمات البربرية ، فقد أورد على لسان الوزير النماية يخاطب باديس بن حبوس الملقب بالمظفر :

ـ مِنْ ثَوْر حَيٍ لا يُلْبَس هَراكيس . (ص 61) .

وقد رواه الزجالي فيما بعد بالصيغة التالية :

ـ جلدان حَيٍ ما تُعْمَلْ مِنْهُ هَراكِس .

وهذا مثل يحمل في طيه عنوان بربريته لأن كلمة هراكيس أي نعال

كلمة بربرية وما تزال مسموعة في المغرب . ومن ذلك ما ذكره على لسان حبوس بن ماكسن إذ يقول :

ـ إِنَّ صَنْهاجَةَ عِنْدِي : "مِثْل الأَسْنان فِي الفَم إِنْ عَدِمت مِنْهم واحِدا لا تُخْلِفه أَبَدا" (ص 62) .

وما رواه على لسان جده المظفر إذ يقول :

ـ مَثَلِي ومَثَل ابْن صُمَادِح : "كَمَثَل القبعة الَّتي كان بإزائِها عُشُّ إِوَزَّة ، فَأَعْجَبَها بَيْضُها ، فقالت : لأَحْضُنَنَّ هَذا البَيْض ، يكون خَيْرًا فَلَمَّا رامَتْ ذلك عَجَزَتْ وقَصُرت جناحها عن التَّحْضين ، فَلَمَّا رجَعَت إلى مَتَاعِها وجَدَتْها قَدْ فَسَدَتْ" (ص 55 ـ 56) .

فهذان المثلان ونحوهما من أمثال القياس والتشبيه من المروى بالمعنى ، ونحسب أن المذكورين تمثلا بهما بلغتهما وربما كانا مثلين بربريين وإن كان الثاني منهما يشبه إلى حد ما قول ابن هرمة الذي يتمثل به : (التمثيل والمحاضرة : 362) .

كَتارِكَةٍ بَيْضَها بِالعَراء ومُلْبِسَةٍ بَيْض اخرى جَناحا

وتُرينا هذه الأمثال جانبا آخر وهو كيف كان هؤلاء القادة يصدرون في حكامهم عن امثال انحدرت إليهم من تراث الأسلاف وتجاربهم وذلك لأنهم وإن كانوا آية في الشجاعة والإقدام إلا انهم كانوا أُمّيين او اشبه بالأميين منهم بأهل العلم ، ومن هنا رأيناهم يضربون الامثال الشعبية في المواقف التي كان بعض معاصريهم من ملوك الطوائف الأندلسيين كالمعتمد بن عباد يتمثلون فيها بأبيات الشعر الرفيع .

وعبد الله بن بلقين نفسه على حظه من الأدب مولع بضرب مثل هذه الأمثال في المواقف المختلفة ، وبعضها كما قلنا عربي ، وبعضها مولد ، ومنها ما هو اندلسي صميم ، ولكننا نعتبرها جميعا مما تمثل

به العامة في الأندلس ، وقد يكون من المفيد أن نثبت بعض ما استخرجناه من أمثال "التبيان" فيما يلي :

- الحَديث ذو شُجُون (ص 3 ، 83) .
- إذا تَمّ العَقْل نَقَص الكَلام (ص 3) .
- المَوْتْ يَغْدو ويَروح (ص 28) .
- لا تَتْرُكْ حاضِرًا لِغائِب (ص 24) .
- لَيْس الخَبَر كَالعِيان (ص 31) .
- مَا صَلُح لِلمَوْلى عَلى العَبْد حَرام (ص 39) .
- قيل : فُلان لا يَعْرف الشَّرّ ، قال :
  ذَلِك أجْدَر أنْ يَقَع فيه (ص 11) .
- فَإمَّا هُلْك ، وإمَّا مِلْك (ص 23) .
- إذا تمّ شيء دَنا نقْصُه (ص 77) .
- الحَديث ذُو شُجون (ص 83) .
- زاد في الطِّين بَلَّة (ص 119) .
- كَراكِب الأسَد (ص 122) .
- الأعْمال بِالنِّيات (ص 129) .
- عِنْد اللّه تجْتَمِع الخُصوم (ص 129) .
- هُدنة على دَخَن (ص 132) .
- لا تَشْكُ هَمَّك مع مَن لم يَعْنِه ما عَناك (ص 141) .
- أوَل مَنْ يَطُوع وآخِر مَنْ يَعْصي (ص 91) .
- تُريه الأُمور وجُوهَها (ص 105 ، 111) .
- لا الحِمار سَقَط وَلا الزّق انْخَرق (ص 120) .
- الحَاضِر أبْصَر مِن الغَائِب (ص 127) .
- مِنْ أسَاسِه يَكون بُنْيانُه (ص 130) .
- الغِمْد لا يَحْتمِل سَيْفَيْن (ص 140) .
- بِطَوقي ، عَلَى عُنُقي (ص 137) .
- دُون جهْدِك لا تُلام (ص 141) .
- مِن العَناء رِياضَة الهَرِم (ص 142) .
- لَعَلّ لَه عُذرًا وأنْتَ تَلوم ص 142 .
- لا خَيْر في عَقْل لا يَتَصَرّفُ تارات (1) (ص 143) .

(1) ما يزال هذا المثل مسموعا في المغرب ، ومنصيغه : العقل اللي ما يدور كدية .

- لاَ يُلْقَى أَحدُ إِلاَّ بِحَجَره (ص 173) .
- اليَأسُ عَمَّا فَاتَ يُعْقِبُ راحَةَ (ص 175) .
- رُبَّ مطعمة تَعودُ ذُرَّاخا ؟ (ص 175) .
- القوس لا تَكبد إِلاَّ بِقَبْضِ طَرفيهَا . (ص 175) .
- لِكُلِّ امريءٍ مِن دهره ما تَعَوَّد (ص 184) .
- لا يتمكن الْخَبَاء أن يَقِف دون أوتَاد (ص 148) .
- الَّذي يَقْدر عَلَيْه فَلْيَصْنَعْ (ص 127) .
- اتَّسَع الخَرق عَلَى الرَّاقِع (ص 148) .
- لاَ وَلَد لَنا ولا تَلَد (ص 151) .
- اليَوم بِي وغَدا بِكُمْ (ص 166) .
- مَا حَكَّ جِلْدك مِثْل ظُفْرك (ص 99) .
- لا يُلْدَغ مُومن مِن جُحْر مَرَّتَيْن (ص 100) .
- إِذا لَم تَغْلب فاخْلب (ص 125) .
- النَّاس يعيشُوا لِياكُلُو ونَحْن نَاكُل لِنَعِيش (ص 183) .
- لا بُدَّ بَعْد الشَّهْدِ مِنْ إِبَر النَّحْل (ص 195) .

وبعض هذه الأمثال أنصاف أبيات معروفة كالمثل الأخير إلا أنه أصابها - بسبب الاستعمال العامي - التغيير والحذف والكسر ، وهذه الناحية هي التي سيعالجها ابن هشام اللخمي الاشبيلي كما سنرى .

ابن هشام اللخمي الاشبيلي :

وفي القرن السادس جاء ابن هشام اللخمي الاشبيلي فأمدنا بمجموعة من الأمثال التي كانت تدور على ألسنة العامة في هذا القرن ، وذلك في آخر فصل من كتابه : تقويم اللسان (1) .

وقد اقتصر فيها على نوع محدود من الأمثال ، وهو ما يتمثل به من الأبيات والاشطار والأمثال المقتبسة من الشعر ، ويشير هو نفسه إلى هذا في تقديمه لهذا الفصل إذ يقول : "ومِمَّا تمثَّلت به العامَّة مما وقع في أشعار المتقدمين والمحدثين ، تلقنوها عن الفصحاء وهم لا يعرفون الأشعار

(1) نشر هذا الفصل الدكتور عبد العزيز الاهواني في الكتاب التذكاري : الى طه حسين .. وهو يقع في الكتاب من ص : 273 الى ص 294 . ثم اعاد نشره اخيرا الاستاذ ا. غ. غومس مكتوبا بالحروف اللاتينية مع ترجمة وتعليقات تحت عنوان : LOS REFRANES DE IBN HISAM LAJMI. في مجلة الاندلس . (AL-ANDALUS, 1970 VOL. XXXV, FASC. I)

التي أخذت منها وربما حرفوا بعض ألفاظها (1)" . وهذا التقديم يذكرنا بتقديم المفضل بن سلمة لأمثاله إذ يقول : "هذا كتاب معاني ما يجري على ألسن العامة في أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معنى ما يتكلمون به من ذلك (2)" .

ويبدو أن ابن هشام لم يكن يقصد إلى تدوين هذه الأمثال الجارية على ألسنة العامة بقدر ما كان يقصد إلى تقويم لحنها وإقامة وزنها ووصلها بأصولها ونسبتها إلى أصحابها ، إذ لو كان تدوين الأمثال العامية غرضاً بذاته عنده لما اقتصر على ذلك القدر المحدود كما وكيفا .

تشتمل مجموعة ابن هشام على 112 مثلا ، منها سبعة عشر بيتا لشعراء قدماء ومحدثين ، وبينهم ثلاثة من الأندلسيين وهم : الزبيدي وابن شهيد والسميسر ، وذلك يدل ـ كما لاحظ الدكتور عبد العزيز الأهواني ـ(3) على انتشار الشعر الأندلسي بين العامة الأندلسيين حتى صاروا يتمثلون ببعضه ، ولا ينبغي أن نستغرب تمثل عامة الأندلس بأبيات الشعر ، فقد كان بعضهم ـ كما هو الشأن في الأمصار العربية القديمة ـ على جانب من الثقافة الشفوية أو السماعية ، بل إن الروايات تشير إلى أندلسيين أميين كانوا يقرضون الشعر الفصيح (4) ، وفي عصرنا هذا نرى الأستاذ ابن سودة مدون أمثال فاس يذكر كثيرا من أبيات الشعر التي يتمثل بها أهل فاس (5) . وفي الأبيات وأنصاف الأبيات التي رواها ابن هشام كما سمعها من العامة ألوان من الكسر والتحريف ، وهذا يوضح معنى العامة عنده . وأنصاف الأبيات التي يتمثل بها هي أكثر ما في مجموعة ابن هشام

---

(1) المصدر السابق ص : 273 .

(2) الفاخر : 1 .

(3) امثال العامة في الاندلس : 246 (في كتاب : الى طه حسين ..) .

(4) معجم البلدان (مادة شلب) .

(5) يقول في مقدمة كتابه : امثال فاس : «فانك تجد العامي الصرف الذي ربما لا يحسن الكتابة وهو ينطق ببيت شعر او بيتين ، اما بوجهه واما به بعض التحريف ، ولكنهم لا يغيرون المقصود منه كيفما كان الشعر جاهليا او مولدا ، وربما ينطقون حتى بالشعر الجديد الذي نظم اخيرا وكان مما يتمثل به » .

ومعظمها وارد في الأبواب الخاصة بها من كتب الأدب والأمثال (1) وبعضها ذكره ابن عبد ربه في العقد مما تمثل به العامة في زمنه مثل :

ـ كالمُسْتَغيثِ مِن الرَّمْضَاء بِالنَّار .

وذكر ابن هشام أنهم كانوا يتمثلون به مكسورا هكذا :

ـ كَالْمُسْتَجِير مِن الرَّمْضَاء إلى النَّار (2)

ومثل :

ـ إنَّ الشَّقِي بِكُلِّ حبلٍ يُخْنَقُ

ورواه ابن هشام على لسان العامة كما يلي :

ـ المَنْحوس بِكُلِّ حَبْلٍ يَخْتَنِق (3)

والمنحوس بمعنى الشقي والمشئوم استعمال عامي أندلسي ، وسوف يتطور هذا المثل الذي أصله شطر بيت إلى الصيغة التالية في عصر الزجالي :

ـ المَنْحوس في بيضُ يَعْثر (4) .

ورواه ابن عاصم بعده كما يلي :

ـ المُطَيّر في بيضُ يَعْثُر (5) .

والأمثال التي نسبها ابن هشام إلى العامة وليست مأخوذة من الشعر قليلة ، وبعضها سبق أن نسبه ابن عبد ربه إلى العامة أيضا ومنها قولهم :

ـ لا تَكُنْ حُلْوًا فَتُؤْكَل وَلاَ مُرا فَتُبْصَق .

ورواه ابن عبد ربه منسوبا إلى العامة كما يلي :

ـ لاَ تَكُنْ حُلوًا فَتُوكَل وَلاَ مُرا فَتُلْفَظ (6) .

أما صيغته العربية القديمة فهي كما رواها أبو زيد الأنصاري :

---

(1) انظر على سبيل المثال فهرس انصاف الابيات في التمثيل والمحاضرة : 549–566 ، وباب اعجاز الابيات في كتاب الآداب لابن شمس الخلافة : 144 – 156 . ورسالة أعجاز الابيات للمبرد .

(2) العقد 3 : 128 – وامثال ابن هشام : 274 (في كتاب : الى طه حسين) .

(3) العقد 3 : 98 وامثال ابن هشام : 274 .

(4) المثل رقم 323

(5) امثال ابن عاصم رقم 186 .

(6) العقد 3 : 111 وامثال ابن هشام : 281 .

- لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى (1) .

وقد رأينا أن العامة في الأندلس عدلوا فيما بعد عن التمثل بنص الأشطار كما رواها ابن هشام إلى استعمال أمثال في معناها ومن ذلك قولهم :

- إش يمشي مركب في البر (2) .

فهذا ليس سوى ترجمة عامية لهذا الشطر الذي ذكر ابن هشام أنهم كانوا يتمثلون به :

- إن السفينة لا تجري على اليبس (3) .

وروى أيضا أنهم كانوا يتمثلون بقول السميسر :

إذا المرء اشترى بصل   فلا تسأله عن مسله

وقد صاروا يتمثلون به فيما بعد هكذا :

- من فكر في شرا بصلة ، ليس يحفظ مساله (4).

على أننا في مثل هذه الحال لا نستطيع أن نثبت أيهما أصل للآخر .
وعند ابن هشام أنهم كانوا يتمثلون بقول سلم الخاسر :

وفاز باللذة الجسور

أما الزجالي الذي جاء بعده فقد رواه كما يلي :

- فاز باللذات من جسر (5) .

مجموعة الزجالي :

إن ما رأيناه عند ابن عبد ربه وابن هشام لم يكن سوى أوليات بسيطة في تدوين الامثال العامية في الاندلس ، كما ان ما ورد عند غيرهما من هذه الأمثال إنما ورد عرضا وعلى سبيل الاستطراد . أما أول تدوين حقيقي لأمثال العامة - بمعناها الدقيق - في الأندلس فهو الذي قام به أبو يحيى الزجالي في القرن السابع الهجري ، والمعروف إلى اليوم أنه غير مسبوق في هذا

(1) فصل المقال : 253 .
(2) امثال ابن عاصم رقم : 116 لا
(3) امثال ابن هشام : 290 وهو وارد مما يتمثل به في العقد 3 : 138 والتمثيل والمحاضرة : 261.
(4) امثال ابن هشام : 282 والمثل رقم 1376 في النص .
(5) امثال ابن هشام : 288 والمثل رقم 1736 في النص . ولابن خاتمة المريي (ديوانه : 74) :

وخالس زمانك غفلاته   فقد فاز بالعيش من قد جسر

المضمار إلا ما كان من المحاولات الأولية التي اشرنا إليها ، وهو في مقدمته لكتاب "ري الأوام" لا يشير إلى أن أحدا تقدمه في تدوين الأمثال العامة بالأندلس على ذلك النحو من التوسع والترتيب ، ولو كان لوجب ذكره ، ومن هنا يكون صنيع الزجالي مبتكرا على غير مثال سابق في الأندلس ، بل إن مجموعته تعتبر حتى الآن - فيما نعرف - أقدم مجموعة في الأمثال العامية الملحونة ، وهي من حيث عدد أمثالها أكبر المجموعات العامية القديمة المعروفة ، فقد بلغت أمثالها 2167 مثلا .

وقد وردت هذه المجموعة في أحد أبواب كتاب "ري الأوام" الذي درسناه في الفصل السابق ، وهي تشغل حيزا كبيرا من الكتاب يكاد يكون نصفه ، وقد رتبها الزجالي على حروف المعجم حسب اصطلاح المغاربة وهو عندهم : أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و لا ى . وهذا الترتيب هو المتبع عندهم في معاجم البلدان والأعلام وغيرها ، وقد آثرت الإبقاء على ترتيب المؤلف وعدم العدول عنه إلى الترتيب المشرقي حفاظا على نسق الأمثال كما وردت في الأصل ، وتسهيلا على من يريد الرجوع إليها في المخطوط ، والنتيجة بعد ذلك واحدة ، ويختلف نصيب الحروف من الأمثال كثرة وقلة ، فمن أكثرها اشتمالا على الأمثال الألف والميم والباء ، على أنه في حرف الألف عد حرفي التعريف وألف الوصل والقطع والأمر والاستفهام وغير ذلك مما ليس من أصل الكلمة ، وهو يقسم الأمثال في كل حرف من الحروف إلى قسمين : قسم لأمثال الخاصة وقسم لأمثال العامة ، وأمثال الخاصة كلها معربة وهي عبارة عن أمثال العرب وأمثال المولدين وما يتمثل به من الأحاديث وفقر الحكماء والبلغاء ، وكلها أو جلها موجودة في كتب الأمثال المعروفة ، وفي هذا القسم يقول المؤلف ، : "وهذا القسم الأول ألفاظه معربة ، معسولة مستعذبة ، استخرجتُها من بطون الكتب ، وفيها جملة وافرة من أمثال العرب ، وكلماتٌ صدرت عن الصدر الأول من الكلام المنتخب ، اخترتها لجزالة أغراضها ، وجلالة إيمائها إلى الحكمة وإيماضها (1)" ولم نشأ أن نقوم بتحقيق هذا القسم نشدانا منا لوحدة النص وانسجامه ، ولأنه لا يمثل شيئا من نتاج الأندلسيين، ولذلك اكتفينا بأمثال العوام وأرجأنا امثال الخواص إلى أن يتيسر لنا تَقديم الكتاب كله للطبع إن شاء الله .

أما بواعث جمعه لهذه الأمثال فيفهم من كلامه أنه وقع إليه كتاب التمثيل والمحاضرة للثعالبي فأعجب به وبطريقة مؤلفه في الجمع

(1) مقدمة « رى الاوام » .

بين أمثال العرب وأمثال العامة والمولدين ، فكان ذلك حافزا له على تأليف مايضاهيه في الجمع بين أمثال الخاصة والعامة في الأندلس ، وهو يشير إلى هذا بعبارة فيها تواضع كبير إذ يقول : "وأنا مقر بالقصور ، لأبي منصور ، وقد اعترفت ، أنني من بحره اغترفت (1)" وقد عرف الأندلسيون بانبعاثهم إلى التأليف في موضوعات سبقهم إليها المشارقة على سبيل المعارضة والمضاهاة . على أنه ربما تعددت البواعث عند المؤلف ، وربما كان خروج الأندلس من يد المسلمين أحد العوامل النفسية في تدوين هذه الأمثال ، وقد راينا بعض الأندلسيين في عصر الزجالي يواصلون التأليف في أحوال الأندلس رغم ضياعها منهم ، تأساءً وتسلية وذكرى وحنينا للربوع المفقودة ، ومن هؤلاء ابن الأبار الذي يذكر في مقدمة "التكملة" أنه انبعث لتقييدها "امتعاضا للجزيرة ، وإرماضا من كوائنها المبيرة ، ليعلم أنها ما أفلت اهلّتها ، وإن أعضلت علّتها ، وبطلت على البُرء أدلّتها ، ولا هوت نجومها ، وإن أقوت رسومها ، وألوت بدولة عربها رومها (2)" وكأن الزجالي وهو ذلك القرطبي الصميم عز عليه أن تضيع قرطبة وغيرها من حواضر الأندلس ويضيع معها ما كان يجري على ألسنة أهلها في محاوراتهم اليومية ، فنهض إلى تدوين ذلك خيفة أن يطويه النسيان ، وتأدية لحقوق تلك الربوع والأوطان .

ونحن مع هذا لا نستطيع أن نحدد متى وأين دون الزجالي هذه الأمثال ، وهل كان هذا أثناء وجوده بالأندلس أم بعد خروجه منها وتوجهه إلى المغرب ، وله في هذا الموضوع كلام لا يخلو من غموض فهو يقول : "وعاقت الكَبْرة فكسِلت ، عن تكميل ما فيه استرسَلت ، فبقي عطِلاً من التبويب ، صفرا من الترتيب ، ولعل الله يتيح له من السَّماء . من لا يقصر في وضعه عن الغاية في الإنشاء . فما شرعت فيه إلا وقد أ وفى النذير ، وذوي الغصن النضير (3)" وقد نستطيع أن نجمع بين أول هذا الكلام وبين آخره ونفهم من ذلك أنه عنى بجمع مادة كتابه وتدوين أمثاله منذ أيام الشباب في الأندلس ، واسترسل في الجمع والتدوين حتى الكبر ، ولكنه لم يشرع في إخراجه من أوراقه وترتيبه وتبويبه إلا في أواخر حياته بمدينة مراكش .

والبحث في هذه المسألة يتفرع إلى نقط منها :

1) طبيعة هذه الأمثال العامية عند الزجالي ، وهل هي أندلسية أم مغربية ؟

---

(1) المصدر السابق .
(2) التكملة 1 : 3 .
(3) مقدمة « ري الاوام » .

2) هل اعتمد في تدوينها على السماع أم على النقل ؟

3) إذا كانت هذه الأمثال مروية بالسماع فهل سمعها بالأندلس أم بالمغرب ؟

أما النقطة الأولى فإن الذي يستقريء مجموعة أمثال الزجالي يرى أن الطابع الأندلسي غالب عليها وبارز فيها ، سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون . فهي أندلسية من جهة الشكل لأن مفرداتها وتراكيبها مما عرفت به اللهجة الأندلسية كما وصلت إلينا في المعاجم وكما وردت في الأزجال وغيرها من النصوص العامية الأندلسية ، وإن كنا لا نتصور أن البون كان بعيدا بين لهجة الأندلس وبين لهجة أهل العدوة ، في هذا العصر ، وهي أندلسية أيضا من حيث المضمون لأن معظمها يدور حول وقائع أندلسية ويتصل بأشخاص وأحداث وقعت في الأندلس ، وهي حافلة بأسماء الاماكن الأندلسية ، على أنها اشتملت أيضا على أسماء أماكن مغربية كسلا وطنجة وسبتة وأزغار وباب السلسلة بفاس وفندق بن راغو في مراكش وغيرها ، ثم ورود هذه الأمثال في مجموعة ابن عاصم الذي عاش ومات بغرناطة دليل آخر على "أندلسية" أمثال الزجالي . وهذا لا ينفي بالطبع انتشار بعض هذه الأمثال خارج الأندلس ، وينبغي أن نتنبه هنا إلى أن الزجالي دون مجموعته في عصر الموحدين ، وهو عصر نضجت فيه الوحدة التي قامت أيام المرابطين قبلهم بين الأندلس وبلدان المغرب كله ، و إن كانت لها جذور تاريخية بعيدة ، و كان من نتائج ذلك أن توحدت النظم والتقاليد ، وكثر التنقل بين هذه البلدان ، فلا عجب إذا رويت أمثال الأندلس في المغرب أو العكس (1) .

---

(1) مما يؤيد هذا اننا وجدنا طائفة من امثال الزجالي عند مغربي عاش في المشرق هو ابن محرز الوهراني (ت 585هـ) ونذكر فيما يلي بعض هذه الامثال الواردة في كلام هذا الاديب الظريف الذي كان مولعا بالاستعمال العامي في عصره :

- عين لا ترى قلب لا يحزن .
- اذا كانت حولا بحولا ، ربة البيت أولى .
- مثل ما يصيب الحمار الصغير اذا واجه الاسد الكبير .
- الغرر ليس بمحمود وان سلم .
- اكل الخرا مع الناس أطيب من اكل الخرا وحده .
- ما المزين الا نحس .
- الذي في القدر تخرجه المغرفة .
- قالوا للجمل : مالرقبتك معوجة ؟ قال : واي شيء في مقوم حتى تكون رقبتي مقومة.
- لا يوجد خبز للشراء ، ولا يقدر على بيت للكراء .
- كان دبير الصياد يخرج الى الصيد بغير مخلاة لثقته بالحرمان .
- القرض من القرض .

(منامات الوهراني ومقاماته ورسائله : 32 ، 56 ، 84 ، 158 ، 135 ، 160 ، 171 183 ، 210 ، 221) .
ويدل استعمال الوهراني أيضا في الاخير لهذه الامثال ووجود بعضها في مجاميع الامثال المشرقية على سيرورتها في المغرب والمشرق .

وأما النقطة الثانية فإن كلام الزجالي صريح في أنه اعتمد في تدوين الامثال على السماع وشاهد بأنه التقطها من أفواه الناس فهو يقول : "القسم الثاني كلمات لقفتها من أفواه العوام ، وثقفتها من مشاجرات الرعاع والطغام ، وهي كلمات هزلية ، حديثة أزلية، نطق بها الناس على تعاقب الملوان ـ كذا ـ ، ونسبوا بعضها إلى الحيوان (1)" ويقول قبل أحد الأمثال "وسمعت ميَّارًا يشير إلى حَميره ويقول : يرقَّدونا فالْأزبال° ، ويخَلّطونا مع الأ رذال (2)"

ويبقى بعد هذا أن نجيب على النقطة الأخيرة الخاصة بمكان سماع الامثال ، ومن المفروض بل من المنطقي أن يكون الزجالي سمع معظمها في الأندلس خلال حياته في قرطبة أو في شاطبه ، ولدينا بعض القرائن التي قد تشهد لأنه دون كثيرا منها أثناء مقامه في شاطبه فقد لاحظنا في امثال الزجالي بعض كلمات وسمات خاصة بلهجة أهل شرق الأندلس ، مثل كلمة حلال بمعنى سارق وغيرها من الكلمات التي لم نجدها إلا في القاموس المنسوب إلى الراهب القطلوني رمند مرتين (1230 ـ 1286) الذي جمع مادة قاموسه في عصر الزجالي من إقليم شرق الأندلس على الراجح (3) ، ومن هذه القرائن أيضا قلب التاء طاء في كلمة است مثلا فهي ترد في أمثال الزجالي بالطاء في حين أن ابن عاصم يرسمها بالتاء ، وتلك لهجة أهل شرق الاندلس الذين كانوا ينطقون التاء طاء في كلمة حوت مثلا : حوط ، وقد روى ابن عبد الملك المراكشي أن الفقيه أبا محمد بن أبي الحسن بن قطرال ـ خال الزجالي وزميله في الدراسة ـ ذكر له أنه رأى مكتوبا بنقش في جص على باب حمام أو فندق ما يلي : "رحم الله عبدا صنع شيئا فأطقنه ـ بالطاء يريد فأتقنه" . وعلق على ذلك بقوله : "ولا شك أن ذلك معروف من لغتهم ، سمعته من غير واحد منهم (4)" وقلب التاء والدال أيضا طاء نجد له أمثلة عديدة في قاموس الراهب رمند مرتين الذي نرجح أن يكون دوَّنه في إقليم شرق الأندلس فمن ذلك : نصطقي أي نستقي ، ويغرط أي يغرد ، وقنفوط أي قنفود ، وقنافيط أي قنافيد (5) . ولا نريد هنا أن نتتبع الشواهد التي قد تدل على

---

(1) مقدمة « رى الاوام » .
(2) انظر ص : 395 ـ من النص .
(3) وقفت بعد هذا على ما يشعر باستعمال كلمة « حلال » في بلدان المغرب قديما ، فقد جاء في اخبار المهدي بن تومرت للبيذق ما يلي : « فلما كان في بعض الايام سمع صوت مناد وهو ينادي هدا جزاء الحلال ، فقال المعصوم : ما هذا النداء ؟ فقالوا له هذا حلال ياخد أموال الناس ويدخل عليهم ليقتلهم » اخبار المهدي للبيذق ط. دار المنصور ص 12 .
(4) الذيل والتكملة 1 : 35 (مخطوط) .
(5) Voc. : 412 ، 404 ، 369 . وفي وثيقة بلنسية نشرت في مجلة الاندلس نجد : تحطي = تحتي، مفطح = مفتوح. (AL ANDALUS, 1971)

انتماء بعض الأمثال إلى أقاليم بعينها في الأندلس ، وقد نعرض لذلك في الفصل الذي نخصصه للعامية الأندلسية من خلال الأمثال . ويبدو أن الزجالي استمر في سماع الأمثال وجمعها بعد هجرته إلى المغرب أيضا ، إما من أفواه الاندلسيين المهاجرين ـ وقد كان عددهم كبيرا ـ أو من أفواه عامة المغرب ، ونظن أن الأمثال التي فيها ذكر لأماكن مغربية هي مما جمعه في المغرب ، وهناك نقطة تكون محل اعتراض وتساؤل ، وهي أن الزجالي وصف في ترجمته ـ كما رأينا ـ بكثرة الانقباض والصبر على الوحدة ،.فكيف تسنى لرجل هذه صفته أن يجمع ما جمع من أمثال مع ما يقتضيه ذلك من ضرورة الاختلاط بالناس والاحتكاك بهم ، وقد نجيب على ذلك بما قررناه فيما سبق من أن الزجالي آل إلى هذه الحال في أواخر حياته بما تركته في نفسه آثار الغربة والنكبة .

أما محافظته على تدوين الأمثال كما سمعها وعدم تصرفه فيها بنوع من أنواع التصرف كالإعراب ونحوه فيؤيده قوله : "ولو شئتُ أن أسوقها مُعْرَبة ، وعن معانيها مُعْرِبة ، لكان ذلك بأسهَل مَرام ، وأيسر نقْضٍ وإبرام ، وإنما كان يذهب رَوْنقها ، ولا يُعجب مونقها ، فتركتها على وضْعها ، لإحراز نفعها ، ولتكون أولجَ على الألسنة ، وأجزَل لدى المحاورات المُستحسنة ، ولصرفِ النفوس منها من أَزْل ، لهَزْل ، ومن ضَغْط ، لبَسْط ، ومن كثيف ، لضَعيف ، فقد قيل في التنقيل :

لا يُصْلحُ النّفسَ إذا كانَت مُصَرفَةً إلا التنقّلَ من حالٍ إلى حال (1)"

والزجالي هنا يساير رأيا قديما نصح به الجاحظ وألح عليه وذلك قوله في البيان والتبيين : "وكذلك إذا سمعتَ بنادرة من نوادر العوام ، وملحة من مُلَح الحشْوة والطّغام ، فإياك أن تستعمل فيها الإعراب أو تتّخذ لها لفظا حسنا أو تجعلَ لها من فيك مخرجا سريا ، فإن ذلك يُفسد الامتاع بها ويخرجُها من صورتها ، ويَذهب استطابةَ الناس لها (2)" ويقول في كتاب البخلاء : "وإن وجدتم في هذا الكتاب لحنا أو كلاما غير معرب أو لفظا معدولا عن جهته ، فاعلموا أننا تركنا ذلك . لأن الإعراب يبغّض هذا الباب (3)" ولسنا ندري هل اطلع الزجالي على كلام الجاحظ أم لا ، ولكن صنيعه على أي حال يدل على سعة أفق ، ورحابة صدر ، واستنارة

---

(1) مقدمة « رى الاوام » . والبيت لابي العتاهية.
(2) البيان والتبيين 1 : 81 .
(3) البخــلاء :

ذهن قلما نجدها في العصور المتأخرة . ونحن نرى أن الزجالي كان صادقا فيما قال ، وأنه حافظ على عامية الأمثال بقدر ما اسعفته اصطلاحات الرسم العربي ، على أن الصيغة العامية لهذه الأمثال كما رسمها الزجالي يكمن قدر كبير منها في طبيعة أدائها ، وطريقة إلقائها ، وكيفية النطق بها ، وذلك أن الرسم العادي لا يؤدّي كل الأصوات والنبرات التي يفقد المثل العامي بدونها كثيرا من عاميته ، وهناك فرق بين سماع الأمثال العامية وبين قراءتها ولا سيما بالنسبة لمن هو غريب عن لهجة تلك الأمثال أو ما يقاربها . ومما يدلنا على صدق الزجالي وأمانته في نقل الأمثال وعدم تصرفه فيها ما يلي :

1) التوافق التام في الغالب بين روايته ورواية غيره من الأندلسيين كابن عاصم وابن قزمان وأن كان هذا الأخير يتصرف أحيانا في المثل خضوعا لما تقتضيه طبيعة النظم وضرورة الوزن ، والأمثلة هنا كثيرة جدا ، ولا نرى داعيا لذكرها ما دام الرجوع إليها في النص أمرا سهلا (1) .

2) إيراد المثل الواحد بصيغ متعددة ومختلفة (2) . وفي ذلك دليل على تعدد السماع .

3) كما أن طائفة كبيرة من هذه الأمثال ما تزال حية وسائرة بين الناس في بلدان المغرب بالصيغ التي رواها الزجالي في القرن السابع الهجري كما يبدو من استقراء تحقيقنا للنص .

وقد يلاحظ أن بعض هذه الأمثال في مجموعة الزجالي تسمو في ألفاظها وتراكيبها إلى مستوى يقترب من أسلوب الفصحى أو لا يختلف عنه كثيرا ، وقد نجيب على ذلك بأنه ليس من اللازم في الأمثال العامية - كلون من الأدب - أن تكون دائما بأسلوب الكلام العادي في الحياة اليومية ، فللآداب العامية تأنقها وتفصُّحها الخاص ، كما تشهد بذلك الأزجال وغيرها

---

(1) نورد هنا مثالا واحدا لتبيين الفرق بين الزجالي وابن عاصم وابن قزمان الذين اوردوا الامثال كما سمعوها من العامة وبين غيرهم ممن يذكرها معربة ، وهذا المثال هو قولهم : بحل من مضى لو مشط ووجد حمام. كما رواه الزجالي ، او : بحال من مضال ماشط واصاب حمام . في رواية ابن عاصم . فهذا المثل الاندلسي المغربي نجده معربا في نص لابن غازي المكناسي (ت. 919) يقول فيه : « وحدثني شيخنا الفقيه العلامة ابو عبد الله القوري أنه كان يقول : سبب ارتحالي لفاس في طلب الفقه مسالتان سئلنا عنهما فلم يحضرنا جواب مع شهرتهما : مسالة المكثر من النذور... ومسالة : من اشترى جارية فشرط انها ثيب فالفاها بكرا - ما حضر اصحابنا فيهما شيء غير انهم قالوا : هذا كمن تلف له قب فوجد حماما»

(2) انظر سبيل المثال الارقام التالية : 167 ، 218 ، 242 ، 264 ، 516 ، 506 ، 665 ، 293 ، 2052 ، 2146 ، 2154 .

من ألوان الأدب العامي أو الشعبي (1) ، ثم إن بعض الأمثال العامية ترجع إلى أصول فصيحة وتمثل بها العوام على صورتها الأولى أو ما يقرب منها ، ويضاف إلى ذلك أن مستوى العامية في القرن السابع وما قبله ليس هو مستوى العامية فيما بعد أو في عصرنا هذا ، وقد أشرنا فيما سبق إلى أن العامة في الأمصار العربية عموما كان لديهم حظ طيب من الثقافة المروية التي كانوا يكتسبونها من حلقات المساجد ومجالس العلم ومخالطة أهله وغير ذلك ، ولا سيما ما يتعلق بالأقوال المأثورة التي تتخلّل الأحاديث ويحلى بها الكلام .

ويبدو أن الزجالي حين ترك الأمثال العامية على حالها كان يتوقع النقد من بعض معاصريه الذين لم يكونوا يستسيغون مثل هذا العمل ، وهو يعرب عن ذلك بقوله : "وربّما يتناولُها البَليد ، ويتأوّلها بنقد كأنه الجليد ، فيهرف ، بما لا يَعْرِف ، ويعيب ، ما عنه يغيب ، فأمّا الألمعي فيغضى متأملا ، ويركب متأوّلا ، ولا ينقر عن هناة ، ولا يحتقر غَمْز قناة ، بل يقيلُ العثار ، ويقول : دع أمرءًا وما اختار (2)" ونحن نعرف أن الإقدام على تدوين الأدب العامي كان بدعة في نظر كثير من الناس ، وكان معظم المؤلفين في المشرق والمغرب يزورون عنه ويأنفون من تسجيله ، فهذا أبو هلال العسكري يعيب كتاب حمزة الأصفهاني لاشتماله على أمثال المولّدين ، ويفخر بخلو كتابه مما عده عيبا ، لاقتصاره على الأمثال العربية الصحيحة ، وذلك إذ يقول : "وميزت ما أورد حَمْزة الأصبهاني من الأمثال المضروبة في التّناهي والمبالغة ، وهي الأمثال على أفعل من كذا ، فأوردتُ منها ما كان عربيا صَحيحا ، ونفيت المولد السقيم ليبرأ كتابي من العَيب الذي لزم كتابَ حَمْزة في اشتماله على كل غَثّ من أمثال المولدين وحشوة الحضريين ، فصارت العلماء تلغيه ، وتسقطه وتنفيه (3)" .

وحين ألف الزبيدي كتابه في لحن العوام ، واضطر إلى ذكر كلمات عامية من أجل تقويمها وإصلاحها ، توقع هو أيضا طعن الطاعنين فقال : "ولعل طاعنا يطعن في كتابنا هذا بما ذكرناه من الكلام السوقي واللفظ المستعمل ، جهلاً منه أن الفساد إنما يقع في المستعمل على الألسنة ، وأن الوحشي مصونٌ عن التغيُّر والإحالة ، بقلة استعماله ، وجهل

---

(1) تنبه الى هذا العلامة المرحوم ابن شنب في مقدمة كتابه اذ يقول :
La langue proverbiale se rapproche assezde la langue littérale, et il arrive souvent d'entendre un illettré dire un proverbe dans le plus pur arabe. T.1. P. 11. Proverbes : Arabes de l'Algérie et du Maghreb

(2) مقدمة « ري الاوام » .
(3) جمهرة الامثال 1 : 2 .

عوام الناس به ، وما ذكره أبو حاتم مما عسى أن يعاب علينا ذكر مثلنا له عذر كاف (1)" .

وقد اضطر ابن بسام في ترجمة عبادة بن ماء السماء إلى الحديث عن صنعة التوشيح ، ولكنه لم يأت بمثال واحد يبين ما أشار إليه من قواعد وأحكام ، وتعلل بقوله : "وأوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض هذا الديوان إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب (2)" مع أنه وصف الموشحات بقوله : "تُشَقُّ على سماعها مصونات الجُيوب ، بل القلوب " وفعل مثل هذا حين أشار إلى الصقالبة وقال : " وشعرهم خارجٌ عن شرطنا ، وليس من جمعنا (3)" . كما أنه قصر في تسجيل كثير من شعر ابن مسعود القرطبي الذي كان تحت يده فحرمنا مصدرا له فائدته في تصوير المجتمع الأندلسي (4) ، ويقول عبد الواحد المراكشي معتذرا عن عدم إيراد موشحات عبد الملك ابن زهر : "ولولا أن العادة لم تجر بإيراد الموشحات في الكتب المجلدة المُخلَّدة ، لأوردتُ له بعض ما يبقي على خاطري من ذلك" كما أن المقري لما استطرد إلى ذكر الموشحات في أزهار الرياض قال في آخر هذا الاستطراد معتذرا ومدافعا عن صنيعه : "قلت : كأني بمنتقدٍ ليس له خبرة ، يسدد سهام الاعتراض ويتولى كبره ، ويقول : ما لنا وإدخال الهزل في معرض الجد الصُّراح ؟ وما الذي أحوجنا إلى ذكر هذا المنحى والأليق طرحه كل الاطراح ؟ فنقول في جوابه على الانصاف : لم تزل كتب الأعلام مشحونة بمثل هذه الأوصاف ، وليس مرادهم إيثار الهزل على غيره ، وإنما ذلك من باب ترويح القلب ، وهو أعون على خيره ، وللسلف في مثل ذلك حكايات يطول جلبها ، ولا يقدح ذلك في سكينتهم ولا يتوهم لسببه سلبها ، ويرحم الله تعالى عياضا إذ قال :

قل للأحبة والحديثُ شجونُ ما ضر أن شاب الوَقار مجون

وليس قصدنا نحن بهذا ، علم الله ، غرضا فاسدا ، ننفق من في سوق الهزل كاسدا ، وإنما غرضنا صحيح ، وزندنا غير شحيح (5)". كما أن ابن خلدون أشار - بحسرة ملحوظة - في معرض حديثه - في المقدمة والتاريخ - عن أشعار الهلاليين ، إلى إهمال تدوينها والتقصير في روايتها وذكر "

(1) لحن العوام : 9
(2) الذخيرة ق مج 2 : 2 .
(3) الذخيرة ق 4 مج 1 : 22 .
(4) الذخيرة ق 1 مج 2 : 79.
(5) ازهار الرياض 2 : 227-228 .

أن الخاصة من أهل العلم بالمدن يزهدون في روايتها ويستنكفون عنها لما فيها من خلال الإعراب" ويقول في المقدمة : "والكثير من المنتحلين العلوم لهذا العهد ، وخصوصا علم اللسان ، يستنكر هذه الفنون التي لهم إذا سمعها ، ويمجُّ نظمهم إذا أُنشد ، ويعتقد أن ذوقه إنما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها " (1)

وبالإجمال فقد كان القدماء يرون أن الآداب العامية ضرب من الهزل ، ورأيناهم ينعتون الأزجال الأندلسية بأنها نظم هزلي (2) . كما وصف شعر ابن شخيص وابن مسعود بالهزل لترديده أصداء الحياة العامية وإن كان فصيحا (3) .

وقد كان هذا الرأي سببا في ضياع كثير من الآداب العامية والآثار الشعبية .

وإذا كان ثمة من عيب أو نقص يلاحظ على الزجالي فهو أنه لم يعن بشرح الأمثال ، وأوردها مرسلة بدون تفسير ، ولا إشارة إلى مضرب ، على أنه لم يكن الوحيد في هذا الباب ، فكثير ممن جمعوا الأمثال العامية في القديم والحديث أهملوا هذا الجانب ، ويبدو أنهم كانوا يعتمدون على أنها مفهومة عند أهل عصرهم ومعروفة لديهم، ويبدو أيضا أنهم تعمّدوا عدم شرح بعضها لما تنطوي عليه من فحش أو مجون ، وكأن الزجالي أحس بحاجة أمثاله إلى الشرح بل إنه يعترف بذلك إذ يقول في آخرها : "وكثيرٌ مما في هذا المصحف يحتاجُ إلى تفسير وإلى شرح وإلى تبيين :

خ :

ولا بُدَّ من شيخ سوءٍ لطيفٍ	يُفَسِّرُ منها الذي أَشْكَلا
فَسَلْهُ إذا أنتَ أَلْفَيْتَهُ	يريكَ مَتَى شئتَ فيها الجَلا (4)

ولم يكن الزجالي ـ رحمه الله ـ بعيد النظر حين أحال على شيوخ السوء ـ كما قال أو أنشد ـ لالتماس تفسير ما يشكل من أمثال عندهم ، فهو لم يفكر إلا في أهل زمنه ، وربما لم يخطر بباله أن بعض أمثاله سوف تصبح بعد قرون ألغازا أو شبه ألغاز ، وأن الناس ـ شبابا وشيوخا ـ سوف يتساوون في عدم فهمها والحاجة إلى شرحها .

---

(1) المقدمة : 578 والعبر 6 : 40 .
(2) الزجل في الاندلس : 58-61 ، 77 .
(3) فهرسة ابن خير : 408 والذخيرة ق 1 مج 2 : 22 .
(4) مقدمة « رى الاوام » .

ومهما يكن فقد عوض شيئا من النقص ، وسد بعض العوز بالشواهد والأبيات التي يذكرها في أعقاب الأمثال ، وهو يفخر بذلك فيقول : " "وطرزتها بأبيات ، أتت من حسنها بآيات ، نطتها بها بأرق مُلابسة ، وأدقّ مجانسة ، وأيسر مشابهة ، وأنزر مشاكهة (1)" . وقد سلك ابن عاصم الغرناطي بعده هذا المسلك ، وكثيرا ما نجدهما يختلفان في ذكر الشواهد ، والزجالي وإن كان موفقا في تصيّد هذه الشواهد الملائمة للأمثال إلا أنه في بعض الأحيان يأتي بها لمجرد ورود كلمة مشتركة بين المثل والشاهد ، فهو حين يذكر المثل : أول غزاتي ، انكسرت قناتي... يستشهد بقول الشاعر :

كانَتْ قَناتِي لا تَلِينُ لِغَامِزٍ فألانها الإصباحُ والإمساءُ
ودعَوت ربّي في السّلامة جاهداً ليُصحّني فإذا السّلامة داءُ (2)

فنحن لا نرى هنا صلة أو مناسبة بين معنى المثل ومعنى الشاهد إلا من حيث اشتمالهما على كلمة "قناتي" وربما كان استشهاده به من قبيل تداعي المعاني فحسب ، ومثال ذلك أيضا أنه ذكر المثل : انتظار المُجَبَّنة خير من أكلها . واستشهد له بقول الشاعر :

قَوْراءُ وارسةُ الجلبابِ هِمْتُ بِها فقيلَ صفْها ومثّلها كما يَجِبُ
فقلتُ والشّوق يطْوي نحوها رجُلاً كأنّها الشمس فيها البَدرُ محتجب (3)

فهذا شاهد لا يفسر المثل ، ولا رابطة بينهما إلا في كلمة "مجبنة" وقد وقفنا على ما يفيد أن هذا المثل يشبه أن يكون صيغة أندلسية لمثلين فارسيين ذكرهما العسكري في كتاب المعاني وهما : "انتظار الحاجة خير لك من قضائها " و "المأمول خير من المأكول (4)" والأمثلة مما ذكرناه عديدة ، وهذا معنى ما ذكره الزجالي من أنه يأتي بالأبيات "بأرق ملابسة وادق مجانسة ، وأيسر مشابهة ، وأنزر مشاكهة " . وقد اعترضتنا مشكلة أخرى في هذه الشواهد وهي أننا رأيناها توضع أحيانا في غير موضعها المناسب ، وقدرنا أن يكون سبب ذلك ما ذكره المؤلف في المقدمة إذ يقول: "وعاقت الكبرة فكسلت ، عن تكميل ما فيه استرسلت ، فبقي عطلا من التبويب ، صفرا من الترتيب ، ولعل الله يتيح له من السماء ، من لا يقصر

(1) انظر ص 395 من النص .
(2) انظر امثل رقم 314 في النص .
(3) انظر المثل رقم (116) في النص
(4) كتاب المعاني 2 : 90 .

في وضعه عن الغاية في الإنشاء " واعتبرنا هذا الكلام بمثابة إذن من المؤلف - وإن لم نكن له بأهل - فتصرفنا في بعض الشواهد بالتقديم والتأخير ، واجتهدنا في وضعها مواضعها المناسبة أو التي رأينا أنها مناسبة ، ونبهنا على هذا في كل مرة ، ونرجو أن لا نكون مخطئين فيما ذهبنا إليه ، فإن لم يكن لنا حظ المجتهد المصيب كان لنا أجر المجتهد المخطيء ، وشواهد الزجالي متعددة المصدر مختلفة المنزع ، فمنها الجاهلي والإسلامي ، والمخضرم والمولد ، وبينها شواهد عديدة من الشعر الأندلسي ، وقد حرصنا على تخريجها ونسبتها إلى قائلها بقدر الطاقة وبقي بعضها بدون تخريج ، وسوف نبذل الجهد في تخريجه لاستكماله فيما بعد بحول الله (1) .

ولم يتعرض الزجالي في مقدمته إلى مفهوم المثل عنده ، ولكن يبدو من طريقته أنه توسع في هذا المفهوم بحيث يشمل كل قول قصير يجري بين العامة ، وتتداوله ألسنتهم ، ولم يتقيد في ذلك باصطلاح المتأخرين الذين حددوا المثل ووضعوا له شروطا ، ولهذا نجد في مجموعته طائفة من الجمل القصيرة لا ينطبق عليها تعريف التهانوي مثلا إذ يقول : "المثل في الأصل بمعنى النظير ثم نقل منه إلى القول السائر أي الفاشي الممثل بمضربه وبمورده ، والمراد بالمورد الحالة الأصلية التي ورد فيها ، وبالمضرب الحالة المشبهة بها التي ورد فيها الكلام وهو من المجاز المركب بكونه على سبيل الاستعارة سمي بالمثل (2)" ومما سلكه في عداد الأمثال عبارات كانت تجري مجرى الأمثال ، وبعضها ورد في معاجم اللهجة الأندلسية كقولهم :

أحيل الوجه على البطانة (3) . وقولهم :

نفاج ومحتاج (4) ومن هذا أيضا تلك الجمل التي تتألف من

---

1) من الشواهد التي فاتني تخريجها : شاهد المثل رقم 238 ص 59 من القسم الثاني ، وهو لابن فارس الرازي كما في أرشاد الاريب 4 : 80 ، وشاهد المثل رقم 845 ص 193 ، وهو للوأوأ ، وقد ورد في ديوانه كما يلي : (ص 183) .

حكم الهوى في اخذها حكم العزيز على الذليل

وشاهد المثل رقم 915 ص 205 ، وهو لعبد الكريم الحلواني كما في شرح المقامات ج 1 ص 153. وشاهد المثل رإم 828 ص 188 وهي ابيات وردت بدون نسبة ايضا في شرح المقامات للشريشي ج 4 ص 223 . وشاهد المثل رقم 885 ص 200 وهو للمتنبي وشاهد المثل رقم 1143 ص 266 بدون نسبة ايضا في شرح المقامات للشريشي ج 2 ص 225 . وشاهد المثل رقم 1456 ص 337 لابن ابي ازهر كما في بغية الوعاة ص 104 . وشاهد المثال رقم 839 ص 191 وهو للمعري ، وشاهد المثل رقم 164 ص 42 وهو لابن رشيق القيرواني .

2) كشاف اصطلاحات الفنون 2 : 1340 .

3) المثل رقم 444 في النص . ويبدو أن هذه العبارة هي التي يشير اليها اليكي - أو الابيض - في قوله:

ولا تهب كل فاسي مررت بـه وان نفن غيه خيرا «حول الدرقة»

4) المثل رقم 1577 في النص .

مضاف ومضاف إليه ، وهذه أفردها المشارقة كالثعالبي والمحبي بمؤلفات خاصة ، وذكر الزجالي مجموعة منها يبدو أنها عرفت في المغرب ولم تعرف في المشرق ومنها قولهم :

- حُروز خطّاب .
- حِرزُ أَبي دُجانة .
- تفخيذ الطّلبة .
- تسبيح أم زَيْنَب .
- تعْليم القنديل .

ومن ذلك أيضا تلك الجمل التي تشبه جمل الاتباع والمزاوجة في الفصحى والعامية كقولهم :

- بالحَسِّ مَسّ .
- بالحيد والقليد .
- بالشّد والمدّ .
- بالبَط والقَط .
- بالشماع والجَماع .

وقد لاحظنا أن ابن عاصم الذي جاء بعد الزجالي لم يذكر هذه العبارات المثلية في مجموعته .

ويختم الزجالي مقدمته بدعاء لا يخلو من مغزى ، وكأنّه تأثم من بعض ما ورد في الكتاب والأمثال ، فسأل من الله التجاوز والإغضاء بقوله : "وأنا أسأل الله أن يتجاوز عني فيما اعتمدت ، ويرزقني إغضاء منه وتغمدا برحمته فيما أوردت ، فلولا عفوه لسمدت ، أي قصد قصدت ، و هو سبحانه يعصم من الزلل ، وخطأ القول والعمل ، اللهم إن مؤلفه لارجاء له إلا في سعة منّك ، ودعة أمنك ، فاعف عنه واغفر له هفوه وعمده ، وهزله وجده ، وكل ما تعلم من هنات عنده ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وموئل الآمنين" .

ومن دأب بعض العلماء أن يشفعوا ما يروونه من حكايات ونوادر وأخبار بمثل هذا الدعاء ، وقد اشتملت أمثال الزجالي كما نرى على كثير من الألفاظ الصريحة ، وتلك كانت طريقة الناس في الكلام والحديث ، ويستوي في ذلك خاصتهم وعامتهم ، وكان الزجالي جريئا في تدوين تلك الأمثال وأمينا في روايتها ، والعلماء مختلفون في هذا الموضوع ، فمنهم المتزمت المتنسك الذي يتعفف عن رواية بعض ما رواه الزجالي مثلا بل يذهب الى تحريمه ، ومن هؤلاء البلوي الذي يقول في كتابه ألف باء : "والكلام

القبيح حرام من أي نوع كان مثل مدح الخمر، والكلام بالخنا والهجر ، ولقد أذكرني هذا خبرا كنت أنسيته : كلفني بعض الأصحاب نسخ جزء فانتسخته حتى انتهيت فيه إلى أبواب تتضمن مدح الخمر وأوصافها وشاربها فتركت مواضعها من الكتاب بياضا (1)" ومنهم الأريحي المتسامح الذي لا يرى ضررا ولا خطرا في مثل ذلك ، ومعظم علمائنا الأقدمين كانوا من هذا الطراز ، وهذه مسألة ليس هنا موضع شرحها ، وقد نتحدث عنها عند الكلام على لغة الأمثال .

أمثال عامية في الرسائل الكبرى لابن عباد الرندي (733 هـ ـ 1330 م 792 هـ ـ 1390 م)

وقفت في أثناء تنقيبي عن الأمثال في بطون المصنفات الأندلسية والمغربية على طائفة من أمثال عامة الأندلس والمغرب في الرسائل الكبرى لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بابن عباد النفزي الرندي (2) ، وهو من أقطاب التصوف الإسلامي في المغرب والأندلس ، ولد برندة في سنة 733 هـ من أسرة نعتت بالحسب والأصالة ، وكان والده خطيبا وواعظا بقصبة رُندة وقد تلقى ابن عباد تعليمه الأولي ببلده على والده وخاله الفقيه القاضي أبي عبد الله الفريسي والفقيه أبي الحسن الرندي ، ثم انتقل إلى المغرب حيث أخذ عن شيوخ العلم في فاس وتلمسان وأقام زمنا بسلا في صحبة شيخ التصوف في زمنه أبي العباس أحمد ابن عاشر ، ويذكر أنه صحب صوفيا آخر في طنجة ، وقد انتهى به المطاف في فاس حيث بقي بها خمس عشرة سنة خطيبا بجامع القرويين ، وتوفي سنة 792هـ وضريحه معروف في فاس ، وهو عند أهل المغرب بمثابة ضريح الإمام الشافعي عند أهل مصر .

أما الرسائل الكبرى لابن عباد فهي عبارة عن مجموعة من الرسائل الإخوانية خاطب فيها تلميذه وشريكه في النسبة القبلية والبلدية الشيخ يحيى السراج النفزي الرندي الأصل الفاسي المولد والوفاة (ت 805 هـ) (3) ، وقد وجهها إليه في أثناء مقامه بسلا .

---

(1) الف باء 1 : 54 ـ 55 .

(2) ترجمة ابن عباد الرندي ومصادرها في سلوة الانفاس 2 : 33 ـ 132 وافرده الزيادي بترجمة سماها : افادة المرتاد في التعريف بابن عباد ، وانظر ايضا بحثا للاستاذ ابى الوفاء الغنيمي التغتازاني في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد . المجلد السادس ، العدد 1ـ2 من ص 221 الى ص 245 ، ومؤلف الاب نويا في ابن عباد الرندي .

(3) ترجمته في سلوة الانفاس 2 : 143 مع الاشارة الى مصادرها .

وهي تنتظم في موضوعها العام قضايا في التربية الروحية ، ووصايا في آداب السلوك الصوفي ، يقول الشيخ زروق : "وفيها من الفوائد ما لا يحصى، مع وفور أنوارها وعظيم أسرارها . ذكر لي بمصر أنها لما بلغت سيدي أبا عبد الله البلالي صاحب اختصار الأحياء وغيره جعلها على رأسه وصار يقول : أنا عبد لابن عبّاد." ونعتها الأستاذ ماسينيون بقوة الأصالة .

ونرى أن أصالة هذه الرسائل لا تتمثل في مضامينها الصوفية فحسب ، وإنما تتمثل أيضا في مزاياها الأدبية والاجتماعية ، وأسلوب ابن عباد في هذه الرسائل يجمع بين الجزالة والطلاوة وبين تقريب المعاني وتوضيحها أحيانا بألفاظ وامثال أندلسية ومغربية ، وقد جرت عادة معظم المترسلين في الأدب العربي على ترسم الفصح النهجية والرواسم التي تكاد تبتذل من تعاقب الاستعمال ، أما ابن عباد الرندي فلم يكن في ترسله الإخواني يترسم الأساليب الجارية أو يحتذي القوالب الجامدة وإنما كان يستمد من طبع قوي وقريحة وقادة وسليقة سليمة يسندها إلمام دقيق بلغة العامة في عصره وتنبه زائد إلى أساليبهم واستحسان لمقاصدهم واستنبال لأغراضهم ، ولهذا لا نجده يأنف ـ كما أنف غيره ـ من التوكؤ على معاني العامة والاعتماد على ألفاظهم وامثالهم ، وله في ذلك رأي يعبر عنه بقوله في أعقاب استشهاده ببعض الأمثال العامية مخاطبا يحيى السّراج : "والألفاظ العامية كثيرا ما أسوقها في كتبي وأصل بها الكلام الفصيح العربي ، لأن الأمثال العامية تشير إلى معان حقيقية لا يمكن أن يستفاد مثلها إلا من الكلمات الحكمية ثم هي أعلق بالقلوب والنفوس ، من كل منمق من الكلام أودع الدفاتر والطروس ، فلذلك اعتمدتها ، فاعلم هذا" (1).

ومن هذه الألفاظ المحلية الواردة في الرسائل : المسيد = الكتاب ، البراءة ـ الرسالة ، الطيافير : جمع طيفور ، وهو نوع من الصحون ، الخصة حوض ماء أو فسقية في اصطلاح المشارقة ، يقاشح = يجادل ، خبع = أخفى ، الكدّان ـ نوع من حجارة البناء ، أشاكيم : جمع أشكامة وهي قشور السمك ، أشكرلاط ضرب من الثياب ، أيرنة = يرني : ضرب من الكمأة . الزبلحة = الحمق ، الشكارة = الجراب ، الدامون = الدماغ والرأس .

أما الأمثال التي يسوقها ابن عباد في رسائله فمنها ما ينسبه إلى عامة الأندلس كهذا المثل :

ـ صحت يشجّعني ، برّق عينوا وفزّعني (2) .

---

(1) الرسائل الكبرى : 114 .

(2) الرسائل : 52 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 1608. وصحت : هكذا وردت عند ابن عباد وفي نسخ «ري الاوام» للزجالي ، وقد صوبتها في النص : صحبت ، ولكن تبين لي بعد ذلك ان الاندلسيين يستعملون صحت ، بمعنى ناديته ، ففي زجل لابن قزمان وردت عبارة : قم تصاح أي تنادي .

ومنها ما ينسبه إلى العامة من غير تقييد ، ومعظم ما أورده من هذه الأمثال العامية موجود في أمثال الزجالي القرطبي وأمثال ابن عاصم الغرناطي ، وبعضها ما يزال معروفا في بلدان المغرب العربي ، وهذه طائفة من الأمثال التي نص ابن عباد على نسبتها إلى العامة بإطلاق :

- قيل للمجذوم : اغسلْ يدَكَ ! قال : ما بعد الجُذام علة (1) .
- أنفٌ في السَّماء ، واست في الماء (2) .
- خذ الدنيا من يد مَنْ شبع ثم جاع ، ولا تأخُذْها مِن يَد من جاع ثم شبع (3) .
- كُلُّ شَيء يَهونْ ، إلاّ الغَزَل المَعْفون (4) .
- سَاق جَزّارو ، على حِمارو (5) .
- حدِّث النَّاس ما حدَّقوك بأبصارِهم (6) .
- من أين أذنك يا جُحا (7) .
- يَفصد في النملة عرق الباسليق (8) .
- قربة لا تهدي وزبد لا يَخْرج (9) .
- الجلوس بلا شغل يحمِّقْ (10) .
- الرُّجْلَة تَحْضَر وتَغيب (11) .
- لاَ زوال ، من ذانوال (؟) (12) .
- جالس على كدية تراهم (؟) (13) .
- ضربتين في الرّاسْ تهَوّس (14) .
- الشَّاهد يرى ما لا يرى الغائب (15) .

---

(1) الرسائل الكبرى : 53 وانظر تخريج المثل في القسم الثاني من هذه الدراسة رقم 79 .

(2) الرسائل : 68 وانظر تخريجه عند ابن شنب رقم 844 .

(3) الرسائل : 68 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 969 .

(4) الرسائل : 75 وانظره في القسم الثاني رقم 1091

(5) الرسائل : 76 وما يزال يتمثل به في المغرب والجزائر بلفظ : جاب جزاره على حماره ، ابن شنب رقم 545 وابن سودة : 223 .

(6) الرسائل 118 واصله حديث برواية ابن مسعود: حدث القوم ما حدجوك بابصارهم . تثقيف اللسان: 280 .

(7) الرسائل : 135 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 84 .

(8) الرسائل : 146 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 2049 .

(9) الرسائل : 156 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 1983 .

(10) الرسائل : 162 وهو في امثال ابن عاصم رقم 172 .

(11) الرسائل : 173 وما يزال يتمثل به في المغرب والجزائر . انظر ابن شنب رقم 2480 ورقم 1251 من امثال الزجالي .

(12) الرسائل : 174 ولم نقف عليه عند غيره .

(13) الرسائل : 186 ولم نقف عليه في غيرها .

(14) الرسائل : 197 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 1623 .

(15) الرسائل : 204 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 265 .

ـ البيان في الفدّان ولا الشرّ في الأندر (1) .
ـ منْ أين ما ضربت له وتَد يعلق لك مخلا (2) .
ومن الأمثال العامية التي نسبها إلى النساء :
ـ كل شي عملْتُه معَك إلا السّعد (3) .
ـ من أين ما قلبت غزلي لطمت صدري (4) .
ـ يشرب الصّبر ، لما هو أمر (5) .

وثمة أمثال عديدة نجدها مبثوثة في تضاعيف كلامه وهو يسوقها نسبة أو توطئة وقد استخرجنا منها المجموعة التالية :

ـ بين الصّحْفَة والمَنْديل (6) .
ـ ثوب العاريَة لا يسَخّن (7) .
ـ بمنزلة مَنْ يؤذّن في أرضٍ خالية (8) .
ـ دعوا الشمعة تحترقْ بِنَارها (9) .
ـ الغَلَط يرْجع مِن التأنِيس (10) .
ـ بمنزلة مَن يَروم أنْ يوقِف زقّا فارغا (11) .
ـ بمَنْزلة مَنْ يَغْمِس زقّا منفوخا في مَاءٍ غَمْر (12) .
ـ القِرْد الشّارف لا يتعَلّم الرّقْص (13) .
ـ انسلال الشّعره من العَجين (14) .
ـ فُشار في نُخال (15) .
ـ لَو انْقَلبت السّماء على الأرْض والعَرْش على الفَرش (16) .
ـ إيشْ المَقْصود وقْتٌ يَمضْي و لُعْبَةٌ تَنْقَضِي (17) .

---

(1) الرسائل : 204 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 200 .
(2) الرسائل : 213 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 111 .
(3) الرسائل : 54 ولم تقف عليه في غيرها .
(4) الرسائل : 185 وانظر القسم الثاني رقم 1091.
(5) الرسائل : 207 وذكره الزجالي بلفظ : يشرب المر لما هو امر منه . (حرف الياء) .
(6) الرسائل : 14 ، 212 وانظر المثل رقم 694 من القسم الثاني .
(7) الرسائل : 16 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 743 .
(8) الرسائل : 23 وما يزال معروفا .
(9) الرسائل : 37 ولم اقف عليه في غيرها .
(10) الرسائل : 43 ، 81 وانظر تخريجه عند ابن شنب رقم 1290 .
(11) الرسائل : 48 وانظره في القسم الثاني رقم 2042 .
(12) الرسائل : 48 ولم اقف عليه في غيرها .
(13) الرسائل : 49 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 1810 .
(14) الرسائل : 50 ، 105 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 790 .
(15) الرسائل : 53 وانظر المثل رقم 1878 .
(16) الرسائل : 64 وما يزال مسموعا .
(17) الرسائل : 71 ولم اقف عليه في غيرها .

ـ المِلْح بالنُّخال (1) .
ـ يقْذف بالأحْجار (2) .
ـ ماذا عَسَى أن يُجْرى الفارس الفَرَس الجَوَاد (3) .
ـ عَصَا الأعْمَى (4) .
ـ لا تُحَمِّلوا القِط حِمل الجَمَل (5) .
ـ شَاشِيتان لاَ تَسَعان فِي رَأْس (6) .
ـ من هُو قليل السَّعد ما عنده ما يَعْمل (7)
ـ خَلِّ الحُك عَلَى غِطاه (8) .
ـ بِمَنْزلة مَنْ هَدَم قَصْرًا ، وبَنَى مِصْرا أو بَنَا قَصْراً وهَدَم مِصرا (9) .
ـ مذْبوح بِغَيْر سكِّين (10) .
ـ أمَان اللـه تَعَلَّى عَلَى العُريانْ (11) .
ـ يَنْهَرِق مَتَاعهم فِي الرَّماد (12) .
ـ يخَلِّي كِساه فِي أيْديهم وَيَقوم عصى (؟) (13) .
ـ حُزن الجَمَاعة فَرَح (14) .
ـ بِمَنْزلة الرَّجل الَّذي كَان راكِباً حِماراً وهو يُنادي وَيَقُول : مَنْ أصاب لِي حِمارا (15) .
ـ كُلُّ طَريق ينفذ إلى الجامِعْ (16) .
ـ لَمْ تَبْكِ حزينة مَع أخْرى (17) .
ـ فُلان نصف طَبْخة (18) .

(1) الرسائل : 71 ولم أقف عليه في غيرها .
(2) الرسائل : 71 وانظر المثل رقم 1212 في القسم الثاني .
(3) الرسائل : 71 ولم أقف عليه في غيرها .
(4) الرسائل : 73 وانظر المثل رقم 608 في القسم الثاني .
(5) الرسائل : 74 ، 199 وانظر المثل رقم 1816.
(6) الرسائل : 75 وهو مذكور في دوحة الناشر : 31 بلفظ : رأسان لا يجتمعان في شاشية واحدة ، وفي المستطرف 44 : راسين في عمامة ما يكون، وعند شبير 8 : لا تسع عمامة رأسين .
(7) الرسائل : 75 .
(8) الرسائل : 87 .
(9) الرسائل : 93 وهو عند ابن عاصم رقم 738 والميداني 2 : 428 .
(10) الرسائل : 104 وما يزال مسموعا . ابن سودة : 295 .
(11) الرسائل : 108 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 292 .
(12) الرسائل : 110 وانظر المثل رقم 1447 في القسم الثاني .
(13) الرسائل : 110 .
(14) الرسائل : 112 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 798 .
(15) الرسائل : 112 وهو مثل معروف ، ويذكر في نوادر جحا .
(16) الرسائل : 112 ، 137 ، 709 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 1088 .
(17) رسائل : 112
(18) الرسائل : 112 ، 212 .

المُلْك أو الهُلْك (1) .
ـ هذا مِن الباذنجان (2) .
ـ كَمَنْ يَحْبِس شيئاً في يده ويقُول لجماعة من النَّاس : أي شيء في يدي . (3)
ـ لَمَّا تتعَمَّر سوق شَلَّة (4) .
ـ جاتْ يدهم في الحَايطْ (5) .
ـ لَمْ يَبْقَ الصُّلح بَقِية (6) .
ـ بعْتَنِي ببَصلَة (7) .
ـ فليُدخل المُعْترِض رأسَنا مع الرُّؤوس ، وليَضْرِبْ على الجَميع بالدبُّوس (8) .
ـ الْعَق العَسَلْ ، وَلاَ تَسَلْ (9) .
ـ فَدَيْتك يا مَن يَفْهَم (10) .
ـ كَحِيَل بَني شاكر (11) .
ـ دِرْهم معيق (؟) ، لا يُشْتَرى بِه ماء وَلاَ دَقيق (12) .
ـ كُل قِردٍ فى عَيْن أُمّه غزال (13) .
ـ لوْ فَتَّشْت عليه بالفتيلة (14) .
ـ لزمني طَوق حمَام (15) .
ـ خُذْ مِن المَوْقِفْ ، ورُدَّ مُشَرَّفْ (16) .
ـ كُلُّنا في الهَوى ، سَوى (17) .
ـ ما يفْعَلُه القَلَبَّق إذا رأى النَّاس (18) .

---

1) الرسائل : 114 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 320 .
2) الرسائل : 114 ، 220 ، وانظره في القسم الثاني رقم 1952 .
3) الرسائل : 116 ، وهو مثل معروف في المغرب
4) الرسائل ، 116 ، وذكر ان سوق شلة كانت تعمر مرتين في السنة وعرفت بكثرة الضجيج .
5) الرسائل : 124 ، 180 ، وما يزال معروفا ، وعند الطالقاني رقم 251 : رأسه والحائط .
6) الرسائل : 126 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 900 .
7) الرسائل : 126 وهو معروف ، ابن سودة : 200(10) الرسائل : 132 ، 159 . وهو معروف .
8) الرسائل : 132 ، 159 ، وهو معروف
9) الرسائل : 135 ، 206 : وقد تمثل به اليوسي في مقدمة كتابة : زهر الاكم .
10) الرسائل : 137 ، وذكره الزجالي بلفظه في امثال الخاصة .
11) الرسائل : 155 وبنو شاكر : من اسماء الساسانيين المكدين . انظر اليتيمة 1 : 345 .
12) الرسائل : 160 . ولم نقف عليه في غيرها .
13) الرسائل : 162 ، وهو معروف . انظر تخريجه عند ابن شنب رقم 1485 .
14) الرسائل : 166 . وما يزال مسموعا .
15) الرسائل : 168 ، 214 .
16) الرسائل : 170 ، وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 869 .
17) الرسائل : 170 ، وهو معروف .
18) الرسائل : 172 ، 225 . وانظر المثل رقم 404 في القسم الثاني .

- افزرْدُ يَرْحَمكَ الله (1) .
- يَفْزَع مِن ظِلِّه (2) .
- أراد أنْ يلْصق طيناً بحائطٍ يابس (3) .
- الغَلَط يرْجع من التَّلْبِيس (4) .
- مَات ودُفِن وخُرِيء عَلَى قَبْرِه (5) .
- حَلْواء القُبَّيض : كلَّما زدتَها مَضْغا زادَتْك حَلاَوة (6) .
- لَم يُخْرِجوا خِنزيراً مِنْ فَدَّان (7) .
- حَجَر بوشَقْشَاق (8) .
- إمَّا أَنْ يَمُوتَ الحمار أو يَموت سَائِقُه (9) .
- كما يَنْظُر الكَبْش فِي النَّارَنْج (10) .
- القِط لا يَقْدر عَلَى حَمْلِ الجَمَل (11) .
- دَعْك أن تكون مِثْل الهر أَو كَجالب التَّمر إلى خيبَر (12) .
- بِمَنْزلة الخراز الذي يَتْبع فِي خرْزِه الثُّقب (13) .
- رَد غَيْظ الحِمَار على البَرْدَع (14) .
- النَّاس على دينِ المَلِك (15) .
- الْعَق العَسَل وَلاَ تَسَلْ (16) .
- كُلُّ أَحد فى رَأْسه ما يُلْهيه (17) .

---

1) الرسائل : 175 ، وانظر المثل رقم 401 في القسم الثاني .
2) الرسائل : 178 ، وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 2105 .
3) الرسائل : 181 . وما يزال هذا المثل مسموعا في المشرق العربي ، ففي مجموعة شفيقة شبير .
«راح نخبط الطينه في الحيط، ان مالزقت بتعلم ص14.
4) الرسائل : 181 وقد تكرر فيها .
5) الرسائل : 183 ، وانظر المثل رقم 1288 في القسم الثاني .
6) الرسائل : 185 ، ولم نقف عليه في غيرها .
والقبيض : كذا في المطبوع ، وذكر الزبيدي في لحن العامة : وابن مكى الصقلي في تثقيف اللسان:
44 ان عامة الاندلسيين كانوا يقولون : قبيد ، والصواب : قبيط ، وهو ضرب من الحلوى ،
يصنع من اللوز والجوز والفستق . وانظر ايضا : دوزى 2 : 302 .
7) الرسائل : 194 ، ولم نقف عليه في غيرها .
8) الرسائل : 196 ، وقال فيه انه «اذا حصل بيد البربري الجاهل يرى انه حاز بذلك ملك العراق ، وقد يفجأه الموت قبل ان ينكشف له سره وينزع عنه ستره وقشره فيحصل له في تلك المدة حالة جميله ويربح فرحته فيها وان كانت مدة قليلة».
9) الرسائل : 197 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 2140 .
10) الرسائل : 197 وانظر المثل رقم 2077 في القسم الثاني .
11) الرسائل : 199 وقد تكرر فيها .
12) الرسائل : 200 وهما مثلان والثاني معروف.
13) الرسائل : 204 ، وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 895 .
14) الرسائل : 205 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 920 .
15) الرسائل : 205 وهو معروف .
16) الرسائل : 806 وقد تكرر .
17) الرسائل : 208 وفي الميداني 2 : 171 : كل رأس به صداع .

ـ كُل طَريق ينفذ إلى الجَامِع (1) .
ـ ولو ضربت بالقُطوط المَيِّتة (2) .
ـ حَشْو البَردع ، لا يَدْفع وَلاَ يَنْفَع (3) .
ـ كُل أَحَد يَعْرف عَظْمه على الصَّحْفة (4) .
ـ مِن ساعة إلى ساعة فَرَج (5) .
ـ هذا مِن البَاذِنْجانْ (6) .
ـ الفَاس لاَ يَخْدُم إلاَّ بالكُقْمَة (7) .
ـ اضرب الزير بالقلة (8) .
ـ لاَ يُساوي فُولة مُسَوَّسَة (9) .
ـ كالفَلك الأَطلَس (10) .
ـ صَالِح بِزَوْجَيْ سَراويل (؟) (11)
ـ رَجَعَتْ أَيْديهم أَكْماما (12) .
ـ مهرج أذا حك فى المنيف (؟) (13) .
ـ خلوا الكفَّة تَنْطح العَمُود (14) .
ـ ذِيَاب في ثِياب (15) .
ـ يدخُل مِنْ أذن ويَخْرُج مِن أذن آخر (16) .
ـ نَوافِج المِسْك لا توجَد في بيوت الكنَّافين (17) .
ـ الشَّاقي بَاقي (18) .

---

1) الرسائل : 209 وقد تمثل به اكثر من مرة .
2) الرسائل : 214 .
3) الرسائل : 218 ، وانظر المثل رقم 842 في القسم الثاني .
4) الرسائل : 219 ، وانظره في القسم الثاني رقم 2129 .
5) الرسائل : 220، وهو في القسم الثاني رقم 1500
6) الرسائل : 220 وقد تكرر فيها .
7) الرسائل : 223 ، وهو في امثال ابن عاصم رقم 278 .
8) الرسائل : 225 ، 226 ، وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 1627 .
9) الرسائل : 208 .
10) الرسائل : 228 ، 240 . وانظر دوزى 2 : 53.
11) الرسائل : 229 . ولم نقف عليه في غيرها .
12) الرسائل : 230 ، وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 976 .
13) الرسائل : 730 ، ولم نقف عليه في غيرها .
14) الرسائل : 231 ، ولم نقف عليه .
15) الرسائل : 233 ، وهو معروف .
16) الرسائل 240 ، وما يزال مسموعا .
17) الرسائل : 242 .
18) الرسائل : 246 ، وفي الامثال المصرية : عمر الشاقي باقي . شقيقة شبير : 13 ،

ـ الصَّلاة خيْر من النَّوم ! قال : كذلِك هو عِنْدك (1) .
ـ بِمَنْزلة الصبر السقطري (2) .

ويبدو من هذا الثبت ولع ابن عباد الرندي باستعمال الأمثال العامية التي كانت رائجة بين الناس في عصره . وورود هذه الأمثال في درج كلامه ، يساعد كثيرا في فهمها وموقع مضربها ، ولكننا ما كنا لنهتدي إلى أنها أمثال عامية لولا وقوفنا عليها في مجاميع الأمثال العامية الأندلسية

وقد يسوق الرندي أحيانا أمثالا بحكاياتها كما في هذا المثل :
ـ الحَمْد لِلّه عَلَى قِلّة الحَسَب .
قال مخاطبا صاحبه السراج :
"وقد قلت لكم في بعض الكتب التي سلفت من الألفاظ العامية : الحمد لله على قلة الحسب . وذلك في نازلة وقعت في بعض الأزمنة كلّف فيها السلطان أهل الجاه والحسب بعض التكاليف الشاقة فقال حينئذ بعض الأرذال والسوقة ذلك الكلام ." (3)

ويقول في موضع آخر : "وقد قال ذلك البدوي الذي أهدى التين إلى بعض الملوك حين أمر أعوانه أن يضربوه بها :
ـ سَلاَ مَة ادّي ما كَانَتْ سَفَرْجَلْ (4) .
ويقول أيضا :
"وقل لهم ما قال ذلك الطائر لأليفته من الطيور حين عتبت عليه ما جناه عليها :
ـ أخطأت لا أعود (5)" .
ـ وقد يتصرف في المثل فيبسط عبارته ويورده بمعناه لا بلفظه كما في قوله : "ومن بيده جوهرة نفيسة أو درة خطيرة لا ينبغي أن تسمح نفسه بأن يلقيها للبغال والحمير ، أو أن يعلقها في أعناق الكلاب والخنازير." (6) وقوله في موضع آخر مشيرا إلى المثل نفسه : "كما أن الدر والجوهر ليس بلائق أن يعلق على أعناق الخنازير ." فهو في هاتين العبارتين إنما يتوسع في مثل عامي معروف .

---

1) الرسائل : 251 ، وانظر المثل رقم 80 في القسم الثاني .
2) الرسائل : 252 والسقطري نسبة الى جزيرة سقطري .
3) الرسائل : 114
4) الرسائل : 152
5) الرسائل : 152
6) الرسائل : 8

أمثال ابن عاصم الغرناطي :

مدون هذه الأمثال القاضي أبو بكر محمد بن عاصم القيسي الغرناطي (760 هـ - 829 هـ) من أعلام الأندلس المعروفين ، وأمثاله - كأمثال الزجالي - باب من كتاب ، فهي تقع في الحديقة الخامسة من كتابه "حدائق الأزاهر ، في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والنوادر ." المطبوع على الحجر بفاس في القرن الماضي ، ولما كانت حديقة الأمثال في هذه الطبعة تتسم بالنقص والتحريف وصعوبة الخط فقد أعاد الدكتور عبد العزيز الأهواني نشرها نشرا علميا ، وحققها وعارضها بأصول مختلفة ، مع دراسة قيمة وجامعة في أمثال العامة في الاندلس ، وقد أفدنا من عمله هذا كثيرا في المنهج والمادة على السواء .

وسوف نتناول أمثال ابن عاصم هنا من حيث صلتها بأمثال الزجالي لنرى ما بين المجموعتين من تشابه أو اختلاف ونقارن بين بعض الأمثال فيهما .

وأول ما نلاحظه أن مجموعة ابن عاصم لا تتجاوز ثلث مجموعة الزجالي بكثير ، مع أنها دونت بعدها بنحو قرن ، ولكن يبدو أن ابن عاصم لم يقف على أمثال الزجالي أو كتابه "ري الأوام" وهو لم يشر إلى شيء من هذا في كتابه "الحدائق" على أنه لم يعن بذكر مصادر كتابه ، كما أن المقارنة بين المجموعتين لا تفيد ما يدل على تقليد أو تأثر ، بل إنهما تختلفان من بعض الوجوه ، فالزجالي كما قررنا يذكر في كل حرف أمثال الخواص ثم أمثال العوام ، أمّا ابن عاصم فقد اقتصر على أمثال العوام(1) ، وتختلفان أحيانا في أوائل حروف الأمثال فمن ذلك المثل :

- خُذْ درْهَم مِنْ مي ، واطْلُب البَقِي .

هكذ رواه الزجالي ، ونجده عند ابن عاصم في حرف الواو كما يلي :

- واحِد مِنْ مي ، واتْبَع الْبَقِي .

ونجد في حرف الطاء عند الزجالي هذا المثل :

- طَوْقَيْنْ في العُنُق ، مِعنْ عَلاَمَة الحمق .

على حين ذكره ابن عاصم في حرف الثاء كما يلي :

- ثَوْبَي فَالْعُنُق ، مِنْ أَمارة الحمق .

أما الاختلاف في صيغة المثل فهو كثير ، وقد يتفقان في حرف المثل

---

(1) وقفت في أثناء مراجعة التجارب الاخيرة على زوائد ابن عاصم التي نشرها الاستاذ ا. غ. غومس، وهي زوائد من الامثال تنفرد بها مخطوطة «الحدائق» في المتحف البريطاني ، ومعظمها من امثال الخاصة . أنظر :

EL REFRANERO DE IBN ʿĀṢIM EN ELMS. LONDINESE. (AL-ANDALUS, VOL. XXXV, 1970, FASC. 2)

في مجلة الاندلس

وصيغته كما في هذه الأمثال :

ـ رَكَضُ الحِمار ومَات .

ـ زِدْ للطِّين بلّه .

ـ صفا حبّي مِنْ عِتابُ .

ـ صَفا ما طَبَخْ .

ولكنا لا نستطيع أن نعزو مثل هذا إلى إطلاع ابن عاصم على أمثال الزجالي أو نقله عنها لأنه قليل ، ولأن بعض الأمثال لا يعتريها التغيير رغم اختلاف الزمان أو المكان ، والمجموعتان تتفقان كثيرا في حرف المثل دون صيغته ، ولكن نسق الأمثال المشتركة بينهما في الحرف الواحد مختلف ، وقد وجدناهما تختلفان في شواهد الأمثال ، ففي المثل :

ـ زامر القَرِي ما يُلْهِي .

يستشهد الزجالي بقول الشاعر :

لاَ عَيْبَ لِي غيْرَ أَنِّي مِن دِيَارِهِمُ وزامِرُ الحَيِّ لا تُلْهي مَزامِرُهُ

أما ابن عاصم فيستشهد بقول الآخر :

واطْوِ المراحِلَ عَنْ أَرْضٍ تُهانُ بِها فالمندل الرَّطْبُ في أَوْطانِهِ حطَب

وكثير من الأمثال المشتركة بينهما ذكرها الزجالي مقرونة بالشواهد، ووردت عند ابن عاصم بدونها ، وفي بعض الأحيان نجد العكس ، ولكن ذلك قليل ، وقد نستفيد من هذه الفروق الشكلية أن ابن عاصم لم يطلع على مجموعة الزجالي وأنه ربما دون أمثاله كما سمعها من أهل غرناطة، ولسنا نعرف السبب في قلة عدد أمثاله بالنسبة إلى أمثال الزجالي ، فهل هو راجع إلى الاختيار ؟ أم إلى ضيق مجال السماع والاقتصار على الأمثال السائرة في غرناطة ؟ وقد عرفنا فيما سبق أن مجال السماع كان فسيحا ومتنوعا عند الزجالي لأنه عاش في قرطبة وشرق الأندلس والمغرب ، أما ابن عاصم فيبدو أنه لم يخرج من غرناطة ، وفي مجموعته أصداء لغرناطة والمدن والقرى التابعة لها، وذلك كالأمثال التي يذكر فيها أسماء حدرو (وادي غرناطة) والسبيكة (من متنزهات غرناطة) واخشارش (مخشارش ؟ قرية أبي حيان النحوي) وبسطة وبلش ، ولم ترد هذه الأمثال في مجموعة الزجالي ، إما لإنها خاصة بأهل غرناطة أو لأنها قيلت بعد عصره ، أو لأنها لم تنته إليه . على أن هذه الأمثال الخاصة بغرناطة قليلة ، ومعظم أمثال ابن عاصم كانت أمثالا مشتركة بين أهل الأندلس جميعا ، إذ أن أكثر من نصفها موجود في مجموعة الزجالي ، وقد ذكرناها في مواضعها من النص .

ومهما يكن فإن المجموعتين يكمل بعضهما بعضا وتصحح إحداهما الأخرى ، وقد اعتبرنا مجموعة ابن عاصم أصلا في تحقيق أمثال الزجالي التي تتفق في الصيغة مع أمثال ابن عاصم كما نبهنا على ذلك في الفروق . أما مظاهر الاختلاف بينهما فإنها تفيد في المقارنة ومتابعة تطور الأمثال وما طرأ عليها من تغيير خلال قرن تقريبا ، وإن كنا نحسب أن اختلاف الصيغ بينهما أحيانا لا يرجع إلى اختلاف الزمان فقط ، وإنما يرجع أيضا إلى اختلاف المكان ، ذلك أننا ما نزال نرى اختلاف صيغة المثل بين مدن وأقاليم في بلد واحد ، بل إن صيغة المثل قد تختلف بين أهل المدينة الواحدة ، وهذا مع وسائل العصر التي من شأنها أن تعمّم وتوحد تقضي على الفروق .

وإذا افترضنا أن مجموعة الزجالي تمثل شيئا من لهجات قرطبة وشرق الأندلس فإن أمثال ابن عاصم قد تكون صورة للهجة الغرناطية ، وذلك في حدود ما يمكن أن تصوره الأمثال من مظاهر اللهجات ، وسوف نتعرض لهذا في الفصل الذي ندرس فيه العامية الأندلسية من خلال الأمثال .

مجموعة ابن القفّال :

لم يكن ابن عاصم الوحيد الذي دون أمثال الأندلس في العصر الغرناطي، فقد وقفنا في ديوان الشاعر البسطي عبد الكريم القيسي على تقريظ له يقرظ فيه كتابا في الأمثال العامية لمؤلف يدعى أبا الحسن بن القفال ، وعبد الكريم القيسي يصفه بالذكاء والظرف ، ويذكر أن الناس استقبلوا كتابه بالترحيب ، وقضوا لصاحبه بالتقدير والاجلال ، ونثبت فيما يلي نص هذا التقريظ الشعري :

لِلّهِ دَرُّ أبي عَلِيٍّ إنّهُ	في أُنْسِهِ أَذْكى بَنِي القَفّالِ
ولَهُ انتهى الظَّرفُ الذي مَا مِثْلُهُ	في ذا الزَّمَانِ ولا الزَّمانِ الخَالي
دَلّتْ عليْهِ دَلائِلٌ لاَ تَخْتَفِي	مِنْها المَجِيءُ بِهَذِهِ الأمْثَالِ
فَلَقَدْ أتَى مِنْها بِما راقَ النُّهى	وَقَضَى لهُ في النّاسِ بالإجْلالِ
حَفِظَ الإلهُ منَ المَكارِهِ ذاتَهُ	وحَبَاهُ بالإنْعامِ والإفْضالِ (1)

وقد بحثنا عن أمثال ابن القفال هذه فلم نجد لها ذكرا ولا لصاحبها ترجمة ، ولا نعرف عنهما غير ما ذكره عبد الكريم القيسي ، أما هذا الشاعر

(1) ديوان عبد الكريم القيسي : 259 مخطوط الخزانة العامة بالرباط .

فقد عاش في آخر العصر الغرناطي بمدينة بسطة (1) ويعتبر ديوانه المخطوط وثيقة قيمة في هذه الفترة الغامضة ، وفي ديوانه أمداح للرئيس أبي يحيى ابن عاصم ، وهو ولد أبي بكر بن عاصم ، ومعنى هذا أن أمثال ابن القفال جاءت بعد أمثال ابن عاصم ، ويفهم من تقريظ عبد الكريم القيسي وتقديمه لهذا التقريظ أن الأمثال المذكورة تقع في كتاب مستقل ، ويفهم منه أيضا أن مؤلفها أبا الحسن علي بن القفال كان أحد أفراد أسرة أو إخوة عرفوا بالطلب والعلم ، وربّما كانوا من أهل بسطة بلد الشاعر عبد الكريم القيسي . ويدل ظهور هذا الكتاب قبيل سقوط غرناطة على أن تدوين الأمثال ظل مستمرا حتى نهاية الأندلس .

وربما كان من المفيد أن نضع في خاتمة هذا العرض التاريخي جدولين : أولهما لبعض الأمثال المشتركة بين ابن هشام والزجالي وابن عاصم ، والآخر يوضح الفروق بين أمثال الزجالي وأمثال ابن عاصم ، وذلك كنموذج لتطور صيغ الأمثال العامية في الأندلس خلال ثلاثة قرون تقريبا .

---

1) انظر فيه مقالة للدكتور محمود مكي ، نشرت في مجلة العربي ، العدد : 107 (سنة 1967) من ص : 53 الى ص : 61 .

جدول رقم (1)

ابن هشام	الزجالي	ابن عاصم
لكل جديد لذة .	لكل جديد لذه، ولكل قديم حرمه.	
بعد الصداقة صرنا معارف.	كنا صدقا رجعن معارف.	كنا اصدقا صرنا معارف .
لو بغضتني يدي قطعتها .	من بغض دراع، يقطع .	من بغض يد قطاع .
لكل زمان دولة ورجال .	كل شهر وهلال، وكل بلاد ورجال.	كل بلد وهلال. وكل زمان ورجال .
لا تعلم الدب رمي الحجارة .	الهم الدب لرمي الحجر .	لا تلهم الدب لرمي الحجر .
من سكت لنحس لم يسمع نحسا ابن نحس .	من سكت لكلب ما يسمع كلب ابن كلب.	
من عضته الحية من الحبل ينفر .	من لدغة الحي من الحبل ينفر.	
خير الخير عاجله.		خير الخير عاجل .
على قدر كسائك مد رجليك .	على قيس كسيك تمد رجليك.	على ساحل كسيك تمد رجليك.
ليس لكرامة الدجاجة غسلت رجلاها .	ما من كرامة الدجاجة تغسل رجليها.	
من طلبه كله فاته جله .	من أراد بجل فات بكل .	من أراد كل فات جل .
من غاب غاب سهمه .		من غاب خاب، واكل نصيب الاصحاب.
ما برطال وما مرقه .	أش برطال أو أش مراق أو أش عض من ساق.	آش برطل واش مراق وش لزم ي ساق .
هواي وهوى ناقتي مختلف .	في راس الجمل مالس في راس الجمال.	
الغلاء جلاب .	الغلا جلاب .	
لم يخل فلان للصلح موضعا .	خل للصلح مكان.	
تزبب وهو حصرم .	ازبب وهو حصرم .	

جدول رقم (2)

الزجالي	ابن عاصم
إذا هبت الريح فالبكاكيس تدخل. (رقم 6)	إذا بار (الريح فالبنيس يدخل. (رقم 45)
إذا اجتماع الحلالين، انناصف. (رقم 43)	إذا اجتمع القمارا يتناصف. (رقم 38)
الا تبقى الحام دون مبطول. (رقم 45)	آش تبقى الحم دون مبطول. (رقم 117)
اللب أى ياوي يادي. (345)	السبع أي يوي أش يدي. (رقم 171)
افتح كرنب سقتلك. (393)	افتح كرنب سقتلكم، إن اللحم غالي. (رقم 247)
ابطح سعيد يقع أبو بكر. (417)	انطح موسى يقع عيسى. (رقم 211)
الميلاد، لا يخذك بر دارك ولا وراواد. (477)	سفر فاشتا، نقيمة الأعدا. (رقم 444)
ثمار وادي لا ظل ولا طعم. (745)	تمار وديش ذل بلا طعم. (رقم 351)
جواب اولاد الزنا السكوت. (791)	جواب ابناء القحبات السكوت. (رقم 360)
حرك المحس في دار الخيل، يقلق صاحب الدبر. (808)	هز المحسا فى دار الخيل، يقوم المدبر بالزوج. (رقم 784)
حق لس نعطي، عيار القف كنطلب. (711)	حقنا آش نصلولو، نطلبو عيار الوزانة. (رقم 376)
حول بحول، صحبت الدار أولا. (825)	جول بجول، للشرق أولا. (رقم 358)
خذ درهم من مي، واطلب البقي. (878)	واحد من مي واتبع البقي. (رقم 790)
خساره ان لايدري بها جارك، فضل هي كلها. (894)	حاجة إن لا يدريها جارك فاضل هي صاف. (رقم 368)
راس بلا كيد اقرع أخير من. (983)	راس بلا خرب، قراع احسن من. (410)
زيادة الأحمق خير من أعطاه. (1013)	وفى الأحمق خير من عطاه. (رقم 797)
كل أحد يمدح قط ولو كان منتوف الذنب. (1087)	أش يقول أحد عن قط خرير. (رقم 129)
كل حمامه ان تفر لبرج أبي دانس تقطع. (1090)	برج أبو دلامة كل حمامة ان تفر إليه تطرق. (رقم 325)

الزجالي	ابن عاصم
لس كن يكون ذا الغرس ، قبل مرس . (112)	كيكون ذا الغرس فى مارس . (رقم 606)
لس يسمع الله من ساكت . (1189)	أش يسمع القاضي من ساكت . (رقم 122)
لولا كلام الناس كن يمشي الذيب فالسوق . (1214)	لولا أبناء القحبات كيمشي السبع فالسوق . (رقم 619)
لو عطيتني بضيع كان نبكي معك دميع . (1246)	اعطني قطير ، نبكي ماعك دميعه . (رقم 230)
من بغض الكرنب في شارب ينبت . (1381)	من بغض الكسبور ، فى شارب يكبر . (رقم 628)
نحن نقراو ولس نفلاح كيف لو غنين . (1551)	نحن نقرو ولش نفلح ادعى إذا نغنوا . (رقم 464)
نحن فالغرق وذا يصيح المرددوش للغرس . (1006)	الناس فالغرق وهو يقول المرددوش للغرس . (149)
كما عجنتها لطمها . (1129)	هم عجنوها وهم يلطموها . (رقم 785)
نميز الكلب ولس نميز وبر . (1558)	ميزت الكلب وم تميز وبر . (رقم 739)
صاحب كعب ان وحد لا تلاعب . (1606)	من جا بوحد لا تلعبوه . (رقم 243)
قدر بين نفسين ما تغلي أبدا . (1794)	أش تغلى قد ربى نفسي . (رقم 123)
سود زنت قال انكسرت . (1831)	سود زنت معز فست . (رقم 435)
شغل الحك عن الفلى . (1877)	الحك أوكد من الفلى (رقم 186) .
شبهت الخز بوبر المعز . (1883)	أش يقرن الخز لوبر المعز . (رقم 354)
شويه ان لس لك رعها تحترق . (1900)	خبزان لس لك داع بحترق . (رقم 388)
يطلب التين فالضرو . (2038)	يطلب الاسفنج فاطراف الذرو . (رقم 824)

الفصل الرابع

في

أصول الامثال الاندلسية وأثرها في الشعر الاندلسي والامثال الاسبانية والمغربية

أصول الأمثال العامية في الأندلس :

لقد عنينا - في تحقيق أمثال الزجالي - بمقارنتها بغيرها من الأمثال العربية القديمة والحديثة وحاولنا - بقدر الاستطاعة - ردها إلى أصولها أو ما افترضنا أنه أصول لها ، ولكننا توخينا جانب التريث والتوقف في بعضها ، وآثرنا التزام الحذر في هذه الناحية حتى لا ننساق وراء الظنون أو الفروض ، ومن المعروف أن نسبة الأمثال العامية إلى قائليها أو مرسليها أمر لا سبيل إليه ، إذ أن هذه الأمثال وليد شعبي مجهول النسب ، وقد عنى الذين دونوا الأمثال العربية القديمة بذكر أخبارها ووقائعها وأسباب قولها وإرسالها ، ونسبتها إلى قائليها ، وإن كان بعض هذا ليس بمنأى عن الشك ، أما جامعو الأمثال العامية فلم يحفلوا بشيء من ذلك ، وما أندر الحالات التي نصوا فيها على مورد مثل من هذه الأمثال أو نشأته الأولى .

ولو حاولنا أن ننظر في مصادر أمثال العامة في الأندلس من أين نبعت وكيف ظهرت ، لوجدنا أنها عملية دقيقة ، ومسألة متشعبة ، وقد تقتضي ألوانا من المقارنة الواسعة التي تتطلب زمنا طويلا ، ولذلك فسوف نكتفي هنا بنظرة عامة ولمحة دالة على أن نعالج الموضوع بتوسع فيما بعد إن شاء الله .

إن مصادر هذه الأمثال متعددة ومتنوعة ، فمنها - وهو معظمها - ما صدر عن البيئة المحلية نفسها ، ومنها ما ورد عليها من بيئات أخرى ، وقد شرحنا فيما سبق كيف دخلت كتب الأمثال العربية إلى الأندلس وكيف اشتغل بها الأندلسيون ، ونريد الآن أن نشير إلى بعض الأصول التي اشتركت في تكوين أمثال العامة بالأندلس .

فمنها الأمثال العربية القديمة ، وقد تمثل الأندلسيون ببعضها كما ورد في كتب الأمثال ، ومن ذلك قولهم :

- سَهْمٌ لَكَ وسَهْمٌ عليك (1) .

- مَنْ غاب خاب ، وأَكَلَ نَصيبَه الأصحاب (2)

وتصرفوا في بعضها الآخر كقولهم :

(1) المثل رقم 1856 في النص ، وهو في جمهرة الأمثال 1 : 522 .

(2) ابن عاصم رقم 690 وهو في فصل المقال : 357

ـ شَبَّهت المَلائكة بالحَدَّادين (1)
ـ لس يَمُوت البغل من ركاض أُم (2) .
ـ لا في السَّما مصْعد ، ولا فالأرض مقعد .
وهو المثل العربي : لاَ ترك اللهُ له في الأرض مقعدا ولا في السَّماء مصعدا . أورده الميداني وقال : قالته امرأة دعت على ولدها (4) .
وفي بعض الاحيان لا يبقى من المثل القديم إلا معناه أو ترجمته إذا جاز استعمال الكلمة ، ومثال ذلك قولهم :
ـ في سَاقِي ولا في السَّبَّاط (5) .
ـ اتبع القَلَبَّق حتَّى تَعْميه (6) .
فالأول ليس إلا ترجمة للمثل العربي القديم :
بقِ نعليك ، وابذُل قدَمَيك (7) . وكلاهما في معنى الاقتصاد والمحافظة على المال ، وأما الثاني فهو فيما نرى صيغة جديدة للمثل القديم :
خلِّه درج الضب (8) . أي خلِّه ضالا كضلال الضب ، كما أن الصيغة الاندلسية تقال في معنى تضليل الغير ، ويخيل إلينا أنهم في الأندلس استبدلوا بالضب القلبق أي السلحفاة فقالوا :
بَحَل قَلَبَّق في سكة . للحائر الضال ، كما كان العرب يقولون : أضلُّ من ضب (9) .

وأثر أمثال المولدين في أمثال الأندلس أكثر وأبرز من أثر أمثال العرب فيها ، ولعلَّ ذلك راجع إلى ملاء متها للمزاج الحضري في الأندلس وتشابه الأوضاع الحضرية بين المجتمع الأندلسي وبين المجتمعات العباسية حيث ظهرت الأمثال المولدة . ولسنا ندري متى انتقلت هذه الأمثال إلى الأندلس ولا كيف انتقلت ، وهل كان انتقالها بطريق التدوين أم بطريق السماع ؟ ويخيل إلينا أن وصول هذه الأمثال إلى الأندلس وانتشارها فيها كان نتيجة عوامل متعددة ، كدخول المشارقة إلى الأندلس ، ورحلة الأندلسيين إلى المشرق ، وقد يكون بعضها انتقل بواسطة الاستعمال المباشر والرواية

---

(1) المثل رقم 1882
(2) المثل رقم 1209
(3) المثل رقم 1994
(4) مجمع الامثال 2 : 243
(5) ابن عاصم رقم 534 . وما يزال مسموعا في المغرب والمشرق . انظر تخريجه عند ابن شنب رقم 1342 وعند التكريتي 1 : 352 .
(6) جمهرة الامثال 1 : 217
(7) مذكور في مجاميع الامثال القديمة . انظر التكريتي 1 : 352 .
(8) فصل المقال : 142 — 491 .
(9) انظر شرح المثل رقم 404 .

الشفوية ، وبعضها الآخر دخل مدونا ثم سرى من الخاصة إلى العامة ، ومن المتعلمين إلى الأمّيين ، وإذا كان القدماء قد قاموا برصد بعض الكتب المنتقلة من المشرق إلى الأندلس ، ونصوا على تاريخ دخولها ، فإن مثل هذا بالنسبة للأمثال العامية وما في معناها من الكلام الجاري لم يكن إليه سبيل (1) ، ومهما يكن فإن وصول هذه الأمثال إلى أقصى المغرب دليل على أنها كانت عُمْلة متداولة في الأمصار العربية وبرهان على أن وحدة الأمثال الحالية في البلدان العربية كما أبرزتها المقارنات ، لها أصول تاريخية قديمة ، وجذور بعيدة ، وقد رأينا بذور هذه الوحدة في الأمثال المشتركة التي نسبها إلى العامة كل من أبي عبيد القاسم بن سلام وابن عبد ربه .

وقد عني الباحثون بدراسة بعض العناصر المشرقية في الأندلس من النواحي الحضارية والثقافية والأدبية ، وإن فيما اشتملت عليه مجموعة الزجالي ومجموعة ابن عاصم من أمثال مولدة أو عامية مشرقية عنصرا جديدا له فائدته في هذا الباب .

وقد تصرف الأندلسيون في الأمثال المولدة على نحو ما صنعوا في الأمثال العربية وصاغوها أحيانا صوغا جديدا واستبدلوا بالاستعمال المشرقي الاستعمال الأندلسي ، فإذا كان البغدادي في القرن الرابع يقول :

ـ لاَ بَيْتاً بِكِرا ولا خُبْزا بِشِرا .

جاء الأندلسي بعده ، وقال :

ـ لاَ دَارْ بِكِرا ، وَلاَ دَقِيقْ بِشِرا . (2)

لأن البيت استعمال مشرقي ، والدار ـ بمعنى البيت المشرقي ـ استعمال مغربي ، وما يزال هذا الاستعمال قائما ، فالبيت عندنا في المغرب هو الحجرة أو الغرفة . والمثل البغدادي :

ـ الشَّيطان يَعْدو بِلا مَنْشور فكيف إذا سُجِّلَ لَه .

(1) نجد بعض الاندلسيين في القرن الخامس الهجري يتمثلون ببعض الامثال المولدة ، فمن ذلك : أنفقت مالي وحج الجمل . الحلة السيراء 2 : 135 وهو في امثال المولدين عند الميداني 2 : 358 ومن ذلك ايضا : ابا العينا ، لا انت ولا انا . الحلة السيراء 2 : 119 .

(2) المثل رقم 2011 في النص .

يصبح في الأندلس كما يلي :

- إِبْلِيس بِلا بِطَاقَ فَكَيْفَ إِذا بُطِيِّق لُو (1) .

على رواية الزجالي ، وعلى رواية ابن عاصم :

- ابليس بِلا بطاقة أَرى إِذا بُطِيِّقْ لُو .

والمثل المولد الذي أورده الثعالبي والميداني هكذا :

- مَن اعْطى بَصَلة أخَذ ثومة .

يرويه الزجالي على النحو التالي :

- يَمْشو ثوم ويجُو بَصَل (2) .

وقد أشرنا في النص إلى الأمثال المولدة التي اعتبرناها أصولا لبعض الأمثال في الأندلس ، ويغنينا الرجوع إليها هناك عن ذكرها هنا .

ويرجع أصل بعض الأمثال الأندلسية إلى أخبار ونوادر وأجوبة تروى في بعض كتب الأدب ، ويبدو أن اصداءها وصلت إلى أسماع العامة فتمثلوا بها ، ثم جاء جامعو الأمثال فلم يفرقوا بينها وبين المثل بالمعنى الاصطلاحي ، مع أن بعض القدماء فرقوا بين هذه الألوان الخفيفة من القول ، يقول الفارابي في تعريف النادرة :

"النادرة حكمة صحيحة تؤدى ما يؤدى عنه المثل إلا أنها لم تشع في الجمهور ، ولم تجر إلا بين الخواص ، وليس بينها وبين المثل إلا الشيوع (3)" .

ومادامت هذه الأخبار أو النوادر أو الطرف أو الأجوبة شاعت بين عامة الأندلس فقد أصبح لها حكم المثل ، ورويت في كتب الأمثال ، وبعض هذه النوادر مشرقي ، وبعضها الآخر أندلسي .

فمن الأمثال المأخوذة من نوادر مشرقية قولهم :

- بحَلْ عُرْسْ ابْلِيس ، يُسْمَع بِه وَلاَ يُرى .

---

(1) المثل رقم 144 في النص

(2) المثل رقم 2144 في النص

(3) المزهر 1 : 486

فإن أصله فيما نرى جواب من أجوبة الشعبي المروية (1) ، ومن ذلك قولهم :
ـ بَحَلَ خرا ، الجَديد يِخَرَّج البَالي (2) .

فإنه ـ فيما يبدو ـ تشبيه منتزع من إحدى نوادر الإعراب ، وهي أن أعرابيا وجد ياكل ويتغوط فقيل له في ذلك فقال : اخرج عتيقا وادخل جديدا (3) . ومنها قولهم :
ـ كَمْ تَكُلْ ؟ قَال : مِنْ مَتَى مَنْ (4) .

فأصل هذا ما رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار : "قيل لميسرة الاكول وأنا اسمع : كم تأكل ؟ قال : من مالي أو من مال غيري ؟ قالوا : من مالك ، قال : دونان ، قالوا : فمن مال غيرك ؟ قال : اخبز واطرح (5) " .

وانتقلت هذه النادرة إلى الأندلس فرواها ابن عبد ربه في العقد على الوجه التالي :
"وقيل لبسرة الأحول ـ كذا ـ : كم تاكل كل يوم : قال : من مالي أو من مال غيري ؟ قيل : من مالك ، قال : مكوكا . قيل : فمن مال غيرك ، قال :اخبزوا واطرحوا (6)" . وظلت هذه النادرة تروى في الأندلس وتدون في الكتب إلى أيام ابن عاصم الغرناطي حيث نجدها في كتابه حدائق الأزهار بالرواية ـ الأخيرة (7) .

ومثل هذا قولهم :
ـ كَمْ هِي سِتَّ وسِتَّ ؟ قال : اثْنَعْشر خُبْزة .
فأصله جواب لبعض الطفيليين تورده كتب الأدب في أخبارهم (8) .

وفي بعض الأحيان لا يبقى في الأمثال من هذه الأصول إلا جزء بسيط

---

(1) انظر شرح المثل رقم 665
(2) المثل رقم 639
(3) المستطرف 2 : 292
(4) المثل رقم 1126 .
(5) عيون الاخبار 3 : 225
(6) العقد 6 : 300 (في البطنة وقولهم فيها) .
(7) الحدائق : 3/12
(8) انظر شرح المثل رقم 1127 ، وللجواب روايات أخرى في كتاب الاذكياء لابن الجوزي وجامع الجواهر للحصري ، ونجد ما يشبه هذا الجواب في FLORESTA ESPANOLA انظر مقالة الاستاذ F. DE LAG RANJA في مجلة الاندلس (1870) بعنوان : CUENTOS ARABES EN LA FLORESTA ESPANOLA.

يلمح إليها ، ويتعذر فهمه إذا لم يتيسر الوقوف عليها ، فمن ذلك قولهم :
ـ دُشْ عَمْلينْ (1) .

وأصله ـ فيما يبدو ـ نادرة أندلسية حكاها ابن عاصم في باب المضحكات من كتابه الحدائق إذ يقول :

"وجاء رجل للصلاة فوجد الناس يصلون فقال : ترى كم معهم من ركعة ؟ فقال له رجل وهو في الصلاة : دُشْ (2)" . فهذه المضحكة لم يبق منها إلا آخرها وهو :.دش أو دش عملين أي معنا ركعتان ، وترجمته الحرفية : اثنان عَمِلْنا . ودُشْ : اثنان بلغة عجم الأندلس ، ولسنا نعرف هل اصبح للمثل مغزى يضرب من أجله أم أنه إشارة فقط إلى المضحكة . ومعنى السخرية فيها واضح من وجوه : أحدها الكلام في الصلاة وهو مبطل لها إذا كان لغير إصلاح أو تنبيه للإمام ، وثانيها التكلم بالعجمية ، وثالثها الجهل بقواعد الدين وأحكامه . ومن هذا القبيل قولهم :
ـ وَلاَ مَنْ يَرْفَع ثِيابْنَ مِنْ قُدّامْ (3) .

فإن أصله ما أورده ابن عاصم أيضا في باب المضحكات إذ يقول :

"وقال رجل : سبحان الله : ما يجيء من يرفع ثيابنا من قدّام إلا من وراء ، فقال له ابنه : أنا رأيت من يرفع ثياب أمي من قدام . فقال له : عار بن عار ، كأني ما ندري هذا (4) ".

ومن ذلك أيضا قولهم :
ـ بَحَلْ بُنْيَان : ما يُقَدَّرْ حَتَّى يَقُومْ .

وأصله كلمة أو تشبيه لبناء إشبيلي من حكاية ذكرها المقري في نفح الطيب (5) . وقد ذهبنا عند شرح المثل :

---

(1) انظر رقم 953
(2) الحدائق : 10/6
(3) المثل رقم 1951 من النص
(4) الحدائق : 12/7
(5) المثل رقم 611 في النص

ـ لَوْلاَ الفُول السَّخون أَما كَان ما نقول (1) .

إلى أن أصله نادرة لأحد أصحاب النوادر في الأندلس ثم صارت فيما بعد تضربُ مَثَلاً للعي والفهاهة . ومن ذلك أيضا المثل الغرناطي الذي ما يزال مسموعا في المغرب :

البغلة ركضت المنارة (2) .

فإن أصله حكاية أوردها ابن عاصم في الحدائق كما يلي :

" واختصم رجلان عند قاضٍ في خصومة بينهما ، فأهدى إليه أحدهما منارة وأهدى الآخر بغلة ، فلما وقفا للخصومة رآى مهدي المنارة القاضي يميل عليه بالحكومة فقال : أعز الله القاضي . إن حقي أشهر من منارة وردّد ذلك مرارا ، فقال القاضي : يا هذا ، إن البغلة ركضت المنارة برجلها فكسرتها " (3)

وهنالك أمثال متولدة من أساطير كان لها صداها في الأوساط العامية في المشرق والمغرب ومثال ذلك قولهم :

ـ إِذا طَغَى الثُّعبَان يُرفَعْ (4) .

فالثعبان في استعمال الأندلسيين هو التنّين ، ونحن نجد في شأنه أسطورة ترد في كتب الحيوان العربية ، وقد رواها القزويني والدميري والابشيهي ، وفيما يلي نصها نقلا عن المستطرف : "وأول أمره (أي التنين) يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها في البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها إلى ربه فيأمر الله تعالى بإلقائها في النار فيعذب بها الكافرين (5)" . وقد انتزع الأندلسيون المثل من هذه الأسطورة وأصبحوا يقولونه في السلطان الجائر والحاكم الطاغي ، وفي أن مصير الطغيان والجبروت إلى زوال وانقراض .

وثمة أمثال أخرى ترتبط بقصص مثلية معروفة في تراث شعوب البحر المتوسط ، نجدها في النوادر التي تنسب إلى جحا كما نجدها في الخرافات التي نظمها لافونتين La Fontaine وذلك كالأمثال التالية :

---

(1) المثل رقم 1228 في النص
(2) الحدائق
(3) المصدر نفسه
(4) المثل رقم 39 من النص
(5) المستطرف 2 : 127 وحياة الحيوان (مادة : تنين) .

بحل بلشون : صغير ذا ! كبير ذا ! (1) (رقم 619)
لش تبيع البيض كما تشريه ؟ قال يعجبني جريه (2) ! (رقم 1224)
حالة الشيخ وابنه والحمار (3)
سلامة أدى ما كانت سفرجل (4)

وقد يكون أصل المثل من عبارة وردت في قصة من القصص الديني الذي كان يقصد به إلى الترغيب والترهيب وذلك كالمثل :

- آخر مَنْ يَمُوتْ ، مَلَكْ المُوت (5) .

إلا أنهم حين تمثلوا به حملوه معنى عاما لم يكن له في أصل القصة .

وارتبطت بعض أمثالهم بأحداث تاريخية كقولهم :

- أ يَّام أبو الغَرانِقْ (6) .
- كَما جَا عُبَيْد مِنْ طَرُّوشْ (7) .
- إن كَان مَضَى غَالِب ، بَقِي الغَالِب (8) .
- رَعْي الجِمالْ خير مِنْ رَعْي الخَنَازير (9) .
- الخَبَر ما تَرى لاَ مَاتَسْمَع (10) .
- ياصَبِي حَرَّك الكِير (11) .

وقد ذكرنا فيما سبق أمثال الحوادث التي وردت عند ابن حيان وغيره من المؤرخين الأندلسيين ، ومن ذلك أيضا ضربهم المثل بالإعذار الذنوني في البذخ والترف ، جاء في نفح الطيب عقب الكلام على بني ذي النون ملوك طليطلة : ما يلي : "ولهم الاعذار المشهور الذي يقال له : (الاعذار الذنوني) وبه يضرب المثل عند أهل المغرب ، وهو عندهم بمثابة (عرس بوران) عند

---

(1) انظر قصة Le heron أي البلشون التي ساقها لا فونتين في الكتاب السابع من قصصه وامثاله ولا عبرة بما كتبناه في شرح هذا المثل في القسم الثاني ، فليصحح

(2) انظر نوادر جحا الكبرى : 12

(3) انظر نفح الطيب 3 : 94 نقلا عن ابن سعيد، واعمال الاعلام لابن الخطيب : 13 ونوادر جحا الكبرى : 114

(4) رسائل ابن اعباد الرندي : 152 ونوادر جحا : 34 - 36 وراجع ص 138 من هذا القسم

(5) المثل رقم 251 في النص

(6) المثل رقم 326 في النص

(7) المثل رقم1135 في النص

(8) المثل رقم 190 في النص

(9) قصته في نفح الطيب 6 : 91 وأمثال فاس : 319 - 320 .

(10) قصته في أمثال فاس : 272

(11) قصته في أعمال الاعلام : 15 - 16 وسراج الملوك : 211 وفيه : شق الكير ياصبى

أهل المشرق (1) " كما تمثلوا بوقعة الزلاقة المشهورة ، وفي البيان المغرب : "وكان الناس يضربون الأمثال بوقعة الزلاقة ويعظمونها ولا يذكرون غيرها (2)" .

ونشأت مجموعة من الأمثال حول المدن والأماكن الاندلسية وأهلها فضرب المثل بعامة قرطبة في كثرة الفضول وشدة الشغب ، والقيام على الملوك ، والتشنيع على الولاة ، وقلة الرضا بأمورهم ، وقيل فيهم :

- مِثْل الجَمَل ، إن خَفّفْت عَنْه الحِمل صَاح وان أَثْقلْته صاح (3) .

كما ضرب المثل بمسجدها العجيب ، وضرب ، المثل بإشبيلية في تمكن التمصر والتمدن فقيل :

- لَوْ طُلِبَ لَبَن الطَّير في إِشْبِيلية وُجِد (4) .

وبأهلها في الخلاعة ، وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة ، فقيل :

- إِشْبِيلية تَفْتِك ، وطَرْيَانَة تُؤَدّي الجُعَلْ (5) .

وتمثلوا بمجبنات شريش وقالوا :

- مَنْ دخَلَ شَرِيش ولَمْ يأكل بِها المُجَبّنات فَهُو مَحْروم (6) .

وسار المثل بالشراب المالقي (7) والتين المالقي (8) ، وكان المثل يضرب بتطيلة - وما يزال - في اشتهارها بالحرث وطيب الزرع (9) وبقلعة لورقة في المنعة (10) ، وبشاطبة في الحسن (11) . وامتدحوا سكنى جيان فقالوا :

- امْدَحْ البُلْدان ، واسْكُن جَيان (12) .

---

(1) نفح الطيب 1 : 415
(2) البيان المغرب 3 : 196 (القسم الخاص بالموحدين) .
(3) نفح الطيب 1 : 147 وقارن بالمثل العربي : ان ضج البعير فزده وقرا . انظر المستقصى
(4) نفح الطيب 4 : 199 ، وانظر ايضا اضافة : لبن الطير ، في ثمار القلوب للثعالبي
(5) الروض المعطار : 127 والمثل رقم 1050 في النص ، ونفح الطيب 1 : 151
(6) نفح الطيب 1 : 172
(7) نفح الطيب 4 : 206
(8) نفح الطيب 1 : 144 ، 186
(9) المغرب 2 : 449
(10) المغرب 2 : 275
(11) نفح الطيب 1 : 156
(12) المثل رقم : 465

واستمر هذا في أمثال الاسبان بعدهم فهم يقولون :

A quién Dios quiso bien, casa le dio en Jaén. Kleiser, nº 27185

أي من احبه الله كثيرا أعطاه دارا في جيان . ويقولون في الدعاء :

Dios te dé el reino de Jaén que es ancho y largo. Kleiser, nº 7171.

أي ليعطك الله مملكة جيان التي هي عريضة وطويلة .

ومن أمثال الأماكن أو الأمثال الجغرافية (9) إذا شئنا طائفة تسجل المنافرة أو المساجلة بين المدن والقرى الأندلسية كقولهم :

ـ دلاَّل شوذَر : يفرّق بين البايع والمشتري (2) . (رقم 932) .

ـ وَسْق المَرِيّ : حَديد ورخام (1941)

ـ شُرْطِ بَيّاسه : يقْتَنع بالزّر . (رقم 1887) .

ـ زواج أهل بَسْطة : بالحِبال فالأرقاب (ابن عاصم رقم 426) .

ـ بَحَلْ سُوق بلِيّش فالهُبُطْ (ابن عاصم رقم 270) .

ويحمل بعضها معنى الهجاء السياسي ـ فيما نفهم ـ كما في قولهم:

ـ بَارِدَ ، بَحَلْ خَبَرْ مَارِدَ (رقم 576) .

ـ ذُكِرَت المُدُنْ ، قَامَتْ اسجَه تَمْجُنْ (رقم 963) .

ـ شُيوخْ بجّانَة : [لا] يحِنُ وَلاَ يَرْحَامُ (رقم 1880) .

ـ مِنْ خُلاَعْ بَجّينَه : يدرس الزّرجونة ويَسْكَر (رقم 1880) .

ـ عَزْبَةْ فَارُ ، حَكّتْ بَيْض الحِمار حَتّى احْمَارُ (رقم 1706) .

ـ عَزْبَتْ لُك ، رَتْ بَيْض الرَّجُل وقَالَتْ أشْ ذَاك الحَبّ المُلُوكْ (رقم 1711) .

ويشير بعضها إلى حوادث تاريخية فقولهم :

عِمَارة قَادِسْ : نَفْسَيْن وأُسَيْوَدْ (رقم 1673) .

فإنهم تمثلوا به ـ فيما يبدو ـ بعد الهجوم المسيحي عليها سنة 631 هـ ، جاء في البيان المغرب بعد وصف هذا الهجوم : " وهذه الفتكة الشنعاء كانت سببا لخراب جزيرة قادس حتى لم يبق لها رسم ، واستمر

---

(1) تكثر امثال البلدان أو «الامثال الجغرافية» الاسبانية أيضا كثرة ملحوظة ، وقد خصها بعضهم بمجموع مستقل . وأورد KLEISER قسما كبيرا منها مرتبة على حروف الهجاء في معجمه الكبير (من ص 289 الى ص 320) .

(2) مثله في الامثال المصرية والسورية : زي السمسار النتن : لا يرضي البائع ولا الشاري . شبير : 41

خلاؤها إلى حين تملك النصارى مدينة إشبيلية وسائر بلاد الأندلس (1)" .

وقالوا في ذلك أيضا : "غرناطة اليهود (2) " و "يسانة اليهود (3)" و "روطة اليهود" لكثرة اليهود بها . وتمثلوا بالزيتون الشرفي (4) ، والحرير الجياني، والتفاح الجلياني ، والملح الأندراني فقالوا : حرير جيان (5) ، تفاح أن جلياني (6) ، ملح حيدراني (7) .

وهنالك قسم من أمثالهم يدور حول أشخاص كانت لهم حكايات معينة ، أو عرفوا بصفات خاصة ، ومنهم : شنظير الصقلبي (8) ، والبحبضة الذي عرف بالتخنث (9) ، وحبلص المذكور باللواط (10) ، وزيد البارد ، (11) وغفلون (12) وغيرهم .

وورد بعض هذه الأمثال في صورة ألغاز كقولهم :

- بالرُّب يُطْبَخْ (رقم 701) .
- باللُّث يوكَلْ (رقم 702) .
- بالنَّهار حِلْية ، وباللَّيل خَشَبة (رقم 703) .
- يَكُل مِنْ جُرف ويشْرب مِنْ غَدير (رقم 2044) .
- يَمْتَدّ ، ويَبْزَق فَاليَد (رقم 2117) .

وقد أشار ابن حيان إلى ولع العامة في الاندلس بالفوازير (13) .

ومن أصول الأمثال الأندلسية أيضا أبيات من الشعر المشرقي أو المغربي كانت تنتشر بين العامة وما يزال بها الاستعمال والابتذال حتى يخرجها

---

(1) البيان المغرب 2 : 292 «القسم الخاص بالموحدين» .
(2) الروض المعطار : 23
(3) المغرب 1 : 105
(4) المثل رقم 1036 في النص
(5) نفح الطيب 4 : 204
(6) ص 527 والمغرب 2 : 148 ونفح الطيب 1 : 143
(7) VOC. ولعلها : ملح أن اندراني . وانظر : الروض المعطار : 97 ونفح الطيب 1 : 143
(8) المثل رقم 1920
(9) المغرب 1 : 171 — 172
(10) المثلان رقم 519 ورقم 1890 في النص
(11) المثل رقم 371 في النص
(12) المثل رقم 1751 في النص
(13) المقتبس 2 : 276

عن وزنها ومعناها ، ومن ذلك هذا المثل الذي أورده ابن عاصم :

ـ من التِي مشَت الحِمارَ بأُم عَمْرو لاَ الحِمارَ رَجَاعَت وَلاَ أُم عمرو سُمِعْ لهَ خَبَرْ (1) .

فهذا ليس إلا البيت المعروف :

إذا ذهَبَ الحمارُ بأُمِّ عمرٍو فَلا رجَعَتْ ولا رجَعَ الحمارُ

وله نظائر عديدة في أمثالنا العادية في المشرق والمغرب .

وقد اتخذوا من بعض الأمثال أوعية لمعارفهم المختلفة في الطب والفلاحة والأنواء وأحوال الجو وغير ذلك ، ونذكر من هذه على سبيل المثال :

ـ ليمَ في دارْ ، اخيَرْ مِنْ حكيمْ وَلَوْ جار (رقم 1231) .

ـ كُل الزّيت وَلاَ تَمْشِي لطَبِيبْ (رَقم 1124)

ـ مَنْ أَكَل سَبْعَ مِنْ البَلوطْ ، أَكَل شَر مِن عَمُودْ (رقم 1394) .

ـ بَحَلْ أَرنب : عام أَنْثَى وعام ذَكَر (رقم 601) .

ـ لِس تَمُوتْ طَرِيدة حَتَّى تِحَرَّكْ ذَنَبْها (رقم 1167)

ـ لِس كُنْ يَكُونْ ، ذَا الغَرْس قبل مَرَسْ (رقم 1161)

ـ فابْريلْ يَعْتَدِل المُؤَخَّر وَ البَكِّيرْ (رقم 1739)

ـ إذا جاز ابْريلْ ، اعْمَل فَوْقْ البْحر اسريرْ (رقم 60) .

ـ فكْتُوبر تكل البلُوط وَلَوْ كانَتْ خضر (رقم 1741) .

ـ إذا ريت الضَّبابْ ، أبْشِر بالطَّيَابْ (رقم 56)

ـ إذا ريت بالغُدو ، خَلِ دوابَّك يَرْقُدُ ، وإن رَيْت بالعَشِي يَسِّر دوابَّك

ـ للمشي (رقم 61) .

فالمثل الأخير ـ على سبيل المثال ـ هو من أمثالهم في التنبؤ بالأحوال الجوية التي تتضمن نتيجة تجاربهم ، وحصيلة خبراتهم وثمرة معارفهم بأحوال البيئة المحلية ، وظواهرها الطبيعية ، وقد أصبح بمثابة القاعدة المطردة عندهم . ودونته تقاويمهم ، فهذا صاحب تقويم قرطبة يقول : "وإذا رأوا الحمرة في الآفاق عند طلوع الشمس وغروبها مع

(1) المثال رقم 745 في ابن عاصم

سحاب كثير استبشروا بها للخصب (1)" . ونجد هذا في الأمثال الاسبانية أيضا فهم يقولون :

Arreboles de la manana, a la noche son con agua; arreboles de la noche, a la noche son con sole. Kleiser, 45922.

ونجد المثل أيضا في بلدان المغرب الكبير بصيغ متشابهة منها :

- إذا احْمارتْ مْع العشية ، اربَطْ حْمَارك للمشيَة ، وإذا حْمَارتْ مْعَ
- الصبَاح ، اطْلَقْ حْمَارك يسْتْراحْ (2) .

وما ذلك إلا لتشابه الأحوال الجوية في هذه البلدان . وكذلك المثل الذي قبله ، وقد وجدناه أيضا في الامثال الاسبانية القديمة :

Niebla negra, buen dia espera. (أمثال ESPINOSA ص 168) .

ولا ننسى في الأخير أن نشير إلى بعض الأمثال التي يبدو أنها عجمية الأصل ومنها :

- بَيْدَمْ تَمْتد مَرِيَ يَرْقُد جُوانْ (رقم 316 عند ابن عاصم)
- مَنْ هُو بِرْناط فِي جَنَوا (رقم 669 عند ابن عاصم)
- الكَيِّس والبَطِي ، في سَنْتبِطَر يَلْتَقِي (رقم 229)

فهذه الأمثال وأشباهها هي في غالب الظن من أمثال عجم الأندلس التي انتقلت من "الرومانثية" إلى العربية ولكنا لم نقف على أصولها ، وإنما وقفنا على ما يشبه المثل الأخير في القشتالية التي هي اللغة الإسبانية الرسمية ، ومن المفروض أن يكون قسم من الأمثال الأندلسية يرجع إلى أصول في اللغة "الرومانثية " أو لغة عجم الأندلس كما تسميها المصادر العربية ، إلا أنه لم يدون شيء من أمثال هذه اللغة أو لم يصل إلينا منها شيء .

ونصادف عندهم امثالا هي في أصلها قواعد أو كالقواعد الفقهية سواء في العبادات أو في الأحكام والمعاملات ، فمن النوع الأول قولهم :

- إذا حَضَر المَا بَطَل التَّيَمُّم (رقم 66) .
- لِكُلِّ ضَرْطَ وُضُو (رقم 1223) .
- مَنْ تَوَضَّا قَبْل الوَقْت صَلَّى فَالوَقْت (رقم 1250)
- ومثال النوع الثاني قولهم :
- مَنْ دَخَلْ عَلَى شَرْط لزمُ (رقم 1427)

(1) تقويم قرطبة : 7

(2) انظر شرح المثل رقم : 61

- لِسْ يُبَاع حُر فـي دَيْن (رقـم 1186) .
- دار لِسْ تْبْقَى خَالِيَ ومُكاري لِسْ يَبِيتْ بَرَّه (رقـم 935) .
- ضَرَّابَة الـخَفِيفْ ، المقْرَعْ والتَّكْتِيفْ (رقـم 1632) .
- مـن بـدَّل ، الـعربـان يـكَلْ (رقـم 1444) .

والعربان لغة في العربون وهو " أن يشتري الرجل شيئا أو يستأجره ويعطي بعض الثمن أو الأجرة ثم يقول إن تَم الحقد احتسبناه وإلا فهو لك ولا آخذه منك

وقد تمثلوا بأحاديث نبوية أشرنا إليها في مواضعها من النص . أما أمثال التجارب الإنسانية العامة ، والأمثال الحكمية ، وأمثال القيم الأخلاقية والاجتماعية ، فإنها أكثر هذه الأمثال وأكبر أبوابها .

صدى الامثال العامية في الشعر الاندلسي :

لانعدم صلة بين الأمثال والشعر ، فكثير من الابيات شاعت وانتشرت وأصبحت بذلك أمثالا سائرة . وقد خصص الثعالبي قسما كبيرا من كتابه "التمثيل والمحاضرة" لما يتمثل به من الشعر القديم والمحدث (1)، وذكر ابن عبد ربه في العقد نبذا من الأمثال المستعملة في الشعر (2) ، وعقد ابن شمس الخلافة قي كتاب الآداب بابا لأبيات الأمثال المفردة (3) ، وبابا آخر لأعجاز الأبيات المتمثل بها ، وألف الصاحب بن عباد رسالة في أمثال المتنبي ، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب الأدب أو المحاضرات من مثل هذا ، وقد راينا من قبل عمل ابن هشام اللخمي في الأمثال المستمدة من الشعر . ويدخل في هذا الباب تلك المؤلفات الموضوعة في أبيات الاستشهاد كرسالة أحمد بن فارس وغيرها .

كما أن كثيرا من الشعراء استعملوا الأمثال في شعرهم ، ووشوا بها كلامهم على سبيل الاقتباس أو التضمين ، وإذا كنا نجد هذا بكثرة بالنسبة للأمثال العربية القديمة فإننا لا نجد منه إلا القليل بالنسبة للأمثال العامية أو المولدة ، وقد عرف بعض الشعراء بتضمين أمثال العامة وكناياتهم وعباراتهم كابن حجاج وابن سكرة وغيرهما في العصر العباسي ويتميز هذا الشعر بالابتذال والبذاءة والفحش ، وهي من سمات كلام العامة .

وممن نحا هذا المنحى في الأندلس يحيى الغزال في شعره الذي جرى فيه على أسلوب أبي حكيمة راشد بن إسحاق (4) ، ونجد عنده بين

---

(1) التمثيل والمحاضرة : 45 — 129
(2) العقد 3 : 132
(3) كتاب الاداب : 148 — 156
(4) نفح الطيب 3 : 22 والمطرب : 149 وانظر في أبي حكيمة : ثمار القلوب : 225

الحين والحين إشارات لأقوال عامية مستمدة من البيئة المحلية كقوله :

يقُولُ لي القاضِي معاذٌ مشاوِراً ووَلّى امرَأً فيما يَرى مِنْ ذَوِي الفضل

فَديْتُك ماذا تَحْسَبُ المَرءَ صانِعاً فقُلْتُ وماذا يَصْنَعُ الدُّبُ بالنَّحْلِ

يَدُقُ خَلاياها ويَأكُلُ شُهْدها ويَتْرُكُ للذُّبَّانِ ما كانَ مِن فَضْلِ

فهو هنا يشير إلى المثل العامي الأندلسي :

ـ اشْما عَملَ الدُّبُ يُعْجِبْ لِلْجَبَّاحْ (1) .

ومنهم أبو عبد الله بن شخيص الذي "قال على لسان رجل يعرف بأبي الغوث أشعارا مشهورة في أنواع من الهزل (2)" . وقد ذكر ابن خير في فهرسته "شعر محمد بن مطرف ابن شخيص في جده وأهزاله (3)" . ويبدو أن "أهزاله" اشتملت على بعض أمثال العامة في قرطبة وكناياتهم ونكتهم ، ولكن لم يصل إلينا منها شيء .

ومنهم أيضا ابن مسعود القرطبي الذي ذكر ابن بسام أنه كان كثير الهزل في نظمه ونثره وقال : "وأراه فيما انتحاه تَقَيَّلَ منهاج سميه وكنيه محمد بن حجاج بالعراق (4)" . وأورد له رسالة فيها إشارات إلى بعض أوهام العامة وخرافاتهم .

وقد وجدنا في شعره أمثالا عامية أو إشارة إليها كقوله :

عَيْبانِ في الدِّرْهَمِ نقْصٌ ورَدِي : وواحِدٌ قَدْ كان يَكْفِي لَوْ قَدِ (5)

وقوله :

أَلْحَنُ في أشْعارِهِ مِنْ تَيْسِ أَعْجَزُ في البَيْتِ مِن الضُّرَيْسِ (6)

وقوله :

مَن لَمْ يَكُن بالمَصِيفِ يَغْلِي بِرَأسِهِ الحَرُّ والحَرور

لَمْ تَغْلِ حِينَ الشِّتاءِ مِنْهُ بالبُرِّ في بَيْتِهِ القُدُورُ (7)

---

(1) المثل رقم 173 في النص .

(2) جذوة المقتبس : 84

(3) فهرسة ابن خير : 408

(4) الذخيرة ق 1 مج 2 : 66

(5) انظر المثل رقم 1665 في النص

(6) انظر المثل رقم 501 في النص

(7) انظر المثل رقم 1748

وقوله :

حَيْرانُ مِنْ دَشْشَةٍ كَأَنِّي ... قَنَبَّقٌ خَانَه الغَدِيرُ (1)

وقوله :

فَعَلْتُ فِي آخِرِ عُمْرِي كَمَا ... تَفْعَلُ شَاةُ السُّوءِ بِالحَالِبِينْ

أَصَبْتُ فِي نُسْكِي وزُهْدِي الّذِي ... أَصَابَهُ مُنْذِرٌ فِي البِيرُونِ (2)

وقوله :

قَيَّضَ اللّهُ لِي مِن ابْنَا أَبِي الرِّ ... يشِ غَلِيظَ الفُؤَادِ ذَا كِبْرِيَاءِ (3)

وقوله :

نَقْرَاءُ شَقْرَاءُ عَلَى سُمْرَةٍ ... فَهَلْ تَرَى يَا سَيِّدِي مِنْ فُطُورْ (4)

وقولة :

لاَ سِيَمَا زِيادَةٌ فِي التُّحْفَةِ ... أَتِي حُبْلَى مُقْرَبٌ بِنُطْفَة

وَرُبَّمَا جِئْتُ لَهُ بِاثْنَيْنِ ... لِكَيْ يَجُوزَ قُرَّةَ العَيْنَيْنِ (5)

وقوله :

أَنَا أَبُطُّ بِحِذْقٍ ... نَغَانِغَ الصِّبْيَانِ

أنَا أَشُقُّ بِلُطْفٍ ... مِنِّي عَلَى السَّرطَانِ (6)

وقوله :

وَلَوْ تَرَاهُ سَائِراً لِلسُّوقِ ... إِذَا بَدَا فِي كَسْوَةِ الغُرْنُوقِ (7)

وهذه الأبيات كلها تحتوي على أمثال أو إشارات إلى أمثال وإضافات عامية (8)

---

(1) انظر المثل رقم 404 في النص

(2) من الواضح أن فيهما اشارة الى مثلين وان لم يردا في المجموعات التي بين ايدينا .

(3) أبو الريش لص كان يضرب به المثل في السخف فيقال : أسخف من أبي الريش ، انظر شرح المثل رقم : 447

(4) يقارن بمثل ابن عاصم رقم 165 : البيض الشقر ، كيف السود النقر

(5) انظر المثل رقم 1033 في النص

(6) انظر المثل رقم 2127 في النص ، وقد وردت الاشارة اليه أيضا في شعر لابن زيدون يقول فيه : (ديوانه : 70) :

وانذر خليلك من ماهر ... بطب الجنون اذا ما عرض

كفيل ببط خراج عصي ... جريء على شق عرق نبض

(7) كسوة الغرنوق ، من اضافاتهم التي لم ترد في كتب المضاف والمضاف اليه

(8) ذكرت في القسم الثاني من هذا الكتاب ماله صلة بالامثال في كلام ابن مسعود ، وبذلك لفتت النظر الى قيمة شعره من الناحية الشعبية ، وفي خلال طبع هذا القسم ظهرت عنه دراسة مشتركة للاستاذين : أ. غ. غومس و ف. دي لاكرانخا . انظر مجلة الاندلس (AL ANDALUS, 1972) .

ومن هؤلاء الشعراء ذوي الاتجاه الشعبي في الأندلس أبو القاسم خلف ابن فرج الألبيري المعروف بالسميسر ، قال ابن بسام : "وله مذهب استفرغ فيه مجهود شعره ، من القدح في أهل عصره ، صنت الكتاب عن ذكره (1)" ويبدو مما بقي منه أنه كان يتوكأ على عبارات العامة في مشاجراتهم وسبابهم ، فهو حين يقول في آخر أبيات له :

أَبْصَرَ البَصَّالُ دُرًّا غَالِياً قَالَ عِنْدي مِنْهُ أَغْلَى وأَجَلّ

إنما يستعمل مثلا عاميا كان شائعا في الأندلس ، وقد رواه الزجالي وابن عاصم (2) .

وحين يهجو المرية بقوله :

قَالُوا المَرِيَّةُ فِيهَا نَظَافَةٌ قُلْتُ إِيهِ
كَأَنَّهَا طَسْتُ تِبْرٍ ويُبْصَقُ الدَّمُ فِيهِ

يضمن مثلين : أحدهما قولهم : اصفي من طس (3) . والآخر رواه ابن عاصم هكذا : أش يراد طس يبزق فيه الدم ؟ (4) وهو مثل عامي مشرقي قديم ذكره الثعالبي كما يلي : لا أحب دمي في طست من ذهب (5) . وورد في أمثال سنتيلانا :

Renigro de bacin oro : que escupe sangre. Santillana, pag. 248. Kleiser, n 56.129

ولا تختلف ترجمته عن الصيغة المصرية : قطع الطشت الذهب اللي اطرش فيه الدم . وما يزال يتمثل به في البلدان العربية (6) ، ومن فوائد هذه الأمثال المستعملة في الشعر أنها ترد مسبوقة بما يشرحها ويوضح معناها كقول السميسر أيضا :

لاَ تَستَتَرِبْ مِن غَيْرِ مَا تَجْنِيهِ كَالْجَانِي المُرِيبْ
وكَذا حَكَوا : بُلْ صَافِيًا واضْرِبْ بِهِ وَجْهَ الطَّبِيب

(1) الذخيرة ق 1 مج 2 : 372
(2) انظر المثل رقم 1669 في النص
(3) المثل رقم : 518 في النص
(4) المثل رقم 82
(5) التمثيل : 340
(6) تيمور رقم : 2253 ووستر مارك رقم : 735 ورقم : 736 وابن سودة 40 وكولان : أمثال مراكشية (مخطوط) .

وصيغة المثل كما كان يقال في الأندلس :

ـ بُلْ صَافٍ وادخل اصْبَاعَكْ فِي عَيْن الحَكِيمْ (1) .

وهو من الأمثال المنتقلة إلى الإسبانية :

Mear clar, y una niga al médico. Refr. ESP. Aguilar. (H. Núñez), pag. 330.

وما يزال يتمثل به في المغرب (2) ، وأصله من أمثال العامة في المشرق قديما كما يدل على ذلك قول الصنوبري :

وللسُّقّاطِ أَمْثَالٌ فَمِنْهَا   تَمَثُّلُهُمْ لَدَى الشَّيْءِ المُرِيبِ :

إذا ما كُنْتَ ذا بَوْلٍ صَحِيحٍ   أَلاَ فَاضْرِبْ بِهِ وَجْهَ الطَّبِيبِ (3)

ومن الأبيات العامية الواردة في شعر السميسر قوله في آخر أبيات له :

إذا المَرءُ اشْتَرى بَصَلَه   فَلاَ تَسْأَلْهُ عَنْ مَسْلَةْ

وقد تقدمت الإشارة إليه ، ومنها قوله :

إذا رَأَيْتَ المَرْءَ فَاحْكُمْ عَلَى   مَوْلاَهُ مِنْ ظَاهِرِ مَرْآهُ

دَلِيلُ حالِ المَرْءِ عُبْدانُهُ   "والعَبْدُ مِنْ طِينَةِ مَوْلاَهُ"

ويبدو أنه مثل كان شائعا في الأندلس ، فقد ورد عند شاعر أندلسي آخر إذ يقول :

قَدْ جَاءَكُمْ فَاضِحُ الهِلاَلِ   يعْبَقُ بِالمِسْكِ والغَوالِي

لاَ تُنْكِروا نَشْرَهَا عَلَيْهِ   "فَالعَبْدُ مِنْ طِينَةِ المَوالِي (4)"

ومن ذلك قوله :

أَقَارِبُ السُّوءِ دَاءُ سُوءٍ   فاحْمِلْ أذاهُم تَعِشْ حَمِيدا

فَمَنْ تَكُونُ قَرْحَةٌ بِفِيهِ   يَصْبِرُ عَلَى مَصِّهِ الصَّدِيدا (5)

---

(1) ابن عاصم رقم 319

(2) وستر مارك رقم 1518 وابن سودة : 367، 369

(3) التمثيل والمحاضرة : 182

(4) الذخيرة ق 1 مج 20 : 375 . وله أصل في أمثال المولدين كما يدل على ذلك قول بعضهم (أبيات الاستشهاد لابن فارس) :

وإذا ما جهلت ود صديق   فاعتبر ما جهلت بالغلمان

ان وجه الغلام يخبر عما   في ضمير المولي من الكتمان

وما يزال المثل مسموعا في بلدان المغرب : من الخديم تعرف سيده . ابن شنب رقم 1812

(5) المصدر نفسه : 374 ، ابن شنب رقم 1812

فالبيت الثاني يشبه أن يكون مثلا توكأ عليه لتكبير الصورة ، ومثله قوله :

خُذْ مِن الدَّهْرِ ما أَتَى ... إِنْ نَعِيماً وَإِنْ نَكَدْ
كُنْ كَسِكِّينِ جازِرٍ ... قَاطِعٍ كُلَّ ما وَجَدْ (1)

فالتشبيه هنا ـ فيما يبدو ـ من تشبيهات العوام الجارية مجرى الأمثال ، ويقول أيضا من قطعة له مشهورة :

أَرادوني بِجَمْعِهِمُ فَرُدُّوا ... عَلَى الأَعْقَابِ قَدْ نَكَصُوا فُرادى
وَعَادوا بَعْدَ ذَا إِخْوانَ صِدْقٍ ... كَبَعْضِ عَقَارِبٍ عَادَتْ جَرادَا

ولعله يشير إلى مثل أصله خرافة رواه الزجالي وابن عاصم كما يلي :

ـ اشْتَعْمَلْ العَقْرَبْ بَيْن الجَرادْ (2) .

ومن ذلك أيضا قوله :

لا تُوقِدَنَّ عَدُوًّا ... وأَطْفِهِ بالتَّوَدُّدْ
فَالنَّارُ بالفَمِ تُطْفَا ... وَ النَّارُ بِالفَمِ تُوقَدْ

والشاهد في البيت الأخير كما هو واضح ، ومما ذكرناه نفهم السر في انتشار شعر السميسر بين العامة في الأندلس .

وقد عرف الشعر الأندلسي بكثرة التشبيهات وألف في هذا الباب أكثر من كتاب ، ونجد الظاهرة نفسها في الأمثال الأندلسية أيضا ، فقد أورد الزجالي ما يناهز المائة من أمثال التشبيهات واكتفى بها قائلا : "وهذا باب متسع جدا ، وفيما ذكرته كفاية (3)" وقد وجدنا الشعراء يستعملون بعض هذه التشبيهات كقول محمد بن أبي الحسين :

لَمْ تَرُمْ نُصْحاً وَلَكِنْ ... رُمْتَ كَيْداً فِي دُعَابَةْ
أَنْتَ كَالسِّنَّوْرِ لَمَّا ... مَنَعُوه اللَّحْمَ عَابَهْ (4)

---

(1) الذخيرة ق 1 مج 20 : 375

(2) المثل رقم 213 في النص ، ومثله المثل الغرناطي : أش يعمل أبيض في بلاد تناوة ، وقد ضمنه ابن الخطيب فقال : (الاحاطة : 453 (مخطوط) .

دار الظلام عني دورة كافر ... فقصدت قصد عبادة وتلاوه
ولو أنني كابدته لم أستطع ... « ما حال أبيض في بلاد تناوة »

(3) ص 135 من النص

(4) التشبيهات لابن الكتاني : 282

والمشارقة كانوا يقولون هذا في الثعلب والعنقود كما يقول بعضهم :

أَيُّها العائِبُ سَلْمى ... أَنْتَ عِنْدي كَثُعَالَه

رَامَ عُنْقُوداً فَلَمَّا ... أَبْصَرَ العُنْقُودَ طالَه

قَالَ هَذا حامِضٌ لَمَّا رَأَى أَلاَّ يَنَالَه (1)

ومن ذلك تشبيه ابن رشيق إذ يقول :

"كالفَاسِ لاَ يَسْتَجِيدُ قَطْعاً ... إِلاَّ وَفي عَيْنِهِ هِرَاوَه"

فهو من المثل العامي :

ـ جَزا الفَاسْ : العُود فى العَيْن (2) .

وتشبيه أبي الحسن علي بن حصن الإشبيلي من قصيدة له (الذخيرة مخطوط) :

أُنشِدكُمْ شِعْري "كَمَنْ قَرا ... سُورة ياسين عَلَى مَنْ كَفَرْ"

فِي نَفَرٍ أستغفر الله بَلْ ... فِي بَقَرٍ لَولا اخْتِلافُ الصُّوَرْ

فهو من المثل الوارد في مجموعة الزجالي بلفظ :

ـ اقْرَ سُورة يَس عَلَى قلب انْ كافِرْ (3) .

وابن حصن هذا من الذين يملحون شعرهم بالأمثال العامية (4) ، ومن ذلك أيضا تشبيه الفقيه أبي موسى عيسى بن عبد المنعم الصقلي إذ يقول :

يجذبُ خصراً مُخطَفاً ... بكَفَلٍ مُرَجْرَجِ

"كمِثْلِ زقٍّ ناقِصٍ ... عَلَى حِمارٍ أَعْرجِ (5)"

فهو من المثل :

ـ بَحَلْ زَق انْ نَاقِصْ عَلَى حِمَارة انْ عَرْجَا (6) .

وكذلك تشبيهات عبد الملك بن جهور وعتيق بن ميسره الفرغليطي وابن مسعود القرطبي التي ذكرناها في النص (7) .

---

(1) التمثيل والمحاضرة : 358 .

(2) المثل رقم 678 في النص

(3) المثل رقم 426 في النص

(4) انظر شرح المثل رقم 836 في النص

(5) الخريدة 4/1 ص 33 ط. مصر

(6) المثل رقم 637 في النص

(7) انظر الامثال رقم 635 ورقم 636 ورقم 404

ومن الأمثال التي تقال في المغرب لتصوير شدة الحال وضنك العيش :
ـ عَلَى الْمَاءِ زَحْمَة وعَلَى الطّعام سَفْك الدّمَاء (1) .

ويبدو أنه مثل أندلسي قديم لأننا وقفنا عليه عند الشاعر الجياني أبي عبد الله محمد بن يربوع إذ يقول في هجاء ابن أحلى أمير لورقة :

قَصَدْتُ ابْنَ أَحْلَى فَأَلْفَيْتُهُ ... أَشَدَّ مِرَاراً مِنَ الْعَلْقَمِ
عَلَى المَاءِ فِي دارِهِ زَحْمَةٌ ... وفِيهَا عَلَى الخُبْزِ سَفْكُ الدَّم (2)

وضمنه شاعر آخر فقال (محاضرات اليوسي : 210) :

عَلَى المَاء فِي دارِهِ زَحْمَةٌ ... وفِيهَا عَلَى الخُبْزِ سَفْكُ الدِّمَا
أَضَافَ أنَاساً إلى دارِهِ ... فَنَزَّهَهُمْ فِي نُجُومِ السَّمَا
وبِالْجُوعِ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ... وإنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَا

وقد نمرُّ بقول أبي عثمان القرشي :

مَا نَحْنُ إلاَّ فِي فَلاَةٍ لِلْوَرَى ... فَلْتُحْذَر "الشَّهَوَاتُ في الفلوات" (3)

أو بقول ابن زمرك :

فَقَد طِبْتَ مِنْ "طَيْرِ العَصِير" بنسْبَة ... فَخَرْتَ بِهَا بَيْنَ القُضَاة على الغير (4)

أو بقول ابن لبال الشريشي :

جَعَلَتْ أَمْشِي كَأَنِّي نِصْفُ دائِرةٍ ... تمْشِي على الأرضِ أو "قَوْسُ بِلا وَتَرِ" (5)

دون أن نشعر أو نعرف أن عبارات "الشهوات في الفلوات" و "طير العصير" و " قوس بلا وتر" في الأبيات المذكورة كانت مما يجري مجرى الأمثال (6) .

وربما توقفنا عند بعض التوريات الغامضة في شعرهم لأنها مبنية على أمثال أو أقوال عامية معروفة لديهم ولدى معاصريهم كقول إبراهيم ابن الحاج النميري الوادي آشي يذكر خدمته بمدينة فاس :

أَيَا عَجَبا كَيْفَ تَهْوى المُلُوكُ ... مَحَلِّي ومَوْطِنَ أَهْلِي ونَاسِ
وتَحْسُدُنِي وهِي مَخْدومَةٌ ... ومَا أَنا إِلاَّ خَدِيمٌ بِفَاس (7)

---

(1) أمثال فاس لابن سودة : 557 (مخطوط)
(2) الذيل والتكملة 6 : 28 (مخطوط)
(3) الحلة السيراء 2 : 320
(4) أعمال الاعلام : 79
(5) تحفة القادم : 74
(6) انظر الارقام : 227 ، 1055 ، 1814 ، النص
(7) جذوة الاقتباس : 92

ولا نعرف التورية هنا على وجهها إلا إذا عرفنا أنها مركبة من المثل الذي كانوا يقولونه في الخدمة المحتقرة وهو :

ـ بَحَلْ فَاسْ يَخْدُم بالَّقمة (1) .

وقد أشار إلى هذا أيضا ابن الخطيب السلماني إذ يقول (الإحاطة : 400)

بنيتُ على زردٍ فلقّمني الفتى كَذلِكَ ماعونُ البناء يُلَقّمُ

وحين يقول هذا الشاعر في وصف "محلّة" أبي سالم المريني ومضاربها :

وما إن رأى الراءون في الدهر قبلها قرارة عزٍّ في مدينة كتّان

فإنما يلمّح إلى المثل الاندلسي :

ـ إذا عَزّ ، فهو بزّ ، وإذا هان ، فهو كتّان . (رقم 59)

وحين يقول في قصيدة اخرى :

أو تقاعدتُ أصبح الامرُ فَوْضى تلعبُ الشاةُ فيه بالجزّار

فَانما يعني المثل الاندلسي :

البَقر يتخمَّر بالجزارين . (رقم 362)

ومثل هذا كثير في الشعر الأندلسي والنثر الأندلسي أيضا .

صدى الامثال الاندلسية في الازجال :

إذا كان الشعر الأندلسي الفصيح قد اشتمل ـ كما رأينا ـ على بعض امثال العامة في الأندلس ، فإن من الطبيعي أن تكون الأزجال أكثر منه اشتمالا عليها ، وأن يكون صدى الأمثال فيها أقوى رجعا ، وأوضح ترديدا ، وذلك لأن الزجالين يصدرون في أزجالهم عن اللغة العامية ، ومنها يستخدمون ألفاظهم ، ويستمدون معانيهم ، ويستوحون أخيلتهم ، وينتزعون تشبيهاتهم ، كما أنهم كانوا أكثر احتكاكا بالعامة من شعراء الفصحى ، وأقوى منهم انتباها إلى ما يدور على ألسنتهم ، وقد وجدنا طائفة من الأمثال في أزجال ابن قزمان ومدغليس من زجالي القرن السادس وعند ابن تاجيت اللورقي وأبي زيد الحداد البكازور ، والصوفي أبي الحسن الششتري من زجالي القرن السابع ، ولولا مجموعة أمثال الزجالي لما استبانت هذه الأمثال في أزجالهم .

(1) أمثال ابن عاصم رقم : 278

وحين درس الدكتور عبد العزيز الأهواني الزجل في الأندلس ونشر في ذلك كتابه المعروف خصص فصلا طويلا لإبراز معالم التأثير الشعبي في الأزجال ، وذكر أنها انطوت على "كثير جدا من صور وتشبيهات وأمثلة ، ونظرات في الحياة ، ومعان وأخيلة لم توحها الكتب ولم تفرضها القصائد ، وإنما أوحتها اللغة العامية وحياة العامة (1)" . واستدل على هذا بأمثلة عديدة من أزجال ابن قزمان وغيره ، وقد وجدناه - قبل أن نكتشف مجموعة أمثال الزجالي - يقف عند معظم العبارات التي تحمل صدى شعبيا ، ويقدر أن تكون أمثالا عامية ، ثم أثبتت مجموعة أمثال ابن عاصم - التي نشرها بعد ذلك - صدق حدسه في بعضها وإن كان قليلا ، وجاءت مجموعة الزجالي فأيدت بالنص صواب رأيه فيما بقي منها وهو الكثير .

وقد عني كثير من المستشرقين بابن قزمان وديوانه ولكن عنايتهم كانت منصبة على الخرجات أو الإفادة من الكلمات العجمية أو العامية الأندلسية الواردة في أزجاله ، أما دراسة الأمثال عنده فكانت مما سبق إليه الدكتور الأهواني (2) .

وتأتي مجموعة الزجالي لتقدم مادة جديدة وكبيرة في دراسة الأمثال في أزجال ابن قزمان وغيره ، كما أنها تفيد إنارة بعض الجوانب الخفية منها وتساعد على حل مشكلات فيها كانت غامضة ومستعصية على الحل ، وتشتمل أزجال ابن قزمان على أكثر من ثلاثين مثلا من الأمثال التي وردت في مجموعة الزجالي ، وقد ذكرناها في مواضعها من النص ، وإذا كانت هذه المجموعة أعانت على تمييز الأمثال العامية في ديوان ابن قزمان فإن استعمال هذا الزجال الماهر لها ، وإتيانه بها في درج الكلام وسياق المعنى العام أعان كثيرا على فهم تلك الأمثال نفسهافي كثير من الأحيان ، ومنها أمثال ما كنا لنفهمها لولا ورودها عنده ، وهو يستعمل الأمثال من غير تنصيص أو تمهيد يشعر بالتضمين أو الاقتباس إلا في حالات معدودة كقوله : (زجل 9)

---

(1) الزجل في الاندلس : 171

(2) أمثال العامة في الاندلس : 276 (كتاب : الى طه حسين ...) وفي أثناء طبع هذا القسم ظهر كتاب TODO BEN QUZMAN. للاستاذ ا. غرسية غومس في ثلاثة أجزاء ، وفي الجزء الثاني منه (من ص 911 الى ص 924) ملحق في الامثال وما يشبه الامثال في ديوان ابن قزمان ، وقد وجدت - بعد قراءته - اننا التقينا في حدس الامثال التي لا مرجع لها ، ولكنه عد في هذه أمثالا موجودة عند الزجالي حين لم يقف عليها قبل ظهور كتابه .

فَأنَا هُو كَمَا يُقَال فَالْمَثَلْ :   "عَزّ رُوحَك وَلَوْ نَقَلْتَ الْفَحَمْ"

وقوله :(زجل 148)

ـ الْمَثَلْ قَدِيم فَالنَّاس : ثَم إلاّ الثَّور الأَبْلَقْ

وقوله : (زجل)11 :

فَيَقُولْ عَنِّي مَنْ رَآهْ ومَنْ رانِي :

الوَلَدْ مِنْ قَرْض ولَدُ وَالعَصَى مِنَ العُصَيَ

وقوله : (زجل 31) :

كَذَاكَ الْمُكَارِي فِيمَا يُذْكَرْ :   وقْت ان تطب له نَارْ حِنْذَاك يوفَّرْ (1)

وقوله : (زجل 105) :

فَلِسْ لِلْأَسَدْ إلاّ ما يَفْتَرِسْ   وَلَا لِلْمِلاَنْ إلاّ ما يَخْتَطِفْ

ضَرَبْتُ الْمَثَلْ وَهُ شَيًّا مَلِيحْ   وقَدْ سُقْتَ إلَيْك ذا الكَلاَم الصحيح

وقوله : (زجل 96) :

ـ كَم سَمِعْنَا : صُدافْ أَخْيَرْ مِنْ وَعْد .

ومن الطريف أن هذه الأمثال التي نص عليها هي التي لا نجدها عند الزجالي أو ابن عاصم فيما عدا المثل الأخير ، وقد دعته ضرورة النظم إلى التصرف في بعض الأمثال تصرفا يسيرا أو كبيرا ومن هذا الأخير قوله : (زجل 148) :

الْقَطِيعْ فَزَعْنِ يامّه ، تَدري اش عَمَل : بَقْبَق .

يشير إلى المثل :

ـ تَفْزعْ مِنْ بَقْ بَقْ ، ولِس تَفْزَعْ مِنْ فَك عُنُقْ (2) .

وهو مثل أندلسي شائع ، وقد ذكره الدون خوان مانويل : Don Juan Manuel في كتابه : الكوند لوكانور El conde lucanor بالصيغة التالية ـ بالحروف اللاتينية ـ :أهْي اخْتِي ! تفزع مِنْ بَقْ بَقْ ، ولِسْ تَفْزعْ مِنْ فَتْح عُنُقْ .

ومن ذلك اضطراره إلى تجزئة المثل والفصل بين أجزائه ليستقيم له الوزن والقافية كقوله : (زجل 96) :

(1) المثل رقم : 708 في النص

(2) يوقر : ينزل ، ويشبهه في أمثال ابن شنب رقم 677 : الحمار ... ما يعرف وين يبات

وَتَـرى غَيْـر مَنْ شَـرب مِنْهَا دوشْ   ويعَرْبَضْ وَهُ "بَحَلْ وَادْ شُوش"
لم يفرّقْ بَيْنَ العَقل والهُوشْ   "عَلَى رُوحُ يحَوّل الأجْراف"

يذكر المثل :

ـ بَحَلْ وادي شُوشْ يَرْمِي الأجْرافْ عَلَى رُوحُ (1) .

فقد شطر المثل وقدم فيه وأخر من أجل أن يصح له استعماله . ولكن عددا غير قليل من الأمثال ترد عنده متطابقة مع نظائرها عند الزجالي كقوله : (زجل 30) :

ولا كَان مَذهَبِي وَلا استِحْسَانِي :   عِشْقاً حِمَارِي : شم اطْلَع

والمثل عند الزجالي : عِشق ان حِمارِي : شم واطلع (2) .

ولا خلاف بينهما إلا في رسم التنوين وحذف حرف العطف ، وقد يكون التطابق تاما كما في قوله : (زجل 72) :

جِلّوز عَيْن الثّور شَيْئاً مَلْهَوي   ينقّرْ لَكْ فَالْبَابْ نَقْراً مستوِي
يصَدّع رَاسَكْ فذاك الدّوِي :   "وَرزق الجِلّوز في ذاك الصُّدَاع"

وورد المثل بلفظه عند الزجالي : وَرِزْق الجِلّوز في ذَاك الصُّداعْ (3) .

ولهذا نظائر في أزجال ابن قزمان وغيره كقول ابن تاجيت اللورقي (المغرب لابن سعيد 2 : 284) :

قَالُوا عَنّي والحَق ما قَالُوا   أنّ نَعْشَقْ فُلاَنْ
واتْهِمْنا بِسَرِقة الكتّانْ   وَكَذاك بِاللهْ كَانْ

وصيغته كما رواه الزجالي :

تهمن بسرقة الكتّان   وكَذاك بالله كانْ (4)

ومثل هذا التطابق ، ومجيء هذه الأمثال موزونة قد يثير بعض الشك ويحمل على التساؤل ، فهل فكر ابن قزمان في المثل قبل نظم زجله ؟ وهل اختار الوزن والقافية من أجله ؟ أم جاء ذلك صدفة واتفاقا ؟ أم أن بعض المطالع والأقفال والخرجات كانت تشيع وتشتهر بين العامة حتى تصبح

---

(1) المثال رقم 640 في النص
(2) رقم : 1680
(3) رقم : 1963
(4) رقم : 706

من كثرة ترديدها أمثالا على نحو ما يقع في الشعر الفصيح ؟ وقد لاحظنا أن ابن سعيد وصف زجل اللورقي بأنه مشهور كما أن ابن قزمان فخر بشهرة أزجاله وسيرورتها ، والذي يحملنا على إثارة هذه الأسئلة هو تأخر زمن الزجالي مدون هذه الأمثال عن زمن ابن قزمان واللورقي ، وإذا كان لا بد من ملحظ الاقتباس في مثل هذا فقد يكون من أغنية شعبية أو نحوها مما يقتضي وزنا ما .

وقد لاحظنا أن معظم الأمثال التي وردت عند ابن قزمان تقع في آخر الأبيات ، وقد تقع في مطلع الزجل كالذي يفتتحه ابن قزمان بما يلي : (زجل 9) :

"السَّلَفْ مَرْدودْ والعَارِيَ تَرْجَعْ" وَلا بن حَمْدين لِقُرْطبة نَقْطَعْ

على أن بعض الأمثال التي يوردها بتصرف أحيانا قد تكون من صيغة غير الصيغة التي يرويها الزجالي أو ابن عاصم لا سيما ونحن نعرف أن بعض الأمثال العامية تروى بأكثر من صيغة ونمثل لذلك بقوله : (زجل 89) :

يا وُجُوهْ لِسْ فِيهَا حِشْمة	يا قُلُوبْ لِسْ فِيها إِخْلاصْ
وَ عَلَيَّ أَنَا تَعْرِض	وأَنَا خَبِيتْ وغَوّاصْ
" قَدْ عُقِر بَعْد ذاكَ	الكَلْب الذي كَيَخْرَ الانْجَاصْ "

فهذا مثل رواه ابن عاصم كما يلي :

- رحم الله ذيك الحمير إلي كيخرا الانجاص (1) . ويبدو أنه قريب من المثل الاسباني :

Muerta es la abeja, que daba la miel y la cera.

- Refr· Esp. Aguilar,(H. Nuñez)

وترجمته : ماتَتْ النَّحْلَة الّتي تُعْطِي العسَل والشَّمع .

ونرى أنها تمثل صيغة أندلسية ثالثة ، وتتظر هذه الصيغ - فيما نحسب - إلى المثل الذي رواه الثعالبي ونسبه إلى العامة :

- ماتَتْ الدّجاجة الّتي كانَتْ تَبيض بَيْضَ الذّهَب (2) .

وذكره الشهاب الخفاجي في ريحانة الألبا هكذا :

- الدّجاجة الّتي كانَتْ تَبِيضُ الذّهَب بِعَنَاها (3) .

---

(1) ابن عاصم رقم : 419 وقراءة الاستاذ ا. غ. غومث : كيجر الانجاس .

التمثيل والمحاضرة : 371

(3) ريحانة الالبا : 2 : 418 . وأورد ابن نباته في شرح العيون : 65 ، رسالة منسوبة الى الاسكندر المقدوني يجيب فيها دارا الاصغر جاء في اخرها : واما الدجاجة التي كانت تبيض ذاك البيض فقد ذبحتها واكلت لحمها . والتعبير بالدجاجة التي تبيض الذهب موجود في الفرنسية وغيرها

قلنا إننا وقفنا عند ابن قزمان على ما يزيد على ثلاثين مثلا أو ما يشير إليها وردت عند الزجالي ، ولكن الديوان يشتمل على أمثال كثيرة لم ترد عنده وقد وجدنا بعضها في مصادر أخرى فمن ذلك قوله : (زجل 49) :

فالسَّبع يمخْرق وَحْدُ ويَصُولْ   وترَاهْ يخْرس بِجَنْب الأَسَدْ

فهذا إما صيغة أو اقتباس من مثل عامي ، ولكن أصله المثل العربي القديم : الذئب خاليا أسد (1) . وتأويل ذلك أن السبع في استعمال الأندلسيين هو الذئب أو اللب (2) . ومن ذلك أيضا قوله : (زجل 59) :

اشْ عَلَيه مِن جَورى أَوْ نَصَفى   مَنْ شَكَا ضِرْساً رَدِي قَلَعُه

فهذا وإن لم يرد بنصه عند الزجالي وابن عاصم إلا أنه ما يزال مستعملا بهذه الصيغة في الأمثال الاسبانية والمغربية (3) .

ويقول ابن قزمان : (زجل 28) :

المُعَسَّلْ أَعْلى الأَلْوان   ولكِن للسَّاقَ يُرْفَعْ

ولا شك أن هذا مثل أندلسي وإن لم يرد في المجموعات الأندلسية ، لأنه ما يزال مستعملا في المغرب بالصيغة التالية : المعسّل تَالِي يا الثوالِي (4) .

و ابن قزمان في بعض المواقف من أزجاله يسر د الأمثال متتابعة متلاحقة يأخذ بعضها برقاب بعض - على نحو ما يصنع "ثرفا نتيس" على لسان "سنتشو" في "دون كيخوته" وذلك كقوله : (زجل 50)

لاَ حَلالْ لحِقتَك ولاَ بحَرامْ .
طَالْ عَلَيَّ " نَطْلَب زيبر فِي رخَامْ "
أتَ هُ كَمَا قيل : "أسْودْ في ظَلامْ ."
أو " عِنَب في عُليق : قَريب فِي بَعِيدْ "

وقوله : (زجل 13)

لِسْ تُكْسَب العلْيَا بذا - السُّهولَه
وَ لا يجِي عُصْفُور - كَذا السُّبُولَه
مَنْ لَمْ يسُقْ قَمْحُ للشّيَاع دولَه
ومَنْ مَشَى دون ضَو في ثَوبُ يعْثـر

---

(1) انظر تخريجه في جمهرة الامثال 1 : 459 وهو بهذه الرواية في العقد
(2) انظر المثل رقم : 398 في النص
(3) انظر المثل رقم 1252 في النص
(4) أمثال فاس : 493

وقد يطول هذا الفصل لو ذهبنا إلى تقصّي الأمثال في ديوان ابن قزمان وتتبعها بالشرح والتحليل ، ولذلك نكتفي هنا بوضع ثبت لها مع الإشارة إلى نظائرها كما وردت في مجاميع الأمثال :

1 ـ واحد يُثني خيْر واخر يزكّي (1) . رقم 1

2 ـ اعزلْ وولّي (2) (رقم 2).

3 ـ السّلف مَردود والعَريـة ترجَع (3) رقم 7 .

4 ـ ضايع بحَلْ مُشْط أقرع (4) . رقم 7

5 ـ قد طغى الثعبان ولا بدّ يُرفَع (5) . رقم 7

6 ـ قبْل الرّمى يُراش السّهم . (6) (رقم 9)

7 ـ الولَد منْ قرْض ولْدُ . (7) رقم 11

8 ـ العَصا من العُصَيّ (8) . رقم 11

9 ـ يَمينْ لسْ يُقبل لعاشِق (9) رقم 14

10 ـ لسْ باللـه كان يَمْشي سَارق إلا وتحت إبْطُ مُصْحَف. (10) رقم 14

11 ـ قنْديل بفُمّيْن : مَشْقَى مَن اسط منُّ يَخرج الزّيت (11) رقم 18

12 ـ إنْ ريت الخوخْ والرمّان ، كُد وانظُر لِنَفْسك أعْريان . (12) رقم 19

13 ـ بَيْت أسَدْ : فيه عُظَيْمَات وسَلْسَلَ وَوَتَد (13) . رقم 19

14 ـ لا عَثْر إلاّ في وسادَه (14) . رقم 21

15 ـ يَرْجَع الحَصْرم بالعِشق مُزبّب (15) . رقم 20

---

(1) عند ابن عاصم بلفظ : واحد يقول واخر يزكي (رقم 794)

(2) عند الزجالي بلفظ : يعزل ويولي . انظر رقم 2103 وقد تكرر عند ابن قزمان . انظر الزجل رقم 28 والزجل رقم 41

(3) عند ابن عاصم رقم 168 : السلف مردود مردود وصاحب مشكور .

(4) صيغة أندلسية للمثل العربي : أغنى عن الشيء من الاقرع عن المشط . أورده كل من حمزة الاصفهاني ، والعسكري ، والميداني والزمخشري . وفي الامثال الاسبانية :

? Para qué quire peine quien Cabellos no tiene. ?

(5) انظر رقم 39 في القسم الثاني

(6) مثل عربي معروف ، الميداني 2 : 151 ويقال أيضا : قبل الرماء تملأ الكنائن .

(7) أي الولد شبه أبيه وفي أمثال المغرب : الولد نسخة من أبيه ، ابن شنب رقم 1981

(8) مثل عربي قديم معروف ، وهو أيضا في الامثال الاسبانية : De tal Palo, tal astilla.

(9) مثله في الامثال الاسبانية :

Juras del que ama mujer, no se han de creer. H. Nùñez. p. 286

(10) أنظر رقم 1232 في القسم الثاني

(11) أنظر راقم 142 في القسم الثاني

(12) أنظر رم 9 في القسم الثاني

(13) أنظر رقم 1566 في القسم الثاني

(14) أنظر رقم 1981 في القسم الثاني

(15) أنظر رقم 131 في القسم الثاني

16 ـ حتَّى يَشِيبَ الغُرَاب (1) . رقم 21
17 ـ لا تقْفز خندقْ تَقَعْ في غَدير (2) . رقم 26
18 ـ مِنْ مَخْضوب اليد لس يُقْبَل يَمين (3) . رقم 33
19 ـ دَواب الكِرا (4) . رقم 33
20 ـ لا بُد مِنْ لَولا في الشَّيء الحَسَن (5) رقم 33
21 ـ اكذَب مِنْ أسِير (6) . رقم 39
22 ـ الكواكب عَرض لَهُم بالنَّهَار . رقم 38
23 ـ اقْرَنْت الفضَّة لِلْقَزْدير . رقم 38
24 ـ تَصير أيْديهِم أكْمَام (7) . رقم 39 ، 144
25 ـ السَّبع يمَخْرف وحدُ ويَصُول وتَراه يخْرس بجَنْب الأسد (8) . رقم 49
26 ـ نطْلُب زِيبر في رخَام (9) . رقم 50
27 ـ أسْود في ظَلام (10) . رقم 50
28 ـ عِنَب في عُلَّيق : قَريب عفي بَعيد (11) . رقم 50
29 ـ منجَل : قَوامِي في العِوج (12) . رقم 51
30 ـ وغدا للنَّاظِرين قَريب .(رقم 58)

---

(1) مثل عربي معروف .
(2) أنظر رقم 2024 في القسم الثاني
(3) ماخوذ من الشطر الذي يتمثل به :
وليس لمخضوب البنان يمين
(4) تشبيه ساقه ابن تزمان في معرض انتقاد النساء وذكر أنه مسموع ، وهو يذكر بقول يحيي الغزال :
ان النساء لكالسروج حقيقة ... فالسرج سرجك ريثما لا تنزل
فاذا نزلت فان غيرك نازل ... ذاك المكان وفاعل ما تفعل
(5) مثل معروف ، ولفظه في المغرب : حتى زين ما اخطاته لولا . ويتصل بهذا قول ابراهيم بن مزين القرطبي : (الحلة السيراء 1 : 88)
بأبي أنت من غزال مليح ... ليس فيه لمن تامل « لولا »
(6) مثل معروف ، ذكره الميداني وغيره
(7) انظر رقم 676 في القسم الثاني
(8) من المثل العربي : الذئب خاليا اسد . وانظر ابن شنب رقم 1513
(9) انظر رقم 2037 في القسم الثاني
(10) انظر رقم 424 في القسم الثاني
(11) انظر رقم 1670 في القسم الثاني
(12) في امثال ابن شنب : مستقم كالمنجل ، رقم 1765

31 ـ فـي قـوام الـزَّرزُور الـشَّرَفـي للـحُبُّوب يـنـْزل عَلَـى فـزَّع (1) . رقـم 59

32 ـ مَنْ شَكَ ضرْسا رَدِ يِي قَلْعُه (2) . رقـم 59

33 ـ اطلُبْ تَجِد (3) . رقـم 60

34 ـ تَحْرز كَما ـ يا صاحب ـ يُحْرَز التَّبَن على النَّار (4) . رقـم 67

35 ـ وَرزق الـجلـَّوْز فـي ذاك الـصُّداع (5) . رقـم 72

36 ـ وَقْفَة غُرابْ (6) . رقـم 75

37 ـ جَلْسَة خَطِيبْ (7) . رقـم 75

38 ـ مَطْوِي بَحَلْ مُوسْ (8) . رقـم 82

39 ـ نَهارا جَديدا ورزقا جَديدا (9) . رقـم 87

40 ـ قَدْ عُقِر بعد ذاك الكـلـب الـذي يـجـر الأنـجـاس (10) . رقـم 89

41 ـ طَريـق الـجِد غَيْر طَريـق الـمـزاح (11) . رقـم 94

42 ـ حَتَّى تُغْرَس تُرنـج فـي تُفَّاح (12) . رقـم 94

43 ـ بَحَلْ وتَد فـي نُخَال (13) . رقـم 94

44 ـ بَحَلْ حَجَر فـي وضـف (14) . رقـم 95

45 ـ صُداف اخْيَر مِنْ وَعد (15) . رقـم 96

46 ـ اهْنَ جَا : قِفْ وَقَف (16) . رقـم 99

47 ـ مَنْ انذَر فـقـدْ أعْذر (17) . رقـم 101

---

(1) وقع في كلام لابن ظافر صاحب البدائع قوله : «فلم يكن الا كنقره العصفور، الخائف من الناطور..» نفح 5 : 48

(2) انظر رقم 398 في القسم الثاني

(3) عند الميداني : من طلب شيئا وجده

(4) انظر رقم 835 في ادقسم الثاني

(5) أنظر رقم 1963 في القسم التاني ٠

(6) اي وقفه قصيرة ، ويقال ايضا : زمان باز . انظر رقم 774 في القسم الثاني

(7) انظر رقم 774 في القسم الثاني

(8) انظر رقم 2051 قي القسم الثاني

(9) في الامثال العربية : يوم جديد ، ورزق جديد. الحنفي رقم 2826 وفي الامثال المغربية : كل يوم ورزق . ابن شنب رقم 1529

(10) عند ابن عاصم رقم 419 : رحمه الله ذاك الحمير الي كيجر النجاص

(11) هو من شطر يتمثل به : طرق الجد غير طرق المـــزاح .

(12) يبدو أنه من أمثال الجنانين ، ولاين جزي الغرناطي في معنـاه :

لا تعد صنفك ان ذهبت لصاحب تعتده لكن تخير وانتق

أوما ترى الاشجار مهما ركبت ان خولفت اصنافها لم تعلق

الاحاطة 2 : 193 .

(13) انظر رقم 1948 في القسم الثاني

(14) انظر رقم 2075 في القسم الثاني

(15) أنظر رقم 1607 في القسم الثاني

(16) انظر رقم 482 في القسم الثاني

(17) معروف ومسموع

48 ـ عَيْنَيْن العَمْشَا تظْهَر تَحْت الكُحُول المُطَوَّف (1) . رقم 103
49 ـ نَعَم ديكي ولَوْ اذَّن كِنَّذْبَح (2) .
50 ـ لسْ للأسَد إلاَّ ما يَفْرس (3) . رقم 105
52 ـ لسْ للمِلان إلا ما يْخَتَطف (4) . رقم 105
52 ـ مَنْ شابَه ولْدُه فمَا ظلم (5) . رقم 106
53 ـ لَمْ يَرثْ خَصْلَه منْ بَعيد (6) . رقم 106
54 ـ أرسِل حليم ولا توصِّه (7) . رقم 111
55 ـ اللّه لكاب غريب (8) . رقم 113 ، 124
55 م ـ يا ، لسْ تَراهْ أو تَرى عَيْنيك عينين [في] قفَاكْ (8) . رقم 111
56 ـ ازْرَع ما تَحْصَد (9) . رقم 117
57 ـ تَعْمل عَبَس والضيَافْ قَدْ حَلّوا (10) . رقم 126
58 ـ يَنْفَر مِنْ دِلُّ (ظلّ) (11) . رقم 126
59 ـ طَريق الجامع لسْ شَيْئا يُخْفيه (12) . رقم 137
60 ـ يبيع المُرِي (13) . رقم 143
61 ـ حَيَّرني حَيَّرني (14) . رقم 144

---

(1) ورد في شعر لابن الخطيب اذ يقول ـ وقد خضب لحيته ـ :
فاض البياض على رغم السواد بها ويرشح الدمع تحت الكحل في العمش
والكحول : الكحل ، وفي الاصل : الفحول ، وهي تحريف
(2) انظر رقم 41 في القسم الثاني
(3) في الامثال العربية : الاسد ما ياكل الا من الفريسة . فريتاخ 3 : رقم 58 . وفي التمثيل : والليث ليس يسيغ الا ما افترس
(4) انظر رقم 1343 في القسم الثاني
(5) مثل معروف
(6) تعبير مسموع في المغرب : (ما جابها من بعيد).
(7) مثل معروف ، الميداني : 303
(8) مسموع في المغرب : الغريب ليه الله
(8) يقال في المغرب : حتى شاف عينو في قفاتو . ابن سودة : 243
(9) مثل معروف
(10) انظر رقم 113 في القسم الثاني
(11) انظر رقم 2105 في القسم الثاني
(12) انظر 1088 في القسم الثاني
(13) المري : ضرب من الادام يطبخ به . والعبارة تستعمل في الكناية عن الرياء . انظر : نفح الطيب 7 : 154 .
(14) انظر رقم 913 في القسم الثاني

62 ـ كَمـا الـدّوزه فـي الـغـفـاره (1) . رقـم 146
63 ـ أشْهَـر مِـن الأبْلَـق (2) . رقـم 148
64 ـ بَـحـلْ مَـنْ يَـجْلـس عـلـى الـجَمـر (3) . رقـم 178
ومـمـا نـحـسـب أنـه مـن قـبـيـل الأمـثـال أو مـا يـجـري مـجـراهـا :
بَـحَـل مـن مـضَـى بُـجْـمـاط يـتـعَـجَّب إذا رآهـا كـعـكـي . رقـم 1
الّذي لا تَـطْبَـخ أشْويـه . رقـم 2
كَـيْـف يَـسْـتَـوِي راكِـبْ مَـع مَـنْ هُ راجِـل . رقـم 6
لـسـنـه الـشـطـرنـج كـلـعـب الـخـمَـيْـسـه . رقـم 7
طَلَـع الـيـرْبُـوع لـراس الـغـرَيْـسـه ومِـن أبي عـادَه مـن الـفَـرش يـطْلع . رقـم 7
لِـس يُـغْـرى الـغـرَاب بـطَـيـر فـي الـحـرَم . رقـم 9
الـكـرَمْ عـزّا والـكـرامـه طَـعـامْ . رقـم 9
مَـن كَـابـد الـتّـيـار مـن جَـوْفـه يُـحْـشَـر . رقـم 13
مَـنْ را هِـلال الـعـيـد لا بـد يِـكـبّـرْ . رقـم 13
حَـتّـى يـكـون لَـفْـتِـي بَـحَـلْ مـخـضّـر . رقـم 13
أضْيَـع مِـن قـط أن لـحـق فـار وقَـد قـلَـت رجـلُ مِـنْ تحـت رَف . رقـم14
لـسْ تـثـبـت الـمَـبَـانِـي إلا عـلَـى الأسـوسْ . رقـم 17
انـظُـر اش بَـقـى ذا الـعـصـيـرْ واش دَام . رقـم 20
بَـحَـل مـن يَـتَـبَـوّل مـنْ تـحـت الـثّـيَـاب . رقـم 21
مـا يُـوجَـد لُـو قـيـمـه لِـسْهُ الـشّـرا غـالـي . رقـم 25
مَـنْ لا يُـصَـادِف الـريـح كـيـف يـذري . رقـم 31
الـمُـوس إذا يَـحْـفَـى يُـصْـلَـح بـالـمِـسَـن . رقـم 33
الـعُـود الـمَـكْـسُـور يُـجْـبَـر بـالـغـرا . رقـم 33
صـاروا بـجْـمـاط بـعـد مـا كـانـوا خـرُوبْ .
دُودَة الـحَـريـر تـفْـزع مـن رَعَـد . رقـم 49
كـالـدُر الأبـيـض كُـلّـمـا تـحـك يـصْـفـو . رقـم 68
يـرى الـكـتّـان ويـدري اش يَـكُـون قـبـل أن يُـرَدّجْ . رقـم 68
إذا رَيْـت الـشّـدايـد الـفـرَج ورَاه مُـقْـبِـل . رقـم 68
تُـرَد الـحُـلـه لِـصاحِـب الـمَـتَـاعْ . رقـم 72
بـقـيـاس مـا يَـجِـد الـبـنّـا مـنْ تُـراب تـجـد في حـيـطُ مـن الارتـفـاع . رقـم 72

---

(1) انظر رقم 1320 في القسم الثاني
(2) مثـل مشهـور
(3) يقـال : كالجـالس على الجمر

ولا بد الخُبز من فرن إذا ما اختمَر .
مَنْ مَشَى دون ضَو في ثوبُ يعثُر . رقم 13
تضْربو البُوقْ . رقم 87
اشْ دخل الدَّرْمَك فالنُّخَالَه . رقم 91
الْفِ رجْلَك في الرّكَاب . رقم 99
كُل البَسْبَاس واقْطَع منُ الايَاسْ . رقم 100
مَنْ دَرى الدُّرهان عليه الصَّدَفْ . رقم 102
حلْوة الرُّب لس مثْل الشَّهدْ . رقم 104
أرق مِنْ خَيط ردا . رقم 112
الدُّخان إذا التزَمْ حايطاً ابيض سَوَّدُه . رقم 117
نَشْبة أهل جيَّان با القَطَفْ . رقم 149
مَنْ يَرى السُكَّر يريد أنْ يذُوقو .

أما الزجالون الآخرون فقد ذكرنا في النص ما استخرجناه من أمثال في أزجالهم ، ومنها أربعة أمثال في أزجال مدغليّس التي اختارها من ديوانه صفي الدين الحلي وضمنها كتابه : " العاطل الحالي " ، ومثل في زجل لابن تاجيت اللورقي ، وآخر في زجل للبكازور الحدّاد البلنسي ورد في المغرب لابن سعيد ، وأربعة أمثال في ديوان الششتري .

ونجد أمثالا أخرى في الأزجال الأندلسية التي يتغنّى بها في بلدان المغرب الكبير والتي يشتمل عليها المجموع المعروف عندنا بالحايك ، فمن الأمثال التي تكرر ورودها في هذه الأزجال، وكثيرا ما تقع في الخرجة :

راعِي يا مَليح راعِي	راعي صُحْبَتَك ماعِي
" واعمل لا يجُوع الذّيب	ولا يقبض الرّاعي " (1)
قَال لِي سبَقْ ضمَانِي	مِن قبل ذا الزَّمَان
" ما تنطق الأواني	إلاّ بمَا سَكن " (2)
ما يلي في المَحَبَّة اختيارْ	ولا من عذولي أمَان
انظر كيف كسيت الاصفرارْ	" وليس الخبر كالعِيان" (3)

---

(1) الحايك : 43 ، 94
(2) المصدر نفسه : 97 ، 142 ، 175
(3) المصدر نفسه : 134 ، 148

بالكْ يغرَّك نوارْ من الدَّفْلى " مكْتوب في الأوراق : المر ما يحْلى (1)

أنا سمعت الناس يقولوا في المثل :
ذاك الذي يَلْعَق باصباعُ العَسَل يمْشي ولا يزُولْ عَلى ذاكْ العمل(2)

ومن الأمثال السائرة التي وردت في هذه الأزجال أيضا :
اللّي ضربته يدُّو ما يَبْكِي (3)
اللّي لدغتُه الحَيَّة من ظل الحَبل يفزَع . (4)

وفي زجل آخر :
صبري على من نعشق دون اختيارْ وزادني يا عاشق بعْد الدَّار
النَّاس يقُولوا في المَثل . صَح الخبَر: قَلْب انْ انْكَوى مالُه دَوَا (5)

ويمكن القول بإجمال إن الأمثال في الأزجال الأندلسية بمثابة الملح في الطعام .

ومن الغريب أننا نفتقد عنصر الأمثال في الزجل المغربي المعروف بالملحون ، وخصوصا منه القصيدة ، وهذا من الفوارق بين الزجل والملحون وليس من شرطي تحليلها هنا .

على أننا نجد ميلا واضحا إلى استخدام المثل والحكمة عند المجذوب في رباعياته ، وقد أشرنا إلى بعضها في القسم الثاني من هذا الكتاب .

كما وجدنا صدى لأمثالٍ أندلسية ومغربية في الضرب المعروف بالعروبي ، ونسوف فيما يلي طائفة منها استخرجناها من المجموعة التي نشرها الأستاذ محمد الفاسي بعنوان " رباعيات نساء فاس " :

- " واش البَلاَّر تاتعاندُه الحريشَة "
" واش القفلْ الرُّومِي تاتوالْمُه الطريشَة " (ص 15)
- "من عشق الزين ما يكون إلا صبَّارْ " (ص 18)
(عاشق الزّين ما يْكُون إلا صبَّار) ص 48
- " الولف صْعِيب والمَحَبَّة زُغْبِية " (ص 18)

---

(1) المصدر نفسه : 108 ، 124
(2) المصدر نفسه : 119 وانظر المثل رقم 1378 من القسم الثاني
(3) الاغاني التونسية : 228
(4) المصدر نفسه : 238
(5) الحايك ص 149

- خلّيتْنِي بحَال ذي تَايَطْبَخْ فِي الـحجَرْ
لا مَرْقَه يشْربْها لاَ لَحْم يَشْوِيه "، (1) ص 38
- (خليتني بحال طبّاج الحجرة)
لا لحْم ياكْلْ لا مرق يلحسيه) ص 110
- ربيع الوقْت يرْتعي لو كَان يبيس
لا بد الِّي جافِي وقْتُه ما يُلامْ (ص 44)
- والِّي هُو لبيبْ يجْرَحْ ويدَاوِي (ص 45)
- خَاتم وَحْده ما تْرومْ لجوجْ اصْبَاعْ (ص 45)
(واشْ الخَاتم تاتْوالمُه جُوج اصْبَاعْ) (ص 120)
- واخر المَقْصود : دِي حطَب شِي يَسْخُنْ بِه (ص 46)
- من قلّة الشِّي يا لالّه حتّى احَبَابْنَا كرْهُونا) (ص 49)
(حَتّى احْبَابْنا من قلّة الشِّي كَرْهُونَا (ص 73)
- المَسْكَن ما يْبَات خالِي منْ سُكَّانْ
والمُكَارِي ما يْبَات برّا بجمالُه (2) (ص 50)
- مَا عالَم بالقلُوب إلا مُلاَهَا (ص 56)
- الفَلْك يدور والسَّوايَعْ بدَالَة (ص 65)
- أجِ نوصيك : " قُوّة الخُلْطَة تردَّلْ "
وانا مجرَّبْها علَى طُول ايّامِي (ص 78)
" ازْطَم صْحِيحْ رَاكْ تمْشِي عَانِي "
- نشوف البَزْقَة فِي الأرضْ ويحْسابْنِي ثمْنِي (ص 57)
- عمْري ما يَحْسَبْنِي الشمَا يطْلَع فِي العَقْبَة (ص 81)
- المحَبَّه بالْغَرَض ما شِي بالتّكْليفْ (ص 84)
- ما يَدْخل احد بيْن البايع والمُشْتَرِي (ص 104)
- قَالوا الأولين : لاَ خَيْر فِي المَحَبَّة المَزروبَة (ص 109)
- الكَيّسْ فِي النّاسْ : ميزانُه عَيْنِيهْ (ص 126)
- الِّي يفْهَمْنِي خير من الِّي يعْطِينِي (ص 127)

إن انتفاعنا بالأزجال لم يقتصر على ما تضمّنته من أمثال ، وإنّما تجاوز ذلك إلى تتبع الألفاظ وملاحظة التراكيب للاستعانة بها على فهم المدلول العام لألفاظ الأمثال وتراكيبها .

(1) في امثال الزجالي : رد الحصا للقدر. (رقم 987)
2) هذا مثل اندلسي قديم ورد في مجموع الزجالي. انظر رقم 935 في القسم الثاني

استمرار الأمثال الأندلسية وانتشارها :

أ - في الاسبانية

يبدو من المقارنات التي قمنا بها في النص مدى الصلة الموجودة بين الأمثال التي كان العامة في الأندلس يتمثلون بها وبين الأمثال العربية سواء منها القديمة والحديثة ، وتلك صلة طبيعية لأنها جميعا

تنتمي إلى لغة واحدة ، وقد عنينا إلى جانب ذلك بالمقارنة بين الأمثال الأندلسية وبين الأمثال الاسبانية بقدر ما سمحت به وسائلنا ، وكان من شرطنا في هذه المقارنات جميعها أن يتوفر فيها التطابق بين نصوص الأمثال وصيغها ، وأن تكون الأمثال المقارن بينها متفقة أو متقاربة على الأقل في مبناها ومعناها ، إذ أن المقارنة على أساس المعنى وحده قد تكون أمرا ممكنا بين أمثال كثير من الأمم والشعوب .

وإنما توجهنا إلى الأمثال الاسبانية بعد الأمثال العربية لأن كلا من الأمثال الأندلسية القديمة والأمثال الاسبانية التي جاءت في أعقابها نتاج أرض واحدة ، وثمرة بيئة طبيعية مشتركة ، وإن اختلفت بعد ذلك بعض مظاهر الحياة ومصادرها ، ولأننا قدرنا أن ثمانية قرون من الاختلاط والاحتكاك بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس لا بد أنها تركت آثارا وخلفت بقايا ورواسب في مجال التراث الشعبي الاسباني عموما والأمثال منه خصوصا .

وقد عني الباحثون المتخصصون منذ عهد بعيد بدراسة أثر إسبانيا في مختلف النواحي الثقافية والحضارية والاجتماعية وغيرها ، وأثبتوا بالأدلة والشواهد والمقارنات وجوه هذا الأثر في اللغة والشعر والقصص والفلسفة والعلوم . وتجاوزوا ذلك إلى الناحية الدينية فدرسوا تأثير الاسلام والتصوف الاسلامي فيها ، وحددوا الأفكار والعناصر الاسلامية والصوفية في مؤلفات رجال الدين والتصوف من الاسبان (1) . وأصبحنا أخيرا نقرأ دراسات في الأصول والمصادر الاسلامية والعربية لبعض الروائع الأدبية الإسبانية الكبرى التي ترجع إلى ما يسمى بالعصر الذهبي . وذلك مثل "دون كيخوته" لثرفانتيس و "الحياة حلم" لكالديرون وبعض مسرحيات

(1) تاريخ الفكر الاندلسي : 531 وما بعدها ، والاسلام في اسبانيا : 80 وما بعدها للدكتور لطفي عبد البديع

لوبي دي فيجا ، ومن الطريف أن عنوان إحداها مقتبس من مثل أندلسي ونعني بها : El perro del hortelano فهو من المثل الاسباني :

El perro del hortelano, ni come las berzas ni las dejas comer

واصله من المثل الاندلسي الذي رواه الزجالي وابن عاصم هكذا :

ـ كَلْبُ الوَرْد : لا يشَمّ وَلاَ يخَلِّي أَحَد يشَمّ (1) .

وقد ظهر في عصرنا بعض المؤرخين من الاسبان يعزون إلى الإسلام وأيام المسلمين كثيرا من النظم والتقاليد والعادات التي بقيت في الحياة الاسبانية بعد خروج المسلمين من الأندلس ، ومن هؤلاء المؤرخين أميركو كاسترو الذي "يقرر في أكثر من موضع من كتابه" إسبانيا في تاريخها" أنه يجد في الاسلام وتراثه تفسيرا لكثير من الحقائق التي خفيت عليه حين كان ينظر إليها من جانب واحد هو الجانب المسيحي (2) " وبالإجمال فإن الدراسات التي تعالج جوانب عامة أو خاصة من هذا الموضوع الكبير هي من الكثرة بحيث أن مجرد الإشارة إليها أو محاولة تلخيصها في هذا التمهيد يكون عملا لا غناء فيه وصنيعا لا طائل تحته .

أما بالنسبة التراث الشعبي والأمثال منه خاصة فقد رأينا المشتغلين بعلم الأمثال في إسبانيا يقتصرون ـ حين يبحثون في أصول أمثالهم على أصولها الدينية كالعهد القديم والعهد الجديد وأقوال آباء الكنيسة ، أو أصولها اليونانية كأجوبة الكهنة وأقوال الحكماء وعبارات المسرحيات ، أو أصولها اللاتينية ، أو إلى منابع من البيئة الاسبانية المسيحية ، ولم يدر بخلدهم أبدا ـ ولو على سبيل الفرض والتقدير ـ أن تكون الأمثال

---

(1) انظر المثل رقم 1125 في النص

(2) الاسلام في اسبانيا : 86

العربية في الأندلس من أصول أمثالهم ، وهم معذورون في هذا لأنه لم تكن ندظهرت بعد هذه المجموعات من الأمثال العامية في الأندلس (1) .

وقد كان الدكتور عبد العزيز الأهواني هنا أيضا رائدا في هذا المجال ، ذلك حين فتح باب المقارنة بين الأمثال العربية والاسبانية بنموذج يشتمل على واحد وعشرين مثلا من الأمثال المتشابهة في مجموعتي ابن عاصم سنتلانا (2) . وقد نحونا نحوه ووسعنا دائرة المقارنة بالتماس النظائر والأشباه في أكثر من مجموعة .

وبدأنا بأقدم مجموعة في الأمثال الإسبانية و هي مجموعة المركيزدي سنتلانا (1398 ـ 1458) Inigo Lopez de Mendoza, Marqués de santillana. واسمها : "Réfranes que dicen las viejas tras el fuego",

أي "الأمثال التي تقولها العجائز حول النار" وهي مرتبة على الحروف وتشتمل على 725 مثلا ، وتليها في الأقدمية مجموعة هرنان نونث (1475 ـ 1553) Hernan Nùñez وكان أستاذ البلاغة واليونانية بجامعة سلمنقة ، وقد نشرت مجموعته لأول مرة سنة 1555 تحت عنوان " Refranes o proverbios en romance " وهي أيضا مرتبة على الحروف ، وتشتمل على 8331 مثلا ، وقد تتابعت المجموعات وبلغت في عصرنا مبلغا كبيرا من الكثرة والاتساع كالمجموعة التي نشير إليها باسم مرتبها لويس مارتينيث كليسر Luis Martinez Kleizer واسمها " Refranero General Ideologico "

---

(1) للاستاذ Louis Combet رسالة ممتازة عنوانها :
RECHERCHES SUR LE «REFRANERO» CASTILLAN.
وقد درس في الفصل السابع من القسم الاول فيها أصول الامثال العامية القشتالية وتطورها ، وأشار في اخر هذا الفصل الى «فرضية» التأثير الشرقي في هذه الامثال وذهب الى أنه محل شك ونظر . اقرأ ص 90 وما بعدها في الرسالة المذكورة .

(2) امثال العامة في الاندلس : 253 وما بعدها . وفي أثناء مراجعة تجارب هذا القسم ظهرت فصول من مشروع كتاب بعنوان : HACIA UN «REFRANERO» ARABIGOANDALUZ. للاستاذ الجليل ا. غرسية غومس ، وذلك في الاعداد الاخيرة من مجلة الاندلس . ولاشك ان هذه الدراسة ـ التي نتمنى لها أن تتم ـ ستزيدنا اقتناعا بتأثير الامثال العربية الاندلسية في الامثال الاسبانية والاوروبية

فهي تحتوي على أزيد من ستين ألفا من الأمثال وقد رتبها بحسب الموضوعات وضمنها معظم المجموعات القديمة والحديثة .

وقد قرأنا أيضا الأمثال المستخرجة من بعض الأعمال الأدبية "الكلاسيكية" مثل ثلستينا la Celestina ودون كيخوته Don Quijote ورجعنا في أمثالهما وأمثال هرنان نونث إلى الكتاب الصادر عن منشورات أجيلار Aguilar تحت عنوان : Refranero Español كما انتفعنا أيضا بمجموعة برجوا José Bergua وعنوانها كالعنوان السابق : Refranero Espagnol . (1)

وقد تجمع لدينا من الأمثال الاسبانية التي تتفق أو تتشابه في الصيغة والمعنى مع الأمثال العربية ما يزيد على مائتي مثال ، ذكرنا نصفها تقريبا في مواضعه من النص ، وسوف نستدرك ما فاتنا قبل نشر الرسالة أو قد نلحقه بآخر هذه الدراسة في جدول خاص ، ولعلنا بمتابعة القراءة والمقارنة نخرج بأمثال أخرى . ونحن نرى أن مجموعتي الزجالي وابن عاصم سوف تتيحان للمشتغلين بالأمثال الاسبانية الرجوع إليهما ليجدوا فيهما كثيرا من جذور هذه الأمثال وأصولها .

إن التطابق التام بين بعض الأمثال الاسبانية والأندلسية لايمكن تفسيره إلا بالترجمة والنقل ، وسوف نعرض فيما يلي بعض الأمثلة ، ونحيل في معظمها على الرجوع إلى النص .

يقول الاسبان في الأمر يحدث بغير حسبان ويقع فجأة على غير انتظار :

Nace en la guerta lo que no Siembra el hortelano

وترجمته : يولد (ينبت) في البستان ما لا يزرع البستاني .

وهذا المثل ليس إلا ترجمة دقيقة للمثل الأندلسي :

ينبت فالجنان ، ما لا يزرع الجنان (2)

وينبغي أن نذكر أن الأندلسيين يستعملون الجنان للبستان ، والجنان (بالتشديد) للبستاني ، وهو استعمال ما يزال موجودا في المغرب ، وهذا الاستعمال موجود أيضا في نثرهم وشعرهم كقول بعضهم :

كَأنَّهُ رَوض وَردٍ جَنَّانُه حَبَشِيُّ

وإذن فإن الصيغة الاسبانية ترجمة أمينة للصيغة الأندلسية، وتكاد الصيغتان تتفقان حتى في عدد الكلمات ، وقد اختلفتا من ناحية السجع

(1) انظر في تطور التاليف في الامثال القشتانية رسالة الاستاذ Louis Combet بعنوان : RECHERCHES SUR LE «REFRANERO» CASTILLAN.

(2) المثل رقم 2138 في النص

حيث تميزت به الصيغة الأندلسية ، ولكن هذا حسب أقدم رواية للصيغة الإسبانية وهي التي رواها هرنان نونث في القرن السادس عشر ، لأننا نجدهم فيما بعد يقدمون الفاعل ليستقيم لهم ما يشبه السجع فيقولون :

Nace de la huerta lo que el hortelano no Siembra.

كما ورد المثل في مجموعة برجوا J. Bergua الحديثة ، وفي هذا أيضا دليل على الترجمة ، إذ كلما كانت الصيغة الإسبانية قديمة كانت الترجمة فيها أكثر أمانة وأشد قربا من الصيغة الأندلسية .

ومن الأدلة القاطعة بأن مثل هذا المثل لا يمكن أن يكون إلا ترجمة للصيغة الأندلسية احتفاظ بعضها بكلمة عربية أو أكثر في أول المثل أو في وسطه أو في آخره فمن ذلك المثل الاسباني :

El palvo de la oveja, alcohol es para el lobo

فهو ترجمة دقيقة للصيغة الأندلسية :

ـ غُبار الغَنَم ، كُحُولْ هُو لِعَيْن السَّبع (1) .

وآية ذلك احتفاظ الصيغة الإسبانية بالكلمة العربية : الكحول التي هي نطق أندلسي لكلمة الكحل الفصيحة ، وقد ترجموا السبع باللب وهما بمعنى واحد عند الأندلسيين ، وكانوا يستعملون الكلمتين معا لسبع الأندلس أو ذئبها ، وآية ذلك ثانيا هذا التماثل في تركيب المثل في الصيغتين وتوالي الكلمات فيهما بترتيب واحد ، ونلاحظ هنا أثر عجمية الأندلس في تراكيب اللهجة الأندلسية ، وسوف نشير إلى ذلك في موضعه من هذه الدراسة ، ونحن نجزم بالترجمة في هذا وشبهه لأن له أيضا أصلا عربيا قديما ، وقد رواه الثعالبي في التمثيل والمحاضرة كما يلي : "غبار الغنم كحل عين الذئب" .

ومن هذه الأمثال الاسبانية التي نجد فيها بقايا من الصيغة الأندلسية قولهم :

El ajuar de la harnera, dos jarros y una hortera. Refr. Esp. Aguilar (H. Nuñez). pag. 229.

وترجمته الحرفية : شوار الخبازة جرتان وصحفة :

"وهو ترجمة للمثل الأندلسي الذي رواه ابن عاصم هكذا :

ـ شوار دجيجة شقف وخرابة (2) .

---

(1) المثل رقم 1722 في النص

(2) رقم 458 . وقد اورده ابن شنب بلفظ : شورة الحمقا : كلها بنايق ، رقم 2568
ويقال في المشرق : جهازك يا أم عامر : كلـه مجامر (مباخر) ، انظر مجموع شفيقة شبير ص 36

واحتفاظه بكلمة الشوار El ajuar يدل على أصله الأندلسي وكلمة شوار بمعنى جهاز العروس استعمال أندلسي معروف ، وقد نجد هذاالاستعمال في أشعارهم الفصيحة كقول الرمادي (كتاب التشبيهات : 43) :

كأنّ السّحابَ الجَود أعرس بالثّرى   فلاح شوار الأرض في كُلِّ موضع

أما الفرق البسيط الذي نجده هنا وفي حالات أخرى فقد يكون مرده إلى تعدد الصيغ في المثل الواحد أو إلى تعديل الصيغة عند الترجمة بحيث يتوفر فيها الجرس أو السجع ، فمن النوع الأول قولهم :

Cedacuelo nuevo, tres dias en estaca. sentellana, pag. 221

أي "الغريبل الجديد ثلاثة أيام على الوتد" .

وصيغته الأندلسية كما رواها ابن عاصم : الغريبل الجديد أربعين يوم (1) . والمثلان يتفقان في تصغير الغربال ، والتصغير سمة مشتركة بين اللهجة الأندلسية واللغة الإسبانية ، ويختلفان في عدد الأيام لأن المثل - فيما نقدر - كان يروى بأكثر من صيغة ، وقد تكون الصيغة الاسبانية صورة طبق الأصل لإحدى تلك الصيغ ودليلنا على هذا أن أصل المثل الأندلسي عامي مشرقي قديم ، وقد رواه الآبي هكذا : المنخل جديد سبعة أيام (2) ، وهو يروى في الأمثال المصرية هكذا : الغربال الجديد له علاقة (3) .

ومن النوع الثاني أي اختلاف الصيغة لتعديل يقصد به السجع وشبهه قولهم : Nota, que el jarro, no es bota

وترجمته الحرفية : : لاحظ أن الجرة ليست زقا . فهو مأخوذ من المثل الأندلسي: لس يغلط فالزق بقلة (4) ، ومثل هذا كثير . ونرجع الآن إلى الأمثال التي قلنا إنها تحتفظ ببعض الكلمات من الأصول المنقولة عنها فنذكر منها أيضا قولهم : De que non pueden al asno, ternansef al albarda

وترجمته : لما لم يقدروا على الحمار عدلوا للبردعة .

فاحتفاظه بكلمة البردعة دليل كاف على أنه مترجم ومنقول ، وقد ورد في الأمثال الأندلسية بصيغ متعددة هي :

1 ـ خل البغل واتكا على البردع .

---

(1) رقم 148

(2) نشر الدرر 6 (الباب الثاني عشر) مخطوط

(3) تيمور رقم 2047

(4) المثل رقم 1191 في النص

2 ـ يخلي البغل ويتكي على البردع .

3 ـ آش قدر للحمار رجع للبردع . والأوليان رواهما الزجالي ، أما الأخيرة فرواها ابن عاصم (1) ، وهي أقربها إلى الصيغة الإسبانية ، ونحن نحكم هنا بأن المثل الأندلسي هو الأصل لا لأن كلمة منه بقيت في المثل فحسب ، ولكن لأنه أيضا مثل قديم ذكره الطالقاني وغيره . ومن الأمثال الاسبانية التي نستطيع أن نجزم بأنها عربية الأصل تلك الأمثال التي تشتمل على أسماء عربية كعائشة وعلى وغيرهما (2) .

ونريد بعد هذا أن نتساءل كيف ومتى ترجمت هذه الأمثال أو انتقلت إلى الإسبانية ؟ نحسب أن الإجابة على هذا السؤال تتطلب دراسة دقيقة لكننا نفترض أن تكون هذه الترجمة وقعت خلال العهود الاسلامية في الأندلس ونقدر أنها أثر من آثار الازدواجية اللغوية في الأندلس الاسلامية ، حيث كان الأندلسيون عربا وعجما ، مسلمين ونصارى ، يحسنون الكلام بالعربية والعجمية ، وربما كان المثل الواحد يومئذ يقال بالعربية تارة بالعجمية تارة أخرى ، وقد يكون قسم من هذا الأمثال مما انتقل بواسطة المدجنين والموركسيين حين أجبروا على الكلام بالاسبانية .

ب في الامثال المغربية

وكما استمرت الأمثال الأندلسية في إسبانيا ولم تنقرض بخروج العرب منها فقد وجدنا لها أيضا استمرارا وانتشارا في بلدان المغرب بمدلوله الكبير ومفهومه الواسع ، ورأينا هذا الاستمرار وذلك الانتشار يتفاوتان كثرة وقلة وأسلوبا وصيغة بحسب قرب هذه البلدان أو بعدها من الأندلس ، ومقدار تأثر كل منها بها ، فهما في المغرب الأقصى أقوى منهما في الجزائر وتونس وهما في شمال المغرب اوضح منهما في جنوبه .

ويبدو من مقارنات الأمثال في النص أن قسما كبيرا جدا من الأمثال الواردة في مجموعة الزجالي ما يزال مستعملا في حواضر المغرب وبواديه ، وما نحسب أننا في حاجة إلى تفسير هذه الظاهرة ، ذلك أن الصلات بين العدوتين : عدوة الأندلس وعدوة المغرب ، شيء معروف . وهي من كثرة صورها وتعدد جوانبها بحيث يصعب تلخيصها في سطور ، وقد استمرت هذه الصلات من الفتح الاسلامي إلى نهاية الأندلس وامتزج البلدان في فترات

(1) انظر المثل رقم 920 في النص

(2) انظر شرح المثل رقم 1690 في النص

تاريخية عديدة ، وأثر كل منهما في الآخر وتأثر به ، وحين خرج المسلمون من الأندلس أوى معظمهم إلى المغرب ، وما تزال البيئة المغربية بمختلف نظمها وعاداتها وتقاليدها مصدرا حيا لتطور البيئة الأندلسية ومعرفتها، ولذلك فلا غرابة إذا وجدنا أمثال العامة في الأندلس ما تزال حية في المغرب .

وقد وقفنا على ما يشهد بانتشار أمثال عامة الأندلس في المغرب خلال العصرين السعدي والعلوي . وذلك بعد خروج المسلمين من الجزيرة بزمن بعيد ، فقد جاء في ترجمة أبي العباس أحمد بن علي المعروف بالمنجور (ت 990 هـ) ما نصه :

"وكان مولعا بأمثال العامة ، خصوصا عامة الأندلس ، يستحسن لغتهم ولكنتهم ، ويثني عليهم وعلى بلادهم الجزيرة ويستحسنها ويتشوف إليها (1)" . وهو نص واضح الدلالة على انتشار الأمثال العامية الأندلسية في المغرب وتمثل العامة والخاصة من أهل المغرب بها في القرن العاشر الهجري ولا سيما في الجهات المغربية التي أوى إليها الأندلسيون كفاس وغيرها ، ويفهم من النص أيضا أن هؤلاء الأندلسيين ظلوا محافظين على لغتهم متميزين بلكنتهم وأن لهجتهم كانت تختلف على نحو مّا عن لهجة أهل المغرب (2) . ومع ولع العلامة المنجور بأمثال عامة الأندلس فلم نقف فيما بقي من مؤلفاته - وهي في علوم الفقه والكلام والأصول - على أي مَظهر لهذا الولع ، ولعلنا نربط ولع المَنْجُور بالأمثال العامية بما عرف به من إتقان للعبة الشطرنج وتلاحين العود ، ذلك أن هذه الأمثال تدور كثيرا على ألسنة اللاعبين أثناء لعبهم (3) ، كما أن التلاحين تستدعي حفظ الموشحات والأزجال .

والمنجور - الذي كان شيخ الجماعة في عصره - كان في هذا نسيج وحده بين علماء وقته وقد نعزو عدم تدوينه للأمثال العامية - على ولعه بها - إلى ما عرف به أهل زمنه من احتقار للاشتغال بمثل هذه المسائل ،

---

(1) سلوة الانفاس 3 : 61

(2) محافظة الاندلسيين الوافدين على المغرب على لهجتهم ورد فيها أكثر من نص ، يقول ابن غازي في الروض الهتون : «وهنالك قرية كان يقال لها قرية الاندلس كانت من عمل بني زياد ، سكنها على قديم الزمان قوم أندلسيون وتناسلوا بها وأقاموا دهرا لم تتغير ألسنتهم ولا أشكالهم الا من كان منهم كثير الامتزاج بأهل البلد فانه تغير لسانه ... وهذه القرية - والله تعالى أعلم - هي المسماة في هذه الاعصر تلاجدوت وبها جرى المثل السائر : دار الكرامة يا تلاجدوت» . الروض الهتون : 10 .

(3) أنظر حكاية أبي القاسم البغدادي ، وكتاب الشطرنج ومنصوباته وملحه تحقيق الاب باريخا.

ويقال إن القاضي ابن عاصم إنما ألف كتاب الحدائق الذي يشتمل على أمثال أهل غرناطة ليكون مدعاة إلى القدح فيه وذريعة إلى إعفائه من خطة القضاء التي كان يتهرب منها (1).

وأما شاهدنا على استمرار الأمثال العامية الأندلسية بالمغرب في العصر العلوي فنجده في الأمثال العامية التي دوّنها أبو مدين الفاسي في القرن الثاني عشر وذلك في كتابه المحكم في الحكم إذ أن كثيرا من الأمثال التي أوردها تتفق في نصها ولفظها مع أمثال الزجالي القرطبي وابن عاصم الغرناطي.

ومع أن هذه الأمثال ألفها أندلسيون أو جمعت في الأندلس فإننا لا نستطيع القول بأنها أمثال خاصة بأهل الأندلس وحدهم، إذ أن عددا كبيرا منها كان من الأمثال المشتركة بين الأندلس وبلدان المغرب، كما أن فيها أمثالا مغربية انتقلت إلى الأندلس، وقد حددنا بعضها في مجموعة الزجالي، وأشرنا فيما سبق إلى أن هذه المجموعة تحتوي على أمثال مغربية لأن مدونها مكث زمنا طويلا بالمغرب.

وإذا كان الأندلسيون قد اهتموا بتدوين أمثالهم فإن المغاربة - فيما يبدو - لم يعنوا بتدوين هذا الجانب من تراثهم أو لم يصل إلينا منه ما يرقى من حيث القدم إلى عصر الزجالي أو عصر ابن عاصم.

ومن أقدم ما وقفنا عليه في هذا الباب، كتاب زهر الأكم، في الأمثال والحكم لليوسي، والمحكم في الحكم لأبي مدين الفاسي.

أما كتاب زهر الأكم في الأمثال والحكم فهو معجم كبير في الأمثال والحكم لم يكمله مؤلفه فيما يبدو، وتقف أتمُّ النسخ التي وقفنا عليها عند حرف الصاد حسب الترتيب المشرقي ومؤلف هذا الكتاب هو أبو علي الحسن ابن مسعود اليوسي (ت 1102) الذي يمثل بحق ثقافة المغرب في عصره، وشهرته تغنينا عن التعريف به. أما الأمثال الواردة في كتابه فهي الأمثال العربية المدونة في دواوين الأمثال القديمة. وقد تكون قيمة " زهر الأكم" - في نظرنا - فيما اشتمل عليه من شواهد شعرية مشرقية ومغربية. والمنهج الذي سلكه اليوسي في تأليفه هو إيراد أمثال العرب مع التوسع في الشرح والاستشهاد، ثم ذكر شيء من أمثال المولدين والعامة أو "الأمثال الوقتية " كما أسماها، وفي آخر كل حرف يختتم بابه بالأمثال الشعرية.

---

(1) تعليل شائع عند فقهائنا المتأخرين

وقد كنا ننتظر أن يكون "زهر الأكم" محتويا على مجموعة طيبة من الأمثال المغربية في عصر اليوسي حين وجدناه يقول في مقدمة الكتاب : "ثم ذكرت بعض ما يحضر فكري من الأمثال الوقتية من غير تكلف ولا تأمل ولا مراجعة ". وإذ يقول بعد هذا : "وأعلم أني ربما أذكر شيئا من أمثال المولدين ومن بعدهم أو شيئا مما يتمثل به في وقتنا من الذ... الحديث وغيره ، ولا أقتصر على أمثال العرب ، ولا على ما عدّ مثلا بالصراحة وإذا عثرت على ما يحسن إيراده أوردته غير مبال بقائله ولا بتصحيح السند والدراية " .(1)

وبعد أن قرأنا الكتاب تبين لنا أن الأمثال العامية فيه قليلة ، وقد كان حريا باليوسي رحمه الله ـ وهو الذي تنقل في المغرب وجاب ما بين درعة وتطوان واحتك ببيئات عديدة بدوية وحضرية ـ أن يورد أكثر مما أورد من أمثال عامية ، وكان حريا به أيضا ـ وهو الذي يتقن البربرية (2) ـ أن ينقل شيئا من أمثالها إلى العربية على نحو ما فعل العسكري في جمهرة الأمثال وغيره في إيراد الأمثال الفارسية ، وما ندري فلعلنا نشتط في مطالبة الرجل بتدوين ما كان يزدريه علماء عصره ، ولعلنا نتعسف حين نقيس اليوسي بمقياس العسكري والطالقاني وغيرهما من أهل القرن الرابع ، ولعلنا نظلمه حين نزنه بميزان عصرنا ، وأغلب الظن أن اليوسي لم يعرف صنيع الزجالي وابن عاصم وغيرهما من الذين لم يستنكفوا من تدوين الأمثال الأندلسية العامية .

ومع ذلك فلم يخل كتاب زهر الأكم من بعض الأمثال العامية التي كان يتمثل بها الناس في عصر اليوسي وهو يوردها دائما معربة ، ونسوق فيما يلي طائفة مما استخرجناه منها :

ـ إذا أراد الله إهلاك النمْلَة جعَل لَها أجْنحة تطِير بها (3) .
ـ أذا امتلأت القِربَة ترشّحت (4) .
ـ إن لم تجِدوا نارًا فاقْلوا قلْية (5)
ـ الآن يمُدُّ أبو حَنِيفَة رِجْلَه (6) .

---

(1) زهر الاكم : 48 مخطوط الخزانة العامة رقم 191 د.
(2) انظر كلامه عن البربرية وبلاغتها في أول فهرسته .
(3) زهر الاكم : 133 ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 191 د.
(4) زهر الاكم : 133 من المخطوط نفسه . والمثل في مجموعة الزجالي بلفظ : **اذا امتلا الزق يرشح** . انظر المثل رقم 50 في القسم الثاني من هذه الدراسة .
(5) زهر الاكم : 133 من المخطوط نفسه وهو كمثل ابن قزمان : **الذي لا تطبخ اشويه**.
(6) زهر الاكم : 133 من المخطوط نفسه . وساق قصته المعروفه ، والمثل شائع في المغرب

ـ البركات في الحركات (1) .
ـ ياكلك الأسد ولا ياكلك الكلب (2) .
ـ تنتقل الجبال ولا تنتقل الطباع (3) .
ـ من يستطيع أن يقول للأسد أنت أبخر الفم (4)
ـ المهل يبلغ (5) .
ـ الراحة تنزل شيئا فشيئا (6) .
ـ لا يجيء دفعة واحدة إلا الموت (7) .
ـ قطرة إلى قطرة فيسيل النهر (8) .
ـ امش بالنعلين حتى تجد السباط (9) .
ـ يبرأ الجرح السوء ولا يبرأ الكلام السوء (10) .
ـ من لم يكن ذئبا أكلته الذئاب (11) .
ـ اترك صاحب الغاسول يسكت (12) .
ـ يسكت صاحب الغاسول (13) .
ـ اترك الحب تنحب (14) .

---

(1) زهر الاكم : 211 من المخطوط نفسه

(2) زهر الاكم : 50 مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1001 د. وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 196 .

(3) زهر الاكم : 102 وهو مثل معروف وما يزال مسموعا

(4) زهر الاكم : 128 وهو مثل معروف

(5) زهر الاكم : 148 وما يزال مسموعا ، ولفظه عند ابن شنب رقم 11850 المهل يوصل

(6) زهر الاكم : 148 وما يزال مسموعا

(7) زهر الاكم : 148 وما يزال مسموعا ، وانظر المثل رقم 1187

(8) زهر الاكم : 138 وانظر تخريجه في القسم الثاني رقم 1459

(9) زهر الاكم : 148 وما يزال مسموعا في بلدان المغرب . انظر شنب رقم 779 ورقم 1914

(10) زهر الاكم : 156 وانظره عند ابن شنب رقم 220 ورقم 567 ورقم 568

(11) زهر الاكم : 163 وانظره عند ابن شنب رقم 1570

(12) زهر الاكم : 253 وذكر في أصله الحكاية التالية : «زعموا أن شخصين اصطحبا في طريق لاحدهما حمل من حديد أو شبهه وللآخر حمل من الغاسول ـ وهو طين تغسل به الرؤوس ـ فاصابهما مطر في منزل فجعل صاحب الحديد يتوجع ويتخوف على سلعته من البلل فقال له صاحب الغاسول ما ذكر ، ومعلوم أن الحديد وشبهه لا يضره البلل شيئا ، وأما الغاسول المذكور فأي شيء من البلل خلص اليه يحلله ويفسده فيضر به . يقال فيمن يتوجع ويتألم او يتشكى ويتظلم او يتأسف ويتندم وثم من هو أجدر منه» . وما يزال هذا المثل مسموعا في المغرب ، ذكره الصبيحي في أمثال العجائز رقم 254 بلفظ : قالوا : الحديد فزق، قالوا : مولى الغاسول غير يسكت .

(13) زهر الاكم : 253 وهو كسابقه

(14) زهر الاكم : 253 وهو معروف ، وما يزال مسموعا .

ـ الجَواب ما ترى لا ما تَسْمَع (1) .
ـ جَزّارُه عَلى حِماره (2) .
ـ جَاء يُعاونه فِي قَبْر أمّه فَهَرب لَه بالفاس (3) .
ـ حُل عينك ما أردت خُبْزتك (4) .
ـ الحمار حِمَاري وَأنا أرْكَب مِنْ وَراء (5) .
ـ أحْقر من بَقّة فِي حُقه . (6)
ـ دَجاجة وتَرْكَل (7) .
ـ مَنْ رأى الجَمَل الأبْيَض ظَنّه كُلّه شَحْما (8) .
ـ اثْبت تَنْبت (9) .
ـ حُبّاً وكَرَامَة (10) .
ـ خَالِفْ تُعْرف (11) .
ـ لأذْهَبَن فإمّا هُلْك وإمّا مُلْك (12) .
ـ رُبّ حِيلة أنْفَع مِنْ قَبِيلَة (13) .
ـ كُل خُنْفُس عِنْد أمّه غَزال (14) .
ـ سلّه مِنْ كذا سَل الشَّعرة مِن العَجِين (15) .
ـ اسأل السَّائل عَنْ طَيّب اللّبَنْ (16) .
ـ سَخّر البَخِيل يدَوّر عَلَيْك (17) .
ـ شاوروهن وخالِفوهن (18) .

---

(1) زهر الاكم : 326 واصله ليعقوب المنصور الموحدي ، وذكر اليوسي قصته
(2) زهر الاكم : 327 وراجع ص
(3) زهر الاكم : 328 ومخطوط الزركلي رقم 39 ، وهو معروف
(4) زهر الاكم : 394 وانظر المثل رقم 113 في القسم الثاني ، قال اليوسي في تفسيره : يضرب للرجل يعجز عن ان يعامل الناس بحسن خلقه فضلا عن أن يسمح بنداه
(5) زهر الاكم : 394 ، وما يزال مسموعا
(6) زهر الاكم : 394 وانظر المثل رقم 509 في القسم الثاني
(7) ذكره في اخر حرف الدال وقال : يضرب لاستبعاد الصولة من الضعيف
(8) ذكره في اخر حرف الذال
(9) ذكره في اخر حرف الثاء
(10) ذكره في اخر حرف الحاء
(11) ذكره في اخر حرف الخاء
(12) ذكره في حرف الذال
(13) ذكره في حرف الراء
(14) ذكره في حرف الزاي بعد المثل الفصيح : زين في عين والد ولده ، وراجع ص من هذه الدراسة
(15) ذكره في حرف السين ، وهو مثل معروف . انظر رقم 890 في القسم الثاني من هذه الدراسة
(16) ذكره في حرف السين وقال : يضربونه في المخالط الشيء المعاني له وأنه اعرف به
(17) ذكره في حرف السين ، وهو معروف ، انظر القسم الثاني من هذه الدراسة رقم 1855
(18) ذكره في حرف الشين ، وقال : حديث يتمثل به ، وانظر ابن شنب رقم 1005

هذا كل ما وقفنا عليه من الأمثال المنسوبة إلى العامة في زهر الأكم ، وهو عدد فيما نرى قليل بالنسبة إلى ما كنا ننتظره من اليوسي رحمه الله لأنه كان من المعتنين بأوضاع عصره - على خلاف المعهود من علماء وقته كما يدل على ذلك كتابه : المحاضرات ،حيث نجده في هذا الكتاب يعني بتدوين ما يسمع من ملحون في أثناء تجواله بنواحي المغرب (1) ويقف على حلقات "المداحين" في رحبة مراكش (2) ويتنبه لبعض الظواهر اللغوية في المغرب كملحوظته حول الإمالة عند أهل "جبالة" في شمال المغرب ، وقد اضطر في آخر هذه الملحوظة إلى الدفاع عن نفسه فقال : "وللتنبيه على هذا حكيت هذه القصة ، فلا يقل جاهل مالنا ولهذه اللغة فلتعرف أو لا تعرف ، هذا مع أن معرفة الشيء خير من جهله فالجاهل بالشيء أعمى فيه وفي ظلمة عنه والعالم به بصير وفي نور فيه وهل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور ، والعلم ذخر يجده صاحبه عاجلا أو آجلا وحجة ينتصر بها في الخطوب " (3) .

فإذا تجاوزنا القرن الحادي عشر - وفيه عاش اليوسي - إلى القرن الثاني عشر فسنجد تأليفا أدبيا يشتمل على طائفة من أمثال العامة ، وهو كتاب المحكم في الحكم لأبي مدين (4) الفاسي المولود بفاس سنة 1112 هـ والمتوفى بها سنة 1181 هـ وقد كان أبو مدين الفاسي شديد العناية بالعلوم الأدبية مع المشاركة في غيرها ، ولي الخطابة بالقرويين والتدريس به سنين طويلة ، وكان من وجهاء عصره ، وقد عرف بالمفاكهة والدعابة واستحضار النوادر القديمة والحديثة ، فلا عجب إذا وجدناه يخصص في كتابه المحكم فصلا لأمثال العامة عنوانه :

"فصل فيما من أمثال العامة تخيرته ، وعلى حروف المعجم كما رتبوها رتبته (5) ".

ولكنه فصل قليل القيمة ، فهو لا يشتمل إلا على 153 مثلا ، وقد تبين لنا - بالمقارنة - أنها عبارة عن مختارات من أمثال ابن عاصم وأمثال الأبشيهي في المستطرف ، وأبو مدين الفاسي ينقل أمثال ابن عاصم بصيغها وشواهدها ، ويتصرف فيها أحيانا بإعرابها أو تغيير كلماتها

(1) انظر المحاضرات : 47 ، 48 ، 49
(2) المصدر نفسه : 68
(3) المصدر نفسه 141
(4) ترجمة ابي مدين في نشر المثاني وسلوة الانفاس 1 : 323 وعناية أولى المجد :
(5) توجد نسخ عديدة من المحكم ، وقد رجعت الى مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 405 ج وفصل الامثال فيه من ص 333 الى ص 338

الأندلسية ، فمن ذلك المثل :

ـ حاجة بالدّرهم يهُودي يَقْضِيها (1) .

وروايته عند الزجالي وابن عاصم كما يلي :

ـ حاجَ بِقِطَاعْ يَهُودي يقْضِيها (2) .

وإذا لم يكن أبو مدين الفاسي نقل تلك الصيغة عن بعض نسخ ابن عاصم ، فإن أغلب الظن أنه غير كلمة : بقطاع ، إلى كلمة : بالدرهم ، التي تؤدي معناها ليفهم المثل عند القارىء المغربي (2 م) ، ولولا أننا تتبعنا أمثاله فوجدنا نحو نصفها منقولا بشواهده من أمثال ابن عاصم ونحو نصفها الآخر منقولا من المستطرف ، لقلنا في هذا المثل وشبهه أنه صيغة مغربية ، ومما يؤيد كون هذه الأمثال المختارة منقولة وليست بمسموعة إنها لا تمثل شيئا من اللهجة الفاسية أو المغربية ، أما الأمثال المنقولة من المستطرف فمنها على سبيل المثال :

ـ زاوية بِلا عَيْشْ ، لِيشْ بُنيت لِيش (3) .

ـ وَقْت الشَّوا واليَخْنِي ، مَا قُلْتْ يا أخي الْحَقْنِي (4) .

ومع ذلك فلم تخل هذه المجموعة من بعض الأمثال التي لم نجدها في حدائق ابن عاصم ولا في مستطرف الأبشيهي ومنها ما كان يتمثل به في فاس في عصر المؤلف أو قبله ومنها ما يزال يتمثل به ، فمن ذلك هذا المثل الذي صدّر به أبو مدين :

ـ إذا كان صاحبك سوقي ، بعه بكلب أو سلوقي . (5)

وهناك مجموعة أمثال مغربية قديمة نسبيا ، وهي التي نسميها في النص باسم "مخطوط الزركلي" لأنها مجهولة المصنف ، وقد اشتراها الأستاذ خير الدين الزركلي من مدينة مراكش وجعلها تحت تصرف الدكتور عبد العزيز الأهواني الذي أذن لنا ـ مشكورا ـ بنسخها والإفادة منها ، ويوجد

---

(1) المحكم : 334

(2) المثل رقم 805 في النص

(2م) على أن كلمة «قطاع» كانت مستعملة عند الفقهاء والموثقين المغاربة ، وقد استعملها ابن عاشر (ت 1040) في متنه المعروف :

ثم الصلاة والزكاة في القطاع

(3) المحكم : 335 والمستطرف 1 : 44

(4) المحكم : 337 والمستطرف 1 : 47

(5) تمثل به احد المترجمين في سلوة الانفاس 1 : 322

بظهر الورقة الأولى منها ما يلي : "كتب فيما قالوا الأولين في المثال رحمهم الله . "أي كتاب فيما قال الأولون في المثل رحمهم الله . وفي الورقة الأخيرة منها تاريخ كتابتها واسم مصنفها ، "ولكن الورقة متلاشية ولم يبق من هذه الكتابة إلا ما يلي : "الحمد لله وحده ، اليوم الذي كتب فيه هذا الكتاب يوم...من شهر الله تعالى...تصنيف...تصنيف..." ويبدو من كتابة مصنفها أنه مقرىء لم يكن له حظ من الطلب ، ويقدر الدكتور عبد العزيز الأهواني أن هذه المخطوطة كتبت منذ أكثر من قرن على الأقل حسبما يتضح من خطها وورقها" (1) .

وتشتمل هذه المجموعة على ما يقرب من أربعمائة مثل مرتبة على الحروف ، وتعتبر أصيلة ، وصورة صادقة لأمثال العامة في المغرب منذ مائة عام أو أكثر ، وما يزال معظمها مسموعا بالمغرب ، وبعضها يمثل لهجة تطوان وشمال المغرب ، فمن ذلك كلمة : جدد أي دجاج ، واستعمالها هكذا قديم يرجع إلى القرن السابع (2) ، وقلب الضاد طاء في مثال قولهم : رطى : رضى ، طحك : ضحك ، طرب : ضرب ، واستعمال : دِ ، بمعنى الذي ، إلى غير ذلك من العلامات التي تميز لهجة شمال المغرب ، وفي بعضها ذكر لأسماء أماكن تقع في مدينة فاس كعين علُو : وزقاق الحجر ، وقد نجد فيها أيضا ألفاظا تمثل لهجة مراكش مثل كلمة : مبا أي ما بغى ، ومهما يكن فإنَّ أثر الأمثال الأندلسية أو استمرارها واضح في هذه المجموعة، كما يبدو من تعدد ذكرها في تحقيق النص ، وفيها نرى ـ على سبيل المثال ـ كيف أن مثلا أندلسيا يرجع إلى العصر الأموي في الأندلس ظل يتمثل به في المغرب حتى عهد غير بعيد ، وهو قولهم :

ـ عرْيَش الزَّهْرَ وَحْدَ تنسِّ اخْرى (3) .

فقد ذهبت مدينة الزهراء وأهلها وبقي المثل يضرب بها .

وكثيرا ما نجد الأمثال الأندلسية تتطور إلى صيغ جديدة في هذه المجموعة ، فمن ذلك هذا المثل الذي رواه ابن عاصم :

ـ خَلِيقة مُوسَى العَطّار : مَاعك حنّه ؟ قَال : مَاعِ عِلّه (4) .

فقد اختصر كما جاء في المجموعة هكذا :

---

(1) امثال العامة في الاندلس : 295–296 ، 366

(2) درة الحجال 2 : 400

(3) انظر المثل رقم 1651 في النص

(4) رقم 397

ـ خلوق بّا موسَى العَطّار (1) . أي أخلاق أبي موسى العطار .

وعند ابن عاصم :

ـ مَنْ مَاعُ خبيز يُعْطَ باشْ يَكل (2) .

وفي المجموعة :

ـ مَنْ عَنْدُ القَمح يسلفل الدّقيق (3) .

وعند ابن عاصم أيضا :

ـ من اللّه جيت ذَ السُّفَيْنَجيت (4) .

وفي المجموعة :

ـ بَحَال مَنْ يَطْرب (يضرب) الكلب بالسفَنْج (5) .

وقد يظل المثل محافظا على الصيغة الأندلسية أو ما يقاربها كما في هذا المثل الذي رواه الزجالي :

ـ واحِدْ مَع عِيَالُ ، وانَ نَقبض خَيَالُ (6) .

فهو في المجموعة بتغيير خفيف كما يلي :

ـ سِدي مَع اعْيَلُ ، وَنَا نَرْعَ اخْيَال (7) .

وفي أمثال ابن عاصم :

ـ هَشُوش ما يَقْضِي خَصْلَه (8) .

---

(1) رقم 62 ويبدو انهما يقالان في المرء فيه حدة واستعداد للشر .

(2) رقم 665 قال : وهذا كقول الشاعر :

والناس من يلق خيرا قائلون لـه ... ما يشتهي ولام المخطيء الهبـل

(3) رقم 209 ، وهو ايضا عند ابن شنب رقم 237 . والى المثل بصيغته عند ابن عاصم يشير ابن الخطيب اذ يقول مخاطبا سلطانه ابا الحجاج في شأن جارية اسمها زيتونة :

يا درة للمجد مكنونـه ... حاجة مثلي منك مضمونـه

ومن يجد بالخبز من حقـه ... أن يودم الخبز بزيتونـه

نفاضة الجراب (مخطوط)

(4) رقم 719

(5) رقم 6 والاسفنج نوع من العجين يقلى بالزيت وهو معروف بالمغرب ، والمفهوم من صيغة المثل الاول أنه في الرزق يساق الى المرء أشد ما يكون اليه احتياجا فيقع من نفسه موقعا محمودا ، أما المثل الثاني فما يزال مسموعا . (زمامة رقم 356 وابن سودة : 144) ولهما صلة بالمثل الفارسي الذي نقله الى العربية ابو الفضل السكري (اليتيمة 4 : 89) :

ما كنت لو أكرمت أستعصي ... لا يهرب الكلب من القرص

وفي أمثال الجزائر : الكلب ما يهرب من الكسرة . ابن شنب رقم 1553 .

(6) رقم 1947

(7) رقم 333

(8) رقم 774

وهو في المجموعة :

ـ مزهر ما يَقْطِي خَسْلَ (1) .

وعند ابن عاصم أيضا :

ـ بَشْ لَكْ ؟ قَلْ بِكُلْ شَي (2) .

وفي المجموعة :

ـ بَشْلَكْ ؟ قَلْ : بالْكُلْ (3) .

وعند الزجالي :

ـ بَحَلْ طُفَيْلِي ، ياكُلْ ويعَبِّي (4) .

وفي المجموعة :

ـ جُع قُبِّي ، يَكُلْ ويعَبِّ .

وفيها أيضا :

لَمَنْ (لاَمن) اشطاطُ عزيزَ وَلاَ من اقصر بِنْتها (5) .

وعند ابن عاصم :

ـ لاَ بِشَطَاط عَزيزا وَلاَ بِقِصَر ابنتها (6) .

ونكتفي بهذا القدر لأننا ذكرنا كثيرا من أمثال هذه المجموعة في مواضعها من النص .

وفي القرن الماضي ألف الأديب الكاتب الغالي بن سليمان كتابا في أمثال العامة ، ولكننا لم نقف عليه ، وقد ورد ذكره في (فواصل الجمان ، في أنباء وزراء وكتاب الزمان (6) ." ثم دونت في عصرنا مجموعات عديدة في الأمثال المغربية ، طبع بعضها . وما يزال بعضها الآخر مخطوطا ، وقد انتفعنا بمعظمها في المقارنة ، وعثرنا فيها على كثير من أمثال الزجالي وابن عاصم التي ما تزال حية إلى اليوم .

---

(1) رقم 252

(2) رقم 331

(3) رقم 23 . وما يزال مسموعا بلفظ : بشلتك ؟ قالو : بالكل كلتك. وأصله كلام يقال في نوع من اللعب.

(4) رقم 657

(5) مخطوط الزركلي ، المثل رقم 161

(6) المثل رقم 812

(6) فواصل الجمان : 207

وما قلناه عن أثر الأمثال الاندلسية في الأمثال المغربية يصدق على أمثال الحواضر الجزائرية التي كان بعضها من تأسيس الأندلسيين كمدينة وهران ، فقد بناها الأندلسيون البحريون الذين كانوا ينتجعونها في أواخر القرن الثالث (1) ، كما هاجر إلى الجزائر جم غفير من أهل شرق الأندلس بعد سقوط مدنهم في القرن السابع ، فاستقروا ببجاية التي كانت تابعة يومئذ للحفصيين ، وأوى آخرون منهم إلى تلمسان ، وبعد سقوط غرناطة ، ثم بعد إخراج الموريسكيين من إسبانيا دخلتها أفواج أخرى ، وقد وجدنا أثر الأمثال الأندلسية واضحا وقويا في الأمثال الجزائرية والمغربية التي جمعها ابن شنب في مطلع القرن ، وهي مذكورة في مواضعها من النص.

وربما كانت تونس تأتي في المرتبة الثانية بعد المغرب من حيث تأثرها قديما بالأندلس ولا سيما في عهد الحفصيين الذين اعتمدوا في إدارة دولتهم على كثير من الأندلسيين ، وقد أشار ابن خلدون في مواضع عديدة من مقدمته (2) إلى هجرة أهل شرق الأندلس إلى تونس ، ورد معظم آثار الحضارة والعمران بها إليهم ، وقبله تكلم في هذا الموضوع ابن غالب وابن سعيد (3) ، ولسنا بصدد تحليل مظاهر التأثير الأندلسي في بلدان المغرب ، وإنما نلتمس تعليلا لما نجده من بقايا الأمثال الأندلسية فيها ، ومما يلفت النظر أننا نجد بعض هذه الأمثال في تونس ولا نجدها في المغرب والجزائر ، وقد يكون هذا راجعا إلى اختلاف المهاجرين الأندلسيين، فمن ذلك :

- كُل فُول لا هي في نَوّارُه . (4)
- كَلْب الوَرْد لا يشَم ولا يخَلّي من يشم (5) .
- مَا ثَمّاشْ قَطّوسْ يَصْطَاد لِرَبّي (6) .
- عَزوزة مَا يهَمها قَرْصْ (7) .
- لَعب سيدي محَمَّدْ مَع عياله (8) .
- واحِد مصرانه في يده والآخر يقول له : هَاتِ شويه للقطوسة (9) .

---

(1) المغرب للبكرى : 70
(2) المقدمة : 352 536 ، 562 (المطبعة الاميرية) .
(3) نفح الطيب 4 : 147 – 149
(4) المثل رقم 272 في النص
(5) المثل رقم 1125 في النص
(6) المثل رقم 1168 في النص
(7) المثل رقم 1169 في النص
(8) المثل رقم 1237 في النص
(9) رقم 792 في أمثال ابن عاصم ورقم 2264 عند الخميري

أما الأمثال المشتركة منها بين بلدان المغرب فهي كثيرة ، وقد ذكرنا معظمها في النص .

وهناك نظائر عديدة للأمثال الأندلسية في أمثال المشرق العربي سواء في المجموعات القديمة أو في المجموعات الحديثة وحين نقارن بين أمثال الزجالي وأمثال شرف بن أسد المصري نجد أن نسبة الأمثال المتشابهة أو المشتركة بينهما كبيرة ، في حين أن هذه النسبة تقل في الأمثال التي دونها الابشيهي بنحو قرن بعد ابن أسد .

وقد نجد بعض أمثال الزجالي بلفظها في الأمثال المشرقية الحديثة وذلك كالمثل :

ـ الصَّلاة خَيْر من النَّوم ! قَال : جرّ بن ذَا وذَا (1) .

وهو بلفظه في أمثال مصر والشام ، وكالامثال :

ـ مَنْ شرب بالدّين ، سكر مَرَّتَين (2) .

ـ حمَّاسْ (حمص) الطَّبَايخ (3)

ـ الكبار ولو كانَت حصَارم (4)

فهو هكذا تقريبا في أمثال العراق ، إلا أن الغالب في النظائر المشرقية أن تكون بألفاظ وتراكيب مغايرة إلى حد ما ، ومن ذلك على سبيل المثال .

ـ الحُبْلَى ما تَلْعَبْ الرَّكل (5) .

وصيغته في الأمثال المصرية :

ـ البَهيمة العِشْرَ ماتناطَحْش .

ومثال ذلك أيضا :

مَنْ لاَ يَمُور ماعَكْ مُرْ مَاعُ (6) .

وهو في أمثال الشام :

---

(1) المثل رقم 372 في النص

(2) المثل رقم 1473 في النص . وعند الحنفي رقم 2761 : اليشرب العرك بالدين ، يسكر مرتين

(3) المثل رقم 827 في النص . وعند الحنفي رقم 699 : حمص الطبايخ

(4) المثل رقم 151 في النص . وعند الحنفي رقم 1025 : شهوة العجوز حصرم

(5) المثل رقم 371 في النص

(6) المثل رقم 1256 في النص

- اللتي بيجي معك تعا معه .

وهذه طائفة من الامثال الاندلسية مع ما يقابلها في الامثال العراقية الحديثة على سبيل المثال لا الحصر :

- حديث الجيش مالُ آخر (الزجالي رقم 804)
- سالفة الحيّة متخلّص (1) (الحنفي رقم 915)
- شمس الله أكثر من شقاق القصّارين (ابن عاصم رقم 456)
- الشمس متروحْ من ايد الصّبّاغ (الحنفي رقم 1007)
- نكونوا نفسيْن ، نصيروا صفّين ، (الزجالي رقم 1564)
- السر بين اثنين ، يصير بين ألفين (الحنفي رقم 931)
- حمّاسْ (حمص) الطّبّايخ (2)
الكبار ولو كانت حصارم

ونحن نفترض أن تكون هذه الأمثال المتشابهة منحدرة جميعا من أصول مشتركة كانت شائعة في الأمصار العربية منذ عهود الخلافة العباسية، ولكننا أيضا نعتبر مجموعة الزجالي وغيرها من المجموعات القديمة أصولا حين لا نجد ما هو أقدم منها .

---

(1) الحنفي رقم 915 والسالفة : القصة والحكاية والحديث من الفعل سولف أي تحدث بأخبار السلف. ويبدو أن للمثلين صلة بالمثل العربي : أكذب من حية . الاوائل للعسكري : 52

(2) الحنفي رقم 915 ، والسالفة : القصة والحكاية الخ.

الفصل الخامس

في

ملامح المجتمع الاندلسي من خلال الامثال

تمهيد :

سنحاول في هذا الفصل أن ندرس بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية كما تتراءى من خلال الأمثال ، وذلك بالقدر الذي تسمح به نصوص هذه الأمثال ، ويتيحه فهمنا لها ، ولعل من المسلم به أن الأمثال تكوّن مصدرا لا يستهان به في دراسة المجتمع ، شأنها في هذا شأن فنون القول جميعا ، بل قد تكون الأمثال - كوثيقة اجتماعية - أقرب الى الصدق وأدنى الى الأصالة من غيرها في تمثيل روح المجتمع وتصوير طبيعته العامة لأنها نابعة من الشعب ومعبرة عن آراءه وتجاربه واتجاهاته ، بيد أن الإفادة من الأمثال في دراسة المجتمع قد تكون محدودة أو ضيقة لأنها بحكم تركيبها الموجز المركز تكتفي باللمحة السريعة والإشارة الخفيفة ، مما يستدعي من الباحث دقة في التحليل وإعادة في النظر ، إذا رام أن يستخرج منها شيئا ، على أن المشكلة الكبرى بالنسبة للأمثال التي أصبحت في ذمة التاريخ هي التي عبر عنها الدكتور عبد العزيز الأهواني إذ يقول : " ولعل الصعوبة الحقة التي يلقاها الباحث الحديث في دراسته لأمثال قديمة هو أنه لا يستطيع أن يلم بالظروف التي تحيط بضرب المثل ، ولا يستطيع أن يطمئن تماما إلى إدراكه لوقع المثل في نفوس المتمثلين من أهله (1) " ولهذا فلن تتيسر الإفادة من هذه الأمثال على وجهها الصحيح إلا حينما تفهم حق الفهم ، وتصنف على أساس ذلك تصنيفا موضوعيا دقيقا ، ومن هنا فإن عملنا في هذا الفصل ليس سوى محاولة تمهيدية في الموضوع ، وربّما كان فيها شيء من الاجتهاد الخاص في الفهم و الاستنتاج. وقد اعتبرنا أمثال الزجالي ثم أمثال ابن عاصم صالحة لتصوير المجتمع الأندلسي في مختلف عصوره إذ كانت لا تنتمي إلى عصر معين وعارضناها أحيانا بما يقابلها من نصوص تاريخية أو أدبية، ولم نشأ أن نتوسع في ذلك (2) لأن المقصود هو محاولة رسم ملامح عامة للمجتمع الأندلسي من خلال الأمثال .

---

(1) امثال العامة في الاندلس : 250 (في كتاب : الى طه حسين) .

(2) توسعنا في هذا في كتابنا المعد للطبع بعنوان : « الاندلسيون من خلال ادبهم » .

عناصر السكان

العرب :

كان العرب يمثلون في مجموعهم صفوة المجتمع الأندلسي وطبقته الحاكمة ، وكان منهم قيسيون ويمنيون وشاميون وبلديون ، وقد ذكرت كتب التاريخ ما كان ينشب أحيانا من خلاف بين هؤلاء وأولئك أو بينهم وبين العناصر الأخرى في الأندلس ، أما الأمثال فلا نجد فيما وصل إلينا منها ذكرا للعرب الا في مثل واحد ، وهو :

عَرَب البِطَاحْ : يَغْرَمُ الجَزْيَ للنْيَهُودْ (رقم 1692)

ويبدو أن فيه تلميحا إلى ما كان يحدث أحيانا بين القيسيين واليمنيين أو بين سكان الجبال والحصون وبين سكان البطاح والبسائط من مثل ما يذكره ابن حيان إذ يقول : " وكان ابتداء فتنة أهل الجزيرة وانبعاثها بالمعصية بين اليمانية والمضرية فأطلق بعضهم على بعض الغارات ، واستحلوا الحرمات ، وتخلقوا أخلاق الجاهلية ، واتخذوا الحصون والمعاقل المنيعة فارتقوا إليها وأذلوا البسائط (1) " .

البربر وأهل العدوة :

لم تخل الأندلس من صراع بين العناصر المتساكنة فيها ، ومنه ذلك الصراع التقليدي بين الأندلسيين والبربر ، وكان يبدو في ظروف عديدة وصور مختلفة ، ولعل أشهر مثال له فتنة قرطبة المعروفة التي وصفها بعضهم بأنها " الفتنة العظيمة الطويلة التي يسميها أهل الأندلس بالفتنة البربرية ولو سموها بفتنة ابن عبد الجبار لكان الأحق والأولى (2) " وقد كشفت هذه الفتنة عن أحقاد كريهة بين الفريقين ، ولم يكن الصراع بين الأندلسيين وبين بربر الأندلس فحسب وإنما كان أيضا بينهم وبين أهل العدوة عموما ، واعتبره المؤرخون شيئا طبيعيا في الفريقين . فابن الخطيب يستعمل عبارة " النفرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة (3) " وما يشبهها ، والحجاري يقول : " وأهل العدوة بالطبع يكرهون أهل الأندلس (4) " ونقل

---

(1) المقتبس 3 : 52 وراجع ما كتبناه في شرح المثل في القسم الثاني ص 387

(2) البيان المغرب 3 : 76

(3) أعمال الاعلام : 227

(4) نفح الطيب 6 : 12

المقري عن بعض المؤرخين الأندلسيين ما يلي : "ولما كان البربر بالقرب منهم ، وليس بينهم سوى تعدية البحر ، ويرد عليهم منهم طوائف منحرفة الطباع خارجة عن الأوضاع ، ازدادوا منهم نفورا ، وأكثر تحذرهم من نسب أو مجاورة ، حتى ثبت ذلك في طبائعهم ، وصار بعضه مركبا في غرائزهم ، فلما علم البربر عداوة أهل الأندلس وبغضهم لهم أبغضوهم وحسدوهم ، فلم تجد أندلسيا إلا مبغضا بربريا وبالعكس (1) ".

ولسنا بصدد نقد هذه الآراء ، وإنما استشهدنا بها لما لها من دلالة في الموضوع . وكان من مظاهر الصراع بين الفريقين أيضا تلك المفاخرات التي كان من آثارها رسالة الشقندي ، ورسالة ابي يحيى بن المعلم الطنجي ، ورسالة المفاخرة بين مالقة وسلا لابن الخطيب ، وكتاب مفاخر البربر ، وطرفة الظريف ، في أهل الجزيرة وطريف لعبد العزيز الملزوزي (؟) وغيرها .

وقد سلك الاندلسيون في هذه المفاخرات مسلكا فيه كثير من التحامل ومجانبة الانصاف ، وحملهم التعصب أن صوروا المغرب محروما من كل نعمة - مادية كانت او معنوية - ومن أمثلة ذلك ماروا‌ه المقري عن بعضهم - وهو يتحدث عن فضائل الاندلس وأهلها - إذ يقول : " وتين بلش هو الذي قيل فيه لبربري : كيف رأيته ؟ قال : لاتسألني عليه ، وصبّ في حلقي بالقفة . وهو لعمري معذور لأنه نعمة حرمت بلاده منها ! (2) " ويخاطب الشقندي - وهو يتحدث عن ابن دراج - مُفاخِرَه المغربي ابن المعلّم فيقول : " وهب أنه كان يكون لكم مثله - فما تصنع الكيّسة في البيت الفارغ - (3)" هكذا ضرب الشقندي المثل ونسى أن ابن درّاج من أرومة مغربية أصيلة ، ولهذا افتخر به مؤلف "مفاخر البربر (4)"

وقد وردت أمثال فيها ذكر للبربر والبربرى ، ويبدو أن استعمال الأندلسي للكلمتين لم يكن يخلو من معنى التحقير ، ويشهد لذلك ما ذكره بعض المؤرخين من أن نكبة أبن رشد كانت بسبب قوله في بعض مؤلفاته : "وقد رأيتها عند ملك البربر (5) " ولما داعب الأمير الأموي عبد الله بن محمد

---

(1) المصدر السابق : 1 : 228

(2) نفح الطيب 4 : 205-206

(3) المصدر نفسه 1 : 179 وانظر المثل : اشتعمل الكيسة فالبيت الفارغ ، في القسم الثاني من هذا الكتاب ص 53 .

(4) توسعنا في هذا الموضوع في كتابنا المعد للنشر : « الاندلسيون من خلال أدبهم » وكذلك في مقدمة تحقيقنا لرسالة : « طرفة الظريف ، في أهل الجزيرة وطريف » التي أعددناها للنشر .

(5) المعجب : 384

وزيره سليمان بن وانسوس وخاطبه بقوله على سبيل المداعبة : "أجلس يا بريبري" غضب وأجابه بكلمات تدل على إبائه وعزة نفسه ، ونهض إلى منزله من غير أن يسلم ، ولزم داره ، فما زال به الأمير يترضاه ويرسل إليه حتى قبل ورجع إلى أفضل مما كان عليه (1) . ومن ذلك أيضا ما وقع بين الزجالي الأصمعي والوزير الأسكندراني فقد أنشد هذا في مناسبة قول امرىء القيس :

بَريدُ السُّرى بالّليْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَـــرا

ففهم الزجالي أنه عرض بأنه من البربر ، فقلق لذلك واعتبره قذفا وجازى الوزير تعريضا بتعريض ، ورفعت القضية إلى الحاجب (2) . وحين تجادل الشقندي وابن المعلم الطنجي في التفضيل بين العدوتين في مجلس أمير من الموحدين قال الشقندي : "لولا الأندلس لم يذكر بر العدوة ولا سارت عنه فضيلة ، ولولا التوقير للمجلس لقلت ما تعلم ، فقال الأمير: أتريد أن تقول كون أهل برنا عربا وأهل بركم بربر ، فقال : حاش الله ، فقال الأمير : والله ما أردت غير هذا ، فظهر في وجهه أنه أراد ذلك (3)" . أما إذا استعملها مغربي وجاءت في معرض الفخر فلا اعتراض عليها ، وذلك كقول ابن حبوس الفاسي في ذم الوزير ابن عطية لما نكبه الموحدون :

أنْدَلُسِيٌ لَيْسَ مِنْ بَرْبَـــرِ يَخْتَلِسُ المُلْكَ مِن الْبَرْبَرِ
لاَ تُسْلِمُ الْبَرْبَرُ مَا شَيَّدَتْ بِالمَلِكِ الْقَيْسِي مِنْ مَفْخر(4)

فمن أمثالهم في البربر قولهم :

الْبَرْبَرِي والْفَارْ ، لا تعَلّمْهُم بَاب الدّار (رقم 175)

ورواه ابن عاصم كما يلي :

الغَازِي والفَارْ ، لا تعَلّمْهُمْ بَاب الدّار (رقم 176)

والمعنى واحد لأن الغازي في اصطلاح أهل غرناطة هو الجندي البربري ، وقالوا أيضا :

عُطِي لِلْبَرْبَرِي شبر ، طَلَبْ ذِرِاعْ (رقم 1644)

ثم زادوا فيه فقالوا : (ابن عاصم رقم 524) .

عُطِي لَلبَرْبَرِي شبر طَلَبْ ذِرِاعْ . عُطِيه ذِراعْ ، طَلَب مَرى فَاشْ يَتمَتّاعْ

---

(1) جذوة المقتبس : 210
(2) نفح الطيب : 5 : 82
(3) نفح الطيب : 4 : 177
(4) زاد المسافر : 3 – 4

وهي تعبر عن ضيق الأندلسيين بالبربر ومطالبهم ، وأغلب الظن أنها قيلت في أولئك الذين كانوا يفدون عليهم برسم الغزو والجهاد أو في سلك الجند . وقد وصلت إلينا بعض الرسائل التي كان يكتبها الأندلسيون في الشكوى من هؤلاء (1) . ومن أمثالهم في هذا المعنى قولهم :

بَحَالْ غَازِي : لاَ يُنْكِرَكْ ولاَ يعْطِيكْ. (ابن عاصم رقم 269) .

ومعناه ـ فيما نفهم ـ أن الغازي (البربري) إذا استدان وطولب بأداء الدين فإنه لا ينكر أن عليه دينا ولكنه في الوقت نفسه لا يؤديه (2) . ومما قالوه في نقد هؤلاء وتهاونهم في الحراسة والدفاع :

بيدَم اتَّمَّقْ حُسَى الرَّامِي أُخِذَ الحِصْن (ابن عاصم رقم 314)

وحسى : صيغة بربرية في حسين ، وما تزال شائعة في المغرب ، ومعناه أنه لم يكد حسين الرامي يلبس أتماقه (أخفافه) ويأخذ عدته ، حتى كان الحصن قد أخذه العدو (3) .

كما سخروا من جيش غمارة وقلة عدده فقالوا :

بَحَلْ مَيْز غُمَار : نَفْسَيْ فِي كُدْيَة ! (ابن عاصم رقم 282)

والميز : التمييز والعرض ، والمعنى فيما نرى : مثل تمييز غمارة : شخصان على ربوة . ولعل فيه صدى لموقف غمارة في أواخر الخلافة المروانية وأيام الحجابة العامرية . وقالوا فيما كان يجلب إليهم من صادرات المغرب :

كُل ما يْجِي مِن الغَرب مَلِيحْ ، إِلاَّ ابن آدَمْ والرِّيحْ (رقم 1082)
فَقُّوس البَربَر : خَشِنْ حُلو (رقم 1864)
... ولاَ فَرسْ إِلاَّ مكْلاَتِي . (رقم 1985)

وفي بعض الأمثال يوصف أهل دكالة بشهادة الزور وأهل سلا بالحمق :

شَاهِدْ دُكَّالة : مِنْ قاع المَطْمُورة (رقم 1889)
إِذَا ريت هَلاوِي ، ادْرِ أنه سَلاَوِي (رقم 120)

وبالنسبة للمثل الأخير فإن ثمة شواهد تدل على نفرة خاصة بين أهل سلا و الأندلسيين كما يبدو من رسالة لأبي المطرف ابن عميرة المخزومي

---

(1) رسائل البلوي (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط) .

(2) ما يزال المثل المذكور مسموعا في فاس بالصيغة التالية : مديان زواغة : ما ينكر ما يخلص . ابن سودة : 464 . وزواغة : بسيط يقع بين فاس وبين صفرو وجبل كندر

(3) في هذه الامثال الغرناطية في الغزاة انتقاد مشوب بنكران الجميل ونجد شيئا منه في قصيدة أبي عمرو ابن المرابط التي رد عليها كل من عبد العزيز الملزوزي شاعر السلطان يعقوب بن عبد الحق ، ومالك ابن المرحل . انظر : العبر 7 : 409

وبعض نثر ابن الخطيب وشعره ومنه قطعة يقول فيها :

مَنْ طَلَبَ الوُدَّ مِن سَلاوي   أَنْشَأَهُ اللّهُ مِنْ مَسَاوي

ويصفهم بما جاء في المثل فيقول :

حَمْقَى فَمَا شِئْتَ مِنْ دِمَاغٍ   قَدْ عَدِمَ المُخَّ فَهْوَ خَاوِي (1)

ويقول أيضا مخاطبا ابن رضوان صاحب الإنشاء وقد نزل عنده بفاس :

ومُقَامِي نَزْرٌ وأصْرِفُ وجْهِي   لِسَلا حَيْثُ مَعْدِنُ الحُمَقَاءِ

وسخروا في بعض أمثالهم من الفحامين والبائتين الذين يعسون بالليل لحراسة الدروب وأشباههم فقالوا :

أَتْيَسْ مِنْ عَبْتُو البَائِت : الّذي بَاع الجَلاَّبِيَة واشْتَرى المَقْرَعْ (رقم 491)
أَتْيَسْ مِن تَوْقُوت البَائت : الذي أكسَر ضَرسُ بَشْ يَنْطَبَعْ لُو التَّصْفِيرِ (رقم 492)
أَتْيَسْ منْ عَبْتُو الفَحَّامْ الذي كَانْ يِنَجَّم الفَحْم بالوَرْدْ(2). (رقم 493)
أَدَبْ حَمُّو : يدَّن فَالحَبص ويصَفَّر فَالجَامِعْ . (رقم 234)

ونعتبرها مما قيل في البربر لأن الأسماء بربرية ولأن خدمة الفحم وحراسة الدروب مما عرف به البربر في الأندلس (3) . وقد عدد بعض المؤرخين الحرف التي كان يشتغل بها البربر في الأندلس ، وكلها راجعة إلى الفلاحة وما يتصل بها (4) ، وحين صدر أمان ابن عبد الجبار للبربر خلال فتنة قرطبة " ركب البكري وهو أحد الوزراء فدار قرطبة وأرباضها يقول للناس : قد عفا أمير المؤمنين عن البربر على أن يرجعوا إلى بلادهم فيصيروا حراثين كما كانوا " وإذا صح أن المثل الآتي :

لَولاَ دُكَّالَ ، ما خدَمَت الشَّبَالَ. (رقم 1245)

مثل أندلسي فقد يفيد أن بعض فعلة الفلاحة أو البناء في الأندلس كانوا من أهل المغرب .

وقد وصل إلينا بعض ما تمثل به الأندلسيون في أثناء حكم المرابطين كقولهم :

---

(1) نفاضة الجراب : 362
(2) يقارن بالمثل المصري : زبال : وفي ايده وردة
(3) كتاب ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم . نشره الاستاذ عبد القادر زمامة بمجلة البحث العلمي العدد 3 من السنة 1 ص : 55 ثم نشرته دار المنصور بالرباط
(4) المصدر نفسه

طَالِعْ هَابِطْ ، بَحَلْ عِمَامَ فِي راسِ مُرابِطْ (رقم 1062)

ومن الواضح أنهم كانوا يقولونه على سبيل السخرية من العمائم وأصحاب العمائم البربر و المرابطين ، وقد أشرنا في شرح المثل إلى تعريض المعتمد بن عباد بالمعتصم بن صمادح حين تزيى بحمل العمامة تزلفا للمرابطين ، وذكر الحجاري أن المعتمد ابن عباد أغرق جارية مغنية أهداها إليه يوسف بن تاشفين لأنها غنت أبياتا منها :

حَمَلوا قُلُوبَ الأُسْدِ بَيْنَ ضلوعهم ۝ وَلَوَوْا عَمَائِمَهُمْ عَلَى الأَقْمَارِ

إذ ظن أنها تعرض له بالمرابطين (2) ، وقد كان لباس العمائم في الأندلس زيا خاصا بالبربر على العموم . وحين أوعز عبد الرحمان بن أبي عامر إلى رجال دولته بطرح "قلانسهم الطوال المرقشة الملونة " والانتقال عنها إلى العمائم ، اضطر الأندلسيون إلى الاستعانة "بجيرانهم من البربر " وعد الامر فضيحة ،" وتأول الناس في ذلك أراجيف شتى صدقها ظهور أصحاب العمائم البرابرة بعد مدة قريبة (3) " وهم يكنون بالقلانس عن الأندلسيين وبالعمائم عن البربر كما في قول ابن شهيد :

وَلاَ غَرْوَ مِن تَرك "القَلانِس" جَانِبا ۝ إذاَ عَرفَت حَقِّي هُنَاك "العمائم" (4)

وقولـــه :

نَرمِي قَلانِسِنَا لَـــــــه ۝ ونَجُرُّ مِنْ عَذبِ العَمائم (5)

وقد وصف ابن سعيد زي أهل الاندلس في القرن السابع ، فذكر أن الغالب عليهم ترك العمائم (6) ، وبما ذكرناه يتبين معنى الذم في المثل . ولم يرد في مدح البربر إلا مثل واحد وهو قولهم :

لاَ حُرّْ إلاَّ زَنَاتِي ، وَلاَ فرَسْ إلاَّ مَكْلاَتِي (رقم 1985)

---

(1) البيان المغرب 3 : 82
(2) نفح الطيب 6 : 12
(3) البيان المغرب 3 : 48
(4) ديوان ابن شهيد : 154
(5) ديوان ابن شهيد : 156
(6) نفح الطيب 1 : 207 . ويفهم من بعض النصوص أن العمائم كانت لباس القضاة والفقهاء في الاندلس ، وفي نصوص أخرى أن فئة من الفقهاء كانت تقلس أي تلبس القلانس ، ونقرأ في اخر زجل لابن قزمان ما يلي (زجل رقم 38) : ما قلسن فقيه وما عمم وزير .
ويصف في زجل اخر (رقم 87) ضربا من العمائم عرف بها افراد قبيلة بني زروال في الاندلس ، ويفهم من بيتين لابن الخطيب في وصف عمامة النباهي أن العمامة الحضرية التي ظلت معروفة في بعض حواضر المغرب الى عهد قريب كانت معروفة أيضا في غرناطة .

وقد اشتهر الزناتيون في الأندلس بالفروسية ، وكانت لهم فيها طريقة خاصة أخذها عنهم الإسبان، وتستعمل كلمة jinete أي زناتي بمعنى فارس في اللغة الإسبانية ، كما أشار ابن دراج إلى شجاعة زناتة إذ يقول :

بِكُلِّ زَنَاتِي كَأَنَّ حُسَامَهُ ‏ ‏ ‏ ‏ وَ هَامَةَ مَن لاقَاه نَارٌ وقُربَانُ (1)

المُولَّدون والعَجَم

شهدت الأندلس خلال القرن الثالث الهجري فتنا عديدة قام بها المولدون ومن شايعهم من المسالمة ونصارى الذمة (2) ، وكان من أشهرهم عمر بن حفصون الذي دامت فتنته أزيد من سبعين سنة (3) ، وكان محور الحركة التي يسميها ابن حيان "دعوة المولدين " تارة و "عصبية المولدين على العرب" (4) تارة أخرى ، وقد أثارت هذه العصبية نقائض شعرية بين شعراء العرب وشعراء المولدين (5) ، كما ضربت الأمثال ببعض أشخاصها وحوادثها ، ومن هذه الأمثال ما أشار إليه المؤرخون كالمثلين اللذين قيلا في إسحاق ومشطار من أصحاب ابن حفصون (6) . ولدينا طائفة من الأمثال تحملنا بعض القرائن على الظن بأنها مما قيل في هذه الحقبة ، فمن ذلك المثل :

حِصْنِي ، ولاَ مَنْ يَقِيسْنِي . (رقم 841)

إذ يبدو أنه كان بمثابة شعار لعمر بن حفصون وأضرابه من الثائرين الممتنعين بحصونهم يومئذ ، وكان عددها كبيرا ، فقد تمكن عبد الرحمن الناصر في غزوة واحدة من فتح ما يقارب الثلاثمائة منها ، ويشير ابن عبد ربه إلى بعض هذا حيث يقول :

فِي غزوةٍ مائتا حِصنٍ ظَفِرتَ بها ‏ ‏ ‏ ‏ فِي كُلِّ حِصْنٍ غزاةٌ للعَنَاجيجِ
ما كَان مُلْكُ سُلَيمانٍ ليدركَهُ ‏ ‏ ‏ ‏ والمُبْتَنِي سد ياجوج ومَاجوجِ (7)

ومن أمثالهم التي لها طابع الهجاء قولهم :

عَزَبْتَ مارُ ، حَكَكْتَ بَيْض الحِمَار حَتَّى احْمَارُ (رقم 1706)

---

(1) ديوان ابن دراج : 57
(2) المقتبس 3 : 51
(3) اعمال الاعلام : 30
(4) المقتبس 3 : 15 ، 16 ، 24
(5) المقتبس : 3 : 63 ، 85
(6) راجع ص : 104
(7) اخبار الناصر : 38

و "مار" يبدو أن المقصود به حصن " المار" (1) الذي نجد له ذكرا في أخبار الخلاف بين العرب وبين العجم والمولدين في أيام الأمير عبد الله من الأمويين ، يقول ابن حيان في خبر سوار بن حمدون المحاربي القيسي زعيم العرب في كورة البيرة : "ثم دار سوار فيمن معه على حصون المسالمة والنصارى يفتتحها حصنا حصنا ويقتل من يظفر به منهم فيها ، ويغنم أموالهم حتى استباح حصن " المار " منها واستأصل جميع أهله فقطع التوارث بينهم لانقطاع نسلهم (2)" . ونخال أن ثمة صلة بين الخبر والمثل . وكما سخروا من نساء "مَار" سخروا أيضا من نساء "لك" فقالوا :

عَزْبَت لُكْ ، رَتْ بَيْض الرَّجُل وقَالَت اشْ ذاك الحَب المُلُوك (رقم 1711)

وربما قيل في حصن "لك " من حصون سعيد بن وليد بن مستنة (3) الذي يقول فيه ابن حيان : "صاحب عمر بن حفصون وتاليه في التمرد واللعنة" وذكر أنه "وافق ابن حفصون في الرأي والمعصية والميل على العرب مع العجم والمولدة (4) " ، ومن ذلك أيضا فيما نفترض تلك الأمثال التي وردت في هجاء بعض المدن والأماكن كقولهم :

ذُكِرَت المُدُنْ ، قَامَتْ اسجَه تَمْجُنْ (رقم 963)

ذُكِرت المُدون ، قَامت الكُفُونْ . ابن عاصم (رقم 408)

بَاردَ ، بَحَلْ خَبَرْ مَاردَ . (رقم 576)

سَمِعْنَ بِفَاتِر وسلختها الرَّقَبَة وتخَلّيها (رقم 1848)

قِسْمَة حَنَشْ : النَّص لَكْ ، والنَّصْ بَيْنِي وبَيْنَكْ (رقم 1801)

وكل هذه الأماكن ذكرت في حوادث المولدين وكانت مما يدخل في حوزتهم (5) ، وقد ورد مثلان في هجاء "شيوج بجانة " (6) ولعل المثلين صلة بأصحاب بجانة "البحريين " الذين كانوا يعتدون على جيرانهم من العرب الغسانيين (7) . وقد ذكرنا في شرح المثلين :

الكُرْكُرْ ، والعَيْش المُر . (رقم 218)

---

(1) قد تكون كلمة «مار» محرفة عن «فار» أي «جبل فارو» وهو حي كان وما يزال من الاحياء الشعبية في مالقة

(2) المقتبس 3 : 55

(3) المصدر السابق : 3 : 143

(4) المصدر السابق : 3 : 27

(5) المصدر نفسه : 15 ، 96 ، 116

(6) انظر رقم 1880 في النص

(7) المقتبس : 3 : 87

وَ لاَ صَيْحَ مِنْ لُبِّ . (رقم 1903)
أنه قد يكون لهما تعلق ما بوقعة كركر ، وبني قسي .
وثمة أمثال يتضح فيها الاستهزاء بعجم الأندلس كقولهم :
ذُكِرَت الخُيُول ذَكَر أَبُو خيل حِمَارُ (رقم 965)

وكأن فيه تلميحا إلى أن الخيول للعرب والحمير للعجم ، وهذا ما أفصح عنه ابن قزمان إذ يقول في الزجاليين الذين يزاحمونه : (زجل 9) :

ثمْ تَعْجَبْ وهُو مَكَان العجَب	جَمَعُوا الجَهل وسُوءَ الأدَبِ
إنْ نَجْرِي أنَا خُيُول العَرَبْ	قَامُوا مَاعِي حَمِير الظُّلَمْ

وسخروا من كنائس العجم في القرى وصوروا نواقيسها فقالوا :
أفقَر مِن نَاقُوص طَبْلَشْ الذي كَانْ من قَرع ولسانُ من كَلخ (رقم 486)
ومن هذا القبيل قولهم :
عَجِينَةْ مَرتِينْ : أَخَذُ الجُوعْ أَكَلْتُه (ابن عاصم رقم 511)
بِيدمْ تَمْتَد مَرِيَ يَرقُد جُوانْ . (ابن عاصم رقم 316)
مَنْ هُو بِرنَاط فِي جَنَوا . (ابن عاصم رقم 669)

وقد ترك الصراع بين الإسلام والمسيحية أثره في الأمثال ، فمن ذلك قولهم :
أخّاذ مَوخُوذ ، والهَارِبْ لاَ يَفُوتْ (رقم 335) و .Voc ص 228
كُل مَحْصُور مَوْخُوذْ (رقم 1102)

فهذا المثل القاعدة ، أشبه ما يكون بالحياة الأندلسية وما عرفته مدنها من ضروب الحصار والاستسلام وإن كنا نجده عند ابن نباتة المصري في معرض الغزل إذ يقول :

قَالَتْ إشَارَةَ فاتِكٍ لمُرَوَّعٍ	قُلْ لي لِمَن يستَنجدُ المنبوذُ (1)
مَا أنْتَ إلاَّ فِي الحِصَارِ معي فلا	تَتعبْ "فَكل مُحَاصَرٍ مَأخُوذُ"

ومن ذلك أيضا قولهم :
صَفَا الخَنْدَقْ الهَرَّاب (رقم 1612)
قُومِسْ طَبِيرَ : مَشَ يَخْرا ، اتْخِذ فَالْأَسْرَ (رقم 1807)
أَمَرَ مَا عَلَى الأَسِير : المُتَنَصِّر (رقم 174)
أَسِير الصُّلْح : اش لُو فدْيَ . (ابن عاصم رقم 228)

---

(1) ديوان ابن نباتة : 178

ويبدو أن المثل الأخير يشير إلى قاعدة كانت جارية في عقود السلم والصلح بين المسلمين والمسيحيين .

الصقالبة :

يعرفون كذلك بالفتيان والخلفاء والخرس والخصيان والمجابيب ، وهي نعوت ترد كثيرا في المصادر التاريخية ، وورد بعضها في الأمثال، وقد كان لهؤلاء الصقالبة دور كبير في الحياة الأندلسية منذ اوائل العصر الأموي بالأندلس ، إذ كان منهم قادة الجيش وحرس القصر وخاصة الخلفاء ، ومع أنهم كانوا من حيث العدد قلة في المجتمع الأندلسي الكبير إلا أن نفوذهم فيه كان كبيرا جدا بسبب تقريب الخلفاء لهم وثقتهم بهم ، وتشير كتب التاريخ إلى ما كان من غلبة بعضهم على هؤلاء الخلفاء وتصريفهم ملك الدولة كيف يشاءون ، كحال نصر الخصي (1) مع عبد الرحمن الأوسط على سبيل المثال . وحاول المنصور ابن أبي عامر في أول أمره أن يكسر شوكة الصقالبة ولكنه عاد فكون منهم طائفة جديدة عرفت بالفتيان العامريين ، وكان لهؤلاء في عصر الطوائف إمارات معروفة في شرق الأندلس ، وفيها ظهرت نزعة شعوبية عبرت عنها رسالة ابن غرسية التي أثارت ردودا عديدة . وقد عرف الصقالبة على العموم بالغلظة والفظاظة والجفاء والخشونة ، مع أنه نبغ منهم بعض أهل العلم والأدب والشعر ، يقول ابن حيان : "اجمع أهل الدولة أنه لم يقم على رأس أمير بالأندلس من هذا الجيل الغليظ الطباع من الصقلب كهذين الخادمين : فاتن وجؤذر ، سعة معرفة وحسن خدمة ولطف إشارة مع رحب صدر وشدة احتمال خلاف ما عليه العصابة (2)" . ولهذا فلا عجب أن يكون الصقالبة محل كراهية من الناس وهدفا لنقدهم وسخريتهم ، وقد وردت فيهم أمثال بعضها يذكرهم تصريحا وبعضها الآخر يشير إليهم تلميحا ، وكلها تتندر بهم وتسخر منهم ، و لما كان أكثرهم من الخصيان المجابيب فقد طعن فيهم العامة من هذه الناحية فقالوا :

القَطَم فَارْض الصَّقَالِبَة (رقم 567)

---

(1) انظر المقتبس : تحقيق د. محمود مكي

(2) التكملة 1 : 253

وفي كتب التاريخ الأندلسي إشارات إلى فظاظة الخصيان (1) ومن الأمثال في ذلك :

أجْفَى مِنْ خَصِي .

و قيل في طريقتهم في الغناء والطرب :

غنَى الفِتْيَانْ : عَشَرة يَقْفَزْ ، وواحِدْ يَسْتَمِعْ . (رقم 1718)

ويبدو أنه كان لهم مذهب خاص في الغناء ، فقد وقفنا في المقتبس لابن حيان على عبارة يقول فيها : "وكان يشدو شيئا من الغناء على مذهب الفتيان (2) " . والظاهر أن المثل :

لِسْ يُقَال الفَتَى فَتَى ، حَتَّى يِقَيَّلْ فَالشِّتَا . (رقم 1166)

يشير إلى ترفهم وميلهم إلى الدعة والراحة ، وقد نقل ابن الخطيب أن مؤنة الفتيان كانت كبيرة وأن المنصور بن أبي عامر هلك " وهو ينوء بثقل كلفتهم الباهظة (3) " . ومما نحسب أنه قيل في الصقالبة المثل التالي :

القَرِدْ بِجُمَّه ، يَحْكُمْ عَلَى الأُمَّه . (رقم 423)

ولعله قيل في بعض من تأمر منهم بشرق الأندلس ، وقد أطال ابن حيان وابن بسام العجب من ولاية مبارك ومظفر العامريين ، وعدها ابن حيان من غرائب الليالي والأيام ، اللاعبة بالأنام " ، وقال إنها " من حجج الله تعالى في القسم البالغة الدلالة على هوان الدنيا عنده (4) " . وربما كان المثل :

إذا رَيْت لحْيَانِي يَهْرُبْ ، ادْرِ أنَّ اشْكَزْ وَرَاهْ . (رقم 21)

مما قيل في خصيان الصقالبة ، لأن الأشكز هو الذي لا لحية له وكذلك صفة الخصيان . ولعله يصور ظلمهم وجورهم ، وذلك ما تؤكده كتب التاريخ .

اليهود :

تشير الأمثال الواردة في اليهود إلى اشتغالهم بالتجارة واستعمال الحيل فيها ، فمن ذلك قولهم :

إذَا رَيْت اليَهُودِ يَذم السِّلْع ادْرِ أنُ يَشْتَرِيهَ (رقم 31)

---

(1) المقتبس 2 : 253

(2) المصدر السابق : 2 : 30

(3) اعمال الاعلام : 103

البيان المغرب : 3 : 158 ، 162

إذا أَفْلَسَ اليَهُود يفَتّشْ دَفَاتِرْ وِلْدُ . (رقم 57)
حَاجَ بِقِطَاعْ يَهُودِ يَقْضِيهَا . (رقم 805)

ويشير أحد الأمثال إلى أن جل الصاغة أو كلهم كانوا من اليهود ، وإذا تعاطى مسلم هذه الحرفة احتقره الناس وازدروه :

مُسْلِم صَاغَ : يَهُودِي احْسَنْ مَنُّ . (ابن عاصم رقم 758)
وهكذا كانت الحال في المغرب قديما .

وفي بعض الأمثال ما قد يشير إلى استخدام اليهود في قبض الجبايات وغيرها من الشؤون المالية ، وهو أمر معروف في التاريخ الاسلامي بالمشرق والمغرب ، ولكنه كان في الأندلس - فيما يبدو - على نطاق أوسع منه في المشرق ، مما أثار لدى عامة أهل الأندلس وخاصتهم كثيرا من السخط والامتعاض والانتقاد ، ونجد هذا في نصوص نثرية وشعرية لابن حزم وابن الجد الأشبيلي وأبي إسحاق الألبيري وأبي حفص الزكرمي وأبي موسى عيسى الشريشي وغيرهم .

وتنسب الأمثال إلى اليهود طائفة من المساوئ كالجبن واللؤم ورقة الدين :

لِس يفزع فَرَسْ طَبّال بِيهُودِ وَراهْ . (رقم 1170)
خَنَافُ ، يَجْلِسْ فَوق ضِيَافُ . (رقم 899)
أَرَق مِنْ دِينْ يَهُودِي . (ابن عاصم رقم 13)

ونرى المسلمين الأندلسيين يستعملون في أمثالهم في اليهود الألفاظ القرآنية الواردة في بني إسرائيل كاللعنة والشقاء وغضب الله فهم يقولون :

خَادِمْ شَنُوغَ : شَاقِي مَلْعُونْ (ابن عاصم رقم 396) .
بَحَلْ يَهُودِي في غَضَبِ اللّهْ . (ابن عاصم رقم 296)

وقد سخروا في بعض أمثالهم من جنائز اليهود ومقابرهم ومعابدهم ورجال دينهم ، فقالوا :

جَنِيزَتْ يَهُود : الجَرِي والسُكَاتْ (ابن عاصم رقم 364)

وفي هذا المثل الذي يصور عادة يهود غرناطة في الجنازة مفارقة ملحوظة من حيث إن الإسراع المنتقد على اليهود يقتضي أن العادة الإسلامية في الأندلس كانت بالعكس ، وهذا يخالف ما ورد في السنة ، ففي الحديث : " إذا مت فأخرجتموني فأسرعوا بي المشي ، ولا تتهودوا كما تهود اليهود..." وفي حديث آخر : "ولا تدبوا بها كدبيب اليهود " . ويدل

انتقادهم سكوت اليهود في تشييع جنائزهم على ما جرى به العمل في الأندلس والمغرب من تشييع الجنازة بالتهليل ، وهو بدعة ، إذ السكوت هو السنة .

وقالوا في صفة قبر اليهود :

قَبَر يهودي : شَط ضيِّق . (ابن عاصم رقم 571)

وشط = شاط أي طويل ، وقد تكون تحريفا لكلمة : شق ، والانتقاد هنا واضح ، فمن سنن القبر في الإسلام عدم الضيق وعدم الشق ، وفي الحديث : " اللحد لنا والشق لغيرنا " .

ومن أمثالهم في "شنائغ " اليهود :

بَحَلْ ربِّي في شنوغ : يتحرك ويبزق . (رقم 642)

ولعله يصور عدم عناية اليهود بنظافة معابدهم ، أما المساجد فإن البصاق فيها خطيئة كما ورد في الحديث .

ويدل ورود " الشنوغة " أي معبد اليهود في هذه الأمثال على الحرية الدينية التي كانت لليهود في ظل الحكم الإسلامي بالأندلس . وفي كتب " النوازل " إشارات إلى أنه كان لشنوغة اليهود وقفها الخاص مثلما كان للمسجد .

ولكن تسامح المسلمين في الأندلس مع اليهود كان يقابل بألوان من دس هؤلاء ومكرهم ، والأدب الأندلسي - علاوة على التاريخ - حافل بما يدل على ذلك ، وحسبنا أن نستشهد هنا بنموذجين لشاعرين غرناطيين هما ابن الخطيب الذي يقول :

وعصبةِ شرٍّ من يهودٍ لقيتها	يجانبها داعي الهدى ويخلِّيها
إذا آمنوا واستوثقوا الباب أعلنوا	خبائث ما كان اللسان ليفشيها

وابن جزي الذي يقول :

ورب يهودي أتى متطببا	ليأخذ ثارات اليهود من الناس
إذا جسّ نبض المرء أودى بنفسه	سريعا ، ألم تسمع بفتكة جساس

ومن الإضافات التي تجري مجرى الأمثال :

غرناطة اليهود .

يسانة اليهود .

روطة اليهود .

وكأن ذلك يقال لكثرة اليهود بالأماكن المذكورة . وثمة عبارة تشبه أن تكون مثلا وهي قولهم :

عود صفر اليهودي (؟)

وفيها إشارة إلى اللون الأصفر الذي كان يميز به اليهود في الأندلس ، وقد غير إلى "الأزرق" في عهد الموحدين ثم عاد اليهود بعد ذلك إلى " الأصفر " في العصر الغرناطي ، ولابن الخطيب تشبيه لطيف يصور فيه هيئة اليهود في لباسهم وصلاتهم :

كأن رئيس القوم عند صلاتهم	وقد أومات للارض صفر شواشيها
أقاح أمالتها الرياح على الثرى	وقد أسقطت عنها بياض حواشيها

العبيد :

كان الرقيق بنوعيه الأبيض والأسود منتشرا بالأندلس ، وكان النوع الأول يجلب من البلدان المجاورة بطريق الغزو أو بواسطة النخاسين الذين كانوا من اليهود في الغالب ، وكانت "الصوائف " مددا لا ينقطع لهذا النوع من الرقيق ، وظلت الحال كذلك إلى أن مات المنصور ابن أبي عامر ، وفي أيام ولده عبد الملك الملقب بالمظفر " تولع نخاس الرقيق بكلمة تعريض وهي : " مات الجلاب مات الجلاب (1) " أما الرقيق الأسود فكان يجلب من بلاد السودان عبر المغرب ، والأمثال تشير إلى كثرة العبيد السود في بعض البيوت . فتقول :

أَسْوَدْ عَلَى أَسْوَدْ ، هَم انْ لا يُرْفَدْ . (رقم 262)

وقد كان اتخاذ العبيد للخدمة من شارات الكبراء أو من يحاكيهم كما في المثل :

البَغْلْ المُسَمَّرْ ، والعَبد المُشَمَّرْ . (رقم 478)

وكما في قول الشاعر الأندلسي :

أيَا حَاسِداً عَبْد العَزيز وحَاكِياً	لَهُ مَنْزعًا قَدْ سَارَ فِيه عَلى أصْلِ
فَهَبْكَ تُحَاكِيه بعَبْدٍ وبَغْلَةٍ	فَمَن لكَ أن تحكيه في القول والفعل (2)

---

(1) البيان المغرب 3 : 13

(2) المغرب 1 : 191 . وهما ينظران الى قول ابي الحسن السلامي (اليتيمة 1 : 415) :

قد قلت حين أفاض أحمد سيبه	يا شقوة المتشبهين بأحمد
يشرون مثل جياده وعبيده	أفيقدرون على ابتياع السؤدد

ويفهم من بعض أمثالهم أنهم كانوا يفضلون الأسود على الأبيض إما لصبره وتحمله وطاعته وإخلاصه ، وإما لأغارض مبتذلة ، وفي ذلك يقولون :

طُلْ ما تَجِد اسْودْ ، لا تسَخَّر ابْيَض . (رقم 1063)
لا تَعْمَل خَصْلَ إلاَّ مَع أسْوَدْ . (رقم 2013)
لَو كانْ ماعُ أسْودَ عاقِل ماكيعشش في قَراعَ (ابن عاصم رقم 613)

وثمة مثل يبدو أنه يصور ترف السادة وتسخير الإماء في كل شيء ، وذلك حين تنادي سيدة البيت أمتها قائلة :

عَفْرا ، خُذْ بِيَد سيدك يَخْرَا . (رقم 1713)

وقد أشار ابن حزم في طوق الحمامة إلى فئتين من الجواري : فئة تتخذ " للنسل واللذة والجال الحسنة (1)" وأخرى تتخذ " للخدمة " .

وجاءت عبارة " غلام الخدمة " في المثل التالي :

غلام الخدم ، لا يباع ولا يرهن . (رقم 1734)

ولكنا لا نعرف هل هذا مدح أو ذم ، وهل يفيد معنى الحرص عليه والضنانة به ، أم أنه يدل على قلة ثمنه وزهد الناس فيه . وقد وردت أمثال في تقديم السوداء على البيضاء .

السُّود للسَّادة ، والبيض للرمادة . (رقم 289)
كَمَا خَدمْت سَوْدَ ، تَخْدم بَيْضَ . (رقم 1142)
رَجَعَت الرميد ، احْسَن مِن الولِيد . (رقم 977)

والظاهر أنها تقال عند انقلاب الأوضاع ، فقد جاء نقيض هذا في مثل آخر عند ابن عاصم ولعله بصيغة الاستفهام الإنكاري :

البيض الشُّقَر ، كيف السُّود النُّقَر ؟ (رقم 165) .

وليس على الأمة السوداء أن تقوم بقضاء حقوق اجتماعية ، كعزاء أو نحوه ، فإذا فعلت عُدّ ذلك منها فضولا ولقيت سوء الجزاء كما في المثل :

فُضُول سَوْدَ في خبير : مَشَت تعزّي أُبِيعَت في الأكفان (رقم 1743)

أما قولهم :

شُوَى شُوَى يطْلَع مَيْمُون للسَّرير . (رقم 1906)

---

(1) طوق الحمامة : 80

فهو في رأينا يشير إلى تشوف العبد إلى سيدته بسبب المخالطة ورفع الحجاب والكلفة ، ذلك أن اسم ميمون كان من أسماء العبيد في الأندلس والمغرب ، ودليل هذا قول الشاعر الأندلسي :

قالتْ له عِرسُه إذ جاء ينكحها　　ماذا دُهيت به من كُلِّ عِنّين
هَلاَّ استَعَنْت بميمونٍ فقال لها　　إني استعنت على نفسي بميمون (1)

ولهذا نراهم يوصون بعدم مداخلة العبيد والامتزاج بهم فيقولون :

مَنْ خَالط الخدَم نَدَمْ . (رقم 4120)
الخديمْ لا يَكُون نَديمْ . (رقم 109)

والعثور على الخادم الكيّس الأمين أمنية منشودة :

يَا عَلى مميّز ونَنفقْ عليه ! قال : وإذا كان مميّز ينْفقْ
عَلى روحُ . (رقم 2147)
اعطني مُمَيّزْ ننفق عَلَيْه ! قال : المُمَيّز ينفق عَلَى
روحُ . (ابن عاصم رقم 266)

ولكن هذه الأمنية المنشودة لا تتحقق دائما ولهذا نجد الشكوى من بلادة العبيد أو غشهم في هذه الأمثال وفي الشعر الأندلسي فصيحة وعامية ، ومن شواهد ذلك قول حفصة الركونية :

يارب إنّي من عبيدي على　　جَمْر الغضى ، ما فيهمُ من نجيب
إمّا جهُولٌ أبلهٌ متعبٌ　　أو فَطِنٌ مِنْ كَيْده لا يُجيب

وقول ابن قزمان في توبيخ خادمه زاد المال حينما لم تحسن التصرف (زجل رقم 88) :

يا حَسبنا الله ! قُل لي : خادم سوْ　　أي هُروبك اخرُجْ... للضَّوْ
سخَط الله على بَني قَوْقو　　ولَعَنْهم وابْلا قِنو بنَارْ

ويذكرنا اسم " زاد المال " ـ وهو من أسماء الاماء ـ بهذا المثل الذي يشير ـ فيما نخمن ـ إلى رغبة هذه الفئة في التخلص من الرق :

زاد المال ! قال : لَوْ شَاء الله خلصه . (رقم 1011)

ويذكر ابن حزم أن خلفاء بني مروان في الاندلس كانوا مجبولين على تفضيل الشقرة ، وكانوا هم أنفسهم شقرا (2) ، ويبدوا أن الناس كانوا على

---

(1) زاد المسافر : 61 ، نفح الطيب : 5 : 561
(2) طوق الحمامة : 28 ـ 29

مذهبهم ، ومن هنا نجدهم يعتبرون السوداء غير جديرة باسم المرأة في المثل التالي :

لِسْ يَدْرِي أحَد لامَرَ قيمة حتّى يُتَّخَذ معَ سَودَه . (رقم 1204)

وفي الأمثال أن انتعال الأمة السوداء واحتجابها خلاف الأصل والعادة :

سَودَ باحْفَاف ، من الخِلاف . (ابن عاصم رقم 434)

قُفل عَلَى مقْبَض قُلَّة . (رقم 1793)

وهم يعبرون عن الحادث التافه الذي لا يعبأ به ولا يلتفت إليه بقولهم :

سَوْدَ زَنَتْ ، قَال : قُلَّة انْكَسَرَتْ . (رقم 1831)

سَوْدَ زَنَتْ ، مَعْزَ فَسَتْ . (ابن عاصم رقم 435)

ومع أن الدين يوصي بحسن معاملة الرقيق فإن الواقع كان أحياناً بعكس ذلك كما في المثل :

اسْوَد بلا سِيَاط بحال جامِعْ بِلا حُصور . (ابن عاصم رقم 235)

والعبد حسب مثل آخر لا ينادى ولا يحمل أسماء الأحرار وإنما يؤمر ويختار له اسم من أسماء العبيد ، ولعل ذلك معنى ما يلي :

اشْ اسْوَد إذا أُقِلَ سيدي احْمَد . (ابن عاصم رقم 72)

وهو لا يعرف طعم الراحة ، فإذا انتهى من عمل كلف بآخر وهذا ما يشير إليه المثل :

اَطْلَق الفَأسْ خُذ المصْحا . (رقم 442)

وإذا اعتنى بالعبد فإن ذلك لغيره لا لنفسه كما في المثل :

اشْتَرى اقْرعْ وطَبُ ، واعمَلُ جُمَيْمَ بَشْ تحبُ (رقم 422)

ولهذا كان الإباق أكبر أمنية لدى العبد ، وفي ذلك المثل :

أُقِل للأسود اشكتعمل لو كُنْت سُلْطَان قال ناخُذ ألف متقال ونهْرب (رقم 19)

ولعل المثلين التاليين :

اَفْتَشْ عَنْ أسْوَدْ فالظّلْمَة . (رقم 424)

بحَلْ عَزّي في حَبْسْ . (ابن عاصم رقم 302)

يشيران إلى إباق العبيد وسجنهم بسبب ذلك ، ونقل ابن عذارى في البيان المغرب أنه لما قامت إمارة مبارك ومظفر العامريين في شرق الأندلس " انفتح على المسلمين ببلاد الأندلس أمر شديد في إباق العبيد إذ نزع

إليهم كل شريد طريد وكل عاق مشاق (1) " وثمة أمثال تصور شعور العبيد بالحرمان ورأيهم في سادتهم ومنها قولهم :

لَعِب سِتّى مَعَ سِيدِي . (رقم 1237)

واحِد مَع عِيَال ، وَأنَ نَقْبَضْ خَيَالُ (رقم 1937)

لا سِتّى شَيْ وَلاَ سِيدِي شَيْ . (رقم 1993)

شَتَمتْ مَوْلاَيَ تَحْتْ كِسَايَ . (رقم 1881)

وإذا كان تسرى البيض أو زواجهم بالسود شيئا طبيعيا فإن زواج الاسود أو المولى بالبيضاء كان مما يثير الانتقاد والسخرية كما في قول الشاعر الأندلسي :

عَرَبِي مُزَوج عَبْدَهُ بِنْتَ أُخْتِهِ
قَبَّحَ الله مِثْل ذا ورَمَاهُ بِمَقْتِهِ (2)

ويقول القاضي ابن حمدين في عبد أسود يخاصم زوجة له بيضاء :

رَأَيْتُ غُرابًا عَلَى سَوْسَنَه فَكَانَ بَشِيرا بِسُوءِ السَّنَه
فَيَا مِروَدَ السَّاجِ زِدْ عِزَّةً ويَا مُكْحُلَ العَاجِ زِدْ مهونه (3)

الحكام

السلطان :

وردت أمثال أندلسية كثيرة في السلطان وما يتصل به ، وهي تتخذ منه موقفا مشوبا بالحذر، ويغلب عليها طابع النقد بصفة عامة ، وقد صورت بعض الأمثال صلة الأمير بالرعية فذكرت أنها صلة تقوم على الجور ، وأن سعادة الأمير تكون على حساب شقاء الرعية :

إذَا سَمِعْت الأمير يغَنّي ، ادر أن همُومِي تَبْكِي . (رقم 32)

وفي مثل آخر أن طاعة الرعية للأمير تقوم على القهر والقسر لا على الرضى والقبول :

عَبِيدكْ اسدْنَا ، قَالْ : بالزَّزْ لا بالرّضَى . (رقم 1645)

---

(1) البيان المغرب 3 : 160 ، والحلة السيراء :
(2) جذوة المقتبس : 372
(3) رايات المبرزين : 39 والف باء : 444

كما تذكر بعض الأمثال أن سياسة الرعية لا تستقيم إلا بالشدة حسبما يفهم من هذين المثلين :

إذا ارْتَفَعَت المقَارِعْ ، قَطَعَت الكِلاب الشَّوارعْ . (رقم 44)

السِّياط السيف سَلاَمَة . (ابن عاصم رقم 178)

وقد ورد ما يشير إلى المثل الأخير في رسالة لبعضهم يصف فيها ابن عباد القاضي المتآمر في أيام الطوائف إذ يقول : "ثم رفع السوط السيف ، فأوجع قلوب المسلمين باللسان واليد ، يحكم كيف شاء في أبشارهم (1)" .

وأشاروا إلى الهيبة التي يفرضها السلطان من حوله وما يأخذ به من أبهة حتى أنه لا يجوز أن يخاطب بما يخاطب به الناس بأن يقال له مثلا : كيف حالك :

لِسْ يُقَال السُّلطان أَشْحَالَكْ . (رقم 1206)

ويبدو أن هذا تقليد أخذه العرب عن الفرس ، جاء في العقد (2 : 124) : " وقال يحيى بن خالد بن برمك .

مساءلة الملوك عن حالها من سجية النوكى ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ؟ فقل : صبَّح الله الأمير بالنعمة والكرامة ، وإذا كان عليلاً فأردت أن تسأله عن حاله ، فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة ، فإن الملوك لا تسأل ولا تشمَّت ولا تكَيَّف ، وأنشد :

إنَّ المُلُوكَ لاَ يُخَاطَبُونَــــا ۝ وَلاَ إذا مَلُّوا يُعَاتَبُونَـــــا

وفِي المَقَال لا يُنَازَعُونَــــا ۝ وفِي العطاس لا يُشَمَّتُونَــا

وفي الخطابِ لا يُكَيَّفُونَـــا ۝ يُثنى عليهم ويبجلونا

فَافْهَمْ وَصَاتِي لا تَكُنْ مَجْنُونَـــا ".

أما من الوجهة التاريخية فقد ذكر ابن سعيد أن إظهار الهيبة كان قاعدة من قواعد الحكم في عهد أمويي الأندلس (2) قال : "وكان خلفاء بني أمية يظهرون للناس في الأحيان على أبهة الخلافة ، وقانون لهم في ذلك معروف ، إلى أن كانت الفتنة ، فازدرت العيون ذلك الناموس واستخفت به (3)" .

ووصف الحال في عهد ملوك الطوائف فقال : " ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسّطون للخاصة وكثير من العامة ويظهرون مداراة الجند وعوام

(1) الذخيرة 1/2 : 161

(2) نفح الطيب 1 : 198

(3) نفح الطيب 1 : 199

البلاد (1)" ، وقال في ابن هود الذي ثار على الموحدين : " وكان مع العامة كأنه صاحب شعوذة ، يمشي في الأسواق ويضحك في وجوههم ويبادرهم بالسؤال وجاء الناس منه ما لم يعتادوه من سلطان (2) " . وكان بعض سلاطين بني الأحمر على هذه الصورة كما وصفهم ابن الخطيب .

وقد زهد بعض أمثالهم في معرفة السلطان وحذر من مخالطته :

السُّلطان ، مَنْ لاَ يعرفُه السُّلطَانْ . (رقم 375)

وجاء ما يناقض هذا في قولهم :

إذا كنت فضولي كن في جيهة المخزن (3) (ابن عاصم رقم 53)

ومثل هذا التناقض شائع في التراث في مثل هذا الموضوع ، ونجده عند ناظمي الأمثال والوصايا والحكم كابن ليون وابن خاتمة من الأندلسيين على سبيل المثال ، يقول الأخير محرضا على خدمة السلطان :

إذا شئت عزا فاغش أبـــــــ	واب الملوكِ ولا تُبَلْ
فالذُّلُ من قِبَلِ المـلــــو	كِ أجل من عِزّ الخَوَلْ

ويقول في التحذير منها :

خف السَّلاطِينَ واحذر أن تَلابِسَهم	ما دامَ أمرُهم في المُلْكِ مضطربا
إنَّ المُلوكَ بِحَارٌ في خلائقِهم	ومن سَمَا البحرَ في أهْوالِه عطِبا

ومال السلطان لا يجرؤ أحد على سرقته أو تبديده، كما قد يفهم من هذا المثل :

تَعْلِيقَة القصرْ ، لا مَسْروقْ ولا محروقَ . (رقم 712)

و السلطان إذا أعطى شيئا فإنه يسترده أضعافا مضاعفة :

مَنْ أكَلَ بَيْضْ المُلُوكْ... (رقم 1429)

وإذا استعمل أحد متاع السلطان فإن عاقبته تكون سيئة :

مَنْ أدْهَنْ بِزَيْت السُّلْطانْ ، أقْرَعْ يَصْبَحْ . (رقم 1402)

وحوادث القصور والأمراء يهتز لها الناس ويشغلون بها كما قد يدل على ذلك هذان المثلان :

حُمَّى القَصَرْ : تِرِعَدْ الطَّواجِنْ فَالفُرْنْ . (رقم 802)

صَفَا زَيْتْ الفُقَراء ، في ذِكْر الأمَرَاء . (رقم 1596)

---

(1) المصدر السابق : 1 : 200

(2) الموضع نفسه

(3) يشبهه في امثال فاس : المخزن هرب ليلو لا تهرب منو . ابن سودة : 413

وما يستعمله السلطان متميز مما يستعمله غيره :

بَحَال فَرس سُلْطَان مَلِيحْ وعَاقِلْ . (ابن عاصم رقم 292)

وبنت السلطان لا تعرف معنى الجوع :

سَمِعَت بِنت السُّلْطان السَّاعِي يَسْعَى ، قَالت :

كِتَّعْمَل شَبَات بشَحْمَ ؟ (رقم 1845)

وقد عرفت الأندلس في تاريخها ثورات وفتنا عديدة نغصت على بعض الملوك نعيمهم حتى قال أحدهم : " نغص علينا كل شئ حتى الموت (1) " . نجد صدى هذا في أمثالهم إذ يقولون :

جَا التَّاجْ ، في وقت انْ لاَ يُحْتَاجْ . (رقم 782)

مَنْ مُلِّكْ ، أُهْلِك . (1460)

ولابن الخطيب نص طريف يعلل فيه بإجمال كثرة الثوار في تاريخ الأندلس ، يقول فيه :

" والثوار في دول بني أمية متعددون ، شقيت بهم الملوك ، وتنغصت بهم الخلفاء ، واضطروا إلى مسالمتهم تارة ومحاربتهم أخرى وجعلوا رسم الوفاء لمن عاهدوه منهم سياسة لولاها لجل الخطب ولم يخلص الملك .

والسبب في كثرة الثوار بالأندلس يومئذ ثلاثة وجوه :

الأول : منعة البلاد وحصانة المعاقل وبأس أهلها بمقاربتهم عدو الدين فهم شوكة وحد بخلاف سواهم .

والثاني : علو الهمم وشموخ الأنوف وقلة الاحتمال لثقل الطاعة إذ كان من يحصل بالأندلس من العرب والبرابرة أشرافا يأنف بعضهم من الاذعان لبعض .

والثالث : الاستناد عند الضيقة والاضطرار إلى الجبل الأشم والمعقل الأعظم من ملك النصارى الحريص على ضرب المسلمين بعضهم ببعض (2) ".

وهذا ما تشهد له الأمثال أيضا ، فهم يقولون :

حِصْنِي ، ولاَ مَنْ يَقِسْنِي . (رقم 841)

رَجَل فالْجَبَل ، ولاَ رجَلْ فالكَبَلْ (رقم 981)

كما عرفت العامة في الأندلس بروح الثورة والانتقاد ، وبخاصة أهل قرطبة ، يقول ابن سعيد متحدثا عن أهل قرطبة : " إلا أن عامتها أكثر الناس فضولا

---

(1) الذخيرة 2/1 : 240

(2) أعمال الاعلام : 35

وأشدهم تشغيبا ، ويضرب بهم المثل ما بين أهل الأندلس في القيام على الملوك ، والتشنيع على الولاة ، وقلة الرضا بأمورهم ، حتى إن السيد أبا يحيى أخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها : كيف وجدت أهل قرطبة ؟ فقال :

مثل الجمل ، إن خففت عنه الحمل صاح ، وإن أثقلته صاح !
ما ندري أين رضاهم فنقصده ، ولا أين سخطهم فنجتنبه ، وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرا من عامة العراق ، وإن العزل عنها لما قاسيته من أهلها عندي ولاية ، وإني إن كلفت العود إليها لقائل :
لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (1) " .

ومن أبرز الأمثلة على ذلك فتنة قرطبة المعروفة ، وإذا كان السيد أبو يحيى ضرب مثل الجمل لتصوير موقف أهل قرطبة من رجل السلطة فإن ابن الخطيب يشبه حال صاحب الدولة في الأندلس بحالة الشيخ وابنه والحمار (2) ، وهو مثل قصصي كان شائعا في الأندلس فقد ضربه مثلا - قبل ابن الخطيب - موسى بن سعيد الغرناطي لولده أبي الحسن " في اختلاف مذاهب الناس وأنهم لا يسلمون لأحد في اختياره " حينما شكا إليه ما سمعه من انتقاد في كتاب " المغرب " (3) .

ومن مظاهر ذلك أيضا أنهم كانوا ينبزون ملوكهم بالألقاب والكنى ، فقد كنوا عبد الرحمن الأوسط بأبي الغرانيق مَعَ أنهم ذكروا أيامه بالخير ، فقالوا :
أيَّامُ أبو الغَرَانِقْ . (رقم 362)

ولقبوا ابن عبد الجبار بالمنقش لطيشه وخفته (4) ، وكانوا ينبزون المنصور بن أبي عامر بالأحدب (5) ، وقد وصلت إلينا بعض أمثال يبدو أنها تشير إلى ذلك الصراع المعروف بين الأمويين والعامريين وأشياعهم ، فمن ذلك قولهم عند موت غالب :

إِنْ كَانَ مَضَى غالِبْ ، بَقَى الغَالِبْ . (رقم 190)

وأغلب الظن أن بعض الأمثال التي يذكر فيها الأحدب هي في الأصل مما قيل في المنصور بن أبي عامر ، ومنها هذا المثل الذي أورده ابن عاصم :

---

(1) نفح الطيب 1 : 147
(2) ذكر ابن الخطيب المثل وقصته في معرض التعقيب على قول أهل قرطبة لما بنى هشام الاول القنطرة العظمى بقرطبة أنه انما بناها لصيده ونزهته ، اعمال الاعلام : 12 - 13
(3) نفح الطيب 3 : 93 - 94
(4) البيان المغرب 3 : 50
(5) البيان المغرب 2 : 281 ، والحلة السيراء 1 : 227

ارْمِ احْدَب ، تَجِد أَحْدَب . (رقم 052)

قال ابن عاصم : وهذا كقول الشاعر :

وليْسَ يهْلِكُ منَّا سَيِّدٌ أبَدًا إلا افْتَلَيْنَا غُلامًا سيِّدًا فِينا

ويبدو أنهم قالوه حين جعل المنصور الحجابة وراثية في بنيه (1) ، ومن هذا القبيل فيما نرى قولهم :

إذا رأيت أحْدَبْ يُصلب زيدْ شَدًّا . (ابن عاصم رقم 43)

وإذا صح أنه مما قيل أصلا في العامريين فإنه يعبر عن مبلغ الحقد الذي كان يكنه لهم المروانيون وأشياعهم ، وقد تجلى في تمثيلهم بجثة عبد الرحمن ولد المنصور المعروف بشنجول (2) ، وهدم مدينة الزاهرة (3) . وفي البيان المغرب : " وكان أهل قرطبة على الجملة من قلة الرضى عن املاكهم العامريين بحال من الجور عظيمة إلى أن وثبوا عليهم فأهلكوا الدولة وبها حان حينهم والله يحكم لا معقب لحكمه" (4) . ووصلت إلينا بعض الأمثال التي تشيد بآثار الأمونيين مثل قصر الرصافة ومدينة الزهراء كقولهم :

بِذا الصَّفْصَافَهْ ، انْكَمَلَتْ رُصَافَهْ . (رقم 552)

ما انْبنَتْ الزَّهْرا مِن يَوم انْ واحِد . (5) . (رقم 1352)

عرايِس زَهْرَا : واحِدَ تِنَسِّيكْ أُخْرى . (رقم 1651)

يِمَنِّي بِالزَّهْرا ، ويسْكُن في عُش نَسْرا . (رقم 2132)

ولكن بني أمية أصبحوا في الأخير موضوعا للسخرية والاستهزاء كما في هذا المثل :

مِنْ بَنِي أُمَيَة : يَرَوا النِّعْمَة ويضْراطْ (6) . (ابن عاصم رقم 708)

وقد قالوا فيمن يذهب عنهم الملك :

وَلَد مُلُوكي انْ ضَايِع ، صَفَا المُلك وبقت الطَّبَايِع . (رقم 1945)

---

(1) البيان المغرب 2 : 193

(2) المصدر السابق 3 : 73 – 74

(3) المصدر السابق 3 : 64

(4) المصدر السابق : 3 : 13

(5) اوردنا في شرح هذا ما يقابله من آمثال عربية ، ومثله في الامثال الاسبانية :

No se fundo Roma en una hora. Kleiser, Nº 12953.

وفي الامثال الفرنسية : Paris n'a pas été bâti en un jour.

وفي الامثال الانجليزية : Rome was not built in a day.

Proverbes et dictions français, J. Pineaux (Que sais-Je?) pag. 124.

(6) يشهد لذلك ايضا ما ذكره ابن سعيد من أن بنى امية أخفوا نسبهم لما انحرف الناس عنهم. نفح الطيب 1 :

الكاتب :

وصف ابن سعيد نظرة أهل الأندلس الى كاتب الرسائل في ديوان السلطان بقوله : "وأهل الأندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة ، فإن كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه (1) " .

وقد جاء في أمثالهم ما يؤيد كلام ابن سعيد ، فهم يقولون :

بَقيَة خَليعْ : اخْيَر مِنْ بقية كاتب . (رقم 575)

الكاتب المَنْحُوس : يلقى الرّقّ مِنْ عِنْدُ . (رقم 303)

القاضي :

الأمثال الواردة في القاضي هي :

افْتِنا يَا قاضِي يَرْحَمُك الّلهْ . (رقم 401)

بَحَل مظْلُوم لبَابْ قَاضِي . (رقم 609)

ما بَيْن قاضِي وزامر . (رقم 1516)

اشْ يَسْمعْ القَاضِي مِنْ ساكِت . (ابن عاصم رقم 122)

اشْ تَجِي عزيزَ مِن القاضي . (ابن عاصم رقم 6)

إذا كَان القاضي خَصيمَك لمَنْ تَشْكِي . (ابن عاصم رقم 31)

صاحب المدينة والشرطة :

ذكر ابن سعيد خطة الشرطة بالأندلس فقال : " ويعرف صاحبها في السن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل (3) " . وقد ورد اسم صاحب المدينة في مثل ذكره ابن عاصم وهو :

صَاحِب مَدينة فتّشني عندَكْ أحَدْ ؟

---

(1) نفح الطيب 1 : 202

(2) نفح الطيب 1 : 203

ووصفوا أخلاق رجال الشرطة وما كانوا عليه من سوء الأدب والمعاملة فقالوا :

بَحَال شُرطِي : ياكُلْ مَعَك ويكسَّر الصحْفا في راسَكْ. (ابن عاصم رقم 285)

وقالوا فيهم أيضا :

شُرط بيَّاسَة يقْتَنِعُ بالزَّز . "(رقم 1887)

رضَى الشُّرطِي بالشَّرْطَنَة ومَ يَرْضَى بالفَرصَنَة(الفرسنه). (ابن عاصم رقم 16)

كما سخروا من الحرس والعسس في بعض أمثالهم (1) .

المحتسب :

عرف الأندلسيون باهتمامهم البالغ بخطة الحسبة وضبط أصولها وأحكام قوانينها كما تشهد بذلك مؤلفاتهم العديدة فيها ، وكان الضرب والتجريس في الأسواق والنفي من البلد ، مما يعاقب به أهل الغش ، وقد اشتهر المحتسب بالشدة على أهل الأسواق ، وذكرفي ترجمة بعضهم أنه كان " يضرب الباعة ضربا شديدا مبرحا (2) " وهذا ما جاء في أمثالهم أيضا :

بَحَلْ مُحْتَسِب : يَضْرب ويطَوّفْ . (رقم 668)

ويبدو أن أساليب الغش كانت بطريقة تبرر هذا العقاب كما في المثل :

راهِي زبد ، أوَّل مَصْبُوغْ واخِر ثَرْد . (رقم 982)

الفقهاء :

كان للفقهاء مكانة خاصة في المجتمع الأندلسي إذ كانوا رجال دين وقضاء فمنهم الأئمة والخطباء والقضاة والمشاورون والعدول ، وقد استمدوا مكانتهم ونفوذهم من المجتمع الذي كان يجلهم ، والدولة التي كانت تظهر احترامهم والنزول عند رأيهم حفاظا على تقليد معين ظهر في عصر بني أمية واستمر حتى نهاية الأندلس ، ولهذا كانت سوق الفقه بالأندلس نافقة والإقبال عليها كثيرا . وربما كانت وحدة المذهب المالكي وطابعه والصراع بين الإسلام والمسيحية من العوامل في المكانة الخاصة التي كانت للفقهاء ، وكثيرا ما كانوا يتولون زمام الأمور في بلدانهم ، كما حدث في فترة الطوائف الثانية على سبيل المثال . وقد أثارت مكانة

(1) الارقام : 232 ، 305 ، 491 ، 492

(2) المقتبس 2 : 77 ، نفح الطيب 1 : 203

الفقهاء هذه هجاء بعض الشعراء ونقد بعض الزهاد كأبي إسحاق الألبيري ، وأما هجاء الشعراء للفقهاء فهو كثير ، ومنه قول الأبيض :

أَهلَ الرّياء لبستُم نَاموسَكُم … كالذئبِ يختلُ في الظّلام العاتم
فملكتُم الدُنيا بمذهَب مالِكٍ … وقسمتمُ الأموالَ بابْنِ القَاسم
وبأشهَب شُهْبَ البغال رَكِبْتُم … وبأصبَغ صُبِغَت لكم في العالَم (1)

وقول ابن الطراوة :

إِنْ جئتهُم فَارغا لزُوكَ في قَرنٍ … وإن رأوا رشْوةً افتوكَ بالرُخَصِ (2)

وقول ابن خفاجة :

دَرَسُوا العلُوم ليملكوا بجدالهم … فيها صدورَ مراتبٍ ومجالس
وتزهّدوا حَتّى أصابوا فُرصَة … في أخْذ مال مساجدٍ وكنائس (3)

قال المقري : " وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا " ونجد نماذج عديدة من هذا الشعر في " زاد المسافر " وغيره .

وقد وردت أمثال عديدة في نقد الفقهاء فمنها ما يصور تهافتهم على المال وتسارعهم إلى العطاء كقولهم :

أَسْرَعْ مِنْ يَد فَقِي إذا أُقِلُّهْ : خُذْ . (رقم 506)

ومنها ما يصف قلة ورعهم وعدم عملهم بعلمهم كقولهم :

خَافَ اللّه واتّقِيه ، ولاَ تِعَامل الفَقِيه . (رقم 924)
الفَقِيه الدُكَالي ، اعمَل بقَولي ولاَ تعمَل
بأَعمَالي (ابن عاصم رقم 160)

وبالغوا في بعضها فذهبوا مذهب الهجاء كقولهم :

فَقِي فَجر (فَاجِر) : كَلْب احْسَنْ منُّ . (ابن عاصم رقم 549)

وأشار مثل آخر إلى حذقهم بالشراء أو إلى محاباة الناس إياهم :

شِرَ فقِي : جَيّد ورَخِيص . (رقم 1876)

وعند ابن عاصم :

شِرى فَقِيهْ : طَيّب ورخِيصْ ومُوصَّل للدَّار (رقم 453)

---

(1) زاد المسافر : 71 ، نفح الطيب 4 : 420 ونسب في المعجب لابن البنى
(2) المقتضب من تحفة القادم : 11
(3) نفح الطيب 4 : 281

ووصفوا أكله فقالوا :

أَكَلْ فَقِي : دُنْ زريبْ . (رقم 263)

فهذه الأمثال - فيما نرى - تمثل رد الفعل لدى العامة تجاه المكانة التي كانت للفقهاء ، وفي الأمثال الإسبانية أيضا مجموعة كبيرة مما قيل في الرهبان بالرغم من المكانة التي لهم في المجتمع الإسباني (1) .

وهناك فئة أخرى كانت هدفا لنقد الأمثال أيضا وهي فئة الحجاج ، ويشار إليهم في كتب التاريخ عند ذكر أهل العقد والحل (2) ، كما نجد ابن قزمان يذكرهم بعد الفقهاء والشيوخ كقوله :

عَهْدي بالْقَرِيّ إذ كُنَّا خِلاف لاَ فَقِي وَلاَ حَاجْ لمن كان نخاف (3)

وقوله :

والرَّبَضْ لاَ شُيُوخْ وَلاَ حُجَّاجْ (4) .

ولما كانوا مع الفقهاء يمثلون الرقابة الأخلاقية في المجتمع فإنهم يؤاخذون بأقل هفوة ، ومع أن الأمثال تنظر إلى الحج نظرة إجلال وتعتبر من يقوم به مثالا للرجولية الكاملة (5) ، إلا أننا نجد أمثالا عديدة في التشهير بشخصية الحاج للمعنى الذي ذكرناه .(6)

التعليم

كان التعليم منتشرا في الأندلس ولم يكن خاصا بالأولاد وإنما كان يشمل البنات أيضا وإن ورد مثل يسخر من امرأة تقرأ وتفسر (7) ، ونجد في كتب التراجم أسماء بعض المعلمات الأندلسيات (8) ، كما ذكر ابن حزم في طوق الحمامة أنه تعلم في صغره على النساء :

---

(1) توسعنا كثيرا في موضوع الفقهاء كما يصورهم الادب الاندلسي فصيحه وعاميه ، وذلك في كتابنا المعد للطبع : الاندلسيون من خلال أدبهم . أما موقف الامثال الاسبانية من الرهبان فيرجع فيه الى ما يلي : Robert JAMMES, l'anticléricalisme des proverbes espagnoles, in les langues modernes, Paris, N· 5, nov. 1958, pp. 365-383.

(2) البيان المغرب 3 : 62

(3) الزجل في الاندلس : 99

(4) الزجل في الاندلس : 71

(5) رقم (747)

(6) أنظر الارقام : 1 ، 817 ، 818 ، 1702

(7) المثل رقم (1812) في النص

(8) انظر على سبيل المثال : تاريخ ابن الفرض (رقم 1042) والتكملة (رقم 312)

" وهن علمنني القرآن وروينني كثيرا من الأشعار ودربنني في الخط (1)" .
ويستفاد من الأسماء في كتب التراجم والطبقات أن معظم أهل العلم في الأندلس كانوا من أبناء الطبقة الوسطى وأصحاب الحرف ، وفي أمثالهم ما يشير إلى نظرتهم إلى التعليم فهم يرون أنه وسيلة إلى السعادة والفلاح :

مَنْ قَرا لِسْ يَشْقَى . (ابن عاصم رقم 699)
نَحْنُ نقروا ولِسْ نفْلاَحُ ، كَيْفَ لَوْ غَنَّيْنَ . (رقم 1551)

وقد ورد اسم " الحضار " أي الكتاب في مثلين (2) ، ونجده في الاستعمال الفصيح كما في قول الحصري يرثي ولده ويذكر نباهته وحفظه :

صبية " الحضار " بكتْ ... منكَ زينَ محضرِ هـا
كنت في النهار تعي ... ما وعت لأشهُرِ هَا (3)

واسم "الحضار " أو "المحضرة " (4)ما يزال معروفا في المغرب وكأنهم سموه بذلك لحضور التلاميذ واجتماعهم فيه أو لتنافس الأقران وتسابقهم به أو لأنه يحضر التلاميذ ويهيئهم للتعليم المتوسط أو العالي ، وكان هذا يتلقى في المساجد ، وفي الأمثال ما يشير إلى أجرة المعلم (5) ، وهي مسألة كان العمل بها جاريا في الأندلس والمغرب ، إذ المعروف أن المعلم أو المؤدب كان ينتصب التعليم في " الحضار " أو " المسيد " بعقد خاص ينص فيه على مرتبه وما يشترط عليه ، وفي كتب الوثائق الأندلسية نماذج لعقود المعلمين أو المؤدبين ، ويشير أحد امثالهم إلى " الفتوح " التي كانت تقدم إلى المعلم في بعض المناسبات :

ما كان فَاللوحْ ، اطْرا من فُتُوحْ . (رقم 1307)

وهناك " الحذقة " وهي ما يدفع إلى المؤدب عند حذق القرآن وحفظه (6) ، وقد ظلت معروفة في المغرب إلى عهد قريب ، وضربوا المثل في شدة الفقر بمؤدب البرج (7) ، وهو الحصن الواقع على الحدود ، وربما دل ذلك على فقر المؤدبين في القرى والبوادي ، ذلك ما تشهد به قصيدة أبي محمد الإشبيلي في ذم أهل البادية ، وهي نص طريف في تصوير حال " المشارطين " في بوادي الأندلس يومئذ (8)، على أن بضاعة هؤلاء من العلم كانت أيضا مزجاة

---

(1) طوق الحمامة : 50
(2) رقم 531 ورقم 2000
(3) أبو الحسن الحصري : 324
(4) في المعيار 7 : 105 : «محضرة يقرأ فيها الاولاد»
(5) رقم 734 ورقم 1307
(6) طبقات الزبيدي : 278
(7) رقـم 511
(8) مخطوط خ. ع. رقـم 1725 د

في الغالب (1) . وقد كان كبار المدرسين والأساتذة على جانب من الغنى ، وذكروا أن مستفاد الشلوبيني النحوي المعروف من الطلبة كان يبلغ أربعة آلاف درهم في الشهر الواحد (2) . وربما كان المثل :

يفَرّقْ مَالُ عَلَى مُتَعَلّمين . (ابن عاصم رقم 828)

يشير إلى كرم بعض الأساتذة ، ويروى بعض الطلبة قصة في هذا الشأن تتعلق بأحد فقهاء طليطلة قال : " كنت آتي إليه من قلعة رباح وغيري من المشرق ، وكنا نيفا على أربعين تلميذا ، فكنا ندخل داره في أشهر نونبر ودجنبر وينير في مجلس قد فرش ببسط الصوف مبطنات ، والحيطان باللبود من كل حول ، ووسائد الصوف ، وفي وسطه كانون قامة الإنسان مملوء فحما يأخذ دفئه كل من في المجلس ، فإذا فرغ الحديث أمسكهم جميعا، وقدمت الموائد عليها ثرائد بلحوم الخرفان بالزيت العذب وأيام ثرائد اللبن بالسمن أو الزبد فنأكل تلك الثرائد حتى نشبع منها ، ويقدم بعد ذلك لونا واحدا ونحن قد روينا من ذلك الطعام فكنا ننطلق قرب الظهر مع قصر النهار ولا نتعشى حتى نصبح إلى ذلك الطعام - الثلاثة الأشهر (3)". كما ورد في ترجمة يحيى بن عبد الله - من ذرية الفقيه يحيى بن يحيى - أنه كان " يطعم الطلبة إذا أتم مجلس مناظرته من ثمار بستانه ، وينتظم للأكل ، فإن فضل شيء دفعه الى الغرباء ، يحملونه الى منازلهم ، وقال لهم : تستعينون به في إدامكم" (4) وكان الأندلسيون يراقبون تعليم أبنائهم ، ويختبرون حفظهم ، ولا يقبلون عذر المؤدب إذا أهمل أو قصر ، وهذا ما يفهم من المثل التالي :

لاَ صَبي يَحْفَظْ ولا مُؤَدِّب يُعْذرْ . (ابن عاصم رقم 814)

وأشار بعض أمثالهم إلى استعمال الشدة مع المتعلمين ، وضرورة تأديبهم إذا أخلوا بالأدب أو قصروا في الحفظ ، وفي هذا يقولون :

وَلَدْ بِلاَ لقَمْ ، بحَالْ خُبْز بِلاَ رَشَمْ . (ابن عاصم رقم 803)

ضَرْبْ المُعَلِّم للصَّبي كالماء للزرع . (ري الأوام 2 : 154)

مَنْ رَبَّا صَغِيرُ مَا يَنْدَمْ . (رقم 1381)

وقد ورد في الشعر الأندلسي ما يؤيد هذا الاتجاه كقول ابن خفاجة :

نَبِّه وليدكَ عَنْ صباه بزجْرَة ... فلَرُبَّما أغْنَى هُناك ذكَاؤُه

---

(1) التنبيه على المغالطة والتمويه : 73 ، 105 (مخطوط) .
(2) الذيل والتكملة 5 : 463
(3) الصلة 1 : 41
(4) المدارك 3-4 : 413

وانـهـرْه حَتّـى تـسـتـهـلّ دموعُـه   فـي صَفْحَتَيْـه وتَلْتَظي أحشـاؤه
فـالـسَّيـفُ لا يـذْكُـو بـكـفّيْك حده   حتى يـسيـلَ بصَفْحَتـيـه مـاؤُه

وصـوروا هـيـبـة الـمـعـلـم وخـوف الـتـلاميـذ مـنـه بـقـولـهـم :

كَثِيرْ مـا يـقُـول الـصِّبـيـان إذا غَـاب الـمُـعَلِّم (رقـم 1119)

وأشـارت بـعـض أمـثـالـهـم إلـى ضـرورة الـتـفـرغ لـلـتـعـلـيـم والانـقـطـاع إلـيـه :

مَـنْ فـكـثّر فـي شِـرا بَـصَـلـة : لِـسْ يَـحْـفَـظ مـسْئَلـة . (رقـم 1372)

ولـم تـخـل الأمـثـال مـن تـنـدر بـالـمـعـلـمـيـن ، فـمـنـهـا مـا يـتـهـمـهـم بـالـمـحـاباة ، ومـنـهـا مـا يـتـهـمـهـم بـبـعـض مـا لا يـلـيـق (1) ، وقـد وردت فـي ذلـك أيـضـا بـعـض الأخـبـار والـقـصـص (2) .

الاطـعـمـة

عـنـي الأنـدلـسـيـون بـالـطـبـيـخ و تـفـنـنـوا فـيـه ، واخـتـرعـوا ألـوانـا وأسـمـاء غـيـر مـعـروفـة فـي الـمـشـرق ، ووصـلـت إلـيـنـا بـعـض مـؤلـفـاتـهـم فـي هـذا الـبـاب (3) . وقـد اشـتـمـلـت الأمـثـال عـلـى أسـمـاء بـعـضـهـا ، فـمـنـهـا الـمـجـبـنـة وجـمـعـهـا مـجـبـنـات ، وهـي عـبـارة عـن طـعـام يـعـمـل مـن عـجـيـن خـاص يـحـشـى بـالـجـبـن ويـقـلـى فـي الـزيـت وقـارنـهـا الـمـقـري بـالـقـطـائـف الـمـشـرقـيـة . ولـمـا كـانـت مـديـنـة شـريـش مـشـهـورة بـتـجـويـد الـمـجـبـنـات فـقـد قـالـوا فـي أمـثـالـهـم :

مـن دخـل شـريـش ولـم يـأكـل بـهـا الـمـجـبـنـات فـهـو مـحـروم .

وكـانـوا يشـتـرطـون فـيـهـا أن تـكـون سـاخـنـة ، كـمـا جـرت عـادتـهـم أن تـؤكـل فـي الـصـبـاح ، ولـهـذا شـبـهـوا فـي أمـثـالـهـم الـشـيء الـذي يـزهـد فـيـه ويـرغـب عـنـه ويـقـل طـلـبـه والإقـبـال عـلـيـه بـمـجـبـنـة الـظـهـر إذ يـقـولـون :

مُجَبَّنَة الـظُّهَرْ : خَرَجْ نَارْهَا وَقَلْ طُلاَّبْهَا . (رقـم 1491)

وتـداول هـذا الـمـعـنـى بـعـض الـشـعـراء والـكـتـاب أيـضـا ، ومـنـهـم أبـو الـحـسـن الـدبـاج الإشـبـيـلـي الـذي يـقـول :

---

(1) رقـم 236 ورقـم 2000

(2) الذيل والتكملة 5 : 463 ، نفح الطيب 5 : 75 – 76 .

(3) منها : كتاب الطبيخ في المغرب والاندلس لمؤلف مجهول ، وقـد نشره A. HUICI MIRANDA وكتاب فضالة الخوان لابن رزين ، وهو مخطوط بمكتبة الاكاديمية للتاريخ في مدريد ، وحوله دراسة جيدة للاستاذ F. DE LA GRANJA وكتاب ثالث مخطوط في تونس .

أَحْلَى مواقعها إذا قرّبْتَهَا ... وبُخَارُهَا فوقَ الموائدِ سَامِي
إن أحرقَتْ لمسا فإنَّ أُوارها ... في داخلِ الأحْشَاء بردُ سَلام(1)

وجاء في أمثالهم أيضا :

انْتِظَار المُجَبَّنَة اخر من أَكْلِهَا . (رقم 116)

وقالوا في معنى التعاون :

قَيْجطلِّي نجبّلكْ (رقم 1800)

وتذكر المصادر أنهم كانوا يستعملون المجبنات في بعض المناسبات كحفلات الأعراس والختان (2) والنزه التي كان يخرج إليها الأساتذة مع طلبتهم ، (3) وكانوا يتهادون بها (4) ، وقد أولع بعض الشعراء من الفقهاء والمؤدبين بالقول فيها فوصفوا استدارتها وشبهوها في ذلك بالقمر كقول ابن مطرف الغرناطي :

وكمْ مُجَبَّنة هامَ الفُؤاد بهَا ... قدما وصورتها من أحْسَن الصُّور
كَأنَّهَا البدْرُ في تَدْويرهَا فإذا ... شُقَّت على النِّصْف كانت شقة القمر (5)

وشبهوها أيضا بالشمس في توهجها (6) ، والحبلى في انتفاخها ، وولدوا من ذلك معاني غريبة كقول المرسي :

شُغِفْتُ بحبِّ أبكَارٍ حُبَالَى ... ووُدّي لو بنَيْتُ بها عَروسا (7)

وقال ابن الأبار :

حَوامِلُ وهي أبْكَارٌ عَذارىَ ... تزَفُّ على الأكُفِّ مع البُكُور(8)

وجاءت بعض تشبيهاتهم في هذا المعنى سخيفة يمجُّها الذوق وتثير التقزز والاشمئزاز كقول ابن قادم القرطبي :

---

(1) المغرب 1 : 256 واختصار القدح : 156 نفح الطيب 5 : 12
(2) مذكرات ابن الحاج النميري : 11-12
(3) اختصار القدح : 156
(4) المصدر نفسه : 10
(5) المقتضب من تحفة القادم : 98 وفيه : محببة ، وهو تصحيف
(6) المصدر نفسه : 158 واختصار القدح : 156
(7) المقتضب من تحفة القادم : 158
(8) الموضع نفسه

وحُبْلى كم بقَرتُ البطْنَ منها	وما إن لِي علَيْها من حَنَـــان
ظَلَمتُ فَعِبْتُهَا مِنْ غير جُرم	بكَثْرة جُبْنِها فكوت لِسَاني (1)

ومن الأطعمة التي ورد ذكرها في أمثالهم : الإسفنج ، وهو طعام ما يزال معروفا إلى اليوم في المغرب ، ويشبه الزلابية في المشرق ، وتشتمل الأمثال على كلمات : الإسفنج وسفاج وسفينجات ، وهي تصغير سفنجات ، جمع سفنجة (2) ، وقد وردت هذه الأسماء أيضا في شعرهم كقول أبي حفص عمر بن الشهيد :

أَخْذي كذا بِركَاب الضَّيفِ أنزلُه	ألذُّ عِنْدي من الإسْفَنْجِ بالعَسلِ (3)

وقول ابن الأزرق من قصيدة قالها بمصر في الشوق إلى أطعمة الأندلس :

ولِي إِلَى الإسْفَنجِ شَـــــوْ	قٌ دائِمٌ يُطرِبُنِـــــــي (4)

ووصف الأصم المرواني سفاجا وشبه صنعته بالكيمياء فقال يتغزل:

لِلّه سفّاجٌ بداَ لِي مُسْحِـــرا	فأفَادَ عِلْمَ الكَيْمِيا بِيَمِينِهِ
ذهّبْتُ فضّة خدِّه بلَواحِظِــي	وكَذاكَ تفعلُ نَارهُ بِعَجِينِه (5)

وشبههم آخر في جلوسهم بالملوك على المنابر :

وسفّاجين تحسبهم مُلوكا	اذا صَعدوا منابرهم جلوسا

وما تزال بعض الألوان التي وردت في الأمثال الأندلسية معروفة في المغرب مثل التّفايا، والمعسّل، والشواء، وسكسو، وبركوكش، وترخص، والسخينة ، ومنها ما لم يعد معروفا مثل الاحرش الذي ورد فيه :

اللّحْم اش فالسُّوقْ فَذَا الأحْرَشْ مِنِّي . (ابن عاصم رقم 622)

وهو عبارة عن لحم يدق وتضاف إليه التوابل وتصنع منه أقراص تقلي بالزيت (7) . وجاء في أمثالهم ذكر السردين والمل والشابل من أنواع السمك ، ولم تخل من إشارة إلى بعض العادات والتقاليد كاستعمال قدر جديدة

---

(1) الذيل والتكملة 1 : 116 (مخطوط)
(2) انظر المثل رقم 1689 في النص وارقام : 719، 823، 824 في امثال ابن عاصم
(3) الذخيرة 1 : 2 : 187
(4) نفح الطيب 4 : 279
(5) نفح الطيب 5 : 131 وفيه : سفاح
(6) الذيل والتكملة 8 : 170 (مخطوط)
(7) انظر وصفه في كتاب الطبيخ في المغرب والاندلس : 22 ، 55

لطبخ المعسل ، والاكتفاء بلون الكامل عن غيره ، وتأخير المعسل وجعله عقب الألوان ، وعدم استعمال البركوكش في الضيافة .

وتُعبِّر بعض أمثالهم عن آرائهم في بعض الأطعمة كقولهم :

فجالة السَّلق ! بَعد علَيّ . (رقم 1777)

قِنَّبِيط لسْ بغَبِيط . (رقم 1784)

ونجد مصداق هذا في قصيدة لأبي عامر الأصيلي ينتقد فيها المامون ابن ذي النون لأنه يولي على الأقاليم قوادا لا عهد لهم بالنعمة فيقول :

يامالكا يجعل قواده قوما غُذوا بالسَّلق والكَفْتِ (1)

ومنها ما يشير إلى عجز الفقراء عن شراء اللحم :

افْتَح كُرُنْب سُقْتلكم ! إن اللّحم غَالي . (رقم 393)

بالأسْبَاخ ، تستغْنوا عن الأفْراخْ . (رقم 584)

بل أن منها ما يذكر عجز بعضهم عن شراء الخضر كما يفهم من هذا المثل :

الأجر درهَمَيْن ، والبقل منْ أيْن . (رقم 184)

الاعـــيـــاد

تشير الأمثال إلى الأعياد وبعض ما يتصل بها ، وقد كانت الأعياد وما تزال مناسبة لتبادل الزيارات والتحيات وسماع الأخبار والروايات ، ولكننا نجد الأندلسيين في أحد أمثالهم يعبرون عن ضيقهم بهذه العادة وينتقدونها فيقولون :

جِي العِيد بخَبر البارد وسَلام المَسُوسْ . (رقم 784)

وكان عيد الأضحى وما يزال مقرونا بكبش العيد ، وهو كلفة كان ينوء بحملها كثير من سواد الناس كما يبدو من أزجال ابن قزمان ، ومن ذلك قوله (زجل 48) :

كبش باسم الضحية يشتريه كل مرماد فـه ظاهر لله والقصدفرح الاولاد

وش يقاسي الإنسان من حرارة فالأعياد بالخروج للمصلى تنطفي ذي الحرار

(1) الخريدة ق 4 ج 2 ص 247

وقد جاء في أمثالهم ما يشعر بشئ من هذا كقولهم :
سَلِيخَة ودَمْ ، وزيل الهَم . (ابن عاصم رقم 439)
كِبَاش الضَّحايا . بالهم بَقَايا . (رقم 1155)
يَا تَرى يَا كَبْشِي ، أَي تَرْعَى وأي تَمْشِي . (رقم 1225)

أما عيد عاشوراء فهو عيد الفاكهة - كما هو الحال في المغرب - ولعل فيه ورد المثل :
أخبار التين باللوز والشريح بالجوز . (رقم 364)

نقول ذلك لأننا وجدنا شبه تلميح إلى المثل عند ابن قزمان إذ يقول في فواكه عاشوراء (1) (زجل 89) :
نَشْتَري بلّوط وقسطَل واش تَقُل قَط فالجوز
واشْ خَبَر لوزانْ منَقّي وكَثير ما نَاكل اللوز
وَلا بُد ثم مِن رمَّان سَفَري وربَّما موز

وكان الأندلسيون يحتفلون بأعياد موسمية كالنيروز الذي يسمونه : ينير ، وكان من عادتهم في هذا العيد شراء فواكه معينة كالأترج والجلوز وصنع تماثيل مختلفة من الحلوى ، وإلى هذا تشير الأمثال التالية :
مَنْ ماعُ ترنْجَ ، لينَير يرْفَعْها . (رقم 1412)
وَرزق الجلّوز في ذاك الصُّداعْ (رقم 1963)
سيفْ ينَير : يبرَقْ وشْ يَقْطعْ . (ابن عاصم رقم 447)

وقد ذكر ابن مسعود القرطبي في قصيدة له ما طلبته زوجه من لوازم هذا العيد وتوعدته بالعقاب إن لم يجئ بما أملته عليه (2) ، كما خصص ابن قزمان أحد أزجاله لوصف رسوم عيد ينير وتقاليده ، وذلك في زجله الي مطلعه : (زجل 72) : (3)

الحَلْون يُعْجن والعِدْلان تَبَاعْ   يفرح الينَيِّر مَنْ مَاعُ قِطَاعُ

وذكر فيه من الفواكه :

اللوز والقَسْطل والتَّمر العَجيب   والجوز والبَلّوط والتِين والزَّبِيب

---

(1) يرى الاستاذ ا. غ. غومس انه لا علاقة للعاشور الوارد في هذا الزجل بعاشوراء ، وفي رأيه أن العاشور الاندلسي يشبه أن يكون العشرة الاولى من شهر ذي الحجة التي تسبق عيد الاضحى. انظر : TODO BEN QUZMAN, T. I. P. 429

(2) الذخيرة 1/2 : 78—79

(3) أي أعدال الفواكه وغرائر الثمار

والجلوز والترنج والليم والدوم والقصب الحلو عدا أصناف الحلوى ، أما تماثيل الحلوى التي كانوا يصنعونها في هذا العيد فقد وردت فيها نصوص عديدة ووصفها بعض الشعراء والكتاب (4) ، وكانوا يسمونها " مدائن ينير " لأن معظمها كان يصنع على هيئة مدائن مصغرة ذات أسوار ، مما يذكر بالعادة الأوربية العصرية Galettes des Rois وقد وصف ابن عبد الملك المراكشي المدائن التي كان يصنعها أهل المغرب والأندلس في القرن السابع فذكر أنها كانت " تنقش وتصنع فيها أشكال من العجين مركبة على البيض المصبوغ بالحمرة أو الخضرة أو بغير ذلك من الألوان بحسب المتخير لها ، ثم يفرم الجميع بالزعفران ويطبخ في الفرن ويجمع إليه أصناف الفواكه ، ويحتفل كل إنسان في انتخابها وتجويد صنعتها ، ويتباهى في الإنفاق فيها على قدر وسعه واعتنائه بذلك ، ثم يدفع ذلك كله إلى الأصاغر إدخالا للسرور عليهم وتوسيعا في الترفيه لأحوالهم وتبشيرا بخصب عامهم وتفاؤلا لبسط الرزق فيه لهم فيلهجون ويتمكن جذلهم ، ويتفاخرون بمقاديرها بينهم ، وتتمادى لديهم أياما بحسب كثرتها وقلتها ثم يأتون عليها أكلا وتفكها بما معها من أصناف الطرف والفواكه" (2) .

كما أشار إلى هذه المدائن أيضا منتقدا ابو القاسم العزفي في مقدمة " الدر المنظم " ووصف على الخصوص " النصبات " (موائد الفواكه والطرف والتحف) التي كانت تنضد وتجلى في الديار والحوانيت كالعروس في منصتها ، وروى في احتفال إهل الأندلس بها ما يلي : " ولقد ذكر لنا غير واحد من المسافرين أن النصبة ببعض بلاد الأندلس - جبرها الله وأمّنها - يبلغ ثمنها سبعين دينارا أو يزيد على السبعين لما فيها من قناطير السكر وأرباع الفانيد وأنواع الفواكه ، ومن عراير التمر وأعدال الزبيب والتين على اختلاف أنواعها وأصنافها وألوانها وضروب ذوات القشور من الجوز واللوز والجلوز والقسطل والصنوبر والبلوط إلى قصب السكر ورائع الأترج والنارنج واللّيم . وفي بعض البلاد طاجن من مالح الحيتان ينفقون فيه ثلاثين درهما إلى نحوها (3) " . ومما يتصل بهذا "الحاجوز" أول ليلة العجوز ،

---

(1) المغرب 1 : 294 واختصار القدح : 101 ، 202 ونفح الطيب 5 : 204 ، 260 ، 267

(2) الذيل والتكملة 1 : 150–151 (مخطوط)

(3) عيد المهرجان او العنصرة لا يحتفل به في شهر سبتمبر كما هو الحال في المشرق ولكن في 24 يونيو. ونقل ابن خلكان عن بعض الاندلسيين ما يلي : «يوم العنصرة يوم مشهور ببلاد الاندلس ، وهو موسم للنصارى كالميلاد ونحوه ، وهو اليوم الرابع والعشرون من حزيران ، فيه ولد يحيى بن زكريا عليهما السلام». وفيات . 7 : 227 (تحقيق د. احسان عباس) والى تاريخ العنصرة يرمز صاحب المقنع في ارجوزته : في كد ينيه تكون العنصرة

وهي ليلة آخر السنة و " الميلاد " (ميلاد عيسى) ، وقد ورد ذكرهما في مثلين ، ويعتبر الفقهاء الاحتفال بهما من البدع المنتشرة في الاندلس .

والعيد الموسي الثاني هو المهرجان أو العنصرة (1) كما يسمى بالعامية وقد اشتهر بشعلة النار التي كانوا يقيمونها ويقفزون فوقها كما يشير إلى ذلك المثلان التاليان :

الكَبش المصَوّف ما يكْفز العَنْصَرَه (رقم 373)
كَفَزْها بَحَلْ عَنصَرَ . (رقم 1148 م)

وقد سجل الأدب الأندلسي الفصيح هذه العادة التي ما تزال موجودة إلى اليوم في إسبانيا ، فمن ذلك قول أبي بكر بن أبي العلاء الشاطبي يصف غلاما يقفز نارا من هذه النيران التي تكون في مناسبة العنصرة :

مرَّ يلقي النار في ضَرَم	كفؤادِ الصَّبِّ محترقِ
ومَضَى يجتاب جاحمها	كانصلات النجم في الأفق (2)

وقالوا في بعد ما بين الموسمين :

حَتَّى تَكُون العَنْصَر فينَّير . (رقم 859)

وجاء في أمثالهم وازجالهم وأشعارهم ما يشير إلى ابتهاجهم بموسم العنصره ، فهم يقولون :

خُروجَكْ منْ ينَّير أخير مِنْ خُروجَكْ من العَنْصرَ (رقم 914)

ويقول الأعمى في خرجة تمتزج فيها الكلمات العربية بالكلمات " الرومانثية " :

ألْبُ ديه اشْتِ ديه	دِيَّ ذا العَنْصَر حَقَّا
بِشْتِرِي مو المُدَبَّجْ	ونشُقُ الرُمْحَ شَقَّا

وهو يشير إلى ما جرت به العادة في يوم العنصرة من لبس الجديد وإجراء الخيل .

ويقول ابن قزمان : (زجل 67) :

هَذاهُ عَنْصَر قَدْ جاتْ كَمَا رِيت وهَذا مَوسِم .

(1) مقدمة الدر المنظم (مخطوط). وقد نشر هذه المقدمة أخيرا صديقنا الاستاذ ف. دى لاكرانخا في مجلة الاندلس (1969) .

(2) المغرب لابن سعيد 2 : 383

ولابي عبدة حسان بن ابي عندة في المهرجان (العنصرة) :

أرى المِهْرجَان قدِ استَبْشَرا غداةَ بَكَى المُزْنُ واستَعْبَرا
وسَرْبَلَتِ الارضُ أفوافَها وجَلَّلَت السُّنْدُسَ الأخضَرا
وهَزَّ الرّيَاحُ صَنَابِيرَهَا فضَوَّعَت المِسْكَ والعَنْبَرا
تَهَادى بِهِ النَّاسُ ألطَافَه وسامَ المُقِلُّ بِهِ المُكْثِرا (1)

وفي الامثال أيضا إشارات إلى مآدب شعبان أو " شعبانية " (2) والنفير (البوق) الذي كان يشترى للصبيان فيه (3) . أما " شعبانية " أو شعبانة كما تسمى اليوم فقد ورد وصفها في نصوص ادبية عديدة (3 م) .

وثمة مثل يشير إلى "البروز" وهو خروج الناس رجالا ونساء للتفرّج في أيام الاعياد .

وفي الامثال أخيرا تصوير لحال الفقراء والمحرومين في الاعياد :

مَنْ يُعْطِيك العِيدْ تفْرَحْ بِه . (رقم 1529)
أُقِيل المَحْرومِ اتقَصَّصْ ، قال : بعد العِيد ارخَصْ!(ابن عاصم رقم 237)

وقد ذكر ابو بكر الطرطوشي الاعياد الموسمية في الاندلس واعتبرها من البدع وذلك إذ يقول : " ومن البدع اجتماع الناس بارض الاندلس على ابتياع الحلوى ليلة 27 من رمضان ، وكذلك على إقامة ينير بابتياع الفواكه كالعجم ، وإقامة العنصرة ، وخميس أبريل بشراء المجبنات والإسفنج وهي من الاطعمة المبتدعة (4) " .

كما انتقدها بشدة ابو القاسم العزفي وعلل انتشارها بين المسلمين في الاندلس بمجاورة النصارى ومخالطتهم ، وفي المغرب بالاتباع لهم والقدوة وذكر انه " ما عبر من ذاك البر (الاندلس) إلى هذا البر (المغرب) بدعة أشنع منها ولا اضر " وقد عمل العالم الامير المذكور على تحويل اهل بلده عن هذه البدع وصرفهم عنها بالاحتفال بعيد المولد النبوي والاحتفاء به ، وكذلك صنع الخليفة المرتضي الموحدي في مراكش ، وذكر ابن عباد الرندي ان الأمير العزفي " لم يبلغ كليّة غرضه في إبطال امر النيروز والمهرجان (5)".

---

(1) مطمح الانفس : 27
(2) رقم (1917)
(3) رقم (521)
(3م) انظر شرحنا للمثل رقم 1917 وديوان ابن خاتمة : 94
(4) كتاب الحوادث والبدع : 141
(5) انظر في هذه البدع أيضا النصوص التي بشرها أخيرا زميلنا الاستاذ ف . دي لاكرانخا في مجلة الاندلس (1970) وهي نصوص مقتبسة من «البدع» للطرطوشي و«المدارك» لعياض و«المعيار» للونشريسي .

المــــرأة

لا تختلف الأمثال الأندلسية في نظرتها إلى المرأة عن غيرها من الأمثال العربية بل والمأثورات الشعبية على الإجمال ، فهي تسيء بها الظن وتوصي بعدم الثقة بها وتنسب إليها الكيد ونكران العشير وخيره مهما كثر . والأمثال في هذا كثيرة ونذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

لِسْ فَالنِّسَا خَيْرْ وَلا فَمِّي . (رقم 1210)

لاَ تشِقْ... وَ لَوْ كَانَتْ أُمَّك . (رقم 2027)

مَن عَنْدُ وَلِيٌّ ، عِنْدُ بَلِيٌّ . (رقم 1254)

مَنْ مَعَهَا تَابِعَهْ ، ما تَبِيتْ شَابِعَهْ . (قم 1253)

تَفْزَعْ مِنْ بَقْ بَقْ ، وَ لِسْ تَفْزَعْ مِن فَكّ عُنُقْ (رقم 708)

إذا رَيْت اعْجُوزْ ، اذكُر اللّه وجُوزْ . (رقم 37)

وَ لاَ يَوْم الطّيِن . (رقم 1950)

الــزواج ومشكلاتـه

يفهم من الأمثال الأندلسية أن تكاليف الزواج كانت ثقيلة ، ومن الأقوال التي كانت تقال لترغيب الفقراء في الزواج وأنه باب الرزق أو مفتاحه : " تزوجوا فقراء يغنكم الله " .

ولكن المثل الأندلسي يقول :

ازْوَجْ يفتَحْ اللّه عليك ! قال : يفتح وحِنداك . (رقم 82)

وهو يعبر عن فكر واقعي يرى أن الزواج لا يكون قبل الاستعداد له والقدرة عليه .

والعرس طيب ولكن نفقته كبيرة :

مَا أَطْيَب العُرْس لولا النّفَاقة . (ابن عاصم رقم 723)

والزواج مدعاة إلى الفقر والاحتياج :

زَوّجُوه حَوّجُوه . (رقم 1035)

مَنْ زُوّج حُوّج . (رقم 1472)

لَوْ زُوّج الكَلْب ما نَبَحْ . (رقم 1219)

وقد ضمنه أحد شيوخ الأدب في العصر الغرناطي هو أبو عبد الله بن حربلة بيتين له يقول فيهما :

يـا عـازبـا لا تـذل نـفـســـــــــاً   عَـوَّدتـهَـا الـعِـزَّ والـفَـرحْ
بِـزَوْجَـةٍ فَـالـزَّواجُ ذلٌ   " لـو زوج الـكـلـب مـا نَـبَـح "

وذكـر ابـن الـخـطـيـب فـي تـقـديـمـه لـهـذيـن الـبـيـتـيـن أنـه " خـالـف فـيـهـمـا نـهـج الأمـم ، ونـسـي قـولـه عـلـيـه الـصـلاة والـسـلام : " تـزوجـوا فـإنـي أبـاهـي بـكـم الأمم " .

وسـبـب ذلـك أن مـطـالـب الـزواج عـديـدة والـزوجـات لا يـرحـمـن :

حـلِيّـنِـي ، والاّ خـلِيّـنـي . (رقـم 816)
بِـعْ كَـسَـاكْ ، وعْـمَـلْ كَـذَاكْ . (رقـم 589) (1)

وقـد صـور ابـن قـزمـان فـي عـدد مـن ازجـالـه بـاسـلـوب سـاخـر مـتـاعـب الـزواج ومـطـالـب الـنـسـاء فـي الأنـدلـس (2) ، ويـخـيـل إلـيـنـا أنـهـا مـشـكـلـة الـبـيـئـات الـحـضـريـة بـصـفـة عـامـة ، و مـع ذلـك فـإن الـزواج لا بـد مـنـه بـل هـو مـرغـوب فـيـه ، ومـن كـان قـادرا عـلـى الـزواج ولـم يـتـزوج نـظـر إلـيـه الـمـجـتـمـع بـعـيـن الارتـيـاب كـمـا فـي الـمـثـل :

عَـازِبْ و مُـتَـفَـنّـِقْ : ثُـلُـثَـيْ قَـطِـيـمْ يُـفْـتَـى فِـيـهْ . (رقـم 1664)

وكـانـت الـبـنـات مـصـدر هـمّ لـلآبـاء فـي الـحـيـاة وبـعـد الـمـمـات ، وخـاصـة إذا كـثـر عـددهـن ، وفـي ذلـك تـقـول الأمـثـال :

هـم الـبـنَـات لـلـمَـمَـات (ابـن عـاصـم رقـم 779)
مَـنْ كَـثـُر ابْـنَـاتُ ، كَـانُـوا الـكِـلابْ اخْـتَـانُ . (رقـم 1446)
وَيّ عَـلَـى مَـنْ مَـات ، وخَـلّـى سَـبْـعْ بَـنَـاتْ . (رقـم 1965)

ولـهـذا نـراهـم يـفـكـرون فـي تـزويـج الـبـنـات مـنـذ صـغـرهـن ويـنـصـحـون بـتـزويـجـهـن لأول خـاطـب فـيـقـولـون :

إذا قـالـت الـبـنـت دَدّ ، فـكّـر لَـهـا فـي مـخَـدّ ، وإن رفـعَـت الـقـدحْ
لـفُـمّـهـا ، تـحْـتَـاج مـا تـحْـتَـاج أمـهَـا . (رقـم 27)
مَـنْ خَـطَـبـك ازواجُ . (ابـن عـاصـم رقـم 638)
زَوجْ سُـو ، خَـيْـرْ مِـنْ فـقْـدُ (رقـم 1007)

عـلـى انـهـم يـنـصـحـون بـالاخـتـيـار والـبـحـث والاطـلاع عـلـى الـأحـوال كـمـا تـشـيـر إلـى ذلـك ـ فـيـمـا نـفـهـم ـ هـذه الأمـثـال :

مَـنْ لا يَـخْـتَـار ، مـا يَـفْـقَـدْ عَـارْ . (رقـم 1425)
أيْ هُـو الـتَـمـشْ ، ثـمّ افـتـشْ . (رقـم 476)

---

(1) انظر كذلك المثل رقم : 1780
(2) انظر : الزجل في الاندلس : 76-77

لَوْ لَمْ تَدْخُلْ بَيْتِي ، مَا كان تَرى حْوايِجْ بنْتِي (رقم 1215)
العرق دسّاسْ . (رقم 384)

ومع ذلك فإن الزواج في جملته " قسمة ونصيب " كما يشير إلى ذلك هذا المثل :

زَوْجْنِي واضْمَنْ لِي البَخْتْ . (رقم 1040)

وفي الامثال ما يشير إلى أن المرأة الاندلسية لم تكن تقبل أن تكون ضرة وتؤثر الموت على ذلك كما نفهم من المثل التالي :

مَشْيَه للحُفْرَ ، وَلاَ مشيه لِبيتْ اخرا (رقم 1541)

وقالوا في أولاد العلات :

إخْو مَنْ شَتَّى ، زيادة في الأعْدا . (رقم 330)

وكان للزوجة أو وليها أن يشترط عدم تزوج الزوج عليها بامرأة اخرى كما ورد ذلك في كتب الوثائق الأندلسية .

ولعل مثلهم القائل :

خَروفْ بين شاتَين . (رقم 910)

يصور حال المتزوج امرأتين ، وهو معنى ورد في شعر أعرابي تزوج اثنتين ثم ندم فقال :

تَزوَّجْت اثنتين لفرط جهلي	بما يشقى به زوجُ اثنتين
فقلتُ أصيرُ بينهما خروفا	أنعَّمُ بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تمسي وتضحي	تردد بين أخبث ضَرَّتين

وانتقدوا في أمثالهم زواج الشيوخ بالصبايا فقالوا :

إذا ازوَج الشَّيخ لصَبِي ، يفرحُ صبيان القريً (رقم 3)

ووصفوا زوجة الشيخ فقالوا :

زَوْجَة الشَّيْخ مُدَلَّل... (رقم 1046)

وقد سخر يحيى الغزال مرارا في شعره من الشيوخ الذين يتزوجون الصغيرات (1) ، وصور مشكلة الفتاة التي تخير بين الشيخ الغني أو

(1) بهجة المجالس 2 : 42

الشاب الفقير ، فقال :

وخَيرَهَا أبُوهَا بين شَيْخٍ	كثير المَالِ أو حدثٍ فَقِير
فقالت خُطَتَا خسفٍ وما إن	أرى من خُطوة المستخير
ولكنْ إن عزمْتَ فكُلُّ شيء	أحبُّ إلي من وَجْه الكَبِير
لأنَّ المرءَ بعد الفقْر يُثْرى	وهذا لا يَعُود إلى صغير (1)

التجارة والمعاملات

للناحية الاقتصادية حظ وافر في الأمثال الأندلسية ، وفيها صدى واضح لاهتمام الأندلسيين بشئون المعيشة وتفكيرهم في أمورها ، وهي تتحدث عن التجارة والتجار والشركاء والأسواق والكساد والغش والسلف وما إلى ذلك ، يقولون في مدح التجارة وفضلها وأنها مصدر بركة وخير :

الحَانُوتْ هِي ، إنْ لمْ تغَدِّ تِعَشِّ . (رقم 693)
صَاحِب دُكَّان ، ما يَحْتَاجْ بُسْتَان . (رقم 1602)

والتجارة مرغوب فيها حتى ولو لم يكن فيها ربح لأنها حركة على كل حال كما يفهم من هذا المثل :

لِسْ تَبِيعْ البَيْض كَما تَشْرِيهَ ؟ قَال يعْجَبْني جريهَ ! (رقم 1224)

وكما هي طبيعة الأمثال في مدح الشيء وذمه فقد ورد ما يزهد في التجارة :

تَرْكُ التَّجْرْ، تَجْر . (رقم 710)
تِدْ تَرْبَحْ ، لاَ تَفْتَحْ . (ابن عاصم رقم 346)

ولعلهما كانا يقالان حين تسوء الأحوال التجارية ، وثمة أمثال تشير إلى الكساد والأزمات الاقتصادية كقولهم :

جَالِسْ في الدُّكَّان ، يشَرَّدْ الذُّبَّانْ . (رقم 776)
لاَ سَلْعَ فالْحَانُوتْ ، وَلاَ قَطَاع فَالتَّابُوتْ . (رقم 1989)
لِسْ بِذا السُّوقْ مَا تَسُوقْ . ز(رقم 1196)

والتجارة خبرة تكتسب بالممارسة والتعليم من الأخطاء :

الشرا يعَلَّم البَيْعْ . (رقم 191)
اُقِل للنَّخَّاس : مِنْ أي تِمَيِّز العُيوب ؟ قال : ما منه عيْب إلاَّ وخَسِرت فيه . (رقم 73)

---

(1) جذوة المقتبس : 352

مـا يَـشعـُر بـالـردى إلاَّ الـمُـدَلِّـس . (رقـم 1354)
مَـنْ اشْـتَـرى مَـحْـسوسْ مَـكْـسُورْ يِـبِـيـعْ . (رقـم 1451)

ولا بـد لـلـتـاجـر مـن ضـبـط حـسـابـه والـوقـوف بـنـفـسـه عـلـى تـجـارتـه وعـدم الاتـكـال فـيـهـا عـلـى غـيـره والابـتـعـاد عـمـا مـن شـأنـه أن يـكـون سـبـبـا فـي الـخـسـران والإفـلاس :

أ حـرز الـحُـسَـيِّـبْ ، لاَ يَـكُـون مُـسَـيِّـبْ . (رقـم 283)
تَـاجِـر وَلَـدْ اخْـرَ ، يِـتْـقَـدَّمْ وحـمـالُ لـوَرا . (رقـم 733)
ثَـمَّ أشْـرِيَّ ، لِـسْ تَـحْـتـمِـل تَـولِـيَّ . (رقـم 746)
مَـنْ يَـشْـرَبْ مَـا يَـجُـرْ . (رقـم 1282)
الـتـجـارَ مـضـمـونـة ، اكَّـنْ اش تـربـح تـخـسـر . (ابـن عـاصـم رقـم 174)

والـتـجـارة مـبـنية عـلـى الـمـساومـة والـمـمـاكـسـة والاخـتـبـار والـتـقـلـيـب ولـكـن إلـى حـد لا يـضـر الـتـاجـر :

بَـيْـن أخْـذ الـدِّيـكْ واطْـلاقُ ، يَـنْـتَـتَـف ذَنَـبُ . (رقـم 550)
الـكـيـس فـالـسُّـوم وغـيـر ذي سَـرَقَ . (رقـم ابـن عـاصـم 151)
لاَ بَـاسْ بِـالـذَّوَّاق إذا كَـانْ مـشـتـرِي . (رقـم 2001)

ولـعـلـهـم يـشـيـرون إلـى مـا يـسـمـيـه الـفـقـهـاء بـيـع الـغـرر حـيـن يـقـولـون :
بِـكَـمْ ذا الـحُـوت ، وهُـو فـي قَـاع الـغَـدِيـرْ (رقـم 549)
بَـيْـع الـقِـط والـيَـد فـالـذَّنَـب . (رقـم 562)

والانـصـاف فـي الـمـعـامـلـة وسـيـلـة لـكـسـب ثـقـة الـنـاس وحـبـهـم :
انـصـف الـنَّـاس وشـاركـهـم فـي أمـوالِـهـم . (رقـم 452)

والـشـركـة الـمـثـالـيـة تـقـوم عـلـى أسـاس تـقـاسـم الـربـح والـخـسـارة :
بَـالـبَـرَكَـ أشْـرِيـكِـي ، قَـال : لـيَ ولَـكْ . (رقـم 573)
شَـرِيـكْ الـبَـلاَ ، فـالـفَـضْـلْ وفـي الـخَـسَـارَ لاَ . (رقـم 1873)

ولـيـس فـي الـتـجـارة والـمـعـامـلات تـمـيـيـز بـيـن الـنـاس مـن حـيـث لـونـهـم أو ديـنـهـم :
مَـنْ فَـتَـحْ حَـانُـوتْ لـلـتِّـجَـارَ ، يَـبِـيـعْ مـنْ يَـهُـودْ ونـصَـارى (رقـم 1264)

وثـمـة امـثـال تـشـبـه ان تـكـون قـواعـد فـي الاقـتـصـاد ، كـقـولـهـم :
الـغَـلاَ جَـلاَّبْ . (رقـم 286)
إذا غـلاَ الـقَـمْـح مَـالـو حْـصَـالَ . (رقـم 24)
إذا رَخَـص الـشَّـعِـيـر ، غـلْـت الـحَـمِـيـر . (رقـم 67)

اشْتَرى رَخِيص ، ما تَعْدَمْ حَرِيصْ . (رقم 402)

إذَا اشْتَرِيت افْتَكَر يَومْ تَبِيعْ . (رقم ابن عاصم 62)

من بدلُ ، العربان يكلْ (رقم 1444)

والتاجر لا يمس رأسماله ولهذا سخروا ممن يفعل ذلك :

ظَنِّي متَجر وَه فالرَّسْمِيل ينَقّرْ . (رقم ابن عاصم 491)

وذلك لأن التجارة لا تكون بلا راسمال :

صَادَق السُّوق بِالبطرات . (رقم 1604)

تَاجِرْ بلاَ قِطَاع : قَلِيل الخُرُوجْ . (ابن عاصم رقم 339)

الدَّراهم ، تَجْلب الدَّرهم. (ابن عاصم رقم 163)

وقد كانت " الدلالة " أي الوساطة بين البائع والمشتري من مظاهر التجارة قديما ، إذ كان بيع المصنوعات يتم بواسطة الدلال في " مزاد علني " يقع بالأسواق . وقد وردت الإشارة إلى " الدلال " و "الدلالة " في بعض الأمثال (1) ، ولهم في السلف والدين أمثال عديدة ، وكلها في ذمهما والتحذير منهما (2).

الحرف

تحفل الأمثال الأندلسية بأسماء أصحاب الحرف ففيها البيطار والعشاب والعطار والجيار والحجام والميار والغنام والخراط والبواب والحداد والحشاش والقصار والدلال والصياد والخراز والسقاء والفحام والسفاج والجزار والنجار والمهندس والحكيم والقابلة ، ولكن هذه الأمثال لا تقدم لنا من المادة ما يمكن الاعتماد عليه في تصور المهن وأصحابها من خلالها ، وذلك لأنها تأتي غالبا في معرض تشبيهات ساخرة أو صور فكهة أو مفارقات مضحكة ، فالبيطار يدمي الدابة ويتقاضى أجرا (3) ، والجيار حماره مهزول ينقل مرة واحدة ثم يرقد (4) ، وصياد يخرج للصيد بلا سلة (5) ، ودلال يفرق بين البائع والمشتري (6) . وفحام يزين الفحم

(1) المصباح المنير (مادة : 4 رب) وما يزال المثل المذكور مسموعا عندنا ، ومن صيغه فيما سمعت بالجنوب : اللي خرم تايت كل عربون

(2) رقم 321 ورقم 932 ورقم 1273

(3) انظر الارقام : 133 ، 799 ، 878 ، 1382 ، 1391 ، 1297

(4) رقم 614

(5) رقم 615

(6) رقم 941

بالورد (1) ، وزبل الخراز لا يصلح لا للبستان ولا للحقل وهكذا (2) . وقد أشاروا إلى ما يكون من عداوة بين المشتركين في صنعة واحدة :

صَاحِبْ صَنْعَتَكْ : عَدُوكْ ، ولَوْ كَانَ أخُوكْ . (رقم 1580)

وحضوا على التمسك بصنعة الآباء ولو كانت حقيرة :

صَنْعَةْ وِلْدَكْ ، ولَوْ كَانْ حَشَّاشْ . (رقم 1582)

وقد يكون فيه ما يعبر عن نظرتهم إلى المهن وعدم احتقارها ، وفي المثل أيضاتعبير عن مفهوم اجتماعي قديم وهو أن لا تخرج الفئة الاجتماعية عن دائرتها وما كتب عليها .

الفلاحة

ذكر ابن غالب في فرحة الأنفس أن أهل الأندلس " أحكم الناس لأسباب الفلاحة (3) " وتدل مؤلفات ابن بصال وابن أبي الخير الإشبيلي وابن العوام وابن ليون وحمدون الإشبيلي والطغنري على مبلغ تقدمهم في هذا الميدان ، وقد وصلت إلينا طائفة من أمثالهم الفلاحية ، ولكننا نرى أن نسبتها ضئيلة بالقياس إلى غيرها ، ولعل ذلك لأن أمثال الزجالي وابن عاصم جمعت في المدن ، فهي تمثل حياة المدن وأهل الحضر أكثر مما تمثل حياة المجتمعات القروية ، ومن هذه الأمثال ما يقرر قاعدة في الأحوال الجوية ، كقولهم :

إذاَ رَيْت الضَّبَابْ ، ابشر بالطَّيَابْ ، (رقم 56)

إذا رَيْتْ بالغُدو ، خَلِّ داوبَّك يَرْقُدُ ، وإن رَيْت بالعَشِي ، يَسَّر دوابَّك للمشِي . (رقم 62)

ومنها ما يشير إلى حقيقة منتزعة من أعمال الحقول وتجاربها كقولهم :

الفُولْ إذا نَوَّرْ ، شهريْنْ يدَوَّرْ . (رقم 349)

أش بين قرقجً ؟ وبطِّيخَ قال : مبيت ليلَ . (رقم 85)

ومنها ماله تعلق بالمواسم والتقاويم الفلاحية ، كقولهم :

فابْريلْ ، يَعْتَدل المؤَخَّر والبَكِيرْ . (رقم 1739)

إذا ريت الخوخ والرمان ، فكر في شيابك أيها العريان . (رقم 9)

---

(1) رقم 493

(2) رقم 1042

(3) نفح الطيب : 147

ونجد في أمثالهم مصطلحات فلاحية عديدة مثل الفدان للحقل والزريعة للبذور ، والأزواج لبهائم الحرث ، والخطارة لطريقة خاصة في السقي ، والطياب للصحو ، والسانية لحولاب الماء ، والعصير لزمن القطف . وفلاحة الحبوب والقطاني في الأندلس كانت تعتمد على الأمطار ولذلك نراهم يقولون في الصحو :

لَوْ كَانْ الرِّزْقْ بِالطَّيَابْ مَا مَلْ أحَدْ . (رقم 1240)

وقد صور ابن قزمان في أحد أزجاله حال الناس وما يعتريهم من هم حين تتوالى أيام الصحو و تصبح السماء مثل النحاس في أشد الأوقات حاجة إلى المطر (1) ، وكتب التاريخ تهتم بالإشارة إلى سنوات الجدب والجفاف وما ينشأ عنها من مجاعة ، كما أن البروز لصلاة الاستسقاء كان من المشاهد المعروفة في تاريخ الأندلس ، وجاءت أمثال الأندلسيين أيضا صورة صادقة لبيئتهم الطبيعية فهم لا يثقون بالمحصول الفلاحي إلا بعد جمعه :

كُلْ شَي حَشِيشْ ، حَتَّى يحْصَلْ فَالْبَلِّيشْ . (رقم 1083)

لاَ تَمْدح العَصِير حَتَّى تُقْلَع النَّوالَة . (رقم 2018)

لاَ تَقُولْ واحِدَ حَتَّى تَحْصل في العِدل . (ابن عاصم رقم 804)

كما أشاروا إلى بعض جوائح الفلاحة كالجراد ونحوه (2) ، وصوروا مشكلهتم مع الطبيعة بقولهم :

إما تَمُوت بِالْعَطَشْ وإما تَمْشُو فالسَّيل . (ابن عاصم رقم 227)

وقالوا في فائدة الماء والمطر في بعض المواسم :

مَنْ قَاد الما قَاد الغِنَا . (رقم 1442)

الرِّزْق في البِيرْ . (رقم 526)

مَطَرْ فَبْرِيلْ ، خَيْر مِنْ فَيْضْ النِّيلْ . (رقم 1032)

ومن أمثالهم فيما تتطلبه الفلاحة من عمل وجهد ووقت :

رَقَد مَارَس وابْرِيلْ ، وجَا في وقْت حصاد الشعير . (رقم 996)

يا رايدين العصير ، أي كنتم وقت الزبير . (ابن عاصم رقبم 83)

هِيذَ هِي الصَّيْفَ ، مَنْ حَب لقَطْ ومن حَبْ رقَدْ . (رقم 1943)

لِسْ كُنْ يَكُونْ ! ذا الغَرَسْ ، قَبْل مَرَسْ . (رقم 1161)

---

(1) ديوان ابن قزمان (زجل رقم 99)

(2) رقم 114 ورقم 225

وتحدثوا عن الزريعة الجيدة والرديئة ، وأشاروا إلى بعض ما يكون بين الشركاء ، فقالوا :

فَدّينْ بشَريكْ ، ما يوكَلْ منُ فَريكْ . (ابن عاصم رقم 545)

وصوروا آخر العصير والصيف بقولهم :

آخِرِ العَصِير سَلْ . (ابن عاصم رقم 216)

آخِرِ الصَّيف مُذّ يْرى . (ابن عاصم رقم 217)

الملاهي والالعاب

الزامر :

تعدد ذكر الزامر في الأمثال الأندلسية ، وفي بعضها ما يمثل رأيهم فيه ، ولعل المثلين التاليين :

الزّامِرْ مِنْ أهْل النّارْ . (رقم 386)

مَا بَيْنَ قَاضِي وزامِرْ . (رقم 1516)

يعبران عن رأي أهل الورع والفقه في الزامر ، وقد أريد زامر أندلسي على شهادة زور فأبى ، وقال :

لاَ جَمَعْتُ النّار والعا رَ فَدَعْنِي يَا عِيَاضُ

وندد ابن حزم بأهل " صنعة الزمير المتكسّبين بالسفاهة والنذالة والخساسة " (1) وهناك خبر رواه الخشني له دلالته هنا ولعل له صلة بالمثل الثاني ، قال : " ومما يحكيه الناس ويدور على السنتهم من أخبار محمد ابن بشير أنه أتاه رجل لا يعرفه ، فلما نظر إلى زي الحداثة من الجمة المفرقة والرداء المعصفر وظهور الكحل والسواك وأثر الحناء في يديه لم يتوسم عليه القضاء ، فقال لبعض من يجلس إليه : دلوني على القاضي ، فقيل له : ها هو ذا ، وأشير إلى القاضي ، فقال لهم : إني رجل غريب ، وأراكم تستهزئون بي ، إذا أسألكم عن القاضي وأنتم تدلوني على زامر ، فزجر من كل ناحية (2) " ويفيد هذا الخبر - فضلا عن استنكار الناس لذكر الزامر - أنه كان له زي خاص وبظهر بلغ الغاية في التأنق ، وثمة مثل يشير إلى تيه الزامر :

(1) رسائل ابن حزم : 251

(2) قضاة قرطبة : 52

دَلَّتْ زامِر فِي كُبَّة عَروسْ .   (رقم 938)

وهو يدل على حاجة الناس إليه في الأعراس والحفلات ، وإذا كان المشارقة يقولون : تيه مغن . فإن الأندلسيين نقلوا هذا المعنى إلى الزامر لأن مكانته عندهم كانت أكبر من مكانة المغني . يقول الحميدي : " فلعهدي بعرس في بعض الشوارع بقرطبة ، والنكوري الزامر قاعد في وسط الحفل ، وفي رأسه قلنسوة وشي وعليه ثوب خز عبيدي ، وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه ، وكان فيما مضى يزمر لعبد الرحمن الناصر ، وهو يزمر في البوق بقول أحمد بن كليب في أسلم :

أَسْلَمَنِي فِي هَــــوا   هُ أسلم هَذَا الرَّشَــا

وسغن محسن يسايره فيها (1) " .

وأشار مثل آخر إلى " غضبة الطاربي " وأنها لا تستحق الاهتمام وقد وردت كلمة " طاربي " وجمعها " طراة " بمعنى المغني في شعر الرمادي (2) .

وكانوا يعبرون عن شدة الاحتياج إلى الشيء بقولهم :

مَنْ يُعِيرْ بُوق فِي يَوْمْ عُرْسُ .   (رقم 1275)

والبوق آلة الزمر ، ويدل النص السابق على أنه كان لعبد الرحمن الناصر زامر خاص به ولعله كان له أكثر من زامر واحد ، وربما كان الأمير الأموي محمد ابن عبد الرحمن أشهر من عرف من الأمويين بحب الزمر واتخاذ الزامرين بل إنه تعاطاه وكان له بوق خاص به ، فقد نقل ابن حيا ن ما يلي : " غلب على نفس الأمير محمد بن عبد الرحمن حب الزمر من جميع الملاهي فلم يكن يعدل شيئا منها به ، ولا يؤثر صنعا منها عليه ، وينقر عن الحذاق بصناعته المبالغين في العلم به ، فيتخذهم لنفسه ، ويجمعهم عنده ، ويخصهم بإحسانه ، حتى جمع منهم لديه عددا لم يأت الزمان بمثلهم حذقا بصناعتهم واستيفاء لرسومها واختراعا في طرقها (3) " ثم يصف عود الأمير بأنه من ابنوس ملبس بالذهب قد رصع بفاخر الجوهر ، وذكروا في أخبار محمد بن هشام بن عبد الجبار أنه استعمل له مائة بوق للزمر (4) وأن أهل قرطبة استقبلوا عهده بالمزامر (5) ، وقد اشتهر من الزامرين شرحبيل

---

(1) جذوة المقتبس : 134
(2) انظر المثل رقم 755 في النص
(3) المقتبس 2 : 291
(4) البيان المغرب 3 : 80
(5) المصدر نفسه : 74

الزامر (1) وابن مقيم الزامر (2) ، وخلف الزامر (3) . ومما ذكرناه يتبين سبب تعدد الأمثال التي يرد فيها ذكر الزامر والزمر (4) ، وورد مثل في المغني (5) ، وآخر في الزفان أي الراقص (6) .

العجايبي :

ذكرت الأمثال شخصية " العجايبي " وقد يكون في بعضها ما يشير إلى " خيال الظل " ، فأما العجايبي فلعل تسميته هكذا لأنه يأتي بالعجايب ، وفسر " الكالا " العجايبي بأنه الشخص الذي يرقص على الحبل، وقد شاهد ابن الخطيب صاحب هذه اللعبة وهو " يتلاعب على شريط صاعدا ونازلا في الفضاء مما قضى منه العجب " و وصفه فقال :

وبَحْرِي تلاعَبَ في شَرِيطٍ	وجيء الفعلُ متّصل الصُّموت
تدلّى ، وارتَقَى ، وسما ، وأهوى	فأعجبَ في التّماسُكِ والثبوت
فقلنا إن يكنْ بشرا سويا	ففيه غريزةٌ منْ عنكبوت (7)

ويبدو لي أن كلمة " بحري " الواقعة في الأبيات ومقدمتها إنما هي تحريف لكلمة " غجرى " نسبة إلى الغجر المعروفين في الأندلس ، وهذه اللعبة وأمثالها أشبه بحالهم ،

ويبدو أيضاً أن معنى كلمة " عجايبي " أوسع ممّا ذكره " ألكالا " وأنه صاحب ألعاب متعددة بهلوانية وسحرية ، وما تزال الكلمة تطلق على أصحاب هذه الألعاب في بعض بلدان المغرب ، والمثل يشير إلى أحكاك (أحقاق) العجائبي التي تظهر للناس ممتلئة وهي في الحقيقة فارغة .

كما أشار الششتري في زجل له إلى أن العجايبي كان يجعل من الإناء الواحد كثرة وهمية ، وقد وصف ابن عميرة المخزومي أحد هؤلاء فقال :

" هذا ولأحدهما وصف يزيد على الأوصاف ، وعمل هو المشار إليه في الصحاف ، تصف له في مداره ، وتلقى بمجال إقباله وإدباره ، فيأخذها

---

(1) المقتبس 2 :
(2) جذوة المقتبس : 374
(3) الذخيرة 1/2 : 69
(4) الارقام : 307 ، 938 ، 1026 ، 1032 ، 1043 ، 1281 ، 1516
(5) رقم : 515
(6) رقم : 11
(7) ديوان ابن الخطيب

باصبعين ، ويديرها لرأي العين ، فترى عجبا من نصب وإمالة ، وإثبات وإزالة ، واتساق بغير قد ، والتصاق دون ود ، وربما أكفأها في الهواء ، وقد غمرها بالماء ، فتحسبه جمد فما يقطر ، أو عاد سرابا في عين من ينظر ، ويمر بها فيجعلها تحت ذيله ، ثم يقتلعها بحملة سيله ، فيفقدها العيان ، ويخلي منها المكان ، ويخلع الثياب ولا أثير هناك ، وينزع السراويل فلا زيادة على تلك وذاك ، فإذا استوفى بعض جوانبه ، وقضى وطرا من عجائبه ، ارتج من الإمام والوراء ، وقام عنها كتاركة بيضها بالعراء ، ويوتى بالنار وحرها مرهوب ، ولهيبها مشبوب ، فيودعها ذاك المستودع ، ويبدع في شأنها فوق ما أبدع ، وربما وضعت له القلة بمائها ، فلا ترى أعجب من اخفائها، يختطفها اختطافا ، وقد هز منها أعطافا، وركب فوقها صحافا ، فيحمل منها جنينا حش ، ودفينا يامن النبش ، ثم يقوم عنها عجلان ، ويترك شخصها كما كان ، وهذا خلال نغمات حسان سماعية ، وهيئات إيقاعية ، يقف عليها الحسن والإحسان ، وتهش لها العيون والآذان (1) "

ومع أن قيود السجع يمكن أن تكون قد ضيقت مجال الوصف فإنه كاف في تصوير الألعاب التي كان " العجايبي " يعرضها أمام النظارة ، وهي ألعاب متعددة تستخدم فيها الصحاف والقلل والنار وغيرها ، وتكون مصحوبة بالموسيقى والايقاع ، ويشير الكاتب في مقدمة رسالته إلى ألعاب أخرى يشترك فيها شخصان ويستخدم فيها الإنشاد والكلام المعرب الموزون والمسجوع ويقول في بعض ألعابهما : " ولهما في مركز المدار ، وموقف الاختبار ، نشر وطي ، ونشر للعمائم ولي ، وربما أعاداها بعد إلقاء ، وقلبا الثياب لغير استسقاء ، فيرجع الطالع آفلا ، ثم يعود العالي سافلا " . ويفهم من تقديم الرسالة المذكورة أن خاصة الناس كانوا مقصدا لأصحاب هذه الألعاب ، وأنها كانت تعرض في البيوت ، ولكن ورودها في الأمثال يدل على أنها كانت تعرض أيضا على أنظار العموم في الأسواق والساحات العمومية ، وما يزال شيء منها يعرض في ساحة " جامع الفناء " بمدينة مراكش .

وفي رسائل لبعض كتاب القرن السادس (2) يسمى صاحب هذه الألعاب القولية والفعلية : "الزريزير " - تصغير زرزور - وهو طائر معروف بسرعة القفز وخفة الحركة ، شبه به من يقوم بهذه الألعاب فيما ذكر وغيره ، ولن نطيل هنا بإيراد وصفهم الزريزير وما يأتيه من حركات وألعاب فهو شبيه

(1) أبو المطرف احمد بن عميرة للمؤلف
(2) خريدة القصر 2 : 401 والذخيرة ق 1 مج 2 : 157

بما رأيناه في رسالة ابن عميرة .

وقريب من هذا " لعبتهم المسماة بعبد الخالق " التي وردت الإشارة إليها في " المدارك " و " الذخيرة " ووصف صاحبها في المدارك بأنه شخص ماجن " قد اعتم على قلنسوته ، وشبه بلحية زور بيضاء وافرة وارتدى وتوكأ على عصا ، وهو يكلمهم بمضاحكه (1) " أما في رسالة ابن عباس في الذخيرة فهو شاطر خليع " في يده عكاز و قصبة خضراء وفي رأسه قلنسوة بيضاء وعلى عاتقه خرج بنخالة " (2) ويوخذ من رسالة لأبي المغيرة بن حزم أن هذه اللعبة تقليد ساخر للراهب (3) .

ومما يلتحق بذلك أيضا " لعبة القلياني " التي ورد وصفها في زجل لابن قزمان وزي صاحبها شبيه بما ذكر (4) .

وأما خيال الظل فورد في بعض الامثال ما قد يشير إليه وإلى بعض لعبه (5) ، كما وردت إشارات إليه عند بعض كتاب القرن الخامس (6) ، وربما انتقل إلى الأندلس بواسطة بعض المصريين فإننا نجد ذكرا لأبي القاسم المصري الخيالي بقرطبة في نهاية القرن الرابع (7) ، ولكننا لم نقف على نص واضح فيه .

الشطرنج

ثمة أمثال في الشطرنج وقطعه ، ومنها مثل يصف أهله بالشؤم :

أُقِل النحْس : ايْن تَمْشي ؟ قَال : لشَطرنجي ان مورك ! (رقم 76)

ولعله يصور كراهيتهم للبطالة وتضييع الوقت ، وفيه صدى لفكرة كانت شائعة في الأندلس كما يفهم من قول يحيى الغزال يخاطب ابن أخته :

---

(1) المدارك (ترجمة احمد بن بقي) مخطوط

(2) الذخيرة ق 1 مج 2 : 157

(3) المصدر السابق

(4) زجل رقم 153

(5) رقم 242 ورقم 603

(6) الذخيرة 1/2 : 154 وما بعدها ، وص 187 . وثمة ذكر «للعب الخيالية» في رسائل ابن عباد الرندى من أهل القرن الثامن . الرسائل الكبرى : 225 .

(7) البيان المغرب 3 : 80

عَمَلٌ فِي غَيْرِ بِـــرّ   واخْتِلافٌ ولُـــزوم

إنَّمَا أسْتَهَا ويْحَـــكَ شَيْطَانٌ رَجِيمُ

هَتَكَ فِيها العَبَ النَّا   سِ فمَاذا يَا حَكِيمُ

لُعْبَة الشَّطْرنج شُؤْمٌ   فَاجْتَنِبْهَا يَا شَؤوم

وهي قصيدة طويلة في ذم الشطرنج من حيث إنه لعب يصرف عن العمل ، وهو يرى أن الشطرنج لعبة الملوك ، والأغنياء :

إنَّمَا هِيَ لأُنَـــاسٍ   شَأْنُهُم شأنٌ عَظِيمُ

مَلِكٌ يُجْبَى إليـــه   أوْ وزيرٌ أوْ نَدِيـــمُ

أوْ رجَالٌ وَرِثُوا الأَمْـ   والَ للدَّهْرِ سَلُومُ (1)

وكانت هذه اللعبة قد انتشرت في عصر هذا الشاعر ، ولعل ذلك بسبب إقبال بعض الأمراء الأمويين عليها ، ومنهم الأمير محمد الذي كان مولعا بها وكثيرا ما كان يلعب بالشطرنج مع فتاة إيدون .

وقد ألف الفقيه الورع ابن الفخار المالقي كتابا أسماه : استواء النهج ، في تحريم اللعب بالشطرنج (2) ، ولكن بعض الفقهاء المشهورين كانوا يلعبون الشطرنج ويجيدون لعبه كالفقيه أبي بكر بن العربي (3) ، ويبدو أن الشهرة به كانت مكروهة على العموم كما يستفاد من حكاية أبي بكر الزهري الإشبيلي ، قال : " كنت كثير اللعب بالشطرنج ولم يوجد من يلعب مثلي به في إشبيلية إلا القليل ، فكانوا يقولون أبو بكر الزهري الشطرنجي ، فكان إذا بلغني ذلك اغتاظ منه ويصعب علي فقلت في نفسي لا بد أن أشتغل عن هذا بشيء غيره من العلم لأنعت به ويزول عني وصف الشطرنجي " ووصف كيف اشتغل بصناعة الطب ثم قال : " واشتهرت بعد ذلك بالطب وزال عني ما كنت أكره الوصف به (4) " على أن الشطرنج كان لعب الطبقة المترفة وعلية القوم ، وكانت تقوم بسببه صلات خاصة بين أصحابه (5) ، وممن اشتهر باللعب به في الأندلس الشاعر الوزير ابن عمار (6) ، والكاتب الوزير أبو جعفر أحمد بن عباس (7) ، والكاتب أبو الحسن ابن عياش (8) ، والطبيب ابن زهر الحفيد (9) ، وفي برنامج الرعيني أن أبا

---

(1) المقتبس 2 : 181
(2) الديباج المذهب : 304
(3) نفح الطيب 2 : 238
(4) عيون الانباء 2 : 80
(5) عيون الانباء : 2 68
(6) المعجب للمراكشي : 178–179
(7) الذخيرة 1/2 : 177
(8) الغصون اليانعة : 43–44
(9) عيون الانباء 2 : 68

زكرياء يحيى بن إبراهيم الحكيم المعروف بالخدوج المرسى الف تاليفا في الشطرنج " يلقبه الناس : الشطرنج المصور ، الحكيم المصغر (1) " .

ومما هو لاحق بالشطرنج " لعب الخميسة " الذي ورد في مثل استشهد به ابن قزمان (زجل رقم 7) :

لسنه الشطرنج كلعب الخميسة .

وإذا كان الشطرنج لعب الخاصة فإن " الخميسة " كانت لعب العامة كما يفيده المثل . وبعض هذه الألعاب هي من ألعاب " القمار " ومنها مما لم يرد في الأمثال : النرد ، والكرك .

وثمة لعب " الغبار " الذي نجده في الأمثال التالية :

صَاحِب فَرْد عَيْن : ما يَلْعَب الغُبَار . (رقم 1591)

أَعْمَش يَلْعَب غبارا ؟ (ابن عاصم رقم 229)

نُص غُبَار تَكْفِي لِلأَعْمَش . (ابن عاصم رقم 771)

ولا نعرف الآن ما هو هذا اللعب .

أمراض إجتماعية

القطم :

كلمة " قطيم " أي مخنث استعمال اندلسي (1 م) والإسم " القطم " والجمع قطماء وقطمة ، وصيغة التناهي والمبالغة : اقطم من ...، وقد وردت هذه الصيغ كلها في الأمثال الاندلسية ، واستعملها الكتاب والشعراء أيضا (2) ، وثمة أزيد من عشرة أمثال تذكر " القطيم " بالسوء (3) ، كما أن الكلمة ترد في الشعر في سياق الهجاء المقذع ، والأمثال تنسب هذا الداء إلى الصقالبة وودور الإشراف (3م) ، ونحن نعرف أن الشعراء والكتاب والمؤلفين ينسبونه إلى المترفين ، ويذهبون في تعليله إلى أنه من مفاسد

---

(1) برنامج الرعيني : 164 . ومن كتاب الخدوج نسخة بدار الكتاب المصرية تحت رقم 497

(1م) يذكر في ترجمة ابي العباس السبتي انه كان يقول للمخاطب : يا قظيم. انظر : اظهار الكمال : 125

(2) زاد المسافر : 7 ، 75 ، 76 والمغرب 1 : 225 والذخيرة 1/2 : 387 وفيها : في الفطمة . بالفاء ، وصوابها : في القطمة . بالقاف

(3) انظر الارقام : 165 ، 384 ، 487 ، 488 ، 520 ، 527 ، 531 ، 787 ، 961 ، 1435 ، 1664

(3م) دار الاشراف ـ بكسر الهمزة ـ في الاندلس مصطلح اداري يقابل مصطلح «الديوانة» أو «الجمارك» والمشرف ـ من اشرف ـ هو صاحب هذه الخطة . وقد ورد اسم : دار الاشراف ، في المثل رقم 531 وفي نص عند المقري في نفح الطيب 4 : 349 : «دخلت عليه يوما بدار الاشراف ...».

الحضارة . وقد نقل ابن سعيد عن الحضرمي اخبارا في قطماء الاندلس ، يقول الحضرمي : " وليس بالأندلس بلد قد شهر بكثرة القطماء مثل قرطبة ، وخاصة منه درب ابن زيدون فيقولون في التعريض : هو من درب ابن زيدون (1) " . ولعل درب ابن زيدون ينسب إلى الشاعر المعروف الذي رمته ولادة بهذا الشأن (2) . وتشير الأمثال والأخبار إلى أنهم كانوا يتخذون العبيد السود لهذا الغرض (3) ، وأغلب الظن أن الأمثال التي رواها الزجالي في القطماء من أمثال أهل قرطبة إذ لم يرد شيء منها في أمثال ابن عاصم الغرناطي ، وفي هذا تأييد لكلام الحضرمي ، ويشهد لذلك أيضا أن الشاعر اليكي يهجو فقيها قرطبيا بهذا المعنى فيقول :

قَالوا هَجَاكَ ابنُ مَيْمُونٍ فقلتُ لهُم يا لَيْتَ شِعْرِي من الهَاجِي فَأدْرِيهِ
قَالُوا الفَقِيهُ الذِّي مِن أرضِ قُرطُبَةٍ قُلْتُ : القَطِيمُ فقَالُوا كلُّهم إيه (4)

الشراب والغلمان

وكان الشراب وهوى الغلمان فاشيين بين الأندلسيين ، تدل على ذلك اخبارهم وأشعارهم ، وتجاوزت شهرتهم بهاتين الخلتين حدود الأندلس ، حتى إن ابن دقيق العيد قال لأبي حيان النحوي : " أنتم يا أهل الأندلس فيكم خصلتان : محبتكم الشباب وشربكم الخمر (5) " . فأما الشراب فقد كان شائعا بين الخاصة والعامة ، ومجالس الشراب ووصف الخمر من الموضوعات الكبرى في الشعر الأندلسي ، وقد حاول الحكم المستنصر قطع الخمر من الأندلس " وشاور في استئصال شجرة العنب ، فقيل له إنهم يعملونها من التين وغير ذلك ، فوقف عما هم به (6) " . وعاقب بعض الولاة بالقتل على شرب الخمر (7) ، وشدد بعض الموحدين في منعها أحيانا (8) ، وكان بعض الفقهاء والعامة يقومون بإنكارها وكسر أوانيها ، وأمر بعض

(1) المغرب 1 : 172
(2) نفح الطيب 4 : 195
(3) انظر المثل رقم 2013
(4) زاد المسافر : 7
(5) الطالع السعيد : 584
(6) المغرب 1 : 181
(7) اعمال الاعلام : 234 ، 276
(8) رسائل موحدية : 164 وعيون الانباء 2 : 80

الأمراء - في ظروف خاصة - بإراقتها وإباحة جماها كما نرى في عهد الحكم المستنصر وأبي الوليد بن جهور ، وكان لذلك صداه عند الرأي العام نجده في قصيدة الرمادي التي تعبر عن رأي الشاربين (1) كما نجده في هذه الأبيات التي يتظاهر فيها ابن زيدون بتأييد رأي أميره ابن جهور ، ومن البيت الأخير فيها نفهم أن العامل الاقتصادي كان له دوره - أحيانا - في الإبقاء على الخمر وعدم التعرض لأصحابها :

لقد أوسَع الإسلام بالأمس حِسبة	نحت غرض الأجر الجزيل فلم تعدُ
أباح حمى الخمر الخبيثة ، حائطا	حمى الدين من أن يستباح له حَد
فطوق باستئصالها المصرَ مِنّة	يكَادُ يؤدّي شكرها الحجر الصَّلد
مظنة آثام وأم كبائر	يقصِّر عن أدنى معايبها العدُّ
هي الرجس إن يذهبه عنه فمحسنٌ	شهير الأيادي ما لآلائه عَدُّ
رأى نقصَ ما يجبيه منها زيادة	إذ العوض المرضى إلاّ يرح يغدو (2)

إلا أن كل هذا قليل بالنسبة إلى ما نراه في تاريخهم ، إذ كان التسامح في الشراب ، والإغضاء عن أهله غالبا عليهم ، وكثيرا ما نقرأ في أخبار قضاتهم إعراضهم وتغافلهم عن السكارى . ويقول الشقندي في وصف ما كان يقع بوادي إشبيلية : "وقد سعد هذا الوادي بكونه لا يخلو من مسرة ، وأن جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر لاناه عن ذلك ولا منتقد ، ما لم يؤد السكر إلى شر وعربدة ، وقد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك ، فلم يستطيعوا إزالته " (3) .

وقد جاءت أمثالهم صورة من واقع حياتهم ففيها إغراء بالشراب ولكن في الستر (4) ، وتفضيل الخمر على الرب ، (5) ومن أمثالهم المعبرة :

القِطَاعَ والقَرَاعَ ، ويجى الشَّرَاب مِنْ سَاعَ . (رقم 237)

شُرب الخَل خَيْر مِنَ العُطَالَة . (رقم 1886)

شَيْن بِشَيْن الشَّرَابْ أَرشَدْ . (رقم 1912)

وثمة أمثال تشير إلى الإدمان والمدمنين والشراب بالدين وبعض العادات الخاصة بالنقل أو " التمالح " كما كانوا يسمونه (6) .

---

(1) انظرها في جذوة المقتبس : 14-15

(2) ديوان ابن زيدون : 34 (شرح وتحقيق محمد سيد كيلاني) .

(3) نفح الطيب 4 : 199

(4) المثل رقم 78

(5) المثل رقم 219

(6) الأرقام : 1457 ، 1788 ، 1473 ، 132 ، 1084

كما وردت أمثال عديدة في اللواط والصبيان والمرد مع إشارات إلى بعض من عرفوا بذلك (1) ، ويفهم منها أن اللواط كان منتشرا في أوساط الطلبة والكتاتيب (2) ، وذلك ما تشير إليه بعض الأخبار أيضا ، ويبدو أن حوادث القتل بسبب اللواط والقطم كانت كثيرة ، وأن مصير اللائط أن يموت قتيلا كما جاء في المثل :

عنُ مُقَابِل : لَوَّاطْ مَقْتُولْ.. (رقم 1676)

وقتل بعض أدباء الأندلس المعروفين بذلك شر قتلة (3) ، ونجد في بعض كتب النوازل تفصيلات غريبة عن الأماكن التي كان يتخذها اللاطة والمؤاجرون لهذا الغرض وما كانت تشتمل عليه من فنون الإغراء والإثارة كبعض الصور الخاصة وأدوات اللعب (4) .

عدم الغيرة :

وفي أمثالهم سخرية شديدة من " القران " أي الديوث الذي لا يغار على أهله ، ومن ألطف أمثالهم في ذلك قولهم :

أول ما يعْطَى للقرَّان حسن الظَّن . (رقم 256)

وقد ذكر ابن حزم في طوق الحمامة بعض من عرف بهذا الوصف من معاصريه في المجتمع القرطبي (5) ، وأنكر فعلهم وهجاهم وقال في أحدهم قطعة منها :

أنتَ لا شَكَّ أحسنُ النَّاسِ ظَنّاً ويَقِينا ونِيَّة وضَمِيرا (6)

ونعت ابن محرز الوهراني بعضهم في رسالة له " بالتغافل وحسن الظن وقلة الفضول (7) " .

وهو يشير إلى ما جاء في المثل ، ولهذا نراهم ينصحون بالشك وعدم الثقة والاطمئنان فيقولون :

كَثْرة الاطْمِنَنْ تولّد القُرون . (ابن عاصم رقم 597)

---

(1) الارقام : 511 ، 521 ، 1600 ، 1613 ، 1615 ، 1616 ، 1786 .
(2) الارقام : 532 ، 730
(3) الغصون اليانعة : 43
(4) الاحكام الكبرى (مخطوط)
(5) طوق الحمامة : 130–132
(6) المصدر نفسه : 132
(7) منامات الوهراني : 135 (تحقيق ابراهيم شعلان ومحمد نغش) .

وقالوا :

مِنْ غَمْزَ يَرْجَع الرَّجل قرَّانْ . (رقم 1539)

مَنْ ازْوَجْ قَحْبَة قرَّان بِشَهَادَة . (رقم 1249)

الزنا :

اما الزنا فقد ورد النهي عنه كما في المثل التالي :

لاَ تَسْرقْ مَعَ مَنْ اسْرَق ولا تَزن مع مَنْ زَنَا . (رقم 2023)

ولكن أمثالا أخرى تشير إلى ارتكابه واحترافه وإلى شهرة بعض الأماكن به (1) ، ويفهم من بعض الأمثال أنه يشترط في البغي أن تكون عارفة بالغناء والرقص (2) ، وكان يطلق على من يسكن في الفنادق من النساء لهذا الغرض : خرجيرات (3) أو خراجيات ، وفيهن ورد المثلان :

انْجَبَرَت الخَرْجير بصَاطِل . (ابن عاصم رقم 244)

فندَق بنْ راغُو : نَصَارا ويَهُودْ ومُسْلِمين ان لطافْ (رقم 1770)

وفي بعض الأمثال سخرية شديدة من أولئك الذين لا يشبعون من الخبز وليس لهم مال ولا منزل ومع ذلك يتتبعون النساء (4) ، وكما رأوا أن القتل عاقبة اللواط رأوا أيضا أن الجذام (ولعلهم يعنون الأمراض التناسلية) عاقبة الزنا (5) .

السرقة

ويتردد في أمثالهم ذكر السارقين واللصوص والطرق المخوفة واعتراض القوافل ، ومنها ما يشير إلى قطاع الطرق الذين كانوا يتربصون بالمسافرين في المنعرجات (6) ، وقد أشار ابن سعيد إلى حوادث السرقة والتلصص بالأندلس ، ومما قاله : " ولا تكاد في الأندلس تخلو من سماع " دار فلان دخلت البارحة" و " فلان ذبحه اللصوص على فراشه (7) "

ويشير أحد أمثالهم إلى مزية الأسوار وأبوابها في الوقاية من اللصوص :

---

(1) رقم 1824

(2) رقم 1796

(3) الفاظ مغربية : 155 والذخيرة 1/1 : 207

(4) رقم 1030 ورقم 1375

(5) رقم 1676

(6) الامثال رقم 43 ، 1051 ، 1395 ، 1759 ، 1798 ، 1830 ، 1845

(7) نفح الطيب 1 : 204

أشْ عَمِل الصور (السور) إلا لابناء الحلّال . (ابن عاصم رقم 99)

والشاعر ابن مسعود القرطبي قصيدة يصف فيها لصا أخذه في طريق قرطبة (1) ، وكانت جبال قرطبة وكرا لقطاع الطرق ، واشتهر بعضهم وضرب بهم المثل كالبازي الأشهب وأبي الريش (2) ، والبازي الأشهب نموذج لقطاع الطرق الذين عرفتهم جبال قرطبة Sierra Morena في العهد المسيحي ، وقد انتهى أمر البازي الأشهب بأن جعله المعتمد بن عباد في حرسه (3) ، وظل الناس يذكرونه إلى أيام ابن قزمان الذي يقول في مدح أحد الولاة (زجل 78) :

لَو ذاق " الفَلاّك " سيْفَك لم يُقتلْ بَشَرْ
ولَوْ راك " البازْ الأشهب " يَمَام كَانْ يَصيرْ

وقد أصبح اسم "الفلاك" في بلدان المغرب فيما بعد علما على قاطع الطريق ، والجمع : فلاّكة ، ولم يكن هؤلاء الخارجون على القانون من الأراذل أو ممن نبذهم المجتمع دائما بل كان بعضهم من أبناء السراة المثقفين أحيانا كما هي حالة أبي الحسن علي بن جودى الذي اتهم في دينه فطلب ففر وصار مع قطاع الطريق ، وله قطعة شعرية يصور فيها شعوره ورأيه في إخوانه في لهجة قرمطية نلمح فيها أيضا نفس المتنبي في بعض شعره :

فأقسم لولا البعد منكم لسرّني	ثوائي بالغابات وهي فلاة
فإنّ بها من رهط كعب وعامرٍ	سراة نمتهم العلاء سراة
أبوا أن يحلوها بلاد حضارة	مخافة ضيمٍ والكفاة أباةُ
فحطوا بأم القفر داراً عزيزة	تمار على حكم القنا و تقات

وهو نص حي فيه شيء من دلالة تومئ إلى الأسباب النفسية والاجتماعية والسياسية لظاهرة قطاع الطرق في الأندلس .

وكان الصلب في الغالب عقوبة قطاع الطريق . إذ نجد شاعرا يصف ثلاثين منهم صلبوا على نهر قرطبة ، فيقول :

ثلاثُون قدْ صُفِّفُوا كُلُّهم	وقد فَتَحُوا أذرعا للوَداعِ
وما ودّعوا غير أرواحِهم	فكَان وداعًا لغير اجْتِماعْ (4)

(1) الذخيرة 1/2 : 75–77
(2) الذخيرة 1/2 : 76 والعاطل الحالي : 211 ﻓﻲ زجل لمدغليس
(3) نفح الطيب 5 : 264–265
(4) اختصار القدح المعلى : 90 ونفح الطيب : 4 : 292

التسول :

ذكر ابن سعيد أن التسول كان مستقبحا في الأندلس إلى النهاية ، وقال : " وإذا رأوا شخصا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه ، فضلا عن أن يتصدقوا عليه ، فلا تجد بالأندلس سائلا إلا أن يكون صاحب عذر (1) " . وقد نجد في أمثالهم ما يشهد لهذا الكلام ، كقولهم :

لاَ صَدَقَ ، ولاَ قول انْ مَعْروفْ . (رقم 1977)

إلا أننا نجد أيضا أمثالا عديدة يذكر فيها " الساعي " أي السائل ، كقولهم :

بَحَال منْ سَعا واهْتَرقْ لُ . (ابن عاصم رقم 277)
بَنِي حاجَ (2) بَحَلْ ذبَّان الفَرَسْ . (رقم 590)
سَمِعَتْ بِنْت السُلْطَان السَّاعِي يَسْعَى ، قَالَتْ :كِتَّعْمَلْ شَبَات بِشَحَمْ . (رقم 1845)

وذكر ابن خلدون في مقدمته أن السائلين يختلفون باختلاف الأمصار في العمران ، ووصف ما شاهده في زمنه إذ يقول : " فإن السائل بفاس أحسن حالا من السائل بتلمسان أو وهران ، ولقد شاهدت بفاس السؤال يسألون أيام الأضاحي أثمان ضحاياهم ، ورأيتهم يسألون كثيرا من أحوال الترف واقتراح المآكل مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ ، والملابس والماعون كالغربال والآنية ، ولو سأل سائل مثل هذا بتلمسان أو وهران لاستنكر وعنف (3) وزجر " . ولعل قولهم : " ساع بميلق " . يشير إلى شئ مما ذكره ابن خلدون

الخرافة والشعوذة

رددت الأمثال أصداء بعض الخرافات الشعبية عند الأندلسيين ، فمن ذلك ما كانوا يقولونه " من تخييل الجن في الأرحاء والحمامات وعدم إقدام الناس - إلا من شذ - على دخولها منفردين بالليل لا سيما في الظلام " ولعل هذا المثل الغرناطي يشير إلى ذلك :

---

(1) نفح الطيب 1 : 205

(2) فاتني أن اذكر في شرح هذا المثل أن اضافة بني حاج وردت في بيت لليوسي يقول فيه (ديوانه : 8/8) :

فان بني الدنيا «بنو الحاج» ما اجتنوا من العود الا مثمرا غصنه غدا

(3) مقدمة ابن خلدون : 343

جن رحا : أسود مغبّر . (ابن عاصم رقم 365)
وذكر هذا أبو البركات البلفيقي في أبيات له منها :

زعَم الذين عقُولُهم	إن عُرِضت للبيع غير ثمين
أن الرَّحا معمورةٌ بالجنّ والْ	حمَّام عندَهم كذا بيقين

وكانوا يتطيرون من أشياء ورد ذكرها في بعض الأمثال :
طَيْر العَشِي طَيْرانْ مُوذِي (رقم 1 053)
خَيْر يا طَيْر . (ألف باء ا ، 129)
واشارت الأمثال إلى المشتغلين بالسحر والتنجيم :
ضَرَّابة الخَفيف : المقْرَع والتَّكْتِيف . (رقم 1632)
يمَنّي بالزهرا ، ويسْكُن في عش نَسْرا . (رقم 2136)
كما أشارت إلى المشتغلين بالحروز والتعاويذ :
حُروز خَطَّاب . (رقم 843)—
حِرْز أبي دُجانه . (رقم 844)
وتعتبر المنظومة التي عَزاها ابن الخطيب للنباهي في هذا الباب جامعة للحروز والتمائم التي كانت تعلق حجابا لصاحبها مما يلي :

من الجن والعمار أو أم ملدم	وتلك هي الحمّى ،ووسوسة النفس
ومن أم صِبْيَان وسحْر وبغضة	ومن رَبْط ذي عُرس تكَلف في عرس
ومن ساكن الحمَّام والفُرن والرَّحى	ومن ساكني قبر القَتيل من الإنس
ومن غولة في القَفْر أو صوت هاتفٍ	ومن وجع في الرأس يُخرج عن حِس

ولمحت الأمثال إلى حيل المشعوذين بالطب والصيدلة في الأسواق والأماكن العمومية ، وذلك ما نجده في قصيد ظريف للشاعر الهزلي ابن مسعود القرطبي (1) .

قيم اجتماعية

إن الأمثال التي تعني بالسلوك الإنساني كثيرة جدا ولو أردنا أن نتتبعها بالتصنيف والتحليل لطال هذا الفصل، ولذلك فسنكتفي بتقديم نماذج من بعض القيم الاجتماعية التي تبدو بارزة في الأمثال الأندلسية :

(1) الكتيبة الكامنة : 149—150

الادخار والاحتياط :

ذكر ابن سعيد أن الأندلسيين " أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال ، فلذلك قد ينسبون للبخل (1) " ونحن نجد مصداقا لهذا الكلام في أمثالهم فهي توصي بالادخار :

ارفَعْ ما شيت يقلْ لَكْ الزّمن هيتْ . (رقم 427)
مَنْ رفَع مِن غداهْ لعَشَاه لِسْ يَنْتَقَم عَلَيْه أَعْداهْ . (رقم 1377)
مَنْ بَات بِلاَ عَشَى ، عُطَار دِي يَصْبَحْ هُو . (رقم 1258)
مَنْ مَاعْ تَرُنْجَ لِيَنَّيرْ يَرْفَعْهَا . (رقم 1412)
ارْجَعْ فَلْس بَقَى لَكْ . (رقم 451)

وهم يفضلون خزن الزرع على بيعه حتى ولو دخله السوس :

سُوسْ خَيْر مِنْ فُلُوسْ . (رقم 1846)

ويخزنون الثوب حتى يبلى ولا ينتفع به :

حُزْنِي عَلَى الْقَبْطِيَ ، بَلَتْ وهِيَ مَطْوِيَ . (رقم 839)

وهم يقولون في المرء يدخر الشيء فيجده في وقت الحاجة والشدة :

مَنْ مَاعْ مَا يَبِيعْ ، اِسْ يَضِيعْ . (رقم 1414)

ويقولون في معنى الاحتياط أيضا :

لاَ تَهْرَقْ مَا ، حَتَّى تَجِدْ مَا . (رقم2015)

وينصحون بالاقتصاد في المعيشة فيقولون :

اخْلَط الْقَمح تَصْلُحْ . (رقم 418)
كُلْ خُبْزَكْ بِالمَكْ ، يكُونْ أَوْفَر لدرْهَمَكْ . (رقم 1140)
اشْتَرِي بِقِطَاعَكْ ، مَا يَدْخُل فِي اصْبَاعَكْ . (رقم 464)

وهم يرون أن شراء الأشياء الغالية سبب في الفقر :

الشّيكِلَ تِفَقّرْ . (رقم 348)

ويقولون في معنى الإنفاق بدون حساب :

مِنْ ابِيْ تَاخُذْ وَلاَ تَجْعَلْ ، الْقَاعْ تَصَلْ . (رقم 1455)

ومن أمثالهم في حسن التدبير أيضا قولهم :

مَنْ اهْتَرقْ زيتُ فِي دقِيقُ يَعْمَلْ الكَحْكْ . (رقم 1393)

---

(1) نفح الطيب 208/1

عَلَى قَيْسْ كِسِيك ، تمُدْ رَجْلِيكْ . (رقم 1640)
الدقِيقْ مِن السَّحَر والعَشَا مِنْ الظُّهَر . (رقم 282)

النظافة

ووصف ابن سعيد أيضا أهل الأندلس بنظافة الملبس والفراش وغير ذلك ، ولسنا ندري هل كان مبالغا حين قال : " وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه فيطويه صائما ويبتاع صابونا به يغسل ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها (1) " ومهما يكن فإن أمثالهم تذم القذارة وأهلها و تصورها بكيفية منفرة ، وبلغ من تقديرهم للنظافة أن دعوا إلى تطليق المرأة التي تمتخط في قناعها أو تدخل أصبعها في أنفها :

إذا رَيْت المَرَا تَمْخَطْ في قنَعْها ، وتخرَّجْ المَفْتُولْ
بأصْبعْها لاَ تَبْقَى مَعْهَا . (رقم 38)

وصفة القذارة في المرأة رذيلة لا تحتمل :

كُل شِيء يَهُون ، إلاَّ الغَزْل المَعْفُون . (رقم 1091)
سَمِجَ ومَقْذُورَ ، حرَّ غير مشكور . (رقم 1858)

ورسموا صورا للقذارة تبعث على التقزز حين قالوا :

اقْذَر مِنْ ولَد ناصَر الطَّباخْ الذي كَانْ يَقْتُل القَمْلَ عَلى
صُلْب المغرفَة ويمسَح المغْرفَة في صُلب الكَلْبْ . (رقم 514)
ترد (ثريد) أم حَكم التِي اسْتَنْجَت بيَد المهْرازْ . (رقم 340)

والمخاط والبصاق في الأرض من العادات المستهجنة :

بَحَل ربّي فِي شُنُوغَ يَتَحَرَّكْ ويَبْزَقْ . (رقم 642)

ومن أمثالهم التي لها دلالة في هذا الباب أيضا قولهم :

كَنَسْ وجَلَسْ . (رقم 1156)

ثُلُثْ الخَبْيَ دُرْدِي ، شَيء انْ رَدِي . ز رقم 744)
رَخِيصْ كَسْر الخَابْيَ بِعَقْر الفَارْ . (رقم 991)
مَا كَفَى العَيْشْ المُر إلاَّ فِيه الدَّبَّانْ . (رقم 1514)
قَدْرة المزَّفْت مَا يُطْبَخْ فِيها مُعَسَّلْ . (رقم 1822)

ويرد في أمثالهم ألفاظ التطرية والتبخير والرش بالماورد والحمام والحك والمنديل وما إلى ذلك مما يدل على بيئتهم الحضرية :

---

(1) نفح الطيب 1 : 208

العمل :

اكثر أمثالهم تحثُّ على العمل والسَّعي وتذم الكسل والعجز ، وفيما يلي طائفة منها :

غُبَار العَمَل اخْيَرْ مِنْ زَعَفْران العُطْلَة . (رقم 1719)

اخْدَم بَاطِل وَلاَ تَجْلَس عَاطِلْ . (ابن عاصم رقم 220)

مَنْ جَلَسْ بِلاَ شُغْلْ يَطْلُبْ فِي رَاسْ قُولُ عَظْمْ . (رقم 1433)

الجُلُوسْ بِلا شُغْل يِحَمَّقْ . (ابن عاصم رقم 172)

مَنْ حَبْ لُلُهْ ، يَرْقُصْ التِّيل كُلُّهْ . (رقم 1375)

مَنْ لُو حَاجَ ، يَرْكَب المَحَجَّ . (رقم 1396)

وقالوا في معنى الراحة تجئ بعد التعب :

قَرَّ قولُ من سَعَا . (ابن عاصم رقم 563)

ومن أمثالهم فيمن يطلب الشئ عفوا بلا تعب :

وَقَدْ مَرَسْ وابْرِيلْ ، وَجَا فِي وَقْتْ حِصَاد الشَّعِيرْ . (رقم 996)

يَا رايْدِينْ العَصِيرْ ، ايْ كُنْتُمْ وَقْت الزَّبِيرْ . (ابن عاصم رقم 834)

وقد عبروا عمن يبقى كلا على غيره ولو كان أخا أو قريبا بما يدل على الاحتقار الشديد (1) ، وقالوا في عمل الشئ في وقته :

مَنْ تَوضَّى قَبْلَ الوَقْتْ ، صَلَّى فَالوقْتْ . (رقم 1250)

مَنْ خَلاَّ شُغْل اليوم لِغَدا ، مَا يَفْلَحْ ا'بَدَا . (رقم 1456)

ولهم في مداومة العمل والمواظبة عليه :

مَنْ واظَبَ الرَّحَا يَطْحَنَ . (رقم 1421)

على أنه قد ورد في أمثالهم ايضا ما يصرح بأثر القضاء والقدر والحظ في مسالة الرزق كما في هذه الأمثال :

ا'رْزاقْ الثَّعَابِين ، للكِيفَانْ تَقْطَعْ . (رقم 123)

الرِّزْقْ والاَجَلْ ، مَا فِيهِمْ عَمَلْ . (رقم 257)

الذي خَرَقْ الاَشْدَاقْ ، يَأْتِي بالاَرْزاقْ . (رقم 353)

المال :

لا تختلف الامثال عن غيرها من مأثور القول في ذلك الموقف المتناقض تجاه المال ، ولهذا جاءت بعض أمثال الأندلسيين معبرة عن فكر واقعي يحترم المال ويقدر دوره الكبير في الحياة ، وجاء بعضها الآخر مستوحى

---

(1) رقم 1276 ورقم 1277

من نزعات دينية أو صوفية تدعو إلى الزهد والقناعة والكفاف . فالأولى تقرر أن قيمة المرء ما يملك من مال :

الرَّجُل بالقِطَاعْ ... (رقم 238)

عِنْدَك شِي ، تَسْوى شِي . (رقم 1699)

وصوروا سلطان المال وقدرة أصحابه على تحقيق المعجزات - بالنسبة إلى عصرهم - فقالوا :

القِطَاعَ ، تِطَلَّعْ المَا للصُّمَعَ . (رقم 336)

والناس تبع لصاحب المال يتهافتون عليه ويميلون إلى جانبه :

مَنْ مَاعُ كَرْسَعَنَّ الحَمَامْ تَتْبَاعُ . (رقم 1261)

والفقر ذلة ، وهو ينفي عن المرء صفة المروءة لأن المرء إذا افتقر يضطر إلى ارتكاب ما يخالف أخلاق المروءة :

القِلَّة ذِلَّة . (رقم 480)

مَا مَع القِلَّة مُرُوَّة . (رقم 1332)

الزَّلْطْ مَالُو مُروة . (ابن عاصم رقم 153)

أما أمثال الزهد والقناعة فهي عديدة كقولهم :

اَيْأَسْ عَنْ الغِنَى يَطِيبْ عَيْشَكْ . (رقم 408)

أَقَلْ رزقْ يِبَلَّغْ الأَجَلْ . (رقم 221)

ولهذا فما أسوأ حظ الذي لم يُرزق شيئا :

سِويدْ (يَاسواد) مَن لاَ يُعْطِيهْ اللّه شَيئًا . (رقم 866)

على أن ثمة مثلا يحمل - فيما نفهم - تهكما لاذعا بمثل هذه الأمثال ، ويرى أنها ضرب من خداع النفس وتعليلها ، وهو قولهم :

تَعْزِيَة الفَقِيرْ : لاَ مَالْ إِلاَّ الصِّحَّة . (رقم 762)

وقد نجد لهم في مشكلة الفقر والغنى امثالا في غاية التعبير والدلالة كهذا المثل الذي يقول - بصيغة الاستفهام - إن الناس يخرجون من بطون أمهاتهم لا يملكون شيئا :

مَنْ خَرَجْ مِنْ بَطْن أمُّ بِخَرِيطَ في كُمُّ ؟ (رقم 1286)

وهناك أمثال في ذم الطمع والجشع كقولهم :

مَنْ أَكَلْ وَحْدُ يَخْتَنَقْ . (رقم 1437)

مَنْ مَاتْ مِنْ شَبْعَ لاَ أقَامه اللّه . (رقم 1445)

وقالوا :

مَنْ أَكَلْ سَهْمُ يَغْلَقْ فُمُّ . (رقم 1291)

الجماعة والفرد :

نجد في أمثالهم ما يدعو إلى التمسك بالجماعة والحض على عدم الخروج من دائرتها حتى ولو كانت على خطأ :

اخْطَ مع الجَماعَ ، ولاَ تُصِبْ وحْدَكْ . (رقم 119)

مُتْ مَعَ النَّاسْ وَلاَ تَعِشْ وحْدَكْ . (ابن عاصم رقم 750)

ومنها ما يصور قوة الجماعة وخضوع الفرد لأحكامها ، ويدخل في ذلك أيضا تلك الأمثال التي تدعو إلى التعاون ، إلا أننا نجد أيضا النزعة الفردية والسلوك الأناني في أمثال أخرى كقولهم :

لِسْ يَدْرِي أحَدْ بِحِس أحَدْ . (رقم 1176 ظ)

ضَربْ في جَنْبْ غَيْرَكْ أوْ فَالحِيطْ سَوَا . (رقم 1619)

شَوِيَّه انْ لِسْ لَكَ دَعْهَا تَحْتَرقْ . (رقم 1900)

ويبدو ذلك في أمثال أخرى تدعو إلى الاعتماد على النفس وعدم الاتكال على الغير حتى ولو كان من الأقرباء :

مَن اتَّكَل عَلَى مُرَيْقَة جَارَت ، أصْبَحَت كُسَيْرتُ لِراسُ (رقم 1290)

خَلاَّ لَكْ وِلْدَكْ شِيِ ، انْ عَمَّكْ لِسْ يَعْطِيكْ شِيِ . (رقم 896)

ويبدو أيضا في تلك الأمثال التي نرى فيها الصلات بين الناس تقوم على سوء الظن والحيطة والحذر ، ومنها :

إذاَ ريْت الجالسْ يسَلَّم على الواقف ادر أن ريبة ثَمَّةْ . (رقم 33)

اقْرأ النَّقِيص مَعَ كُلْ أَحَدْ تفْلَح . (ابن عاصم رقم 250)

الظن اللطيفْ لا تِفارَقُ . (ابن عاصم رقم 177)

عُمْ واحرزْ ثيَابَكْ . (رقم 1633)

فِراخ الزُمَّجْ : مَنْ غْفَلْ طَارَتْ عَيْنُ . (رقم 1763)

والمنفعة هي الباعث المحرك في كثير من مظاهر السلوك وصلات الأفراد كما تعبر عن ذلك هذه الأمثال :

لَوْ عطِيتني بُضَيْعَ ، كان نبكي مَعَك دُمَيْعَه . (رقم 1246)

تعطيني الجُمَيِّل ، قالَ حَتَّى ترحَّل الجُمَيِّلْ . (رقم 738)

دَا تُقَال الفَوائِدْ ، إلاَّ عَلَى المَوائِدْ . (رقم 1318)

لِسْ يَصْطَادْ قط لِلَّه . (رقم 1168)

ووصفوا في بعض أمثالهم ما ينتج عن الإحسان وعمل الخير من أذى احيانا فقالوا :

ارمِينَ عليهِمْ جَرْدونَا . (رقم 215)
ضَمَمْنَاه لَكْه خَرْجَتْ لَنَا مَنُهُ علّه . (رقم 1625)
عَدُو اليتيم مَنْ يرَبّيه ، وعَدوُ القط من يَفْلِيه . (رقم 1639)
سُقنَ للدَّارْ ديك ، خَرَجْ لَنَا مَنُهُ شَريك . (رقم 1833)
وَاس الضّعيفْ ، يَرْجَعْ لَكْ حَريفْ . (رقم 1942)

والعلاقات بين الناس تبدو في الأمثال غالبا في صورة قاتمة ، وفي الجار نحو عشرة أمثال ومعظمها تذكره بالسوء كقولهم :

جَارِ جارانْ مشُومْ يَرَى فِي عَيْنِ التبن وَلاَ يَرَى فِي عَيْنُ الطّمو نْ . (رقم 764)

خَسَارة انْ لاَ يَدْرِي بِهَا جَارَكْ : فَضَلْ هِيَ كُلْهَا . (رقم 794)
ومثل هذا في الأقارب ، وإذا وجدنا مثلا يصور البرور على النحو التالي :
تَنْزَعْ مِنْ فَمّهْ ، وتَعْطِي لَمّهْ. (رقم 740)
فإننا نجد نقيضا له كما يلي :
خَلّ وِلْدَكْ ، وكُلْ وَحْدَكْ . (رقم 916)
وقالوا في بعض الأقارب :
خَلاّ لَكْ وِلْدَكْ شِيْ ، إنَّ عَمّكْ لِسْ يَعْطِيكْ شَيْ . (رقم 796
وفي الأصهار :
إذا رَيتْ سَلْفك ، سل سيْفك . (رقم 55)
من يريد الحَسَنة يَدْبَح الختَنَة . (رقم 1464)
وفي الأصحاب :
الصُّحبَ واحِدَ والعَيْش خلافْ . (رقم 181)

ومن ابرز نواحي السلبية في الأمثال القديمة تلك التي تحذر من قول الحق أو المجاهرة بالرأي كقولهم :

العاقِلْ مَنْ يرى ويستَحسنْ . (رقم 253)
لِسْ يَقُولْ الحَق ، إلاّ صَبي أَو احْمَقْ . (رقم 1177)
لاَ تَقُلْ طَابَتْ وَلاَ احْتَرقَتْ . (رقم 2025)

وبالجملة فإن النقد الساخر هو الغالب في أمثال السلوك ، كما ان لهجتها أقرب إلى التشاؤم منها إلى التفاؤل وربما كان ذلك راجعا إلى انها كثيرا ما ترسل في أعقاب تجارب مريرة .

ونشير في الأخير إلى أن هذه الأمثال العامية - برغم سيرورتها في بيئة إسلامية - قد تخالف أحيانا في منطوقها ومفهومها روح العقيدة الإسلامية

السنيّة ، وقد تنبه إلى هذا فقيه إشبيلي هو أبو علي السكوني الذي ألف رسالة أسماها " لحن العوام ، في ما يتعلق بعلم الكلام (1) " وفي هذه الرسالة نجد السكوني يتتبع بعض أمثال العوام وأدعيتهم ومختلف عباراتهم ناقدا ومبينا ما فيها من زيغ عن العقيدة ، فهو يرى أن قولهم :

ما يسمع الله من ساكت (2) .

يخالف قول الله تعالى : " أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون " .

ويرد على قولهم :

يجعل الله لكل شيء سَبَبْ (3) .

بأنه " باطل " لأنه كلام يلزم منه التسلسل ، لأن السبب شيء مجهول يستدعي سببا آخر ، إلى غير نهاية فيلزم منه القول بقدم العالم ، وهو كفر والعياذ بالله من سخطه " .

ومما رأى أن فيه رائحة من الشرك قولهم :

سبحان الله وما يخلق .

ما يرحمك إلا الله ودراهمك .

أنا بالله وبك .

ومما رأى أن ظاهر لفظه يشعر بإنكار المعاد والحشر قولهم :

ما رأيت قط من رجع من المقابر .

كذا وجدناها وكذا نتركها(4) .

وثمة أمثال رأى أنها تصرح بالاعتراض على الله تعالى في أحكامه وعدم الرضا بقضائه كقولهم :

يعطي الفول لمن ليس له أسنان(5) .

أين كنا عن هذه القسمة (6) .

قيل لبعضهم : كيف عشت ؟ قال : كيف وجدت لا كيف أردت .

ونرى أن السكوني تمحّل أحيانا في تأويل كلام العامة وإن كنا نسلم أن أقوالهم وأمثالهم ليست موزونة دائما بميزان العقيدة الدقيق .

---

(1) نشر هذه الرسالة الاستاذ عبد القادر زمامة في مجلة معهد المخطوطات (المجلد 17 السنة 1971).
(2) انظر المثل رقم 1189 في القسم الثاني
(3) ابن عاصم رقم 847
(4) انظر المثل رقم 1137 في القسم الثاني
(5) انظر رقم 2143 في القسم الثاني
(6) انظر المثل رقم 302 في القسم الثاني

الفصل السادس

الجانب اللغوي والأدبي في الأمثال الاندلسية

رأينا من الفصول السابقة بعض ما تقدمه الأمثال العامية الأندلسية من فوائد تاريخية واجتماعية وأدبية ، ولهذه الأمثال أيضا قيمة لغوية لا تقل أهمية عن قيمتها من النواحي التاريخية والاجتماعية والأدبية ، وهي بلا شك تضيف مادة جديدة إلى ما هو معروف حتى الآن من نصوص ووثائق في العامية الأندلسية كأزجال ابن قزمان وغيرها من النصوص العامية ، وكتلك السلسلة من المؤلفات الأندلسية في لحن العامة التي بدأها أبو بكر الزبيدي (ت 379)وتبعه ابن هشام اللخمي (ت 577) وابن هانئ السبتي الإشبيلي (ت 733) وابن جزي الغرناطي (ت 741) وابن خاتمة (ت 770) ، وتلك المعجمات الثلاث التي ألفت في إسبانيا خلال القرون الوسطى وحوت كثيرا من مفردات العامية الأندلسية ، مثل المعجم اللاتيني العربي : Glossarium latino - arabicum الذي ألفه مجهول في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) ، والمعجم الذي ينسب إلى الراهب القطلاني رمند مرتين (1) من أهل القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) وعنوانه : Vocabulista in arabico والمعجم الذي ألفه الراهب فرأى بدور الكالا نحو سنة 1505 بعنوان : Vocabulista arauigo

وربما كانت الأمثال كالأزجال من أكثر هذه الوثائق قيمة في معرفة طبيعة العامية الأندلسية وخصوصا من حيث البناء والتركيب ومجال الإستعمال بوجه عام ، ذلك أن كتب لحن العامة والمعاجم المذكورة لا تعني الا بالألفاظ والمفردات ودلالاتها وتطوراتها ، وقداهتم جماعة من الباحثين بدراسة الناحية الصوتية في العامية الأندلسية مثل سيمونيت وشتايجر و عكف الاستاذ كولان منذ زمن بعيد على استخراج قواعد عامة لها ، ولعل هذه الامثال تقدم مادة جديدة للمشتغلين بدراسة العامية الاندلسية.

وقد نشأت هذه العامية الأندلسية في ظروف تاريخية لا نكاد نعرف من أمرها شيئا ذا بال مثلها في ذلك مثل سائر اللهجات العربية ، وهي على

---

(1) انظر فيما كتب في رمند مرتين والقاموس المنسوب اليه ومؤلفاته الاخرى كتاب تاريخ الفكر الاندلسي لبالنشيا (ترجمة د. مونس) من ص 540 الى ص 542 والمصادر التي حال عليها ، وفي مجلة الاندلس مقالات حول معجمه المذكور.

كل حال ثمرة انتشار العربية في بيئات جديدة متعددة العناصر واللغات ، ونتيجة اختلاط العرب الفاتحين بغيرهم من العجم والبربر ، ومظهر لما يطرأ على العربية عادة من التبديل والتغيير حين يتكلم بها غير أهلها ، وقد وصف ابن حزم بعض هذا الذي ظل يحدث في عامية الأندلس حتى عصره فقال : " ونحن نجد العامة (يقصد عامة الأندلس) قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا ، وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق ، فنجدهم يقولون في العنب : العينب ، وفي السوط : اسطوط ، وفي ثلاثة دنانير : ثلثدا . وإذا تعرب البربري فأراد أن يقول الشجرة قال : السجرة ، وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء فيقول : مهمدا ، إذا أراد أن يقول محمدا (1) " ويشير إلى اختلاف عامية الأندلس بين بلد وآخر فيقول : " ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة ، وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله (2) " ونجد عند ابن شهيد - معاصر ابن حزم - إشارة عامّة ولكنها لا تخلو من دلالة حيث يقول في رسالة التوابع و الزوابع - متحدثا عن كلام معاصريه من الكتاب فيما بينهم - بأنه " ليس لسيبويه فيه عمل ، ولا للفراهيدي إليه طريق ولا للبيان عليه سمة ، إنما هي لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط (3) ". وقبل ابن حزم وابن شهيد ألف الزبيدي كتابه لحن العوام وأشار فيه إلى بعض مظاهر العامية في عصره كما سنذكر شيئا من ذلك فيما بعد ، وأشار المقدسي في القرن الرابع إلى لغة أهل الأندلس فقال : " ولغتهم عربية غير أنها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الأقاليم ، ولهم لسان آخر يقارب الرومي (4) " فالمقدسي يقرر هنا صعوبة العامية الأندلسية على فهم المشارقة ومخالفتها لعامية المشرق كما يقرر مسألة أخرى هي الازدواج اللغوي الذي سنشير إليه بعد قليل .

ويبدو أن ظهور الموشحات والأزجال كان مؤذنا بأن العامية الأندلسية بلغت ذروة التكوين والاستقرار ، وأصبحت لهجة أدبية تنافس الفصحى ، فإذا وصلنا إلى القرن السابع الهجري وجدنا ابن سعيد يصف لغة أهل الأندلس في عصره فيقول : " مع أن كلام أهل الأندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية ، حتى لو أن شخصا

(1) الاحكام في اصول الاحكام : 1 : 32
(2) المصدر نفسه : 1 : 31.
(3) التوابع والزوابع : 117
(4) احسن التقاسيم : 243 ط. دي خويه

من العرب سمع كلام الشلوبيني أبي علي المشار إليه بعلم النحو في عصرنا الذي غربت تصانيفه وشرقت وهو يقرئ درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذي في لسانه ، والخاص منهم إذا تكلم بالإعراب استثقلوه واستبردوه ، ولكن ذلك مراعى عندهم في القراءات والرسائل (1)" وهذا يصور بُعْد ما بين لغة الكلام والتدريس ولغة الكتابة والإنشاء .

وأخيرا نجد ابن خلدون يقرر في مقدمته أن لغة أهل الأندلس لغة قائمة بنفسها ، مباينة - بعض الشيء - للغة أهل المشرق وللغة أهل المغرب أيضا ، وأنها متاثرة بعجمة الجلالقة (1) ".

وقد اشتركت في تكوين العامية الأندلسية عوامل عديدة نذكر منها ما يلي :

ا - لهجات القبائل العربية الداخلة إلى الأندلس من قيسية ويمنية ، وقد عني كل من ابن حزم في الجمهرة وابن غالب في فرحة الأنفس بتبيين المواقع التي استقرت بها الجماعات العربية الداخلة إلى الأندلس (2) ، وهي ممثلة لمعظم قبائل جزيرة العرب ، ولا شك أن ذلك كان له أثر في تكوين العامية الأندلسية ، ومن الواضح أن بعض الألفاظ والظواهر اللغوية في هذه العامية كالإمالة ترجع إلى لهجات عربية معينة ، وثمة من المفردات التي شاع استعمالها في الأندلس ما نستطيع أن ننسبه إلى عرب الشام الداخلين إلى الأندلس مثل كلمتي أندر (3) وإصطبل (4) ، والإمالة التي كانت غالبة على لسان أهل الأندلس قد تكون من تأثير القبائل التي تميل كتميم وقيس وأسد (5) ، وهي قبائل كانت تكون الجمهرة الغالبة في بعض جهات الأندلس (6) ، ومن الكلمات الشائعة الاستعمال في الأندلس كلمة " القطاع " أي النقود إذ نجدها كثيرا في أمثال الأندلسيين وأزجالهم وعقودهم ، بل إننا نجدها في شعرهم الفصيح كقول ابن مسعود القرطبي :

لقد جئتها بلقاءِ منتنة نتْنا ... فقُلْتُ وأيْنَ النقدُ يا ابنةَ عـزة
حَوى من حُظوظ الظرف في زعمه الأسنى ... فقالت : أديبٌ شاعرٌ متفنِّـــنٌ

---

(1) نفح الطيب 1 : 206

(1م) المقدمة : 555 (المطبعة الاميرية)

(2) انظر نفح الطيب 1 : 272 - 274 والثبت الذي استخرجه الدكتور احسان عباس من الجمهرة في كتابه تاريخ الادب الاندلسي 1 : 12 - 13

(3) انظر المثل رقم 200 في النص

(4) لحن العوام للزبيدي : 133

(5) الفصل الخامس من كتاب في الدراسات القرانية واللغوية الامالة في القراءات واللهجات العربية للدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي

بِلاَ قِطْعَةٍ، هذِي لعمْرُكَ هُجْنة   فسِرْ راشدا عنّا فمالكَ من مَعْنى (1)

وهذه الكلمة من لغة هذيل فيما يقول شارح القاموس (2) ، ونعرف مما ذكره ابن غالب أن هذيل كانت بالأندلس ، ومنازلهم بجهة أريولة من كورة تدمير (3) ، فهل تكون الكلمة شاعت في الأندلس بواسطتهم ، وقليلا ما نصادف هذه الكلمة في استعمال المشارقة كقول شاعر عباسي :

كل حسْنٍ مفـــــرّقٍ   هو فيهِ قد اجتمَـــــعْ
قطَعَ الوصْلَ بينَنـــــا   انّهُ يبتغي القِطَـــعْ (4)

ومما نحسب أنه من تأثير اللهجات العربية القديمة واستمرارها في العامية الاندلسية : كسر أول حروف المضارعة ، وهو مطرد في المضارع من صيغة " فعّل " مثل :

نِصَوّب ، تِصَوّب ، يِصَوّب الخ...

وكَذلك في صيغة " فَاعَلَ" مثل :

نِعَامَلْ ، تِعَامَلْ ، يِعَامَلْ الخ...

وقد يكون ثمة تأثير لعرب الجنوب وغيرهم في عامية الأندلس ، ولَعَلّ من مَظَاهره الحاق التاء بآخر ضمائر الغيبة : هوت = هو ، هيت = هي ، همت = هم ، وقد جاء هذا في بعض الامثال :
مَنَاقِر النّحْم مُعَوّجْ هيتْ . (ابن عاصم 761)

2 ـ ومنها العجمية el romance أو الإسبانية القديمة ، ذلك أن سكان الأندلس عموما كانوا يعرفونها ، ولدينا هنا شواهد عديدة في هذا الموضوع ، ولعل أشهرها قول ابن حزم : " ودار بلي بالأندلس : الموضع المعروف باسمهم بشمالي قرطبة ، وهم هناك إلى اليوم على أنسابهم ، لا يحسنون الكلام باللطينية ، لكن بالعربية فقط ، نساؤهم ورجالهم (5) " ومفهوم هذا أن القبائل العربية الأخرى كانت تحسن ـ إلى جانب العربية ـ الكلام بالعجمية ، وفي قضاة قرطبة للخشني (ت 361) نرى بعض القضاة والشهود والخصوم يتكلمون بها ، فقد ذكر في ترجمة القاضي سليمان بن أسود " أنه كان في وقته رجل

---

(1) الذخيرة 1/2 : 78-79
(2) انظر المثل رقم 237 في النص
(3) نفح الطيب 1 : 272
(4) حكاية ابى القاسم : 133
(5) هكذا الضبط في النسخة م من «ري الاوام» بالمعاجم الاندلسية ، وكسر اول حروف المضارعة او «التلتلة» فيه كلام كثير يراجع في محله من كتب اللغـة .
(6) جمهرة انساب العرب : 443 تحقيق عبد السلام هارون
(7) أنظر مقالة للاستاذ ج. س. كولان في مجلة «هسبيريس» لسنة 1930 ص 102

من العدول يعرف بابن عمار كان يختلف إلى مجلس القاضي ويلزمه ، ولا يقوم إلا بقيامه ، وكانت لابن عمار بغلة هزيلة تلوك لجامها طول النهار على باب المسجد ، قد أضناها الجهد وغيرها الجوع ، فتقدمت امرأة إلى القاضي ، فقالت له بالعجمية : يا قاضي انظر لشقيتك هذه ، فقال لها بالعجمية : لست أنت شقيتي ، إنما شقيتي بغلة ابن عمار التي تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار (1) " كما ورد في وصف أحد الشهود ما يلي : " وكان حينئذ بالمدينة شيخ أعجمي اللسان يسمى : ينير ، وكان مقدما عند القضاة مقبول الشهادة مشهورا في العامة بالخير وحسن المذهب ، فأرسل فيه الوزراء ، وسألوه عن القاضي ، فقال بالعجمية : ما أعرفه إلا أني سمعت الناس يقولون : إنه إنسان سوء ، وصغره باللفظ العجمي (2) " وفي ترجمة الفقيه ابن العطار في المدارك نراه يحاور زوجة وكيله ، بضيعته بالعجمية ، وكان ممّا " قالت بكلامها العجمي : سواد بيت تمضي إليه ! فقال لها بمثل كلامها : بل سواد بيت خرجتُ منه ! " (3) .

ويرى الدكتور عبد العزيز الأهواني أن " وجود الخرجات الأعجمية في مخطوطات الموشحات الأندلسية دون شرح لمعاني ألفاظها دليل على أن هذه اللغة الأعجمية كانت معروفة لدى قراء الموشحات (4) " وقد ظل الإلمام بعجمية الأندلس ظاهرة ملموسة إلى وقت متأخر لدى المؤلفين الأندلسيين إذ نرى ابن الآبار على سبيل المثال يشرح ـ في مناسبات عديدة ـ أسماء الأعلام والأماكن الأعجمية . وألفاظ عجمية الأندلس في كتب النبات أكثر منها في غيرها كما يبدو ذلك في كتاب المفردات لابن البيطار وكتاب شرح أسماء العقار وغيرهما ، ويقول ابن البيطار في مقدمة المفردات : " وقد ذكرت كثيرا منها كما يعرف في الأماكن التي تنسب إليها الأدوية المسطورة كالألفاظ البربرية واللاطينية ـ وهي عجمية الأندلس ـ إذ كانت مشهورة عندنا وجارية في معظم كتبنا " .

أثرت عجمية الأندلس هذه في العامية العربية من وجوه مختلفة

أحدها دخول كثير من مفرداتها في قاموس الاستعمال العامي ، وقد أورد ابن هشام اللخمي طائفة من الألفاظ العجمية التي كانت جارية على لسان العامة بالأندلس في عصره ، ومنها : أسياطة للخيزرانة التي يمسكها الملاح ، ويجول لطرف التين ،وبلنتة لما بكر من الشعير فطحن ، و الجيقه

---

(1) قضاة قرطبة : 117-118
(2) المصدر نفسه : 84
(3) الزجل في الاندلس : 47
(4) المدارك 3-4 : 439 (ط. بيروت)

الضباب ، وحبور لشقائق النعمان ، والذنتيلة الطعام الذي يصنع عند نبات الأسنان للأطفال ، والمرندة لما يتعجله الإنسان من الطعام قبل الغذاء (1) .

ومن هذه المفردات العجمية الواردة في الأمثال : البلين (ص 6) والرمشكل (ص6) والمرجقال (ص 18) والمول (ص 58) والقلبق (ص 91) والبرغات (ص 114) وبردقون (ص 140) وشنوغ (ص 144) وبرطال (ص 28) والباله (ص 287) والطمون (ص 173) ودوش (ص 214) وجره (ص 256) وقول (ص 324) والششون (ص 362) والليطرات (ص 364) و البلب (ص 32) وبشه (ص 153) (وغيرها .

ومن وجوه هذا التأثير تلك المقاطع والنهايات التي تضاف إلى الكلمات العربية مثل :

مقطع un في آخر الاسم للدلالة على التكبير كخلدون وزيدون وهو شائع في أسمائهم .

ولعل المؤرخ الرازي أقدم من أشار الى هذا في نص نقله عنه الونشريسي في المعيار إذ يقول ، في أثناء حديث عن ابن حفصون : "فولد عمر بن جعفر حفصا المعروف بحفصون - أريد به التكبير (2)"

و مقطع ero - كقولهم : زلير (ص 318 في النص) فهي كلمة مركبة من الفعل العربي : زل والنهاية الاسبانية ؛ ero -

ومقطع era - كقولهم : خرجير (مثل ابن عاصم رقم 244) وهي مركبة من الفعل العربي : خرج والنهاية الاسبانية : era -

و مقطع ote - في مثل قولهم : منخروط (ص 284) فهي مركبة من الاسم العربي منخر ، والنهاية الاسبانية : ote -

ومقطع el - في الإسم المذكر مثل ابن غفريل فغفريل مركبة من غفر العربية والنهاية الاسبانية : el -

و مقطع ela - في الاسم المؤنث مثل : شربالة القدح (الفاظ مغربية : 294 و Voc ص 638) فهي مركبة من المادة العربية شرب والنهاية الاسبانية ؛ ela - ومثل حرالة أي حارة (Voc ص 511) فهي مركبة من حارة والنهاية الاسبانية : elo

(1) انظر هذه الكلمات وما يقابلها في الاسبانية في الفاظ مغربية : 142 ، 146 ، 149 ، 153 ، 154 ، 286 ، 313 على الترتيب

(2) المعيار : 15/81 ، ويبدو ان هذا النص غاب عن علم الاستاذ الجليل السيد عبد الله كنون الذي ذهب - في مقالة له بعنوان : «هل اسم خلدون ونحوه مكبر على الطريقة الاسبانية» - الى ان دوزى هو أول من رأى هذا الرأى ، (مجلة البحث العلمي ع. 3، س، 1)

ومقطع ello ـ للمذكر ومقطع ella ـ للمؤنث في حالة التصغير . ولدينا بخصوص هذين المقطعين الأخيرين نص نقله ابن عبد الملك المراكشي عن النحوي المالقي ابن المرحل إذ يقول في ترجمة ابن حوط الله :

" وذكر لي شيخنا أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن المالقي أن أصله حوطله ، قال لي : وهو تصغير حوت مؤنث على عرف أهل ثغور شرق الأندلس وما صاقبها من البلاد كبلنسية وأنظارها التي منها أندة موضع سلف بني حوط الله ، وتدريج ذلك أنهم يقولون للحوت و العود ونحوهما : الحَوت والعَود بفتح الحاء والعين . وينطقون بالتاء المعلوة طاء فيقولون في الحوت : الحوط ... و يلحقون الأسماء المصغرة في آخرها لاما مشددة مضمومة في المذكر ، ومفتوحة في المؤنث وهاءً ساكنة ، فيقولون في حوت مذكرا : حوطله ، وفي حوت مؤنثا : حوطله (1)" وهذا الشرح الذي نقله ابن عبد الملك عن ابن المرحل المالقي السبتي يدل على المام هذا النحوي العربي المشهور بقواعد النحو الإسباني القديم .

كما أن الألفاظ العربية نفسها اكتسبت في الاستعمال العامي معاني جديدة لم تكن لها في أصل الوضع ، وظهرت مصطلحات خاصة وكنايات جديدة ، فهم على سبيل المثال يقولون :

فُلانة في قَميصها . للحائض .
نَمْشِي لجَولة . كناية عن قضاء الحاجة .
قَصير الرَّقَبة . للكافر بالنعمة .
جَبَّاد رَسن . كناية عن القواد .
مِنْ بَاب لبَابْ . كناية عن السائل .
طَالبْ عافية . كناية عن المسالم .
نعَدّلْ اجْنَابُ . كناية عن الضرب والتأديب .
مِنْ عَرض الفَحْص . أي بلا سبب (2) .

(1) الذيل والتكملة 1 : 35 (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط) ، وبغية الوعاة : 2 : 44 نقلا عنه.
(2) انظر على الترتيب : ص 474 ، 477 ، 431 ، 454 ، 506 ، 517 ، 581

ونحن نجد كثيرا من هذه الكنايات والاستعمالات الخاصة بهم في الأمثال وغيرها (1) .

3 ـ البربرية ، ومن الطبيعي أن يكون لها تأثير ما في العامية الأندلسية لأن البربر كانوا يؤلفون قسما كبيرا من سكان الأندلس ، وكان تأثيرهم فيها من حيث النطق كما أشار إلى ذلك ابن حزم في النص السابق ، ويبدو أن بعض التراكيب الخاصة في أسلوب العامية الأندلسية هي من أثر استعمال البربر والعجم للعربية وتكلمهم بها ، وقد دخلت طائفة من الكلمات البربرية إلى عامية الأندلس مثل أدغض أبي اللبأ وأكدل أبي المخصرة وكرانة أبي الضفدع (2) وأسمس للمأدبة ، وتمغرة كذلك ، وتفرمه للباز (3) ومن الكلمات البربرية التي استعملها ابن قزمان مرارا كلمة : قليد أو إقليد بمعنى أمير كقوله (زجل 74) .

مَحْبُوبي فالمِلاَحْ قلّيدْ والنّاسُ عَبِيدْ .

وكذلك كلمة " أشْكُدْ " وهي فعل أمر بمعنى تعال وأقبل ، و"أرول" بمعنى اذهب ونجدهما مستعملتين في أزجال ابن قزمان كقوله (زجل 41) :

يهْرب النّحس مِنّي عَام مَتَى ما قل : أَرْوَلْ
وترى السّعْد مقبل متَى ما قِل : أشْكِد .

وكلمة " أر " وهي فعل أمر معناه : هات ، كقول ابن قزمان : (الزجل في الأندلس : 88)

أرّ قط ومُد يَدَك إنّي قد مدَدْت أنا يَد .
فاشَد ما عَلَى مَنْ يُمَاطِل أوْ يمحِج .

---

(1) نذكر من صور توسعهم في الاستعمال انهم يستعملون فعل قام ـ على سبيل المثال ـ بمعنى ثار، كما في هذا المثل : قام قوم سو ، ودبروا راى سو (رقم 1787)
وكما جاء في قول السميسر :
وجب القيام عليم اذا بالنصارى قمتم
وكما في هذه الحكاية البذئية التي رواها المقري وهي ان سليمان بن المرتضي الاموي مر برمـا بالمضحك المشهور بالزرافة «وقد أوقف ... وجعل يقول له : ماذا رأيت في القيام في هذا الزمان ؟ أما رأيت كل ملك قام كيف خلع وقتل ؟ والله انك سيء الرأي ! فقال له سليمان : وبم لبت هذا الثائر ؟ فقال يا مولاي ، بصفته : القائم !» ومثل هذا الاستعمال عند الاندلسيين قد يخفى على بعض المشتغلين بتراثهم ، فقد علق بعضهم على هذه العبارة لابن الابار في التكملة : «وانتقل عن بلنسية مصروفا بالقائم فيها على واليها» بما يلي : «اي بالوصى عليه القائم بامره !».

(2) الفاظ مغربية : 140 ، 144 ، 308

(3) Voc : 318 ، 204

وهذا الفعل مستعمل بكثرة في العامية المغربية ولكن بتخفيف الراء لا بتشديدها كما يضبط في الأزجال الأندلسية .

كما نجد عنده : افكِيِّي أي أعطني ، وأسلو ، وهو اسم لطعام ما يزال معروفا ويبدو أن استعمال ابن قزمان لهذه الكلمات كان من قبيل التظرف أو التحبب إلى ممدوحيه من المرابطين .

ومن الكلمات البربرية التي وجدنا في الأمثال قولهم : " هراكس "أي نعال (ص 156) و " ترخص " أي البيسارة (ص 238) و " أغلال " (ص 124) . ولكن تأثير العجمية والبربرية في العربية لا يقارن بتأثيرها الكبير فيهما وهو ليس من موضوعنا هنا .

وبعد هذا التمهيد نقدم فيما يلي عرضا سريعا لبعض القواعد العامة في اللهجة الأندلسية من خلال الأمثال :

التنوين : " يجعلون كل منون منصوبا أبدا ، ويكتبون اللفظة بمفردها مجردة من التنوين وبعدها ألفا ونونا مثل أن يكتبوا " رجلا " على هذه الصورة : " رجل ان (1) " . هذه قاعدة استنبطها صفي الدين الحلي من قراءته للأزجال ، وهي بارزة في الأمثال أيضا ، ورسم التنوين بالألف والنون نراه في المعاجم الأندلسية مثل المعجم المنسوب إلى رمند مرتين القطلوني (2) ، ومعجم بطرس القلعي (3) ، وكذلك في بعض الوثائق المدونة بالعامية مثل الوثيقة الغرناطية التي نشرها الأستاذ كولان (4) ، ويدل ذلك على أن هذا التنوين المفتوح كان مستعملا في كلام الأندلسيين العادي وليس في الأزجال والأمثال فحسب ، وهذا النوع من التنوين الذي يرسم بالألف والنون يقع في الأمثال دائما بين نعت ومنعوت كل منهما نكرة سواء كان النعت مفردا وهو الغالب كما في هذه الأمثال :

كَلاَم انْ كثِير في حَاجَة انْ يَسِير . (رقم 1123)

قرْدانْ مُهَاوِدْ أخيَر مِنْ غزَال انْ شَرودْ . (رقم 1802)

بَحَلْ زَقَ انْ نَاقِصْ عَلَى حِمَارقانْ عَرْجَ . (رقم 637)

أو جملة كما في هذين المثلين :

الرَّقْصْ قُدَّام العُمى مجهودانْ لاَ يُرى عَمَلُ . (رقم 329)

جُوعَ انْ تُهَدَّدْ بالشَّبَعْ لِسْ جُوعْ . (رقم 775)

---

(1) العاطل الحالي : 18

(2) انظر على سبيل المثال Voc. ص 249

(3) انظر على سبيل المثال الكالا : 42/23 ، 45/20 ، 332/3

(4) نشرت في المجلد الثالث من مجلة : **Islamica**

بعنوان : sur une chartc hispans-arabe dc 1312

وهو مفتوح دائما سواء كان الإعراب ـ على فرضه ـ يقتضي ذلك كما في هذا المثل :

مَنْ طَلَبْ دَيْن انْ قَديمْ طَلَب شَرٌّ انْ جَديدْ . (رقم 1382)

أم لا ، وقد يدغم الحرف المنون في مثله فلا تبدو " أن " هذه كما في المثل التالي :

مَال الاّ يَراهْ سيدُ اللّه لس يريدُ . (رقم 1329)

والأصل حسب اصطلاحهم : مال ان لا يراه...، وهذا التنوين يلحق الأسماء المنكرة في حالة الإفراد كما تقدم وفي حالة الجمع ومثال ذلك : أشيات ان اخر. أي أشياء أخرى . (الكالا : 3 ـ 332) لأنهم يجمعون شيء على أشيات كما في قول ابن قزمان (الزجل في الأندلس : 71) .

والرّبض لاَ شُيوخْ وَلاَ حُجّاجْ وأراملْ ملاح بِلاَ أزْواج
ويَجُون طُولَ النّهَار عن حَاجْ وأشْيَاتٍ لِسْ يَنْبَغِي أنْ تُقَال

فهل هذا التنوين المفتوح دائما بقية من بقايا الإعراب في العامية ؟ أم هو من آثار إحدى اللهجات العربية الجنوبية القديمة ؟ أم أنه ليس سوى ضرب من التفصح العامي ؟ ومهما يكن فإننا نجد ظاهرة التنوين المفتوح هذه في أمثال الشام كقولهم فيما رواه نعوم شقير (ص 28) :

شَرطا في الحَقْلة ولا قِتالاً عالبَيْدَرْ

وهو كثير في الأمثال العامية السودانية كقولهم :

فُلان فارساً أعْمى يصُد الخيل وحْدُه .

كَلْباً ما تَسْعَاه عِند القَنيصْ ما بتلقاهْ .

قَلْباً بالمَوَاصِي ، نَاسِي (1) .

وذكر الأستاذ عبد المجيد عابدين في كتابه عن اللهجات السودانية أن هذا التنوين " ظاهرة عامة في كلامهم في الشعر و النثر (2) " ويوجد التنوين في أمثال بعض البلدان العربية الأخرى كمصر (1) ونجد (2) ولكنه مكسور دائما ، أما في العامية المغربية فلا يوجد التنوين في الكلام الجارى ولكنه يوجد في الشعر الملحون .

ـ الأمالة : جاء في الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي في ترجمة ابن الرجاني ما يلي : "وبعضهم يكتبه الرجيني باعتبار إفراط

(1) نعوم شقير ، امثال العوام في مصر والسودان والشام : 128 ـ 129 وانظر امثلة اخرى في ص 130
(2) من اصول اللهجات العربية في السودان : 96

الإمالة المستحكمة في لسان أهل الأندلس (1) " ووصف ابن الخطيب في الإطاحة السنة أهل غرناطة بالفصاحة العربية وقال : (وتغلب عليهم الأمالة " (2) ونجد في مقامة " طرفة الظريف ، في أهل الجزيرة وطريف " لعبد العزيز الملزوزي (؟) وصفا حيا لغلبة الإمالة على السنة أهل الجزيرة الخضراء فهو يلاحظ - في جملة ما يلاحظ - أنه " قد رجع سلامهم سليما ، وكلامهم كليما ، فقس على ذلك تصب ، فإنه على ذلك المنهاج نصب " . وقد راعه أنهم يقرأون القرآن بإمالتهم الشديدة تلك ، قال : " ومن غريب ما اتفق لي فيها (أي في الجزيرة الخضراء) ، حين كنت أوافيها ، أني مررت بإمام يصلي بالناس ، وهو يقرأ " بقل أعوذ برب الناس " :

قد بدّل "الوَسْواس" بالوَسْويس | وكذلك "الخنّاس" بالخنّيس
وكذلك بدّل آية في آيةٍ | حتّى "يوسْوِس في صُدور النّيس"

فأمهلته ريثما أتم صلاته وقراءته ، ولبس عباءته وملاءته فابتدأته بأشد العتاب ، وقلت له لم بدلت الكتاب ، وإثمه على الذين يبدلونه ، ووزره عليهم يحملونه ، فأقسم أنه قرأه كذلك على قراء عصره ، وأن تلك لغة أهل عدوته ومصره ، فقلت :

يا أهلَ أندلسٍ مالي رأيْتُكم | أحدثتم في كتابِ اللّه ألحانا
نَبذْتُموه وبدّلْتُم مَعَانِيَه | عمَّا بمصْحف عُثْمان بن عفّانا
صَلّوا الصَّلاة ولا ... بها سُوَرًا | فقَدْ رددتم على ... فُرقانا
بدّلتم القول حتى قول خالقنا | لقَدْ أتيتُم لعمرُ اللّه بُهتانا
وإنْ دَعَوتم لَحَنْتم في دُعائكُمُ | فكيفَ تَسْتوهبُون الدّهْرَ غُفرانا
ربُّ العِباد غنيٌّ عنْ دُعائكم | ونحنُ أيضا عن التّأمين أغنانا

ثم يسوق بعد هذا نوادر ركبها مما كان يسمع في كلام المتحاكمين في مجلس القاضي ابن عذرة قاضي الجزيرة الخضراء ، ومدارها على الاختلاف بينه وبين القاضي المذكور في الحكم بين المتقاضين بسبب الإمالة الواقعة في كلامهم إذ كان الملزوزي (؟) يأخذ بظاهر اللفظ فيحكم بناء عليه ، ويرده ابن عذرة العارف بكلام أهل بلده إلى الصواب ، فهذا متداع يتوجه إلى القاضي قائلا :

لي عند هذا يا بن عذرة ميل | والميل ميلي ساقه الحَمّيل

وهذا آخر يقول :

أَلاَ قُلْ لابن عُذرة يا فقيها | حَمَى أحكامَهُ وحَوَى العُلوما
فُديتَ أصَابَ لي هذا حَميما | فخَلّفه صريعا لَنْ يقُوما

ومهما يكن ما في هذه النصوص الواردة في هذه المقامة من عناصر لهزل فإنها ذات دلالات واضحة في طبيعة الإمالة في الأندلس .

---

(1) الذيل والتكملة : 6 : 153 (مخطوط باريس)
(2) الاحاطة : 1 : 140 (ط. دار المعارف)

وقد ظلت هذه الظاهرة من السمات المميزة للأندلسيين المهاجرين - بعد الجلاء - إلى المغرب. جاء في ترجمة سيدي فرج الأندلسي المكناسي الدار (القرن العاشر) من كتاب دوحة الناشر (59 - 60) أنه كانت " تغلب عليه الإمالة ، شأن كلام الأندلس في ألسنتهم "، وما لاحظه ابن عبد الملك وابن الخطيب وابن عسكر تؤيده النصوص ، ففي أمثال الزجالي وأمثال ابن عاصم نجد هذه الإمالة المفرطة التي تصبح فيها الألف ياء ، وفيما يلي أمثلة منها في أمثال الزجالي مع الإشارة إلى صفحات النص : رسميل = رسمال (ص 15) تريه = تراه (ص 24) جي = جا (ص 154) حين = حان (ص 183) سينية = سانية (ص 350) . ومما ورد من ذلك في أمثال ابن عاصم مع الإشارة إلى أرقام الأمثال : بيب = باب (رقم 640) قزّيز = قزّاز (رقم 757) المكين= المكان (رقم 553) فدين = فدان (رقم 545) كينت = كانت (رقم 197) القيدوم = القادوم (رقم 762) .

كما أن معاجم اللهجة الأندلسية والوثائق المدونة بها تبين بوضوح مدى انتشار الإمالة في العامية الأندلسية ، ولا سيما معجم بطرس القلعي حيث الكلمات تكتب بحروف لاتينية (1) ، ويكفي أن نشير هنا إلى أن عدداً كبيرا من أسماء الأماكن وغيرها تكتب في اللغة الإسبانية بصورة الإمالة ، فمن ذلك : باجة Beja جيان Jaen دانية Denia لاردة Lerid بجانة Pechina ومن الكلمات العربية المنتقلة إلى الإسبانية بصيغة الإمالة نذكر : السانية aceña والساقية acequia (2)

---

(1) مثل niç , mil, bib أي باب ، مال ، ناس. انظر : ALC. 266 ، 272 ، 359 ، وانظر ايضا مبحث الامالة عند STEIGER ص 62 و ص 314 وما بعدها

(2) انظر قائمة بالالفاظ المالة المستخرجة من ALC. Voc, عند STEIGER من ص 314 الى ص 332 ويفهم مما ذكره صاحب طرفة الظريف ودوحة الناشر أن الامالة لم تكن معروفة في لهجات اهل المغرب او في معظمها ، ولكن اليوسي لاحظ مظهرا من مظاهر الامالة في شمال المغرب عند أهل جبال الزبيب وجبل العلم فذكر ان أهل هذه الجبال يكسرون الفتحة بعدها الف ، قال : «من جملة ما اتفق لي في هذه السفرة الى جبال الزبيب وسفرات اخرى لزيارة الشيخ عبد السلام ابن مشيش رضي الله عنه اني سمعت لغة لاهل تلك الجبال : يكسرون اخر الموقوف عليه فتتبعتها استقراء فوجدتها لها ضابط ، وقد رايت غيرهم من اهل الافاق يسمعون عنهم ذلك فيحكونه على غير وجه وينسبون اليهم ما لا يقولون جهلا منهم بضوابطه ، فانهم لا يكسرون الا الفتحة بعدها الف : اما الف المقصورة كالدنيا او المدودة كالسماء والطلباء والشرفاء او الاصلية كالماء او المقلوبة عن هاء التانيث في مجرى العرف كالبقرة والشجرة والصحفة فان العوام من غيرهم يقولون في الوقف على هذه البقرا والشجرا بالف وهؤلاء يكسرون فيقولون : البقري والشجري وتنقلب الالف ياء».

ـ لا وجود لهمزة المضارعة في العامية الأندلسية ، فهم يستعملون النون للمتكلم المفرد كما تستعمل للمتكلم ومعه غيره مع التفريق بينهما بزيادة الواو في الحالة الأخيرة ، وقد ورد هذا الاستعمال كثيرا في الأمثال والأزجال ، وفيما يلي أمثلة منه في أمثال الزجالي مع الإشارة إلى صفحات النص : نخذ = ناخذ = آخذ (ص 19) نصوب = أصوب (ص 22) أنا نعلم = أنا أعمله (ص 27) أنا نبخرها = أنا أبخرها (ص 27) أنا نرش = أنا ارش (ص 27) أنا نطلقها = أنا أطلقها (ص 27) أنا نسميه = أنا أسميه (ص 28) ونكون أنا = وأكون أنا (ص 230) .

أما في حالة المتكلم ومعه غيره فيلحق بآخره واو الجماعة للتمييز بينهما كما في المثل التالي :

نَحن نَقْرَوْا ولِس نَفْلاَحُ كَيْفَ لَوْ غَنَيِّينَ . (رقم 1551)

ونجد هذا الاستعمال العامي يتسرب أحيانا إلى أقلام بعض المؤلفين الأندلسيين ، كما نرى في كتاب التبيان للأمير عبد الله بن بلقين ، ومن أمثلة ذلك فيه : " وكنت مع هذا نأمر أهلها بالرفق " (ص 89) "ولو أني نأمن مكره لأعلمته بالحال " (ص 115)" فراجعته نعلمه بحاجتي إلى ثمنه " (ص 161) .

وما يزال هذا الاستعمال موجودا في اللهجات المغربية عموما ، وهو مما يميزها عن لهجات المشرق (1) ، ويوجد هذا الاستعمال في لهجة السودان ، وهو من تأثير لهجات المغرب (2) . وهو موجود أيضا في الإسكندرية .

ـ حرف الجر : في يرد في الغالب متصلا بالمجرور بعد حذف حرف الياء منه و فتحة ، ومثال ذلك المثل :

رِجْلْ فَالْجَبَلْ اَخْيَر مِنْ رِجْلْ فَالْكَبَلْ . (رقم 981)

أي رجل في الجبل خير من رجل في الكبل ، وهذا كثير في الأمثال والأزجال .

(1) انظر الجمانة في ازالة الرطانة : 30 ، 31 ، 40
(2) عبد المجيد عابدين : من اصول اللهجات العربية في السودان : 74

- تتميز العامية الأندلسية - ومثلها العامية المغربية - بزيادة كاف في أول الفعل المضارع ، فيقال في : يكتب ، مثلا : كيكتب ، ومثال ذلك في الأمثال :

حَقّ لِسْ نُعْطَى ، عِيَار القَفّ كَنطلب . (رقم 811)

لَوْ أردْنَ مَنْ ذا الحَشِيشْ ، كِنَمّلُوا قُفّ وَبَلّيش (رقم 1235)

سَمِعَتْ بِنْت السُّلْطَان السَّاعي يَسْعَى ، قَالَتْ : كِتّعْمَلْ شَبَاتْ بِشَحَمْ (رقم 1845 م)

أرْنَبْ تَكُلْ لَحَم ؟ قَالْ : يا عَلَى بجَلْدي كِنّخلص (ابن عاصم رقم 267)

وهذه الكاف (أو التاء أحيانا) مطردة في العامية المغربية مثل الباء والحاء اللتين تزادان في أول المضارع في العامية المصرية . أما في العامية الأندلسية فقد لاحظنا أنها غير مطردة ولكنها ترد أحيانا كما نرى في الأمثال والأزجال ، وقد تنبه لهذه الكاف صفي الدين الحلي في الفصل الذي عقده لبعض قواعد الاستعمال في الأزجال الأندلسية من كتابه العاطل الحالي فقال : " ومنها إقامة الحرف الواحد مقام كلمة فيقيمون الكاف مقام كان التي ترفع الإسم وتنصب الخبر (1) "قال : "والأمثلة في ذلك كثيرة " ثم ساق في ذلك أمثلة عديدة ، ومما مثل به قول مدغليس :

وكِنّحْلَف أنْ لا نَعْشَق أبَدا .

قال : يريد " وكنا نحلف " ولكن هذا التأويل الذي ذهب إليه الصفي الحلي يجعل وظيفة هذه الكاف هي الدلالة على عمل الفعل في الزمن الماضي ، في حين أن وظيفتها في الاستعمال المغربي هي تخليص المضارع للدلالة على الحال فقط ، والذي نراه من الأمثلة السابقة أنها تدل على الحال لا على الماضي ، وفي معجم الراهب رمند مرتين نراه يرسم هذه الكاف منفصلة في أثناء تصاريف الأفعال إشارة إلى أنها تدخل عليها ، ومهما يكن فإن هذه الكاف الشائعة في عامية المغرب لها أصل قديم في العامية الأندلسية .

- ذكر الزبيدي أن عامة الأندلس " يقولون فيما كان من الأفعال الثلاثية المعتلة العين مما لم يسم فاعله ، بإلحاق الألف ويبنونه على أفعل نحو : أبيع الثوب ، وأقيم على الرجل ، وأخيف ، وأدير به ، وأسير به . والصواب في هذا إسقاط الألف فتقول : بيع الثوب ، وخيف الرجل ، ودير به ، وقيم عليه ، وسير به(2) "

---

(1) العاطل الحالي : 47

(2) لحن العوام : 204 . تحقيق د. رمضان عبد التواب ، وكتاب لحن العامة : 109 تاليف د. عبد العزيز مطر

وقد وجدنا أمثلة من هذا الذي ذكره الزبيدي في أمثالهم ، ومن ذلك قولهم :

فُضُولْ سَوْدَ في جَنِيزَ ، مَشَتْ تِعَزّي أبِيعت في الأكْفَان (رقم 1743)

والشاهد فيه : أبيعت في الأكفان أي بيعت . وقد كثر في الأمثال استعمال : اقيل ، في موضع قيل ، ومنه المثل :

إذا أُقِلّكْ حِمارْ ، اسْتَخِير اللّه وانْهَقْ . (رقم 34)

وأصلها : إذا أقيل لك ..أي إذا قيل لك .. وكذلك في المثل : أقل لجحا : لس تجلس قدام الفرن .. (رقم 2) فهي في هذا المثل ونحوه : أقيل أي قيل بزيادة الألف التي ذكرها الزبيدي (1) .

ويفهم من هذا أن المبني للمجهول من الثلاثي كان مستعملا في العامية الأندلسية ، وذلك ما نجد له أمثلة أخرى في الأمثال كقولهم :

البَالي يَبْبَعْ ، والجَديدْ يُرفَعْ . (رقم 154)

العروسَ في الكُرسِي ، وليس يُدْر ا لِمنْ هِي . (رقم 210)

لِسْ يُعَلّم اليتيم النُبُكَا . (رقم 1173)

لِسْ يُعْمَل منْ فَوْلَة ان وَحِدَ تَرَخصَ . (رقم 1211)

قدرة الزّفْت مَا يُطْبَخ فيها مُعَسّلْ . (رقم 1822)

أما في عامية المشرق فيبدو أن المبني للمجهول فقد منها منذ زمن قديم وحل محله صيغة "انفعل" جاء في "سهم الالحاظ في وهم الألفاظ" لابن الجنبلي : " ومن ذلك قولهم : انحفظ وانقرأ وانكتب ، ففي ديباجة كتاب الانفعال للإمام الصغاني أن انحفظ وانقرأ وانكتب مستحدث استحدثه المولدون (2) " .

13) ـ تسوى العامية الاندلسية في فعل الأمر بين المذكر والمؤنث ، ومن الامثلة على ذلك في أمثال الأندلسيين :

ـ عزيزَ : قُمْ رَحّلْ ، قالت : اصْبَرْ نخُذْ نحْي من الحَيط ! (رقم :1638).

ـ من الظواهر الصوتية في العامية الأندلسية إطالة الحركات حتى تصير الفتحة ألفا والضمة واوا والكسرة ياء ، وقد نص الزبيدي على هذا في كتابه لحن العوام وساق أمثلة عديدة منها : قادوم وقطاع في قادوم وقطع ، وعوش في عش ، وطيراز وتيلاد وشيمار في طراز وتلاد وشمار ، ويقول الزبيدي : " وقد أولعت العامة بإقحام الياء (3) " . كما أن ابن حزم أشار إلى هذا في فقرته المقتضبة

(1) انظر الامثال رقم 63 ورقم 65 ورقم 73 ورقم74 ورقم 75 ورقم 76

(2) نقلا عن كتاب : لحن العامة والتطور اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب ص 299

(3) لحن العوام : 76 ، وانظر د. عبد العزيز مطر ، لحن العامة .. : 107ـ108

في العامية الأندلسية التي ذكرناها فيما سبق ، ونحن نجد هذه الظاهرة في لغة الأمثال ، وفيما يلي أمثلة منها مع الإشارة إلى صفحات النص :

بساط = بسطه (ص 90) وساط = وسطه (ص 90)

في أصباعك = في أصبعك (ص 94) يحضار = يحضر (ص 115)

نعاش = نعش (ص 120) مغراف = مغرف (ص 133)

ما يلباس = ما يلبسون (ص 147) نعمال = نعمل (ص 152)

رجاع = رجعوا (ص 190 = 191) لا يمور = لا يمر (ص 145)

ماعك = معك (ص 245 ، 262) ماع = معه (ص 254 ، 270 ، 276)

قطاع = قطع (ص 69 ، 70 ، 244 ، 338) .

وقد لاحظ صفي الدين الحلي أيضا في دراسته الأزجال " إشباع الحركات الثلاث حتى ينشأ عنها حرف يناسبها " وأتى بأمثلة عديدة من الأزجال الأندلسية (1) . وذكر السكوني أنهم كانوا يقولون في التكبير : الله أكبار . بزيادة ألف بعد الباء ، قال : وذلك لا يجوز ، لأنه جميع كبر ، وهو طبل صغير .

- حافظت العامية الأندلسية على الحروف اللثوية او حروف ما بين الاسنان Interdentales وهي الثاء والذال والظاء وفي كل من أمثال الزجالي القرطبية وأمثال ابن عاصم الغرناطية أبواب للأمثال المبدوءة بهذه الحروف .

- حافظت العامية الأندلسية على فصاحة بعض الأبنية والصيغ ، ومن أمثلة ذلك المحافظة على كسر عين اسم الفاعل في مثل :

زايِد ، ناقِصْ ، جالِسْ ، واقِفْ الخ .

في حين أن الفتح هو الشائع - منذ أيام الموحدين - في العامية المغربية ما خلا لهجة جبالة (2)

- حافظت على الهمزة من صيغة " أفعل" في مثل :

أَفْقَرْ مِن... الخ (3)

وفي مثل :

---

(1) العاظل الحالي : 39 وما بعدها . وتجدر الاشارة هنا الى انه لا وجود لاطالة الحركات في العامية المغربية الا في كلمة او كلمتين هما : علام = علم ، سلوم = سلم . انظر مقالة للاستاذ كولان في مجلة «هسبيريس» 1930 ص 106–107

(2) نجد هذا الفرق وغيره في ضبط امثال الزجالي من نسخ «ري الاوام» ، فالضبط في النسخة القديمة التي نرمز لها بحرف م حسب النطق الاندلسي ، اما في النسختين المحدثتين : س، ع فهو جار على النطق المغربي ، وكذلك الشان فيما وقفنا عليه من نسخ «الحدائق» لابن عاصم الغرناطي

(3) انظر ما يتمثل به العوام على افعل من ... في القسم الثاني من ص 108 الى ص 118

أبيض ، أحمر ، أزرق (1) الخ .

في حين أن الهمزة في مثل ما ذكرنا لا وجود لها في النطق المغربي الحالي .

- يشيع في النطق الأندلسي تحريك العين الساكنة في صيغ فَعْل فِعل فُعل مثل : (2)

ظَهَرْ ، رِجَلْ ، قُفَلْ ،

- في العامية الأندلسية صور من الحذف والترخيم في أواخر الكلم ، فكلمة أين تنطق وترسم أي بحذف النون ومثال ذلك :

أَيْ هي رُكْبتها ، ثَمَّ هِي ثقْبَتْهَا . (رقم 122)

أي هُو عيْنَكْ ، ثم هُو يد غيرَكْ . (رقم 270)

يَا تُرى يَا كَبْشِي ، أي تَرْعَى أو أيْ تَمْشِي . (رقم 2115)

ويكثر حذف النون هذه في المثنى خصوصا في صيغ الأمثال كما رواها ابن عاصم ، ومن ذلك ما يلي :

نَكُونُوا نَفْسَيْ ، نَسِيرُ صَفَّيْ . (رقم 667)

خُبْز المَقِيت : مرَّتَيْ يُكَلْ . (رقم 389)

نَفْسَي فَالقاربْ ، قَال : مَنْ سَرَق القيدومْ (رقم 762)

نَفْسَي عَلَى الحاجَ : صَاحِب المَتَاعْ . (رقم 763)

مَنْ اشْتَغَل بوتَدَيْ : واحِد يسع في سَوَّةُ . (رقم 698)

الفُولْ إذا نَوَّرْ ، شَهْرَيْ يدَوَّرْ . (رقم 204)

فقد حذفت نون المثنى في هذه الأمثال في كل من : نفسين ، صفين ، مرتين ، نفسين ، نفسين ، بوتدين ، شهرين (3) . ويبدو أنهم كانوا يجرون هذا الحذف في الأسماء المختومة بياء ونون حتى ولولم تكن للتثنية ، فقد ذكر مؤلف الجمانة في إزالة الرطانة أنهم يقولون : النسرى أي النسرين ، والجنى أي الجنين (4) ، ومن صور هذا الترخيم قولهم في متاع : متا . وفي قدر : قد ، وهذا كثير في الأمثال كقولهم :

---

(1) انظر القسم الثاني : 120–121 وكذلك جدول STEIGER : 98–99

(2) على هذا ضبط النسخة التي نرمز لها بحرف م ، وانظر أيضا جدول STEIGER : 89–90

(3) نجد ظاهرة حذف نون المثنى بدون اضافة نحو مائتي بدلا من مائتين وبيتى بدلا من بيتين في نصوص العامية المصرية القديمة كما تشهد بذلك وثائق البردي ، ولعل الاصل في ذلك كله تلك اللهجة العربية القديمة التي يشار اليها في بعض كتب النحو ، ومن امثلتها المثل : بيضك ثنتا وبيضى مائتا . وقول الشاعر :

هما خطتا : اما اسار ومنة واما دم والقتل بالحر اجود

راجع ايضا في الموضوع : تاريخ اللغة العربية في مصر للدكتور احمد مختار عمر ص 127 .

(4) الجمانة : 32 ، 34

كَمْ تَكُلْ ؟ قَالْ : مِنْ مَتَى مَنْ ؟ (رقم 1126)
أي من متاع من ، وقولهم :
شَبَرْ وعَقَدْ مِنْ قَدْ مَتى كُلْ أحَدْ . (رقم 1893)
أي من قدر متاع كل احد . ومن أمثلة ذلك أيضا في أمثال ابن عاصم قولهم:
اشْ يَرَى الأحْدَب حَدبةُ إلى متا غيرُ . (رقم 103)
ارحَمْنِي وارْحَم جَارتِي مَتَا السَّاحِلْ . (رقم 257)
كَلاَمَ الحَبِيبْ يِبَكّيِ ومَتَى العَدو يضَحّكْ . (رقم 600)
ومن ذلك قولهم في الساعة : السا ، كقول ابن قزمان :
تَعْرفْ اسْمَاها السَّا يقُلْ لَكْ لاَ .

فقوله : السا ، يريد : الساعة . قال الصفي الحلي : " وقد تداولوا هذه اللفظة كثيرا في أزجالهم (1) " . ويبدو أن مثل هذا الترخيم كان شائعا عندهم فإننا نجد ابن قزمان أيضا يقول في عازب : عازي ، وذلك قوله في مطلع أحد أزجاله : (زجل 21) :

صِرت عَازي وكَانْ لعَمْري صواب لِسْ نَرْوّجْ حتّى يشيب الغُراب

ومن ذلك أيضا ما ذكره الزبيدي من أنهم يقولون للجلد الذي يبسط للطعام وغيره :" نطا" يريدون : " نطع " (2) وقد يكون الحذف في وسط الكلمة كقولهم : تد أي تريد (3) ، و " تيدك " أي تريدك ، كما في المثل :

العُوَيْنِيتَ الّذي تيدَك : مِنْ بَعِيد تضْحَك لَكْ . (ابن عاصم رقم 196)

أي العيون التي تريدك تضحك لك من بعيد . وأبرز صور هذا الحذف ما ذكره ابن حزم من أنهم كانوا يقولون في ثلاثة دنانير : ثلثدا (4) .

ومن هذا القبيل قولهم في الاستفهام أو النفي : أش . وأصلها : أي شيء كما في هذا المثل :

أشْ فَالكُفر منْ لذّة .

أي ماذا في الكفر.. أو ليس في الكفر..، وهي ترد خالصة للنفي في كثير من الأمثال التي رواها ابن عاصم ، وتتصل أش بغيرها كما في المثل :
اشْمَا لاَ يُدْرا ؟ قَال : مَالاَ يُضْمَرْ . (رقم 71)

(1) العاطل الحالي : 50-51 . وتجدر الاشارة الى أن أهل مالطة لا ينطقون بالعين اذا وقعت في اخر الكلمة ، مثل تلا=طلع قلا=قلع . انظر : الورقات للاستاذ ح. ح. عبد الوهاب ج 3 ص 127
(2) لحن العوام : 24
( ) الامثال أرقام 345 ، 346 ، 347 عند ابن عاصم
(4) الاحكام 1 : 32

فأشما : أي شئ ما (1) . وكقولهم في السؤال مطلقا أو في السؤال عن العدد أو المسافة : أشحل وأشحال . وأصلها : أي شئ حال . ومن أمثلة استعمالها في الأمثال قولهم :

أشْحَل بَيْنِي وبَيْن السَّما ؟ .. (رقم 93) ·

فهي هنا بمعنى كم ، وفي العامية المغربية يقال في السؤال عن الثمن : بشحال أي بكم ، وأصلها : بأي شيء حال... (2) ونجد أش هذه متصلة بأفعال وأسماء كقولهم :

أشْتَعْمَل الكَيِّس فَالبَيْت الفارِغْ . (رقم 212)

فأشتعمل : ما تعمل ، وقد ورد هذا المثل معربا في رسالة الشقندي كما يلي : " وهب أنه كان يكون لكم مثله ، فما تصنع الكيسة في البيت الفارغ (3) " ومن أمثلة ذلك أيضا : اشترقع = ماترقع أو ماذا ترقع (ص 58 في النص) وأشيقل = ماذا يقال لد (ص 58) . وأشجلاس = ما جلوسه (ص 288) وأشكندخلن = من أدخلني (ص 43) . ومثل أش : عاش أو عِلش = على أي شيء (ص 15 ، 314) وهي تستعمل بمعنى لماذا ، وبش = بأي شيء (ص 315 ، 383) وقد وردت في . Voc سوضع بماذا ولكي . ولش = لأي شيء أي لماذا (ص 315) وهذه الأخيرة مستعملة في معظم اللهجات العامية العربية منذ زمن بعيد .

- ذكر الزبيدي أمثلة عديدة مما كان يقع على لسان العامة في الأندلس من قلب وإبدال بين الحروف ، وبلغ ما عدده في مواضع متفرقة من حالات القلب والإبدال نحو خمس عشرة حالة (4) . وقد وجدنا بعض هذه الحالات في الأمثال ، فمن ذلك إبدالهم النون ميما في مثل قولهم : حلزوم أي حلزون (5) ، وقد ورد هذا في المثل التالي :

حَلزومْ لِيسْ معها أيْ تَدورْ ، تَرْبَطْ فِي ذَنَبْهَا تورْ . (رقم 807)

وإبدال التاء طاء كما في كلمة است التي نراها ترسم اسط في أمثال عديدة . وقد نقل ابن عبد الملك المراكشي أن أهل شرق الأندلس كانوا ينطقون التاء طاء فيقولون في حوت : حوط (6) . وكذلك نجدهم يقلبون الدال طاء في بعض الكلمات كما في المثل :

---

(1) انظر استعمالها أيضا في المثلين رقم 155 ورقم 173 .

(2) انظر استعمالها أيضا في المثلين رقم 157 ، ورقم 235

(3) نفح الطيب 4 : 182

(4) انظر تصنيفا لها في كتاب لحن العامة د. عبد العزيز مطر ص 105 وما بعدها

(5) لحن العوام للزبيدي : 192

(6) الذيل والتكملة 1 :

شِكَارةْ حَبْلَس : يِطَلَّع فِيها المُرْط للصُمع . (رقم 1890)

فالمرط = المرد جمع أمرد ، ومن ذلك أيضا إبدال الضاد دالا كما في يمدغ = يمضغ من هذا المثل :

حَنِين أبي زُرَيْق : يَمْدغْ الحَلْوَ للصِبْيَانْ . (رقم 806)

وهكذا تنطق الكلمة في المغرب أيضا . ومن إبدال القاف كافا والصاد سينا ما ورد في المثل التالي :

مَنْ مَاعُ كرسَعَنَّ : الحَمَامْ تَتْبَاعُ .(رقم 1261)

فكرسعن = قرصعنة . وهم يقولون : حك أي حق (1) وحكاك أي إحقاق (2) وكفز أي قفز (3) والكفز أي القفز (4) . ويبدو أن هذا من أثر القاف المعقودة التي عرف بها الأندلسيون . وقد وُصف أبو حيان في نفح الطيب بما يلي : " عبارته فصيحة بلغة الأندلس يعقد حرف القاف قريبا من الكاف ، على أنه لا ينطق بها في القرآن إلا فصيحة ، وسمعته يقول : ما في هذه البلاد (يعني مصر) من يعقد حرف القاف (5) " كما نجد هذا النص في سلوة الأنفاس : " فقال لهم هذا عربي قوي ، بالقاف القريبة من الكاف ، كما ينطق به أهل الأندلس (6) " . وصاحب هذا النطق الموصوف هو العارف أبو الحسن علي صالح بن الأندلسي الغرناطي ..

ـ والتصغير من سمات العامية الأندلسية الواضحة ، ففي الأمثال والأزجال نلحظ شغف الأندلسيين وولعهم باستعمال التصغير في كلامهم ، ونجد له مثالا قديما يرقى إلى أيام عبدالرحمن الأوسط ، جاء في المغرب لابن سعيد 1 : 125 : " وذكر عبد الله بن الناصر في كتاب العليل والقتيل : أن الأمير عبد الرحمن قال يوما لابن الشمر على الشراب : ما فعلت غُفَيِّرتك التي كانت جرداء قد صارت أخياطها كالعروق ؟ فقال : عملت منها لفائف لبُغَيْلك الأشهب " وبلغ من استحكام التصغير في لسان أهل الأندلس أنهم يغفلون عن بعض ما يقتضيه الأدب الديني ، فقد انتقد عليهم السكوني الإشبيلي استعمال صيغة التصغير في مواطن لا يجوز فيها شرعا . قال : " ويقول قائلهم : هذا مصيحف ، ومسيجد ، ومكيتب ، وجويمع وما أشبه ذلك بالتصغير ، وكل ذلك لا يجوز ، لأنه تصغير لما أمر الشرع بتعظيمه ،

---

(1) لحن العوام للزبيدي : 68

(2) انظر المثل رقم 272

(3) المثل رقم 373 ورقم 1148 ، 1151

(4) المثل رقم 1806

(5) نفح الطيب 3 : 295

(6) سلوة الأنفاس 2 : 209

وكذلك ما كان من شعائر الله سبحانه . قال الله سبحانه : " ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ".

وما يزال الميل. إلى تصغير الكلمات سمة بارزة في اللغة الاسبانية ولهجات المغرب العربي ، وهم يصغرون حتى الأشياء الصغيرة بطبيعتها ، فيقولون في عجلة : عجيلة وفي كسرة : كسيرة ، كما في هذه الأمثال :

بَحَلْ فُمْ اعجَيَّلْ بِالرَّغْوَ عَلِيهْ . (رقم 622)

لِسْ فَالكُبَيْنَ ما تَرْضَعْ العُجَيْلَة . (رقم 1178)

من اتَّكَل على مُرَيْقَة جَارَتُ أصْبَحَتْ كُسَيْرتُ لِراسُ . ـ(رقم 1290)

ونرى من هذه الأمثلة أن ثمة صيغتين في تصغير الثلاثي هما : فعيل بتشديد الياء ، وفعيل الفصيحة ، ولكن هذه الصيغة الثانية تنطق بسكون الأول وكسر الثاني في العامية المغربية ، ويبدو من معجم القالا ـ وهو يمثل لهجة أهل غرناطة ـ أنهم كانوا ينطقون فعيل في المذكر وفعيلة في المؤنث على وجهه الفصيح أي بضم الأول وفتح الثاني .

ومن الكلمات المصغرة التي أوردها مضبوطة : خبيزة ، قديرة ، كعيكة (1) ونجدهم يصغرون بعض الكلمات على نحو خاص فيقولون في تصغير رجل : رجيجل ، بدل : رويجل ، كما في المثل التالي :

ثمَّ رجُلْ ورُجَيْجَلْ ويَحُجْ البَيْتْ . (رقم 747)

ومن ذلك أيضا قولهم في تصغير سوق : سقيقة ، بدل سويقة ، وذهب دوزي إلى أن هذا النوع من التصغير ظهر عند عامة الأندلسيين بعد أن فقدوا السليقة العربية تماما ، ووقعوا تحت تأثير اللغة الإسبانية (2) ، وقد بنى حكمه هذا حين وجد كلمة سقيقة في وثيقة غرناطية متأخرة (3) .

وكما تكثر صيغ التصغير في الأمثال فإنها تكثر في الأزجال أيضا كقول ابن قزمان : (زجل 10) :

فَمِنَ التفَّاح نُهَيْدات ومِنَ الدَّرْمَكْ خُدَيدات

ومِنَ الجَوْهَر ضُرَيْسَات ومن السُكَّرْ فُمَيْمَه

ونراه صغر الفم ، وهو مذكر تصغير تانيث وكذلك فعل مدغليس إذا يقول : (العاطل الحالي : 46) :

---

(1) الكالا : 341 ، 358 ، 383

(2) دوزى ، تكملة المعاجم العربية 1 : 706

(3) هي الوثيقة التي نشرها كولان في المجلد الثالث من مجلة : Islamica بعنوان Sur une charte hispano-arabe de 1312

وفُمَيْمَه حُلْوا حَمْرا صَغِيــرَه   بضُرَيْسَات دَقّ بَيْض مُسْتَوِيه

وقد ورد التصغير في بعض الأمثال للتعظيم كما في هذا المثلين:

سَلّطَ اللّه عَلَى الدّابّة دُويبّة (رقم 1849) .

ثَمّ رَجُل ورُجيْجَلْ ويَحُجْ البَيْتْ . (رقم 747)

وهو معنى من معاني التصغير ذكره النحاة ومثلوا له بقول لبيد :

وكل أناس سوف تدخل بينهم   دويهة تصفر منها الأنامل

- توجد التثنية في الأمثال العامية الأندلسية ، ولكنها ترد دائما بالياء والنون ومثال ذلك :

ضَرْبَتَيْن فَالرّاسْ . (رقم 1623)

عَيْبَيْن فَالدّرْهَم : نَاقِصْ ومَكْسُورْ . (رقم 1665)

أما في الضمائر فيستعمل ضمير الجمع للمثنى كما في هذه الأمثال :

الأعْمَى والأعْرَجْ مَا عَلَيْهِم حَرجْ . (رقم 153)

الغازي والفَار لا تِعَلّمهُم بَاب الدار ابن عاصم (رقم 176)

مَنْ بَاعْ لَحْيِ بلَحْيَ خَسَرْهُم جَمِيعا . (رقم 1397)

ويستعمل الأندلسيون جمع المذكر السالم حيث تستعمل الفصحى وبعض اللهجات العامية جمع التكسير ، ومن ذلك قولهم : أضرسين أي أضراس كما في هذا المثل :

يَعْطِي اللّه الفُولْ لِمَن لاَ عِنْدُ أضْرَسينْ . (رقم 2143)

وقولهم : سنين أي أسنان كما في المثل :

سَنِّين انْ خش ، وقُلُوب انْ غِش . (رقم 351)

ومن ذلك أيضا : اذرعين واسطين وادين ورجلين آي أذرع واستاه وأيد وأرجل (1) .

- ومن الأدوات المستعملة في الأمثال الأندلسية : بَحَل أو بحَالْ ، وهي أداة تشبيه ومعناها مثل أو شبيه ، ومع أن أصلها من كلمة حال أي هيئة وشكل إلا أن هذا المعنى قد تنوسي فيما يبدو وأصبح ينظر إليها على أنها أداة تشبيه لا غير تقوم مقام الكاف وغيرها من أدوات التشبيه الفصيحة .

- وهم يستعملون في التمني كلمة : يا عَلَى، بمعنى ليت . كقولهم :

يَا عَلَى مُمَيّزْ وينفَقْ عليه : قال : وإذا كان مميز ينفق على روح (رقم 2147)

أرنَب تكُل لَحْم ؟ قالْ : يَا عَلَى بجلْدي كنخلصْ (رقم 72)

يَا عَلَى بَيّاع الدّقِيقْ يعقَلْ . (ابن عاصم رقم 826)

---

(1) انظر الامثال ارقام 496 ، 309 ، 976

فكلمة "يا على" في هذه الأمثال جميعا بمعنى ليت ، وهي واردة في الأزجال أيضا كما في قول ابن قزمان : (العاطل الحالي : 34 ـ 35) :

إنّمَا مذهَبِي الطّـــــلاَ   يا عَلَى منّو بير مــــلاَ
كَانَ يكون ارْجُلى العُقَاب   ويَكُون فمِي الدّلـــــو

وقوله أيضا : (الزجل في الأندلس : 91)

يا على مزودا ملا بذهب   وخوابي سلا بدم العنب
كل من جا دخل أكل وشرب   ويكون جاري شيخا أعمى أصم

وقد استعمل " ليت " و " على" في زجل آخر إذ يقول : (زجل 67) :

يَا بَيَاضْ بَيْت أم أبي ليتني كُنت أنَا أم .
يَا على فُم نُمار كنقَبّل فيه بفم .

بل إننا نجد كلمة " يا على " هذه تتسلل إلى أساليبهم الفصيحة كما في هذه الحكاية التي رواها ابن سعيد في ترجمة الزاهد أبي وهب عبد الرحمن العباسي إذ يقول : " وذكر الحجاري أن أبا وهب لقيه مرة غلام وغد بخارج قرطبة ، فآذاه بلسانه ، ثم أراد أن يرميه بطوبة ، فجعل يبحث عنها ، ويقول : يا على طوبة أضرب بها هذا الأحمق ! فوقعت عين أبي وهب على طوبة ، فقال له : هذه طوبة خذها فأبلغ بها غرضك ، فارتاع الغلام وأخذته كالرعدة (1) " .

وكلمة يا " على " تشبه من حيث التركيب كلمة " ياريت " التي تستعمل في العامية المصرية للمعنى نفسه ، وذكر المرحوم أحمد تيمور أنها محرفة عن " يا ليت " (2) فهل تكون كلمة " يا على " الأندلسية محرفة عن " لعل " بأن أضيفت إليها " يا " ثم خففت اللام من لعل أو عل فصارت : " يا على " ؟ قد يكون ذلك خصوصا إذا لاحظنا عدم التدقيق في مواضع الترجي والتمني في الاستعمال العامي .

وقد وردت كلمة " يا على " في .Voc ضمن أدوات التمني والترجي المستعملة بين الأندلسيين ، وهي كما في المعجم المذكور (ص 639) : " عسى ، ليت ، يا على ، ياليت ، يا عسى ، يا ليت شعري ". و أمّا "يَا" وحْدهَا ، فهي ظرف رومَانثى يكثر وروده في أزجال ابن قزمان ، لكننا لانكاد نجده في الأمثال ، ويمكن أن يكون منه هذا المثل :

يا ، على بيّاع الدقيق يعقل . (ابن عاصم رقم 826).

(1) المغرب I : 59

(2) الامثال العامية : (المثل رقم 3064) الطبعة الثانية

وللاستاذ إ.غ. غومس دراسة ممتازة في "يا" الظرفية هذه عند ابن قزمان.
انظر : Todo Ben Quzmān, III, p. .431

- وأشهر ظروف الزمان في العامية الأندلسية : ذاب أي الآن ، وهي مستعملة كثيرا في الأمثال والأزجال ، وقد أشار إليها ابن هشام اللخمي في تقويم اللسان إذ يقول : " ويقولون : جئته ذاب ، والصواب : جئته الساعة أو الآن (1)" وقد وردت في أمثال الزجالي وأمثال ابن عاصم بالإمالة كما في هذا المثل :

ذيبَ كن انتَبَّهت جارتِي لثقَب اذنيها . (رقم 960)

وما تزال الكلمة مستعملة في المغرب بالدال المهملة هكذا : داب ، وهي موجودة في اللهجة السودانية بلفظ : " دابو " يقال: الزول دابوجه ، أي الجل جاء الآن (2) . وهي أيضا في اللهجة المصرية :" دوب " كما في هذه العبارة : يا دوب جه ، أي جاء منذ لحظة وجيزة (3) ، ولعلها انتقلت إليها من اللهجة المغربية .
ومن ظروف الزمان المستعملة في الأمثال ظرف : بيدم أو بيدام ، كما كما في المثلين التاليين :

بَيْدَمْ تتقَنَّع الحَولَ ، يَفْتَرقْ سُوق الغَزْل . (رقم 564)
بَيْدَمْ يجي التِرياقْ من بَيْت المَقْدِسْ يَذْهَب صاحِب الوَجَعْ (رقم 565) (4)

وما تزال مستعملة في العامية المغربية ولكن بسكون الدال وفتح الميم مع مدها هكذا : بيدما . ويبدو أن هذه الصيغ محرفة عن : بينما ، وأنهم قلبوا نونها دالا ، ويستعملون في هذا المعنى أيضا كلمة : مندام ، وقد وردت الكلمتان في .Voc ص 437 : مع : بينما ، ريثما ، خلال ما (5)

كما يستعملون : " وقت ان " في موضع : " حين " كما في هذين المثلين :
وَقْت انْ حَضَر الصَّيْدْ غاب السَّلُوقِي . (رقم 1949)
وَقْت انْ تَرْبَط القَرْع كنبُوشَه . (رقم 1974)

وهي ليست إلا كلمة " وقتا " بالتنوين المفتوح الذي جرت عادتهم أن يرسموه " أن " كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وقد وردت الكلمة مع أخوات لها في .Voc ص 548 هي : " متى ، إذا ، وقت ان ، حين) عندما ".

طُلْ ما تَجِد أسْوَدْ ، لا تِسَخَّرْ أبْيَضْ . (رقم 1064)

---

(1) نقلا عن : الفاظ مغربية : 286
(2) عبد المجيد عابدين : من اصول اللهجات العربية في السودان : 119
(3) عبد المجيد عابدين : من اصول اللهجات العربية في السودان : 119
(4) انظر أمثلة اخرى في امثال ابن عاصم رقم 313 وما بعده
(5) انظر ايضا دوزى 1 : 133

وكما في قول ابن قزمان : (العاطل الحالي : 60) :

اسْقِنِي بالكاساتْ ياخي دُون علاَلِي
طُولْ مَا كَاسْ في الدُنْيَا لاَ تَسْل عن حَالِي

وفي .Voc ص 548 : "طول ما ، ما دام " ومن الواضح أنها ليست سوى " طالما " الفصيحة أصابها التحريف .

ويستعملون في التعليل كلمة : "حرم ف" كما في قولهم :
أجوع من زامل موقف الذي هدم الحيط حرم في تبن (رقم 490)
أي هدم الحائط طمعا في التبن الموجود في بنائه ومثال ذلك أيضا :
حُرْم فَسَاعَ تمشوا فَارْبَاع . (رقم 800)

فهي في هذين المثلين بمعنى : من أجل أو في سبيل ، وترد أيضا بمعنى : لماذا ، كما في قول ابن قزمان يصف الرقيب : (ذجل رقم 9) :

ويفرق ما بين حبيب وحبيب حرم بالله معيشقين ورقيب

أي لماذا بالله عاشقان ورقيب ، ووردت الكلمة مع شبيهات لها تستعمل للاستفهام والعلية بحسب الجملة في .Voc ص 549 وهي : " لش ، عن أش ، لماذا لأي شيء ، حرمه ، فش ، عنبتش " .

- أما أسماء الإشارة فيبدو من تتبع الأمثال أنهم كانوا يستعملون : ذا للقريب كثيرا (1) وقل استعمالهم لهذا ، وقد وردت في بعض الأمثال بالإمالة هكذا : هيذ أي هذا (2) ، وكما آثروا استعمال ذا في الإشارة للقريب للاختصار فيما يبدو آثروا أيضا استعمال ذاك بدل ذلك وكذا بدل هكذا (3) .

وورد استعمال "هي" اسم إشارة بمعنى هذه في المثل التالي :
مَنْ وُلِيِ على مَزْبَلَة بِدَجَاجَة يَتَعَشَّى هي الليلَة (رقم 1303)

أي هذه الليلة ، وقد ذكر كل من الزبيدي في لحن العوام وابن هشام في تقويم اللسان أنهم كانوا يستعملون هو وهي في مواضع الإشارة ، جاء في لحن العوام : "ويقولون :أتيت هي الأيام وقعدت في هو المكان ، والصواب : أتيت تلك الأيام ، وقعدت في ذلك المكان ، وليست هذه المواضع من مواضع

---

(1) انظر استعمال ذا في الصفحات التالية من النص : 23 ، 24 ، 110 ، 123 ، 139 ، 151 186 ، 188 225 ، 230 ، 246 ، 296 ، 316 ، 337 ، 343
(2) انظر ص 361 من النص
(3) انظر ص 189 ، 255

هو ولا هي (1) " وفي تقويم اللسان " : ويقولون قعدت في هو المكان ، والصواب في ذلك المكان (2) " ويبدو أن هذا من تأثير أو بقايا العربية الجنوبية ،ففي كتاب المختصر في علم العربية الجنوبية القديمة أن هذه اللغة تستعمل " هو" في الإشارة إلى المذكر و " هي " في الإشارة إلى المؤنث (3) " .

ويستعملون في الإشارة أيضا كلمة : " تراه " أو " تريه " بالإمالة كما جاءت في المثل التالي :

أيْن اذنَكْ أبُو فُلان ؟ قَال : تَريه هنَا في ذَا المَكَان . (رقم 84)

فكلمة : تريه أي تراه معناها في المثل : ها هي ، وجاء في .Voc ص 360 ما يلي : " ها هُو ، تراه " أما في الإشارة للجمع فتستعمل : " هَوْلَ " أي هؤلاء كما في .Voc ص 444 ومثالها قول مدغليس :

لسْ لَنا إلاَ نخَلّي الفُضُولْ أَشْ نَرى مَنُّو لهَوْلَ العَاشِقِينْ

يريد بقوله : "الهَوْلَ" " لهؤلاء (4) " .

ـ وأما بالنسبة لاسم الموصول فيبدو من الأمثال أن العامية الأندلسية احتفظت بالذي ولم تغيره إلى " اللي " كما أصبح الحال فيما بعد في معظم اللهجات العربية ، إلا أننا نراهم يستعملون " الذي " للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع ، فمن استعمال " الذي" للمفرد المؤنث بدل " التي" قولهم:

أعْجَز من كَلْبَت بَني سَعِيدة : الذي مَاتَت بالْعَطَشْ وذنبها فَالماء . (رقم 495)

ومن استعمالها في حالة الجمع قولهم : (ابن عاصم رقم 196) :

العُوَيْنيت الذي تيدَك : مِنْ بَعيدْ تضْحَكْ لَك (5) .

وورد استعمال " اللي " في زجل لابن قزمان إذ يقول :

سُبْحن اللّي جَمّع عَلَى قَلْبَك كُلْ شَيء حَسَنْ (6)

يريد سبحان الذي ، وأما في الأمثال فلم نقف على استعمال " اللي " بمعنى الذي .

---

(1) لحن العوام للزبيدي : 252 والفاظ مغربية للدكتور عبد العزيز الاهواني : 320
(2) نقلا عن الفاظ مغربية 319
(3) المختصر : 5
(4) العاطل الحالي : 52
(5) انظر استعمال الذي في النص ص : 98 ، 99 ، 100 ، وابن عاصم رقم : 2 ورقم 3 ورقم 16
(6) العاطل الحالي : 50

وصف ابن سعيد كلام أهل الاندلس بأنه منحرف عن أوضاع العربية الفصحى ، وأنه مجانب للاعراب ، بل ذكر أن الاندلسيين كانوا يستبردون من يعرب ويستثقلون من يتفصح، ولاشك أن ابن سعيد وصف ما سمع من لغة أهل عصره في أمصار الاندلس التي عاش فيها ولا سيما اشبيلية وقد لا يختلف وصفه عن وصف من تقدمه .

أما ابن الخطيب فقد ذكر في وصفه لكلام أهل غرناطة أنه كان يتخلله اعراب كثير ولعل في هذا ماقد يخالف — من الوجهة النظرية — قانون التطور اللغوي الا أن يكون الامر يتعلق بوصف مستويات لغوية مختلفة .

ومهما يكن من أمر فلو بحثنا عن مظاهر الاعراب في نصوص الامثال الاندلسية سواء منها التي دونها الزجالي أو التي جمعها ابن عاصم لوجدنا أنها تقع ولكن بقلة ويمكن الوقوف عليها في القسم الثاني من الكتاب .

— سبق أن أشرنا الى شيء من أثر « عجمية أهل الاندلس » في مفردات الامثال ، وثمة تأثير ملحوظ — ولكنه قليل — لهذه العجمية في تراكيب الامثال ، ونستطيع أن نلمح شيئا من ذلك في الامثال التالية على سبيل المثال :

غبار الغنم كحول هو لعين السبع . (رقم 1722)

من لدغت الحي ، من الحبل ينفر . (رقم 1422)

من مات ولد ، ربيب يجيه لليل . (رقم 1474)

في عافية كان الزجاج قبل أن يشتري القط . (رقم 1744)

ونتبين أثر التركيب العجمي في المثل الاول من خلال نظيره القشتالي القديم :
El Polvo de La oveja, Alcohol es Para el Lobo.

والشاهد عندنا في تركيب : كحول هو = Alcohol es

وكوننا نعتبر الصيغة القشتالية ترجمة للصيغة العربية لا يمنعنا من اعتبار المطابقة التامة في الترجمة دليلا على ما نرى ، وفي صيغة المثل العربي القديم :

غبار الغنم : كحل عين الذئب

دليل آخر . كما أن تقديم المتعلق في المثل الثاني وتقديم الفاعل في المثل الثالث وتقديم الخبر في المثل الرابع لا يخلو من رائحة الاثر العجمي فيما نفترض ، وان كنا نعرف وقوع مثل هذا أيضا في أساليب العربية الفصحى ولعل مقارنة التركيب في الامثال المذكورة بالتركيب في نظائرها المغربية والمشرقية تصلح دليلا على هذا الافتراض .

ومع ذلك فالاثر العجمي أو «الرومانثي» في الفاظ الامثال وتراكيبها قليل بالنسبة الى الاثر الرومانثي في الازجال .

تلك كلمة موجزة في الجانب اللغوي في الأمثال الأندلسية ونريد - بعد ذلك - أن نشير باختصار إلى بعض خصائصها من حيث الأسلوب والتركيب :

- المثل الأندلسي - كغيره من الأمثال عامة - بنية لغوية تقوم على السجع في الغالب . ويبدو أن للسجع في المثل وظيفتين :

أولاهما أنه حلية بلاغية تميز المثل العامي - على غرار المثل الفصيح - عن غيره من الكلام الجاري .

وثانيهما أنه حيلة تعليمية لأن السجع أدعى إلى حفظ المثل وتقييده .
والسجع البسيط هو الشائع في الأمثال الأندلسية ، كهذا المثل :

إذا ريت حيش لمع ، ادر أنُّ لآخر بلع (رقم 4) .

وقد يكون مركبا (أي مؤلفا من فقرتين فأكثر) كقولهم :
إذا حج جارك ، بع دارك ، وإن حج مرتين ، بعها بالدين (رقم 1) .
إذا قالت البنت دد ، فكر لها في مخد ، وإن رفعت القدح لفمها ، تحتاج ما تحتاج أمها (رقم 27)
إذا ريت بالغدو ، خل دوابك يرقد ، وإن ريت بالعشي ، يسر دوابك للمشي (رقم 61) .

والتساوي بين قسيمي السجعة هو الكثير في سجع الأمثال وقد يكون القسيم الأول أطول من الثاني كما في هذا المثل :

البضاعَ المعْشوقَ ، مَحْلوقَ (رقم 172)
وقد يكون العكس كما في قولهم :

بَدَرْ ، يد فالصَّحْفَ وعينُ فالقَدَرْ (رقم 561)
ولا نجد التزاما للحرف الواحد في سجعة المثل ، فقد ينقعد السجع بحروف متقاربة كما في قولهم :

النَّحس النحيس ، الجُبَّه تحت القَميصْ (رقم 189)
جرونـي على الدِّيسْ ، وأنا حَريص (رقم 765)
بَس واقْرُصْ ، وخلْ مويضع العَروسْ . (رقم 582)
إذا جازْ ابريل ، اعمَلْ فوق البَحَر سَريرْ ، (رقم 60)

وبالنسبة للمثل الأخير فقد وقفنا في بعض النصوص الأندلسية على كتابة كلمة ابريل بالراء هكذا : ابرير .

ومن أمارات الحاجة إلى استعمال السجع في المثل وإيثار الصيغة المسجوعة على غيرها أن بعض الأمثال الأندلسية أرسلت في أول الأمر خالية من هذه الحلية

الايقاعية ثم ما زال بها الصقل والتهذيب حتى دخلت في قالب السجع ، ومثالنا على ذلك هذا المثل الذي رواه الزجالي كما يلي :

بين أَخذ الدِّيك وإطلاقُ ، يَنْتَتَفْ ذَنَبُ (رقم 550)

وبعد نحو قرنين من الزمن يجيء ابن عاصم فيرويه مسجوعا على النحو الآتي :

بين أخذ الدِّيكْ وإطلاقُ ، ينْتَتفْ ساقُ (رقم 324)

ومن الملاحظ أن المثل العامي - على العموم - يتعرض للتساهل في الرواية ومع ذلك فإن الصيغة المحكمة هي التي تظل أكثر استعمالا من غيرها .

وتدعو ضرورة السجع في الأمثال أحيانا إلى استعمال كلمات لا معنى لها . واختراع أسماء ربما لم يكن لها وجود في الواقع كقولهم :

جَاحْ وماحْ ، وقابض الأرواحْ (رقم 779)

حَمالِقْ ، جَبَّاذ التَّعَالِيقْ (رقم 812)

- يكثر التشبيه في الأمثال الأندلسية كثرة جعلت الزجالي يقول - بعد أن أورد قدرا لا بأس به من أمثال التشبيهات - : "وهذا باب متسع جدا" (1) .

ولتشبيهات الأندلسيين - في أمثالهم وفي أشعارهم (2) - خصوصيتها البلدية وطابعها المحلي ، لأنها منتزعة من صميم بيئتهم ومنبثقة من طبيعة ذهنيتهم ، فقد شبهوا حال المعربد الذي لم يعد يميز خطل القول من صوابه والأهوج الذي يثور فلا يعقل ما يأتي في حق نفسه من ضرر بحال

بحال وادي شوش المضطرب في فيضان :

بَحَلْ وَادي شُوش (3) : يَرْمِي الاجْراف عَلَى روح . (رقم 640)

وشبهوا موقف المتردد الذي يظل يقدم ويؤخر رجلا أخرى حتى تضيع منه الفرصة بموقف البلشون في حكايته التي نظمها فيما بعد لافونتين (3)فقالوا :

بَحَلْ بَلَشونْ على غَدير : صَغيرْ ذا ! كَبيرْ ذا ! (رقم 619)

---

(1) انظر القسم الثاني ص 153

(2) افردت تشبيهات الاندلسيين في الشعر بمؤلفات عديدة منها كتاب التشبيهات لابن الكتاني ، وهو مطبوع .

(3) اسمه بالاسبانية Guadajoz وتفسير اسين له بانه rio de la turbia اي النهر المضطرب، يتفق مع المثل . راجع : TODO BEN QUZMAN ج 1 ص 503 حاشية رقم 7

وشبهوا في الحادث الذي لا يقع إلا نادرًا ، والمرور الذي لا يكون إلا عابرا ، بحال القالق مع مدينة سبتة :

بَحَلْ أبو شَقْشَاقْ على سَبْتَة (1) (رقم 683)

وفي أمثالهم تشبيهات بالسمك الذي كان في الأندلس وما يزال من مظاهر الحياة فيها كقولهم :

بَحَلْ شابِلْ : دمٌ على خَدُّ (رقم 621)

بَحَلْ صِلْبَاح : ما يموت حتَّى يُذْبَحْ (رقم 669)

وهم ينزعون في بعض هذه التشبيهات منزع التصوير الهزلي Carecature كما في هذا المثل :

بَحَلْ رايسْ في نَو : يشير بلحيتُه ، وينْطَح بِسُرَّةُ (رقم 652)

وبالإجمال فإن مظاهر الصنعة البلاغية الأخرى من تورية وجناس وطباق موجودة في تراكيب الأمثال الأندلسية ، ومع ذلك فإننا نلاحظ أن أمثالنا العربية ظلت إلى الآن مستبعدة من ميدان التطبيق البلاغي والتحليل النقدي

- ثمة طائفة من الأمثال الأندلسية يستعمل فيها أسلوب الحوار ، وهو - بحكم بنية المثل القائمة على الايجاز - حوار قصير يتركب من شقين : أولهما السؤال وثانيهما الجواب ومثال ذلك :

أُقِل (قيل) لِلأَسْوَدْ : أَشْكِتَعْمَلْ لَوْ كُنت سُلْطان ؟ قال : نَخُذْ (آخذ) ألف مثْقال ونَهْرَبْ ! (رقم 65)

ويفتتح المثل الحواري أحيانا بصيغة النداء كما في هذا المثل :

أَقْرَعْ ! (أي يا أقرع) كيف أَصْبَحت ؟ قال : مبْتَدي شَرّْ ! (رقم 81)

وقد يفتتح بصيغة الأمر كما في قولهم :

افْلَحْ ! قَال : حَتَّى لِغَدِ ي (رقم 77)

ويقارن هذا المثل - من حيث الأسلوب - بقول أبي البركات البلفيقي من قصيدة له :

واهْزأْ بهمْ ، فمتى يقُلْ نصحاؤُهمْ :
افْلَحْ ! فقُلْ : حتَّى أُلاقي مُفْلحا (2)

---

(1) في نوازل محمد المسناوي اندلائي ما يلي : «ان بعض الناس يرى المخطوط من غير أن يلازمه او تطول ااامته معه ، بل يمر عليه مرور الغرانيق على سبتة ». نوازل المسناوي : 259 ط. حجز. فاس 1345 هـ

(2) الكتيبة الكاملة : 130.

وهذا الأسلوب الحواري في الأمثال العامية الأندلسية - وفي غيرها - نجده أيضا في كثير من الأمثال المولدة التي دونها الميداني وغيره ، ويعلّله أحد الباحثين باتجاه المثل المولد إلى البسط والتحليل بدلا من الايجاز والتركيب ، وهما من سمات المثل العربي القديم (1) .

- وهناك فئة أخرى من الأمثال الأندلسية تقوم على أسلوب التفسير كهذه الأمثال:

بضاعَة ابْن جُرْجْ : بضَاعَ بكَبْش (رقم 555)
ثِمارْ وادي آشْ : لا ظِلّ وَلا طُعَم (رقم 745)
مُجَبَّنَة الظُهر : خَرَجْ نارْها ، وقل طُلاَبْها (رقم 1491)

ففي مثل هذه الأمثال نحس أن طبيعة المثل فيها تكمن في الأجزاء الأولى ، أما ما بعدها فليس إلا تفسيرا لها . وكأن التمثل بمثل ما ذكر جرى في أول الأمر بالأجزاء الأولى على سبيل التشبيه ، ويجوز أيضا أن تعد من باب المضاف والمضاف إليه ، وهو - كما نعرف - باب لا حق بالأمثال ألف فيه كل من الثعالبي والمحبّي .

- من السمات البارزة في أسلوب الأمثال الأندلسية بذاءة الألفاظ وفحشها وهذا يؤكد الشواهد المتعددة التي يوصف فيها كلام العامة في الأندلس بأنه محشو بسوء الأدب (2) . وقد اشتهر أهل وادي إشبيلية بتبذلهم في الكلام وتماجنهم في الحديث ، حتى إن الوزير أحمد بن سعيد القلعي لما أحرج ممّا سمع من قبيح القول في هذا الوادي قال له أصحابه : "أما سمعت أن من دخل هذا الوادي يعوّل على هذا وأمثاله (3)" ووصف الشقندي أهل هذا الوادي بأنهم " أخف الناس أرواحا ، وأطبعهم نوادر ، وأحملهم لمزاح بأقبح ما يكون من السب ، قد مرنوا على ذلك ، فصار لهم ديدنا حتى صار عندهم من لا يبتذل فيه ولا يتلاعن ممقوتا ثقيلا (4)" وإلى هذا أيضا يشير أحمد بن سعيد المذكور في وصف وادي إشبيلية :

خصّه الله بمعنى	فيه للألباب سِرُّ (5)
يُلعن الانسان فيه	وهو يصغي ويسَرُّ

(1) الامثال في النثر العربي القديم للدكتور عبد المجيد عابدين ص 182
(2) المغرب : 121 ، 216
(3) نفح الطيب 5 : 324
(4) المصدر نفسه 4 : 149
(5) المصدر نفسه . وقد اشار حازم القرطاجني في منهاج البلغاء : 331 الى «شيوع العبارات الساقطة والالفاظ الخسيسة ككثير من الفاظ الشطار المتماجنين واهل المهن والعوام والنساء والصبيان» .

ومن المظاهر الخفيفة لهذه السمة عند الأندلسيين ولعهم بالتنابز بالألقاب، وهو ولع نلحظه في الأمثال ونجده في ثنايا كتب التراجم والتاريخ، ولم يستثنوا من النبز بالألقاب أمراءهم وأئمتهم، فمن ألقاب الخلفاء والأمراء: المنقوش (1)، والأحدب (2) والبطرة سكه (3) أي الحجر اليابس، والمذاكرة (4)، والمطبوع (5) والعجيل (6)، والفروطة (7)، والقط (8)، والغزال (9) وهكذا. ومما نبز به بعض القضاة: القبعة (10)، والمغربلة (11) أي الدجاجة المهزولة، وجعسوس (12) وغيرها كثير.

ونحسب أن تركيب الألقاب كان شائعا ومقبولا بين العامة. أما الخاصة فكانوا على العموم يأنفون منه وينتقدونه، وممن انتقد عادة التنابز بالألقاب عند الأندلسيين المقري الجد (13) ولقد خاطب الطبني القرطبي ولده من مصر بهذين البيتين:

يا أهل أندلسٍ ما عندكم أدبٌ	بالمشرق الأدب النفّاح بالطيب
يدعي الشباب شيوخا في مجالسهم	والشيخ عندكم يدعى بتلقيب (14)

وهذا المعنى الذي عبر عنه هذا الفقيه القرطبي نجد ظلا له في مثال أندلسي لا يخلو من مفارقة:

- مشينا لمصر أن (أين) نُعَزّ، صبنا الفقها ثم يزَّزْ (15) (ابن عاصم رقم 760)

كان المزاج الأندلسي مزاجا حضريا أقرب إلى الخفة والمرح منه إلى الجد والتزمت، وفي وسع قارىء الأمثال الأندلسية أن يحس بهذا وأن يستدل عليه، والأمثال هنا تتضافر مع فنون القول - المعربة وغير المعربة - في تصوير

---

(1) لقب محمد بن عبد الجبار، انظر البيان 3 : 50
(2) لقب المنصور بن أبي عامر، انظر البيان المغرب 2 : 281
(3) لقب عبد الله بن عبد العزيز الاموي : انظر الجمهرة : 98
(4) لقب المنذر بن عبد الرحمن الاموي، انظر الجمهرة : 95
(5) لقب محمد بن ابراهيم بن معاوية الاموي، انظر الجمهرة : 95
(6) لقب عبد الله بن اسحاق الاموي، انظر الجمهرة : 95
(7) لقب أحد الامويين، انظر الجمهرة : 99
(8) لقب محمد بن هشام الاموي، انظر الجمهرة : 99
(9) لقب سليمان بن المرتضى، نفح الطيب
(10) لقب القاضي
(11) لقب القاضي ابن أبي عيسى، انظر المدارك
(12) لقب القاضي النباهي
(13) نفح الطيب
(14) صلة ابن بشكوال
(15) معناه : ذهبنا الى مصر حيث نعز ونكرم فوجدنا الفقهاء هنالك يصفعون

طبيعة المزاج الأندلسي هذه ، ألم يقرر المقري الذي عرف الأندلس من خلال أدبها فحسب ما يلي ؟ :

"ولأهل الأندلس دعابة وحلاوة في محاوراتهم وأجوبة بديهية مسكتة ، والظرف فيهم والأدب كالغريزة ، حتى في صبيانهم ويهودهم ، فضلا عن علمائهم وأكابرهم (1)" .

ولو وصل إلينا "المسهب" للحجاري لكان مادة غزيرة في تصوير الوجه الضاحك للأندلس الاسلامية لأنه تدارك فيه ما أمسى شعاعا "من النوادر والتنكيتات والتركيبات وأنواع المضحكات" (2) ومثل "المسهب" في هذا الموضوع كتاب التحف والطرف لابن عفيون (3) ، وما ألف في دعابات ابن أبي حلتي (4) ، وقد عرف بعض أدباء الأندلس بحفظ نكت الأندلسيين وروايتها ، ومنهم البياسي (5) مؤلف الحماسة المغربية . كما أشارت الأمثال إلى مزاح أبي إسحاق اللاذع (6) ونوادر ابن طاهر القيسي (7) ، وبالجملة فقد كان الظرف والتظرف من شيم الأندلسيين ، ولكم نفقت عندهم سوق الظرفاء القادمين من المشرق ، ونجدهم في نصوص عديدة يعبرون عن إعجابهم بالظرف العراقي الذي عرفته المجتمعات العباسية .

---

(1) نفح الطيب 4 : 352
(2) المصدر نفسه 4 : 151
(3) المصدر نفسه 5 : 160
(4) المصدر نفسه 5 : 98
(5) المصدر نفسه 4 : 293
(6) المثل رقم 1508 في القسم الثاني
(7) المثل رقم 1228 في القسم الثاني

مستدرك

١ ـ فـروق وتصـويبـــات (1)

(1) لم اتمكن من مراجعة النسخة م في اثناء طبع القسم الثاني من هذه الدراسة ، وقد رأيت اثبات هذه الفروق والتصويبات في هذا الملحق في انتظار وضعها في مواضعها اذا تيسرت طبعة ثانية ان شــاء اللـه ■

الصفحة	السطر	
14	6	واحِدْ
14	6	كُلْ
20	2	انْتَفِيلُ
20	3	يَدْرُو
22	3	لغَدِي (بالإمالة)
23	1	لَشْ
25	5	فَالضيافة
27	8	وَ هُو
29	1	مَعِزَّ
29	3	لا تمتَارْ
38	3	تَخُذْ
40	2	الكُبَارْ
40	9	يَنْبَعْ
42	2	بالعَسره
47	8	المراه
50	3	السَّبَع
51	1	فَالفدان
52	8	الرَّهَن
53	2	فَالكرسي
57	2	227 م ـ الهَم إذا باتْ فَاتْ .
57	3	سِنْتَبِطَرْ
58	5	فَوْقُ
59	3	بالقِطاعْ
65	2	عُبْسَنَ
65	10	حُفير
71	2	طَوْبَ وهكذا ضبطت في Voc.
72	1	باكُورَ
73	2	صَوْف
75	3	السَّعِيَّ
77	1	الخُلاَّعْ
79	1	لَالصَّمعَ (و في Voc. الصُّمُعَه)
82	2	خَرَّقَ
82	4	اللَّوْح
82	5	قَّافْ
84	9	و الكُشَيْفَ
87	3	رَطَلْ
89	5	بحِجَارِي (لعلها الصواب)
91	5	اتَّبع
94	11	القَمُحْ
98	7	وَإلاَّ (لعلها الصواب)
100	6	البُرَينس
101	1	استغن عن شَيْ
101	4	ولا تعامَلُ
105	2	خَبْرَك
107	3	لا يَجِدَك (يمكن أن تقرأ هكذا)
109	5	طَبْلَنْتْ
110	8	في تبْنَ
114	5	بُرجْ
115	2	في الجبس (لعلها الصواب)
119	6	دار إشْراف
123	6	قِطاعُ
125	5	بضاعة ابن... بضاعَ بكَبْش .
129	1	يدلّكْ ، تَشْكُلّكْ .
129	3	تقْضِي
133	7	نَسْتَغْنو
136	3	يَتْغَدّي (بالإمالة)
136	3	وَ يَتْعَشّي(بالإمالة)
137	1	خَيالِ
138	1	بِبابْ (تصويب)
142	2	الرَّتْبَة
143	3	واسعَ الجبهة
150	1	حِكاك
151	2	بالصِّحَّ
153	6	باعْ بِباعْ
155	3	بالدَّيدَ والقليدَ
156	1	جَلْبَة
165	2	بثِلت

166	3	طُعَمْ
169	7	حَارِي
170	2	بَصَنْتَارة
184	2	تَوْر
184	6	حَقِّ (أي حقّي)
185	4	حِج
189	1	جوت
190	1	حرْزَ
199	4	فَالْعَرَقْ
201	4	الضَّرَاطْ
202	1	شِي
203	1	لَصَحْب
203	2	يَفْتَلِي
204	3	الفِتْق
206	8	الْبَرْدَعْ
209	1	خَلْطَ بَلْطَ
211	3	أَكَلْ
212	9	دِلَّتْ
212	9	في مكتبه
213	6	بالشَّمَاعَ
214	2	يا اصْحاب
214	3	دَرِيهَ
220	1	الْقِدْ
221	7	الرَّفِيدَ
222	6	المِخِمْج
223	1	رَجْلْ
224	6	لِرَحا
224	6	ينْخَل
226	1	عُكَار
231	4	فالسَّلْب
231	5	زِدْ ونِيكْ
234	8	رقم 1033 متأخر على رقم 1034
242	3	تَفْتُكْ
251	5	وَدَعْ .
260	2	وَ لَطَمُ

264	4	كَلْمَة
266	1	سودْ ... بيضْ
268	3	كروْدَحْ
271	3	يُفَزَّعْ
271	3	بهَيُوْدُ
274	1	خَرَا
276	1	كَيِّسْ
282	7	تَشْرِيهَ ، جرِيهَ
282	4	نَكُونْ
284	2	ولو كانْ جارْ
290	8	أَجَلُ
291	1	مَعْها
291	6	عَشِي (بالإمالة)
291	6	عُطَارِدِي (نسبة إلى عُطارِد) وفي النسخ الأخرى أيضا. هُوَ. بدلا من : لو . (تصويب)
292	3	كَرْسِعَنَّ
292	6	استحِي ، اسحِي (بالإمالة)
296	2	رِسْمَالْ
296	4	نِقَعْ (وكذلك ضبطت في .Voc)
297	2	مَشِي (بالإمالة)
298	6	يَزْمُرْ ، مَا يَجُرْ .
299	1	يبسَّكْ
299	9	تَدْوِيرْ ، لِسْ
300	3	فَاسْطُ
301	5	وَرِي (بالإمالة)
302	5	نَسِي .
303	3	وَلِي
303	3	يتعَشِّي (إمالة)
303	2	مَنْ بَكَاهْ
305	4	صَعَبْ
308	5	خَيْط

310	2	في قرية ضَيْفُ
310	5	حَبَلْ
313	1	حَرَّمَتْ
313	7	ما اللُّقْمَ
316	2	بالْهَوِي ، الدَّوِي (الإمالة)
316	4	سَعَدْ
316	5	اللَّمَعْ
317	2	ما يضّارب الطَّوبْ مع الاجُرْ .
318	1	النَّشاطِرْ
319	5	الكُزْبُرْ
321	6	اجْلَسْ
322	2	البَلُّوْط
323	6	مَنْ لَطَمُ يَدُ
324	5	قَرْلَة (؟)
325	2	الغَدي ، أبَدي (الإمالة)
328	5	لَمْ يَتغَدّ (؟)
331	7	قولُ
331	7	عَظَمْ
334	6	بَنَاتُ
336	2	يَبيعْ
337	1	لغَدِي ، أبَدِي (إمالة)
338	3	مَنْخَروطَ
338	5	يزْوَج الطَّراحَ
338	7	من يحب خَلَفْ لمَخْلُوفْ
339	1	امرَأة
340	1	بالحفيرا
341	3	العَرُوسَ
342	4	كَيْف
343	5	تَعْنِي (بالامالة)
346	5	البردَعْ
344	3	طيَبُ (أي طيابه ونضْجه)

346	7	عَزَلْ
347	10	مَرْيوطَ ، الغَدِي والعَشي مَخْلوطَ
348	1	رِفَادَ
349	1	اخير
349	3	اقْطاعْ
350	2	بيهَ
355	1	نَمَل الشَّجَر :
355	2	بقطعَ .
355	2	زُجَاجْ .
356	2	اصْفَقْ .
357	1	شهَيَّرْ .
357	3	والمِسْلاَله
359	5	صَوْل
361	2	أُجَّها
369	2	بالْقصَارَ
369	9	سَوِي (بالإمالة)
375	1	تَعُق الرَّماكْ
375	4	أسَيّدْنا
375	6	وانتْضَوا
376	6	عكَرَّكْ
376	1	نصَرْ
378	5	وَجِي (بالإمالة)
378	8	روحَكْ
379	2	ومتفنَّقْ
380	1	عَشِيتْ (بالإمالة)
338	1	وقال : ضَبَ
389	3	والصَّنَّاجْ
400	6	في جَنيزَ (بالإمالة)
400	8	زَرَاعَكْ
400	8	و وَلَّفْ
404	4	طَيْرْ
407	3	غَلْيَ
409	2	بنَيط (لعلها الصواب)
409	9	بغَبيطْ
409	10	تَنْسِي (بالإمالة)

411	4	ما تَغْلَى
411	4	أبَدِي (الإمالة)
413	3	شُعَيْبِي ، عُلَيْبِي
416	3	العَوِّيدَ
419	1	يَجِكْ (قراءة ممكنة)
420	2	وَتَرِي
422	1	مفَرِّحَ
422	2	وَعُدً
424	1	ابْنَة
426	3	سَبَّقْنِي
426	4	قِلَلْ
427	7	شَكَلْ
430	2	شَرِي (أي شراء بالإمالة)
431	2	ما يحِنَ (لعلها الصواب)
433	4	شَرِي (بالإمالة)
434	1	الحَنَّي
434	6	حين
436	3	سِلاله
437	3	شَابِلْ

439	1	شُمْطَيْرْ غَلاَم
449	3	لُبْ
450	2	وَصَلْ العَرًوف
451	1	حَلْفَ
453	3	يَدْحُسْ
455	3	مَعْها
357	6	رايحْ
464	1	عَيَا
464	6	نَهارَكْ
468	1	و يَتَّبع
468	3	يَعْقَدْ
470	1	الحَجْرَ
470	2	يَنْطَوِي
470	3	البَرْذَعْ
471	2	الخَوْخْ
472	2	في قَرِية ضَيْفُ
473	5	هِلالْ
473	10	يحْرِق
474	4	خَرْنَقْ
474	5	نارَنْجَ
480	9	يحتَمل
483	1	الصنَّاب (؟)

مستدرك

ب مقـــارنـــات جـــديـــدة (2)

(2) في هذا الملحق أشياء جديدة وقفنا عليها بعد طبع القسم الثاني وهي لاحقة به ورأينا اثباتها في اخر هذا القسم الاول الذي طبع بعد الثاني في انتظار وضعها في مواضعها عند طبعة جديدة ان شـــاء الله .

- ص 54 (رقم 123) يزاد في آخر شرحه ما يلي :

وفي معنى المثل يقول ابن الخطيب مضمنا مثلا أندلسيا أخر (ديوانه :)

دار الظلامُ على دورة كافر فقصدت قصدَ عبادة وتلاوه

و لو أنني كابدته لم أستطع " ما حال ابيض في بلاد قناوه "

- ص 60 (رقم 243) يزاد في آخر شرحه ما يلي :

وقارن أيضا بما ورد في رسالة لابن الخطيب إذ يقول :

" فكأنَّما هو تمساح النيل ضايق الأحباب في البرهة ، واختطف لهم من الشط نزهة العين وعين النزهة . ولجَّ بها والعيون تنظر ، والغمر عن الاتباع يحظر ، فلم يقدر إلا على الأسف ، والتماح الأثر المنتسف . " التعريف بابن خلدون : 110

- ص 62 (رقم 253 : يزاد في آخره ما يلي :

ومثله في أمثال سورية ولبنان ومصر : إن كنت عايز تستريح ، ايش ما شفت قول مليح . شفيقة شبير : 21

- ص 62 (رقم 255) يزاد في آخره ما يلي :

ولشاعر أندلسي "(حبيب بن أحمد الأموي) في هذا المعنى :

تَسَاوى النَّاس واعتدلُوا جميعًا سواءٌ ذُو السِّيَادةِ والمَسودُ

دمية القصر 1 : 171

- ص 63 (رقم 260) يزاد بعد عبارة : لعلَّه يقال في العيش ينقطع حين يحلو . ما يلي : وقد وقفت على معنى المثل مضمنا في بيت للرصافي البلنسي هو (ديوانه) :

و كنتَ العيشَ متَّصلا ولكن تصرَّم حين لذَّ و طابا

- ص 65 (رقم 268) يزاد في آخر شرحه ما يلي :

ومثله في مجموع شفيقة شبير : 17

اشقي يا ما ادلعتي

- ص 66 (رقم 1145) :

شرحت كلمة ولامَ في المثل بوليمة ثم بدا لي أنه شرح بعيد ، ولعل الأقرب إلى الصواب أنها اسم بلد أو قبيلة أو ما أشبه ذلك .

- ص 70 (رقم 296) يشرح المثل بما يأتي :

ورد في العقد (3 : 26) في باب التماس الرزق و ما يعود على الأهل والولد ما يلي : " قال النبي صلى الله عليه وسلم : العائد على أهله كالمجاهد المرابط في سبيل الله ."

ـ ص 82 (رقم 355) يشرح المثل بما يلي :

ورد في إغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية ما نصه :

أخبرنا معمر عمّن سمع الحسن يقول ، في رجل تزوّج امرأة يحلّلها ولا يعلمها ، فقال الحسن : اتق الله ، ولا تكن مسمار نار في حدود الله . قال شيخ الاسلام : يريد الحسن : كما أن المسمار هو الذي يثبت الشيء المسمور ، فكذلك هذا يثبت تلك المرأة لزوجها وقد حرّمها الله عليه . اغاثة اللهفان 1: 291 ، 295 ط . الحلبي .

ـ ص 84 (رقم 369) يفسر المثل بما يلي :

الكُنَى بالمُنَى : مثل عربي أو مولّد ورد في أساس البلاغة (مادة ك . ن . ي) .

ـ ص 104 (رقم 460)

يزاد في آخر شرحه ما يلي : ولبعضهم في عرك أذن العود :

وكأنه في حجرها ولدٌ لها	ضمته بين ترائب و لبان
طورا تدغدغ بطنه فإذا هفا	عركت له أذنا من الآذان

ثمار القلوب : 336

ـ ص 104 (رقم 464) يزاد في آخر شرحه ما يلي :

وفي رسالة لابي يحيى بن مسعدة في الرد على ابن غرسية : " وتذكّر حال أيتامك ، وقدِّر على هذا الأصبع سعة خيتامك " نوادر المخطوطات3 : 272

ـ ص 108 (رقم 483) يزاد في آخر التعريف بشبيوط ما يلي :

و ورد ذكر هذا المكان في قصيدة لابراهيم بن محمد بن عبيد يس يستصرخ فيها أمير المسلمين أبا عبد الله لمحمد بن يوسف بن هود إذ يقول :

وشبيوطٌ وابراجٌ لديهــــــا	وقد تركت وما في الحقِّ ترك

يزاد بعد المثل رقم 483 ص 108 ما يلي :

والترقيع بقشور البطيخ ورد ذكره في رسالة لأبي عامر الأصيلي يهجو فيها بعضهم فيقول : " ولطالما عشش الفار في سرجه ، وتخالفت الرقاع في خرجه ، فواحدة من بدنة سليخة ، وأخرى من جلدة بطيخة "

خريدة القصر ق 4 ج 2 ص 246 ـ 247 .

ـ ص 113 رقم 502

وعند الطالقاني رقم 189 : جاهك عندنا جاه كلب ممطور في جامع .

ـ ص 116 (رقم 516) يضاف إلى شرح المثل ما يأتي :

و وردت كلمة " اشت " بمعنى اسم صوت للأمر الحمار بالوقوف وكلمة " أري " بمعنى اسم صوت لأمر الحمار بالمشي في كتاب : " التنبيه ، على المغالطة

و التمويه " لبعض الأندلسيين من أهل القرن الخامس (مخطوط بالاسكوريال ص 124) . أما في اللهجة المغربية فيستعمل في زجر الحمار للوقوف لفظ شا ، و هو من العربية : سأ ، وفي الأمثال : قرب الحمار من الردهة ولا تقل له سأ ، الميداني 2 : 94

- ص 129 (رقم 568) يزاد في آخر شرحه ما يلي :

و يمكن أن يكون معناه كقول الحريري :

تعارجتُ لا رغبةً في العَرَجْ ولكنْ لاقرعَ بابَ الفَرَجْ

- ص 133 (رقم 587) يزاد في آخر شرحه ما يلي : وقارن أيضا بعبارة وردت في تاريخ عبد الملك بن حبيب تشبه أن تكون مثلا وهي : حتى توجد الخادم بمهماز والأمرد بسوط .

صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد 1957 ص 240

- يزاد في شرح المثل رقم 613 ص 139 ما يلي :

ومثله قول ابن الأبّار في درر السمط :

مثل النحلة لا تاكل إلا طيبا ، ولا تلد إلا طيبا .

- ص 141 (رقم 624) يزاد في شرح المثل ما يلي :

و سمعته من بعضهم باللفظ التالي :

بحل حانوت الحجام هز الشبكة يبانو الامواس

- ص 145 (رقم 647) يفسر المثل مبا يلي :

الدجّاج : بائع الدجاج ، ولعل المراد أنه ليس فيها شيء ذو بال أو قيمة .

- ص 146 (رقم 651) يزاد في شرحه ما يلي :

وسمعته من بعضهم باللفظ التالي :

الحلال يرق ولا ينقطع .

- ص 148 (رقم 660) يزاد في شرح المثل ما ياتي :

وقد يكون للمثل صلة بالمثل المولد البغدادي :

أنا من تلوّن الزمان كأني خيط مغرة

مثل يضربونه للمهدد (؟) بالشيء لا غناء له . (انظر : أمثال الطالقاني)

- ص 155 (رقم 698) يزاد في آخر شرحه ما يلي :

وإلى ذلك يشير الشاعر المغربي ابن زاكور إذ يقول مداعبا لرجل اسمه برطال :

زعَمُوا أنِّيَ بُرطَالْ وأنا لستُ ببُرطَالْ
إنما البُرطالُ طيرُ ينشل الحَبَّ بمنشال
وجَزا البُرطَال فلسٌ وجزائي ألف مثقال
وأنا شخص ظريفٌ أطرب الناس بأقوال

ـ ص 171 (رقم 760) يشطب على ما ورد في الشرح ويكتب بدله ما يلي :
كذا في الأصل ، ولعل صوابه : ثفل الدوّارة . والدوارة : الكرشه ، والثفل : حشوها الرديء .

ـ ص 177 (رقم 779) يزاد في آخر شرحه ما يلي :
ـ ص مثله في مجموع شفيقة شبير 7 : من هالك لمالك لقباض الارواح .

ـ ص 185 (رقم 813) يضاف ما يلي :
وقد وردت كلمة " الدوّار " بهذا المعنى في قطعة رجزية لابن الخطيب يمدح فيها ابن داود السّلوي الفخّار يقول فيها : (ديوانه : 312 ـ 313)

يا من يُفيد الطين كلّ صوره عن مُثُلٌ في علمه محصورة
والفلك الدّوار من "دوّاره " والنارُ تمضي حكمه ضروره

و المثل مسموع في المشرق بالصيغة التالية :
مثل ما بيريد الفاخوري يدير ودان تلجره . شفيقة شبير : 76

ـ يزاد في آخر شرح المثل رقم 824 ص 187 ما يلي :
وانظر ما ورد في هذا المعنى محاضرات الراغب : 422 تحت عنوان : استرداد ظروف الهدايا وتركها . ومن قول الغنوي : استديموا الهدايا برد الظروف .

ـ ص 188 رقم 827 يزاد في آخر شرحه ما ياتي :
وقد وقفنا في الأمثال البغدادية للحنفي على ما يلي :
حمّص الطبايخ رقم 699
يضرب لمن يقحم نفسه في كل أمر ويتدخل فيما يعنيه وفيما لا يعنيه.

ـ ص 204 (رقم 909) يزاد في آخر شرحه ما يلي :
وأصله ـ فيما يبدو ـ مثل مولد ورد في كلمة لعمرو بن عبيد المعتزلي يقول فيها متحدثا عن واصل بن عطاء : " ما كلام الحسن وابن سيرين عندما تسمعونه (واصل) إلا خرقة حيض ملقاة . الاعتصام للشاطبي 3 : 103 .

ص 206 (رقم 919) : خُبزْ ودجَاجْ ، خُبز وخبيز . هكذا في الأصول على أنهما مثل واحد ، ويبدو أنهما مثلان منفصلان ، والثاني منهما مسموع في المغرب .

ـ ص 209 (رقم 931) يضاف ما يلي :
ويبدو أن أصل المثل هو الكلمة المنسوبة إلى المستوغر بن ربيعة : ألا أخبركم بخير العنب : هو ما روى عموده واخضرّ عوده ، وتفرق عنقوده. " شرح الشريشي على المقامات 2 : 154

ـ ص 211 (رقم 932) يزاد في آخر شرحه ما يلي :
ومثله في الأمثال المصرية و السورية :
زي السمسار النتن : لا يرضى البائع ولا الشاري . شبير : 41

- ص 275 (رقم 1184) يشرح بما يلي :

يبدو أنه في معنى القول المنسوب إلى الجنيد : لو صحبني فاجر حسن الخلق كان أحب إلي من أن يصحبني عابد سيء الخلق . الصداقة والصديق : 59

- ص 281 (رقم 1219) يضاف في آخر شرحه ما يلي :

وقد ضمنه الشيخ الخطيب أبو عبد الله بن حربله (الكتيبة الكامنة : 54) ببيتين له ، ومهد لهما ابن الخطيب بقوله : فمن ذلك بيتان خالف فيهما نهج الأمم ، ونسي قوله عليه الصلاة والسلام :" تزوجوا فإني أباهي بكم الأمم" :

يا عازبا لا تذل نفسًا	عودتها العزّ والفرح
بزوجة فالزواج ذلٌّ	" لو زُوّج الكلب ما نبح "

- ص 292 (رقم 1262) يزاد في آخر شرحه ما يلي :

وفي أمثال مصر و سورية : الخواف ماله رزق . شفيقة شبير : 22

- ص 305 (رقم 1312) يضاف إلى شرح المثل ما يلي :

وورد المثل في تحفة المغترب في سياق كلام من جملته : " فلمَّا دخلت عليهم ، والملك الكامل بالحضرة معهم ، قال لي الشيخ أبو الحجاج : يا عبد الملك : ادخل لس يسوى المجلس قدر كنسه ! الفقراء في انتظارك وأنت لا تجيء ، ... فقلت له : قدرهم أجل من أن يحقروا من انتظروه من أجل الله ، و إن لم يكن انتظارهم من أجل الله . فالمجلس لا يسوى شيئا لا قدر كنسه ولا أقل من ذلك . تحفة المغترب : 56

- ص 306 (رقم 1318) يضاف في آخر الشرح :

ومن الامثال المسموعة في المغرب :

الفوائد تكثر على الموائد .

- ص 308 (رقم 1331) يضاف ما يلي :

وفي مجموعة شفيقة شبير (ص 26) :

يبني حيط من خيط .

- ص 312 : يستحسن وضع البيت :

ولكل شيء الخ بعد المثل رقم 1347 وهو يفسره ، وسمعته هكذا :

المقص ما عندو ما يدي من خوه .

- ص 331 (رقم 1433) يزاد في آخر شرحه ما يلي :

ومثله في مجموع شفيقة شبير 16 : لا شغل ولا عمله قاعد بيخصى أرانب

- ص 332 : المثل رقم 1438 معناه أن من نشد السلامة وجدها ، وسمعته من بعضهم هكذا :

اللِّي قلبّ على البلا تايلقاه .

- ص 354 (رقم 1559) يضاف في آخر الشرح ما يلي :

ومثله عند شفيقة شبير (ص) :

عمَّا نجري جرى الكلاب بالشوك

ـ ص 370 (رقم 1622) يزاد في آخر الشرح : ويقال في المشرق : شحات ومشارط . شبير : 15

ـ ص 374 (رقم 1638) يضاف في آخر الشرح ما يلي :
وهو مسموع في العراق بلفظ :
محلى الفكر يوم الرحيل
وفي الشام بلفظ :
مسعد الفقرى يوم الرحيل ، لا يحمل ولا يشيل . التكريتي 4 : 114

ـ ص 384 رقم 1687 : مثلان وردا في الأصل كأنهما مثل واحد ، وأولهما : 1687 ـ عنْقود من المَعْصَرَ .
كأنه يقال في الشيء الرديء ، وأما الثاني 1687 م ـ على مطرف . فهـ مسمسموع في فاس

ـ ص 389 رقم 1702 :
لعلّ الأقرب إلى الصواب في معنى عبارة : بالقفة والصتّاج . إنها كناية عن الكثرة .

ـ ص 399 (رقم 1736) يزاد في آخر شرحه ما يلي : ولابن خاتمة :
وخالس زمانك غفلاته فقد فاز بالعيش من قد جسر

ـ ص 349 (رقم 1532) يزاد في آخر شرحه ما يلي :
وجاء في كلام لابن الخطيب السلماني ما يلي : وربّما كانت هذه الطبقة متميزة بالاستحسان تمييز البركة بمطر النسيان . الكتيبة الكامنة : 158

ـ ص 393 يزاد في شرح المثل رقم 1715 ما يلي :
وسمعته من بعضهم كما يلي :
تهريسة القلة عند البير

ـ ص 396 يزاد في شرح المثل رقم 1734 ما يلي :
وفي رواية م : الحرم = الحرمة ، ولعل المقصود مبها في المثل أم الولد ، ولدها حسب القوانين الفقهية ـ لا يباع .

ـ ص 407 (رقم 1777) :
بعد غلْيٍ أي غلية ، هكذا في م ، ولعلّ ذلك عبارة عما ينضج بسرعة.

ـ ص 419 : عبارة : بعنق أن شاط ، في المثل رقم 1826 قد يكون معناها أن ذلك يكون برأس مرفوع وبدون حجل ولا حياء .

- ص 422 المثل رقم 1841 وارد في إحدى " العيطات " كما يلي :
سلام المحبة من قاع الدار يجي
- ص 423 (رقم 1845) يزاد في شرحه ما يلي :
ويقال في مصر وسورية : ده حرامي وبيده شمعة .
- ص 431 (رقم 1884) يزاد في آخر الشرح ما يلي :
ولابن بشير فيمن أكل وحمل :

أكلوا حتّى إذا شبعوا	حملوا الفضْل الذي تركوا

محاضرات الراغب : 639
- ص 452 (المثل رقم 1966)
سمعته من بعضهم كما يلي : امُ وحدٍ وأباه الف
- ص 446 (رقم 1942) يضاف في آخر شرح المثل ما يلي :
ومثله في مجموع شفيقة شبير : (ص 20)
لا تعَوَّد شحّات على باب دارك .
- ص 456 (مثل رقم 1979)
وقفت بعد ذلك في كتاب للغساني على هذا النص الطريف في " الديدي " :
" وهو كثير بأرض الأندلس بغرناطة وغيرها ، وقد ذكره الفقيه عمر كثيرا في ازجاله وغنّى عليه وتغزل فيه بأشعاره لجمال منظره وغرابة شكله وملاحة نوره ، ولأجل هذا يتخذ في البساتين ، يعرف عندنا بفاس وبأرض الأندلس : ديدي بدالين ويائين . فمن ذلك قول الفقيه عمر فيه : (زجل من رمل الماية) :

غرناطة فتنا البشر	آخر النهـــــار
زهرها يبـــــدي	قرب وصل وعدي
والحمرا واجب تتذكر	مــــع الدشـــار
معانيها تبـــدي	زينت بخلـــدي
وأطراف الثمـــار	قد زخرفت بالجلّنار

صفرا وآخر ديــــدي

خلفوني وعـــدي	بالبنفسج حين يبد
ما أعز على كبدي	ما أنا وحـــدي

يزاد في آخر شرح المثل رقم 2004 ص 460 ما يلي :
وقد ورد المثل في رسالة صادرة عن المامون بن ذي النون إلى واليه ابن عكاشة في شأن حصن استولى عليه النصارى جاء فيها : "ولو أن حقيرا يخفى عن علم الله تعالى لخفي عنه هذا الحصن ! ناهيك من صخرة حيث لا ماء ولا مرعى. " نفح الطيب 5 : 100 .
- ص 467 (رقم 2039) يزاد في شرح المثل ما يلي :
وقد ورد المثل في رسالة الشقندي إذ يقول فيمن رام أن يفضل بر العدو على بر الأندلس : "فيا عجبا كيف قابل العوالي بالزجاج وصادم الصفاة بالزجاج"

- ص 467 مثل رقم 2038 يزاد في آخر شرحه ما يلي
ومثله في الأمثال الاسبانية الواردة في ضون كيخوتي كمن يطلب الكمثرى من شجر الدردار . (ترجمة بدوي ج 1 ص 244)

- ص 486 يزاد في شرح المثل رقم 2151 ما يلي :
وهو يذكر بمطلع قصيدة الحصري

يا ليل الصب متى غده ... أقيام الساعة موعده

- ص 339 رقم 1471 يزاد في شرح المثل ما يلي :
وورد تلمثل أيضا في بيتين الوتّار (ت 662)

ما أبصر الناس ولن يبصروا ... في عصرهم مثل ابن مرزوق
من جهله يحكم في عزلـه ... "كهارب يضرب بالمبوق"

(تالي كتاب وفيات الأعيان لابن الصقاعي - نشر المعهد الفرنسي بدمشق
- ص 434 رقم 1896
المثل موجود في الأمثال الأردنية جمع د هاني العمد بلفظ
كل أرض تشرب سيتها
قال : يضرب في معرض الحديث عن صلة القربى.
ص 377 رقم 1655 يزاد في شرح المثل ما يلي :
و في الأمثال الأردنية :
- كلاب الصيد امخشرمات الوجوه.
يضرب في معرض الحديث عن الداهية المجرب.
- ص 198 رقم 875 وفي الأمثال الأردنية
- خذ من عقل وازرع بصل.
يضرب في معرض الحديث عن فاقد العقل.
- ص 202 رقم رقم 896
هو في الأمثال الأردنية :
- أبوك ما عقب لك، عمّك ما منه شيء.
- ص 340 رقم 1475 في الأمثال الأردنية :
- النقا، غلب السقا،
- ص 297 رقم 1279 : هو بلفظه في الأمثال الأردنية
- من قال أنا، وقع بالعنا.
- ص 289 رقم 1250 : في الأمثال الاردنية :
- من توضى بدري ضلّى حاضر.
- ض 404 رقم 1763 يزاد في شرح المثل ما يلي
و الزمّج معروف بكثرة النقر، ولأبي نواس

يا راضعا بيض القطـا ... تحت الزمامج الافراخ
لو أيقنت ما تحتهـا ... لم تخل من نقد السمّاخ

- في الحاشية رقم 11 ص 135 من القسم الأول فسرت العبارة المثلية "رحيلك بني شاكر بأنها إشارة إلى بني شاكر الساسانيين المكديين، ثم

وقفت أيضا في رسالة الوداع لابن باجة وغيرها على ذكر كتاب الحيات لابن شاكر، و هو كتاب يحتوي على ألعاب وحيل وأشياء تدعو إلى العجب ، ويبدو انه كان متداولا بين الناس في الأندلس حتى أصبح اسمه - فيما يبدو - ممّا يتمثل به.

- وردت قصة الدجاجة التي تبيض الذهب التي أشرنا إليها في ص 173 من القسم الأول منظومة في ديوان النابغة وفي مروج الذهب للمسعودي 5 : 280 والأغاني لأبي الفرج 19 : 24.

- أشرت في ص 102 من القسم الأول إلى حكاية أبي القاسم ونسبتها لأبي المطهر الأزدي تمشيا مع ناشر الكتاب، و ثمّة دراسات عراقية حول الكتاب و مؤلفه ومنها ما ينسبه إلى أبي حيان التوحيدي.

ج - جدول الخطأ والصواب

ص	س	خطأ	صواب
7	22	الفخد	الفخذ
16	10	الزجالين	الزجّاليين
19	17	مواضيع	مواضع
19	23	التحق	التحف
24	18	أخد	أخذ
25	12	بن	ابن
28	4	المعروف	المعروف
36	18	البناء	للبناء
37	4	انه	إنه
40	6	الفارازى	الفازازي
47	12	رق	رَقّ
97	1	لا يبلع	لا يبلغ
99	7	تجازوت	تجاوزت
98	16	الإشعث	الأشعث
101	5	عيرك	غيرك
109	24	المولدو	المولدون
112	23	حكامهم	أحكامهم
113	11	ملك	مُلك
117	10	بصَل	بصَلته
122	19	إذا	إن
123	32	سبيل	على سبيل
127	11	ليُصَحني	ليُصحبني
136	14	غيط	غيظ
174	3	و أثرها	و آثارها
155	16	الحوادت	الحوادث
160	3	a la noche	a la mañana
161	6	الحقد	العقد
163	2	دششة	دهشة
163	12	يجوز	يحوز
174	16	متلاحق	متلاحقة
183	18	أثر إسبانيا	أثر الاسلام في إسبانيا
188	23	ternansef	ternanse
199	2	مزمر	مزهر
201	15	فمو	فهي
202		تحذف الحاشية رقم 2.	
212	19	بقاتر	بقاشتر
212	22	شيوح	شيوخ
220	15	فصيحة وعامية	فصيحه وعاميه
220	27	و يبدوا	و يبدو
225	13	في دول	في دولة
225	18	وحد	واحدة
232	16	التعاليم	للتعاليم
232	24	ذلك	وذلك
237	21	أن	إن
238	20	الي	الذي
239	23	عراير	غراير
239	26	النارنخ	النارنج
239	27	أوأ	أو
239		الحاشية رقم 3 موضعها حيث الحاشية رقم 1 ص 240.	
240	18	الأعمى	الأعمى التطيلي
240		الحاشية رقم 1 موضعها حيث الحاشية رقم 3 ص 239.	
241	1	عندة	عبدة
241	31	بشرها	نشرها
243	1	عودتها	عودتَها
247		موضع رقم 1 في آخر المثل الواقع بالسطر الثالث.	
253	10	أخفائها	إخفائها
255	12	فتاة	فتاهُ
263		ينقل رقم 1 فن آخر السطر 22 إلى آخر السطر 19.	
267	19	شيئا	شي
267	21	خداغ	خداع
268	7	دلك	ذلك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
276		الاحالة في الحاشية رقم 5 تعني آخر السطر 13.	
276		الاحالة في الحاشية رقم 6 تعني النص الوارد في السطر 22.	
276		الاحالة في الحاشية رقم 7 تتعلق بما ورد في السطر 16.	
278	25	elo	ela
280	24	عليم	عليكم
280	8	ادغض	أدغص
283	1[illegible]	الاطاحة	الاحاطة
316	21	لمحمد	محمد

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
317	11	وبمدريد	بمدريد
317	18	مبا	بما
318	12	تاجره	الجره
320	10	فه	فهو
320	11	مسسموع	مسموع
320	31	إنها	أنها
320	15	شرح	شرحه
320	19	النسيان	النيسان
320	25	مبها	منها
321	21	ينقعد	ينعقد

د ـ الفهارس

لم نتمكن من إثباتها نظرا لظروف مطبعية خاصة.

هـ ـ المصادر والمراجع

توجد في آخر القسم الثاني

فهرس الموضوعات

طبع هذا الكتاب بالحروف التجريبية
للاستاد احمد الاخضر غزال
بمطبعة محمد الخامس - فاس
رقم 987 - 1000 نسخة
جمادى الثانية 1395 يوليوز 1975

Proverbes Andalous

DE

ABU YAHYA AZ-ZAĞĞALI

1220 - 1294

1ere Partie

ETUDE

Mohamed BENCHERIFA